دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية المتخصصة
مركز تحقيق التراث

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان

تأليف
بدر الدين محمود العيني
المتوفى سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م

عصر سلاطين المماليك

الجزء الرابع

حوادث وتراجم

٦٩٩ - ٧٠٧هـ/ ١٢٩٩ - ١٣٠٧م

حققه ووضع حواشيه
دكتور محمد محمد أمين
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة القاهرة

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. محمد صابر عرب

بدرالدين العينى، محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد،
١٣٦١ - ١٤٥١.

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان/ تأليف بدر الدين
محمود العينى؛ تحقيق محمد محمد أمين. ـ القاهرة: دار
الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، 2009-
مج 4 ، 660 ص ؛ 29 سم.
المحتويات: عصر سلاطين المماليك: حوادث وتراجم
٦٩٩ - ٧٠٧هـ/ ١٢٩٩ - ١٣٠٧م.
تدمك 7 - 0680 - 18 - 977
١ - التاريخ
أ - أمين، محمد محمد (محقق) ب - العنوان.
٩٠٧,٢

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٨٧٦/٢٠٠٩

I.S.B.N. 977 - 18 - 0680 - 7

تنـــويه

يود المحقق أن يوجه الشكر إلى أعضاء لجنة التـاريخ بمركز تحقيق التراث الذين قاموا بمراجعة تجارب المطبعة ، و إعداد كشافات الكتاب وهم :

١ — السيدة / نجـــوى مصطفى كامل .

٢ — السيد / على صالح حافظ .

٣ — السيد / عوض عبد الحليم حسن .

٤ — السيدة / لبيبة إبراهـيم مصطفى .

فصل فيما وقع من الحوادث

فى السنة التاسعة والتسعين بعد الستمائة (*)

استهلت والخليفة : الحاكم بأمر الله (١) العباسى .

وسلطان البلاد المصرية والشامية وما يتبعها من الممالك : الملك الناصر محمد (٢) بن قلاوون ، ونائبه بمصر : سيف الدين سلار (٣) ، ونائب الشام : جمال الدين أقوش (٤) الأفرم ، ونائب حلب : سيف الدين بلبان (٥) الطباخى .

واستهلت هذه السنة والسلطان مُسافِر إلى جهة الشام كما ذكرنا (٦) ، فإنه خرج بعساكره من القاهرة فى الرابع والعشرين من ذى الحجة من السنة الماضية ، ولما

(*) يوافق أولها يوم الإثنين ٢٨ سبتمبر ١٢٩٩ م .

(١) هو : أحمد بن محمد بن الحسن بن أبى بكر ، الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس ، والمتوفى سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م — المنهل الصافى جـ ٢ ص ٢٩ رقم ٢٥٣ ، وانظر ما سبق بالجزء الأول من هذا الكتاب ص ٣٤٦ وما بعدها ، وانظر ما يلى فى وفيات سنة ٧٠١ هـ .

(٢) توفى فى ذى الحجة سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م — المنهل الصافى .

(٣) هو : سلار بن عبد الله المنصورى ، قتل فى جمادى الأولى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م — المنهل الصافى جـ ٦ رقم ١٠٧٣ .

(٤) هو : أقوش بن عبد الله المنصورى قلاوون الأفرم ، الدرادار ، نائب دمشق ، مات بهمذان سنة ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ٩ رقم ٥١١ .

(٥) هو : بلبان بن عبد الله الطباخى المنصورى قلاوون ، توفى سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ٤٢٢ رقم ٦٩٩ ، وانظر ما يلى فى وفيات سنة ٧٠٠ هـ .

(٦) انظر ما سبق بالجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٤٦١ .

وصل إلى غزة أقام عليها مقدار شهرين لأجل التجهيز والتهيؤ[(١)] للتتار[(٢)] ، وقد ذكرنا ما جرى من أمور الأويراتية والعسكر مع السلطان على غزة ، وكانت قضيتهم على منزلة تل العجول كما ذكرنا[(٣)] ، ثم رحل السلطان ونزل على عسقلان ، ثم رحل من عسقلان متوجها إلى الشام ، ودخل دمشق يوم الجمعة الثامن من ربيع الأول من هذه السنة ، ونزل بالقلعة .

وكان يوم دخوله مطر شديد ووحل كثير ، ثم شرع فى الإنفاق على العساكر والخروج إلى لقاء التتار .

وفى يوم السبت ثانى يوم دخول السلطان دمشق ، ورد [١٩٣] جمال كثيرة وقفول وخلق كثير ، أولا فأولا ، جافلين من أخبار التتار ، وورد مملوك نائب حلب ونائب طرابلس وصاحب حماة وأخبروا[(٤)] بقدوم العدو ، وأنه وصل إلى شاطئ الفرات ، وأخبروا أنهم فى عسكر عظيم ، ولما تحققوا ذلك اتفق رأيهم على النفقة فى العسكر ، ودارت النقباء وعرّفوا سائر الأمراء والأجناد ، وأصبحوا جالسين فى الميدان ، وشرعوا فى تفريق النفقات ، وسيروا لكل أمير مقدم ألف نفقة مُضافية وكان كل واحد منهم يطلب مُضافية ويُفرق عليهم ما أرسلوه إليه من النفقة ، وكان لكل جندى منهم ثلاثين [أو][(٥)] أربعين دينارا مصرية[(٦)] ، وكان واحد منهم

(١) « والتهياء » فى الأصل .

(٢) عن سبب خروج التتار ، انظر ما سبق بالجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٤٦١ .

(٣) انظر ما سبق بالجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٤٦٢ وما بعدها .

(٤) هكذا بالأصل « وقدم البريد من حلب وغيرها » فى السلوك جـ ١ ص ٨٨٥ .

(٥) [و] فى الأصل ، والإضافة تتفق مع السياق .

(٦) « لكل فارس ما بين ثلاثين دينارا وأربعين دينارا » فى السلوك جـ ١ ص ٨٨٥ .

يأخذ النفقة من يده ويقلبها ويقول : إش أشترى اليوم بهذا ؟[١] ، فوالله لأخليها حتى يأخذها التتار ، فإن الأشياء من سائر الأصناف تحسنت وغلت جدا خصوصا الدواب وآلات الحرب ، وكان الجندى منهم يقول : إش بقى إما ثلاثة أيام أو أربعة أيام ؟ ، فنحن أحق بالذى نشترى به ، ومنهم من كان يقول : لعن الله من ينظر إلى فرجة العدو ، فوقع فى نفوس الناس الخذلان والانكسار سلفا وتعجيلا[٢] .

ذكر خروج السلطان الناصر من دمشق بعساكره إلى لقاء قازان[٣] :

ثم خرج السلطان بجيش من دمشق[٤] يوم الأحد السابع عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، ولم يتخلف أحد من الجيوش ، وخرج خلق كثير من المطوعة . ولما وصلوا إلى حمص ضربوا الدهاليز[٥] بها ، وشرعوا يرسلون إلى العرب ويخبروهم بمجىء العدو[٦] . وشرعت الناس يتلقطون نصرة العدو على المسلمين ، واشتهر ذلك بينهم ،

---

(١) هكذا بالأصل ، والمقصود « ما أو ماذا ؟ » .

(٢) « لكثرة ما أجرى الله على الألسنة بكسرة العسكر ، ولتمكن بعض الجند فى الأمراء البرجية » — السلوك جـ ١ ص ٨٨٥ .

(٣) هو : قازان ، وقيل غازان ، وقيل محمود ، ابن أرغون بن أبغا بن هولاكو ، توفى سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م — المنهل الصافى ، وانظر ما يلى فى وفيات سنة ٧٠٣ هـ .

(٤) « بعساكر مصر » فى السلوك جـ ١ ص ٨٨٦ .

و « خروج الركاب الشريف من دمشق » — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٥ أ .

(٥) الدهليز : الخيمة التى ترافق السلطان فى الحرب ، وهى خيمة قائمة بذاتها ليس بجوانبها خيم صغيرة كالتى تقام عادة لتجهيز حاجات السلطان وقت السلم — Dozzy .

(٦) « وبعث العربان لكشف الأخبار » فى السلوك جـ ١ ص ٨٨٦ .

فوقع الجفل (١) والخوف فيهم حتى أن المقدم الذى كان مضافيه خمسين نفسا أو أربعين يفتقدهم فيجدهم إذا كثروا قدر عشرين أو خمسة وعشرين ، فصار رجال الحلقة (٢) يقول بعضهم لبعض : يا فلان من أش تنفع هذا وقت الغيبة خل البرجية الذين يأكلون مصر يقاتلون العدو .

ثم تواترت الأخبار بأن التتار وصلوا إلى وادى الخزندار عند سلمية ، فسارت العساكر إليهم ليهجموا عليهم ، وقطعوا ثلاث مراحل فى مرحلة واحدة ، فلما أشرفوا على مجمع المروج (٣) ركب التتار وطلبوا ، وكان قازان فيهم وصحبته الأمراء المتوجهون إليه (٤) وهم : سيف الدين قبجق (٥) ، وسيف الدين بكتمر (٦) السلاح دار ، وفارس الدين ألبكى (٧) الظاهرى ، وسيف الدين عزاز الصالحى .

---

(١) جفل : نفر وشرد ، انجفل القوم : هربوا مسرعين — لسان العرب ج

(٢) رجال الحلقة — أجناد الحلقة : تمثل هذه الفئة عماد الجيش المملوكى وقلبه ، وتتكون من العناصر المحترفة من مماليك السلاطين السابقين وأولادهم ، وهم أقرب الفئات إلى الجيش النظامى فى العصر الحديث على اعتبار أنهم جيش الدولة الذى لا يتغير بتغير السلطان — انظر المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢١٥ وما بعدها .

(٣) فى وادى الخازندار ، وهو فيما بين حمص وحماة — السلوك جـ ١ ص ٨٨٦ هامش (٣) .

(٤) انظر ما سبق بالجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .

(٥) هو : قبجق بن عبد الله المنصورى ، الأمير سيف الدين ، توفى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م — المنهل الصافى .

(٦) هو : بكتمر بن عبد الله السلاح دار ، الأمير سيف الدين ، توفى سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م — انظر ما يلى فى وفيات سنة ٧٠٣هـ .

(٧) هو : ألبكى بن عبد الله الظاهرى ، الأمير فارس الدين ، توفى سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م — انظر ما يلى فى وفيات سنة ٧٠٢هـ .

ولما أشرفوا على طلائع العدو نادت الحُجّاب والنقباء بين العسكر بأن يرموا رماحهم ويعتمدوا على الضّرب بالسيوف (١) ، وكان هـذا من سوء التدبير وعلامة الخذلان ، فرمى جميع العسكر ما بأيديهم من الرماح إلى الأرض فحصل للخيل ضرر كثير منها لمصادمة حوافرها على أسنة الرماح وهى مطروحة على الأرض ، وكان كل سنان منها يُساوى مائة درهم إلى خمسين درهما ، فنظروا إلى التتار وقد ملأوا الأرض .

ثم شرعت الأمراء والحجاب فى ترتيب الجيش ، ورتبوا فى رأس الميمنة الأمير شرف الدين عيسى (٢) بن مهنى وأخاه فضلا ، ومعهما آل مرا وآل على وآل كلب وجميع العُربان ، ونائب حلب ونائب حماة بعساكرهما (٣) ، وفى الميسرة بدر الدين بكتاش (٤) [١٩٤] الفخرى ، والأمير جمال الدين قتّال السبع (٥) ، والأمير علم الدين

(١) « واعتمدوا على ضرب السيف والدبوس » — فى السلوك جـ ١ ص ٨٨٦ .

(٢) هكذا فى الأصل ، وكذلك فى السلوك جـ ١ ص ٨٨٦ .

ومن المعروف أن الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا توفى سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م ، وتولى مكانه ولده الأكبر حسام الدين مهنا — انظر ما سبق بالجزء الثانى من هذا الكتاب ص ٣٣٦ .

وتوفى مهنا بن عيسى بن مهنا ، أمير آل فضل سنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م — المنهل الصافى .

(٣) « وبليهم الأمير بلبان الطباخى نائب حلب بعساكر حلب وحماة » — فى السلوك جـ ١ ص ٨٨٦ .

(٤) هو : بكتاش بن عبد الله الفخرى ، أمير سلاح ، توفى سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ٣٨٥ رقم ٦٧٥ ، وانظر ما يلى فى وفيات سنة ٧٠٦ هـ .

(٥) هو : أقوش (أقش) بن عبد الله المنصورى اللاورن ، الأمير جمال الدين ، المعروف بقتال السبع ، توفى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ٢٦ رقم ٥١٧ .

الدوادارى ، وطغريل الإيغانى ، والحاج كَرْت نائب طرابلس ، وطُلْب الأمير (1) (2) (3) حسام الدين [لاجين] (4) الأستادار وفيه الأمراء الطبلخانات من بقية الظاهرية ومضافوها ، وفى القلب جمهور العسكر وفيهم سيف الدين سلار ، وركن الدين بيبرس (5) ، وسيف الدين برلغى (6) ومُضَافوه ، وسيف الدين قطلوبك (7) الحاجب ومُضَافوه ، والأمير عز الدين أيبك (8) الخزندار ومضافوه ، وجعلوا الجناحين المماليك

(١) هو : سنجر بن عبد الله البرلى التركى الصالحى ، الأمير علم الدين أبو موسى الدوادارى ، المتوفى فى رجب سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م — المنهل الصافى ج ٦ رقم ١١٠٩ ، وانظر ما يلى فى وفيات السنة .

(٢) « طغريل الإيغانى » فى الدرر ، وهو تحريف ، وفيه توفى سنة ٧٠٧ هـ — الدرر ج ٢ ص ٣٢٣ رقم ٢٠٢٩ .

وطغريل هذا من مماليك الأمير إيغان بن عبد الله الركنى بيبرس ، المعروف بسم الموت — انظر المنهل الصافى ج ٣ ص ١٨٧ رقم ٦١٢ .

(٣) هو : كرت بن عبد الله المنصورى ، الذى استشهد فى هذه الوقعة — المنهل الصافى .

(٤) [ ] إضافة من السلوك ج ١ ص ٨٨٦ للتوضيح . وهو : لاجين الرومى ، الأمير حسام الدين ، توفى سنة ٧٠٢ هـ ، انظر ما يلى .

(٥) هو : بيبرس بن عبد الله المنصورى قلاوون الجاشنكير ، الذى تسلطن سنة ٧٠٨ هـ/١٣٠٨م ولقب بالملك المظفر ، وقتل سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م — المنهل الصافى ج ٣ ص ٤٦٧ رقم ٧١٨ .

(٦) هو : برلغى بن عبد الله الأشرفى ، الأمير سيف الدين ، قتل سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م — المنهل الصافى ج ٣ ص ٣٥٧ رقم ٦٦٣ .

(٧) هو : قطلوبك بن عبد الله المنصورى ، حاجب الحجاب ، كان يعرف بالكبير ، قتل سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م — المنهل الصافى ، الدرر ج ٣ ص ٣٣٧ رقم ٣٢٦٤ .

(٨) هو : أيبك الطويل الخازندار المنصورى ، الأمير عز الدين ، المتوفى ٧٠٦ هـ/١٣٠٦م — انظر ما يلى .

السلطانية ، ورتبوا أن يكون الأمير حسام الدين [لاجين](١) الأستادار صحبة السلطان يحفظه ، وجعلوه فى موضع بعيد عن الملاقاة خشية عليه ، ورسموا للأمير علم الدين أن يكون سنجق(٢) السلطان منعزلا عنه كى لا يُعرف أنه تحت الأعلام فيُقْصَد ، ورتبوا جماعة من الزراقين(٣) نحوا من خمسمائة مملوك فى مقدمة الجيش .

وفى ذلك الوقت حصل للأمير بيبرس إسهال مفرط وحرارة عظيمة حتى ما بقى يمكنه الركوب على الفرس ولا الثبات على ظهره ، فأركبوه المحفة ، وأبعدوه عن الملاقاة .

وأخذ الأمير سلار الحجاب ومعهم الفقهاء ، وداروا على العسكر جميعهم ، وهم يتلون الآيات المناسبة للجهاد ، ويحرضون للجهاد وتوطين النفس على الملاقاة حتى غشى الناس البكاء والتوجع .

وأما قازان فإنه طلب مقدمى التوامين(٤) وأمرهم أن أحدا منهم إذا رأى جيش المسلمين لا يحمل عليه ولا يتحرك من مكانه إلى حين يرى غريمه يدخل عليه ، وأراد بذلك تضعيف خيل المسلمين وكسر همة الفرسان ، وأن يُمكّن رماته من رمى

(١) [ ] إضافة من السلوك جـ ١ ص ٨٨٦ للتوضيح .

(٢) سنجق — سناجق : لفظ تركى يطلق فى الأصل على الرمح ، والمقصود به الرايات والأعلام السلطانية — انظر صبح الأعشى جـ ٤ ص ٨ ، جـ ٥ ص ٤٥٦ ، ٤٥٨ .

(٣) زارق — زراقون : هو الذى يحمل المزراق ، وهو عود من خشب مجوف فى قصبته ماء مهلك ، ويكون قصد الزارق وجه الخصم أو الدابة . الجيش المصرى جـ ٢ ص ٤٩ .

(٤) التومان — التوامين : فرقة من الجند يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل — صبح الأعشى جـ ٤ ص ٤٢٤ .

السهام، لأن ذلك أثبت لهم وأسكن ، وكذلك كان، فإنه لما وقعت الصدمة، وتحركت العساكر ، وأوقد الزراقون نفطهم، واعتقد المسلمون — على ما عهدوه من اللقاء فى المصاف — أنه ساعة يحمل الجيش يحمل أيضا جيش العدو ، فتقع الصدمة من الطائفتين ، ويعطى الله النصر لمن يشاء .

ولما حملت العساكر وخرجت الخيول بقوة بأسها ، وحدة شوطها ، حتى قربوا من وجه العدو ، لم يتحرك منهم أحد ، ولا انزعج جيشهم ، فلما شاهدوا ذلك منهم قلّ عزمهم ، وانطفأ النفط الذى كان مع الزراقين فى مقدم الجيش، لأنهم كانوا أوقدوه من بُعد على أنهم يتقدمون لهم ، فبينما تقدم عسكر المسلمين إليهم مع بعد المسافة وثبات العدو وعدم حركتهم فرغ البارود ، وبردت الهمة ، بُعيد ذلك حملت التتار حملة صادقة حتى اختلطوا بالمسلمين (١) ، وأصابت سهامهم خيلا كثيرا منهم ، ورموا فرسانها .

وأول ما أرجفوا طائفة العرب بأن أوهنوهم وأوهنوا خيولهم بالسهام ، فكانوا سبب كسر الميمنة وفسادها ، فإن الميمنة ولّت على أعقابها، فجاءت الهزيمة على الجيش الحلبي ، فاستقلوا بأنفسهم ، وأدركهم الموت ، فرجع العسكر الحلبي

(١) « فلما كان نهار الأربعاء تاسع وعشرين ربيع الأول التقى الجيشان » — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ١٦ . فى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٤١١ « يوم الأربعاء ثامن وعشرين شهر ربيع الأول » .

وفى التوفيقات الإلهامية أن أول شهر ربيع الأول يوم خميس ، وعلى ذلك يكون الأربعاء الذى تمت فيه المعركة يوم ٢٨ ربيع أول ، ويؤكد ذلك ما ورد فى التحفة الملوكية « وذلك فى يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة تسع وتسعين وستمائة » — التحفة الملوكية ص ١٥٧ .

على العسكر الحموى ، ولم يقف ، وتمت الهزيمة على ميمنة المسلمين من ميسرة العدو .

وأما ميسرة الإسلام فإنها صدمت ميمنة [١٩٥] العدو فقلقلتها وفرقت شملها .

ولما عاين قازان انهزام ميمنته اعتزل فى نحو ثلاثين فارسا وأخذ من جيشه جانبا ، ثم ركبت أخرياتهم الذين لم يركبوا فى الصدمة الأولى وردّوهم وقوّوهم ، فانكسر المسلمون ، ﴿ فإنا لله وإنا إليه راجعون ﴾[(١)] .

وكان السلطان الناصر قد انعزل فى جمع قليل من المماليك ، ومعه من الأمراء حسام الدين الأستادار لاغير ، فكان يبكى وينظر إلى السماء ويقول : يارب لا تجعلنى كعب الشؤم على المسلمين[(٢)] ، ويدعو الله تعالى ويتضرع إليه ويُريد أن يلقى نفسه بين القوم وحسام الدين الأستادار يردّه ويمنعه .

وقال صاحب النزهة : وكان الذى مع السلطان فى ذلك الوقت اثنى عشر مملوكا من الشباب ، وكنت أنا الثالث عشر .

وقال بيبرس فى تاريخه : لما انهزمت المسلمون وولّوا تفرقت عساكرهم المجتمعون ، ونهب العدو الخيول والعُدَد والخزائن والأسلحة ، وتبعوهم إلى حمص ونزلوا عليها ، ففتحها لهم متوليها بالأمان وهو محمد بن الصارم ، وأخذوا الدهاليز السلطانية والبيوتات والوطاقات[(٣)] ورحلوا إلى دمشق .

(١) جزء من آية رقم ١٥٦ من سورة البقرة رقم ٢ .

(٢) « يارب ، لا تجعلنى كعبا نحسا على المسلمين » — فى السلوك جـ ١ ص ٨٨٧ .

(٣) « وبها الخزائن السلطانية وأثقال العسكر » — فى السلوك جـ ١ ص ٨٨٩ .

وطاق — وطاقات : لفظ تركى بمعنى الخيمة — محيط المحيط .

وأما السلطان الناصر فإنه ساق بمن معه نحـو بعلبك ، ولو تربص فى ذلك الوقت لكان أوقع نفسه بيده إلى التهلكة ، فكان سببا لفساد المملكة[١] .

ولقـد فعل الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى يوم بدر مثل ذلك ، وقال معتذرا هنالك هذه الأبيات :

الله يعـلمُ ما تركتُ قتالهـم حتى عَلَوْا فرسى بأشقر مُزْبد

وعلمتُ أنى إن أقاتل واحدا أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى

فصددت عنهـم والأحبة فيهـم طمعا لهـم بعقاب يوم مفسد[٢]

ذكر من استشهد فيها من المسلمين :

كانت الوقعة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، واستشهد فيها جماعة فازوا بالثواب الجزيل منهم : الأمير سيف الدين كرت[٣] نائب السلطنة بالفتوحات ، وكان من الأمراء الأعيان الفـرسان الشجعان ، وكان كثير الصدقة والخير والمعروف ، وله أوقاف على وجوه البر والصدقات ، وكان مشهورا بالنخوة والمروءة ، وكان عمل حاجبا ، وأمير آخور ، ونائب طرابلس والفتوحات .

---

(١) لايوجد هـذا النص فى مخطوط زبدة الفكرة الذى بين أيدينا ، وإن كان يوجد معناه مختصرا — زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٠٦ ب .

(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٠٧ أ .

(٣) « سيف الدين كرد » فى زبدة الفكرة ، وهو : كرت بن عبد الله المنصورى ، وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، السلوك جـ ١ ص ٨٨٥ .

ومنهم : الأمير ناصر الدين محمد[(١)] بن الأمير عز الدين الحلّى، والأمير بدر الدين بيليك[(٢)] المنصورى المعروف بالطيار ، وكان من أمراء دمشق .

ومنهم : الأمير سيف الدين نوكيه[(٣)] التترى ، مات من أثر جراحات أصابته ، فحمل فى محفة إلى أن توفى ودفن بأرض عسقلان أو قريبا منها ، وكان هذا وصل مع الوافدين فى الأيام الظاهرية وأقام قليلا حتى مسكه الملك الظاهر وحبسه بثغر الإسكندرية، وأقام إلى أن تسلطن الملك المنصور قلاوون، ثم جعل له الأفراح وأعطى له تقدمة ألف .

ومنهم : الأمير جمال الدين[(٤)] بلبان التقوى[(٥)]، وكان من أمراء طرابلس . والأمير ركن الدين بيبرس العلمى ، وكان نائبا بالمرقب[(٦)] . والأمير صارم الدين أزبك الطغريلى، وكان نائبا ببلاطنس . والأمير سيف الدين أقوش كرجى الحاجب .

وقال ابن كثير : واستشهد نحو ألف نفس من الحلقة والمماليك ، وهؤلاء [١٩٦] الأمراء منهم مَن كان استشهاده فى المعركة ، ومنهم من أصابته جراحة فيها فمات بعدها ، وفُقد فى المعركة قاضى القضاة الحنفية حسام الدين الرازى[(٧)] ،

---

(١) هو : محمد بن أيدمر الحلى ، الأمير ناصر الدين — السلوك جـ ١ ص ٨٨٥ .

(٢) انظر السلوك جـ ١ ص ٨٨٨ .

(٣) « نوكاى التترى » — فى السلوك جـ ١ ص ٨٨٨ .

(٤) « سيف الدين » فى زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٠٧ أ .

(٥) انظر السلوك جـ ١ ص ٨٨٨ .

(٦) « بيبرس الفنمى نائب قلعة المرقب » — فى السلوك جـ ١ ص ٨٨٨

(٧) هو : الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان ، الرازى الحنفى ، قاضى القضاة حسام الدين ، ثم الرومى الحنفى — انظر ما يلى فى وفيات سنة ٦٩٩ هـ .

وأسر التتار عامة العوام والأتباع والغلمان والرعاع (١) .

وقال صاحب النزهة : واستشهد أيضا علاء الدين على بن الشيخ الصالح إبراهيم الجعبرى .

وقال : وأما الأمير بدر الدين بيليك الطيار فإنه قتل فى طريق بيْسان ، فإنه لما انهزم العسكر — وكان من أمراء دمشق — أخذ حريمه عند وصوله إلى دمشق وخرج بهم ، وما زال إلى أن وصل حَرَّة بيسان ونزل بأهله للراحة ، وإذا بجماعة من المغل الذين كانوا صحبة مولاى قد أدركوه ، وكان معه تقدير أحد عشر مملوكا ، فلما رآهم وقد قصدوه ركب ، وأخذ رمحه بيده ، وشدّ لحريمه خيلا فأركبهم عليها ، وسيّر معهم ستة أنفس ، وقال : انجوا بأنفسكم وها أنا واقف إلى أن تبعدوا . فقالوا : يا خوند إرجع معنا لعلنا أن نفوتهم . قال : لا والله ما أنهزم قدامهم ولكن أموت ولا أمكنهم يصلون إلى حريمى وعينى تنظر ، فلما رآهم المغل عطفت طائفة منهم إليهم ، فلما رآهم مال إلى نحوهم ، ولما رأوه مقبلا إليهم ظنوا أنه يسالمهم فى أمرهم إلى أن صار معهم ، فطعن واحدا فأرماه ، وطعن آخر أيضا فأخرج حدقته ، وقتل آخر ، وقد بهتوا لفعله ، ثم تكاثروا عليه إلى أن أرموا فرسه ، فوقع على الأرض ، وجرح منهم آخر وهو راجل ، ثم قُتل رحمه الله شهيدا دون حريمه وماله ، وكان هذا من جملة المماليك المنصورية ، وكان صاحب مروءة ومكارم ، وصاحب شجاعة وفروسية .

---

(١) هذا النص مختصر فى المطبوع من البداية والنهاية الذى بين أيدينا — انظر : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٦ — ٧ .

ومن الذين ماتوا من جراحة جرح فى الوقعة المذكورة: سيف الدين الدواداری[1] الصالحی النجمی ، وكان قد جُرح فى رجله بسهم وعند هزيمة العسكر رجع إلى أن وصل مع نائب حصن الأكراد إليها ، فأقام بها يعلل جرحه إلى أن توفى .

وكان كبير القدر، فإنه عمل دواداريّة[2] الملك الصالح[3] ، وبقى بعده ينتقل من حال إلى حال إلى أن كان له مائة فارس بمصر وخمسون بدمشق ، ومازال معظما فى سائر الدول ، وكان له سماع عالٍ فى الحديث ، وله علم وفقه وديانة ، وهو الذى أنشأ القاضى بدر الدين[4] بن جماعة وأنشأ فقهاء كثيرين ، ومع هذا كان صاحب شجاعة وفروسية ، وله غارات كثيرة حتى نقل عن بعض مماليكه أنه صنع له طوبة من غبار الغزوات التى حضرها وغزا فيها ، وأوصى أن تكون هذه الطوبة تحت رأسه إذا دفن ، وكان إذا ركب يكون شعره على قربوس سرجه الورانى وجميعه أبيض ، وكانت له صدقات وبرّ وأوقاف على عتقائه ، وله بالقدس الشريف رباط رتب فيها شيخا وفقراء ووقفا جاريا ، ولما ورد

(١) هو : سنجر الدواداری التركى البرنلى . انظر ما يلى فى وفيات السنة .

(٢) دوادارية : صاحب هذه الوظيفة هو الدوادار ، وهو الذى يحمل دواة السلطان أو الأمير ، ويتولى أمرها ، وما يلحق ذلك من المهمات ، مثل تبليغ الرسائل ، وتقديم القصص ... الخ — صبح الأعشى ج ٤ ص ١٩ ، ج ٥ ص ٤٦٢ .

(٣) هو : أيوب بن محمد بن محمد بن أيوب ، الملك الصالح بن الملك الكامل بن الملك العادل نجم الدين أيوب ، توفى سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م — المنهل الصافى ج ٣ ص ٢٢٧ رقم ٦٣٤ .

(٤) هو : محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ، قاضى القضاة بدر الدين الكنانى الحموى الشافعى ، المتوفى سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م — المنهل الصافى .

خبره إلى دمشق صلّوا عليه صلاة الغائب فى جامع بنى أمية وسائر جوامع دمشق ، وكذلك صلوا عليه صلاة الغائب بمصر .

وذكر فى النزهة أيضا : أن سيف الدين بُكْت نائب طرابلس قال للأمراء فى ذلك اليوم : ها أنا أحمل لعل الله يرزقنى الشهادة فى هذا اليوم ، ثم التفت إلى الأمير جمال الدين قتال السبع وقال : يا أمير وصيتى [١٩٧] لك على أهل بيتى ، فإنى والله ممن يُسْتشهد فى هذا اليوم ، فإنى رأيت رؤيا تدل على الشهادة : رأيت فى هذه الليلة طائر أخضر يرفرف على رأسى ويقول لى : أتل (ربنا لا تزغ قلوبنا)(١) الآية . فتلوتها إلى آخرها ، ثم حملنى على جناحه الأيمن إلى أن وضعنى فى روضة خضراء ، ثم انتبهت ، فهذا يدل على الشهادة ، ثم لما صدموا العدو كان هو أول مَن رَمى فرسه بسهام كثيرة ، فأصاب سهم منها نحره ، فوقع إلى الأرض والسيف بيده مسلول يذبّ به عن نفسه إلى أن ضرب بسهم فسقط إلى الأرض ، وقُتل من مماليكه عليه نحو ستة عشر مملوكا ، وجُرح نحو اثنى عشر ، وقُتل من عسكر طرابلس فى تلك الوقعة ما ينيف على أحد عشر نفسا ، وقُتل من كل أمير جماعة من المماليك وجرح آخرون .

وجُرح الأمير بدر الدين أمير سلاح بضربة سيف فى يده ، وجُرح الأمير جمال الدين قتال السبع فى فخذه ، ولما نظر أمير سلاح إلى الهزيمة ورأى جرحه بكى بكاء شديدا وقال لمماليكه : هاتوا لى حصانى الدُوَيك ، وكان قد اشتراه

(١) آية رقم ٨ من سورة آل عمران رقم ٣ .

بثلاثمائة دينار، وحياصة[١] ذهب قيمتها مائتا دينار، وخلعة أطلس، وكلوتاة[٢] زركش، ثم بعد أيام رأى بائع الفرس المذكور - وهو راكب عليه - فقال له: طاب خاطرك بالثمن الذى دفعته إليك. فقال: والله ياخوند كان أملى فيه أكثر من ذلك الثمن. فلما سمعه يقول ذلك قال له: امش معى إلى البيت، فمشى معه حتى أتى داره، فخلع عليه خلعة بكلوتاة وحياصة ذهب وأعطاه ثلاثمائة دينار، وكانت هذه القضية فى دولة كتبغا[٣]، فبلغ ذلك بتخاص والأزرق وغيرهما فصار كل واحد منهم يسأله ويطلب منه هذا الفرس إنعاما عليه، فيبعث إلى كل منهم حصانا مشتراه خمسة آلاف درهم وصحبته خمسة آلاف درهم ويقول له: إنى قد حبست هذا الفرس فى سبيل الله يركبه الغزاة والمجاهدون فى سبيل الله، ثم إن مماليكه أحضروا الفرس المذكور فى ذلك اليوم لما طلبه، وكان جنيبا مع أحد الأوشاقية[٤] فقال له مماليكه: ياخوند هذا فرس قوى شديد وأنت اليوم تضعف عن ردّ عنانه لما فيه من القوة، وكان من شدته رتب له أوشاقيا

---

(١) الحياصة: الحزام أو المنطقة، ومنها مايكون من ذهب مرصع بالفصوص، ومنها ماليس كذلك - صبح الأعشى جـ ٢ ص ١٣٤.

(٢) كلوتة - كلوتات: غطاء الرأس - انظر صبح الأعشى جـ ٤ ص ٦، ٣٩، المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٩٨.

(٣) هو: كتبغا بن عبد الله المنصورى، السلطان الملك العادل زين الدين التركى، سلطان الديار المصرية، ثم نائب صرخد، ثم حماة، توفى سنة ٧٠٢ هـ/١٣٠٢م - انظر مايلى فى وفيات سنة ٧٠٢ هـ.

وكانت دولة كتبغا فى الفترة من ٩ محرم ٦٩٤ هـ وحتى خلع فى ٢٢ محرم سنة ٦٩٦ هـ - انظر عقد الجمان جـ ٣ ص ٢٦٧ - ٣٤٧.

(٤) الأوشاقية (الأوجاقية): واحدها أوشاقى (أوجاقى)، وهو الذى يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة - صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٤.

وحده برسم ركوبه وخدمته ، ولم يتسمع منهم فركبه ، فلما قعد على ظهره ألوى عنانه[(1)] نحو العدو وقال للأمراء : من أراد الشهادة فليتبعنى ، فرجعت الأمراء إليه وسألوه أن يرجع فأبى وقال : والله كنت منتظرا لهذا اليوم ، وقال له الأمير علم الدين الدواداري[(2)] — وكان قد خرج فى مواضع كثيرة — : يا أمير أنت اليوم قوام العسكر وأتابكه ، وما فينا أحد إلا وقد جرح جراحات ومعظم مماليكنا قد قتلوا ، وما يحل أن تلقى نفسك فى التهلكة ، فلم يلتفت إليه ، بل قال : يا أمير مابقى فينا شىء ، فهل تنتظر خلاف هذا اليوم ؟ فتقدم نحو العدو ، واتفق رأى مماليكه على منعه وساق بعضهم إليه وأخذ برأس فرسه إلى نحو حمص وبعضهم [١٩٨] ضرب كفل فرسه بالمقرعة ، فخرج من تحته مثل البرق الخاطف ، وأرادوا بذلك إبعاده عن الفرس حتى يأخذوا بعنانه ويتوجهوا إلى طريق النجاة ، فلما أحس الفرس بالضرب فر مثل الريح العاصف حتى لم يروا منه إلا غباره ، ولم يزل يجرى على ميدان واحد إلى أن وصل إلى نهر حمص ، فقوى عليه العطش من كثرة الجرى وشدة العدو إلى أن أرمى نفسه فى النهر ، وشرع يعبّ من الماء ، وأمير سلاح ماسك بيديه الشذن رافعه على أن يرفع رأسه من الماء فلا يرفع ، فشرب حتى انتفخ فؤاده ، ثم طلع من النهر ووقع طائحا وقد انفقع من شرب الماء ، فلحقه مماليكه وأركبوه جنيبا آخر ، فكان هذا يُعَد من حسناته حيث اشترى فرسًا بمائتى ألف درهم لركوب ساعة واحدة .

(١) العنان — الأعنة ، من أجزاء اللجام : وهو الجزء الذى يقبض عليه الفارس — الخيل ورياضتها ص ٨١ .

(٢) « الدويدارى » فى الأصل ، والتصحيح مما سبق .

وقال صاحب النزهة : ومن قوة خذلان العسكر الإسلامى عاينت الأمير حسام الدين لاجين المعروف بزيرباح ومعه أعناق الحسامى من المقدمين ومعهما نحو ثلاثة آلاف فارس منهزمين ، وقد أفرد فى أعقابهم رجل واحد من المغل ولا يلتفت إليه أحد منهم ، ورأيت فتى شابا من العرب راكبا على حجرة شقراء وليس عليه شئ يمنع السهام وقد أخذته الحَمِية وهو يقول : يامسلمين أَش خلفكم ماثمة إلا رجل واحد ، فلا يجيبه أحد ، فلوى رأس فرسه عنهم ورجع إلى ذلك الرجل وهو يقول : الله أكبر، فلما رآه ذلك الرجل مصمما عليه ولى فرسه ورجع عنهم ،وما كان ذلك الرجل ينتظر فى ذلك الوقت غير صناديق مفتوحة، وكلوتات زركش ، وحوائص ذهب ملقاة ، وأسلحة ، ومساجب ، وأكياس ذهب ، ودراهم ، وخزائن الأمراء بما فيها .

ذكر ما جرى للعَسكر بعد ذلك :

أما السلطان الناصر فإنه رجع فى طائفة من الجيش على ناحية بعلبك ، وسار إلى مصر ، وسافر جماعة من أهل دمشق من أعيانها وغيرهم إلى مصر كالقاضى إمام الدين الشافعى (١) ، وقاضى المالكية جمال الدين الزواوى (٢) ، وتاج الدين بن الشيرازى وعلم الدين الصوافى والى البر ، و جمال الدين بن النحاس والى البلد ، والمحتسب ، وغيرهم و بقيت (٣) دمشق شاغرة ليس فيها حاكم ولارادع سوى نائب

(١) هو : عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد ، قاضى القضاة إمام الدين القزوينى الشافعى ، المتوفى سنة ٦٩٩ هـ/ ١٢٩٩ م — انظر ما يلى فى وفيات سنة ٦٩٩ هـ .

(٢) هو : محمد بن سليمان بن يوسف الزواوى ، قاضى المالكية بدمشق ، المتوفى سنة ٧١٧ هـ/ ١٣١٧م — شذرات الذهب ج ٦ ص ٤٥ .

(٣) « وبقى » فى الأصل .

القلعة علم الدين أُرْجواش[١] وهو مشغول عن البلد بالقلعة ، وأما العسكر تفرقوا فى كل ناحية ووصل بعضهم إلى القلاع القريبة من مكان الوقعة ، ونجى بنفسه مَن كان فيه نهضة ، وتوجه أقوام إلى جبال بعلبك وغيرها جياعا عُراة مشاة ، وتخطفت الجبلية بعض مَن سَلك تلك الطُرق وقتلوا منهم ونهبوا وسلبوا ، فكان هؤلاء عدوّا ثانيا ، وكل من كان يهرب يرمى خوذته من رأسه ويقطع فرقـله بالسكـين إذا لم يلحـق حلها ويقطـع البركستوان[٢] المثمنة ، وكل ذلك قصـدا للتخفيف[٣] .

قال صاحب النزهة : ورأيت جماعة من مماليك السلطان تخـرج من وسطه كيس الفضة ويُناوله لرفيقـه ، فإن لم يأخذه سريعا وإلّا يرَميـه من يده إلى الأرض ويَسُوق . قال : ورأى [١٩٩] الأمراء البرجيـة مع حسن أشكالهم وتزين لبـاسهم قد صاروا قطعة واحدة هار بين منهزمين ، وقازان فى أعقابهم وقد بسط جيشه من الجانبـين وانفرد هو بنفسه فى صدر جيشه ورجل قدامه وبين يديه على فرسه طبل أكبر من طبل الجمالق يضرب به ساعة بعد ساعة ضربة واحدة ، وكلما سمعها الجيش زادت هزيمتهم وهربت فرقة منهم إلى ناحية البرية وسلكوا فيها وهلكوا بأجمعهـم ، وفرقة سلكت ناحية البحر المـالح فهلكوا ، ولم يسـلم منهم إلّا الفرقة التى سلكت الطرق التى يسُلك فيها ، ولكن الذين سلكوا الجبال

(١) هو : أرجواش بن عبـد الله المنصورى ، توفى سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١م — انظر ما يلى فى وفيات ٧٠١ هـ .

(٢) البركستوان — البركستوانات : غاشـية الحصان المزركشة — صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٢٤٥٨ .

(٣) « وألقوا عن أنفسهم السلاح طلبا للنجاة » — السلوك ج ١ ص ٨٨٨ .

قاسوا من أهلها ما قاسوا مثله من التتار ، وقتل من المسلمين خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى .

وقال صاحب النزهة : وكان وصولنا إلى قلعة حمص والشمس فى الغروب ، فوجدنا أهلها فوق الأسوار يبتهلون إلى الله عز وجل بالدعاء وكانوا ينادون : يا مسلمون الرجعة الرجعة لا تُسلمونا إلى العدو ، يا مسلمون المروءة المروءة[(١)] ، ولم يلتفت إليهم أحد ، فتباكوا وبكت الناس وبكى السلطان الناصر ، ثم قال للأمير حسام الدين : يا أبى أنت ما قلت إن المسلمين يقفون ويُقاتلون نوبة ثانية فى حمص ومالى لا أنظر أحدا يقف ويقاتل . فقال : يا خوند ما يقاتلون إلا فى دمشق وقصدهم أن يستجروا العدو حتى يتعبوهم ويُدخلوهم فى مواضع ليس لهم خبرة بها ، وكل ذلك يريد به التعلل للسلطان لئلا يزداد خوفه .

قال الراوى : وما وصلنا إلى حمص إلا وأكثر الخيل قد وقفت ولم تتحرك خصوصا خيول الأمراء والمماليك المُوقرة ، ولما دخل الليل انقطع التتار من خلف عسكر المسلمين . قال : ثم وصلنا إلى بعلبك صبيحة الجمعة ونحن كلنا محتاجون إلى قوت أنفسنا ولخيولنا ، فوجدناها قد أغلقت ، وصعدت أهلها على الأسوار وكانوا يتناولون الفضة بالحبال ، فمنهم من يُعطى ما يطلبه صاحب الفضة ومنهم من يأخذ الفضة ويغيب من فوق السور ولا يراه أحد .

قال : ثم أصبحنا يوم السبت ودخلنا إلى دمشق وتلقتنا أهلها بالويل والثبور ، وما أقمنا فيها غير ساعة واحدة ووقع الصياح بأن طوالع العدو قد لاحت ، فخرجت الناس لا يلتفتون إلى شيء ، وأكثرهم خرجوا بلا زاد ، وأما أهل دمشق فمنهم

(١) « وصاحوا بالعسكر : « الله الله فى المسلمين » — السلوك جـ ١ ص ٨٨٨ .

من طلع القلعة ومنهم من توجه نحو القدس والخليل عليه السلام(١) ، ومنهم من طلب قلعة صفد وقلعة كرك ، ومنهم من أقامَ وتوكل على الله ، وصارت الناس كأنهم يُساقون إلى المحشر يوم القيامة ، فلا يلتفت الأخ إلى أخيه ولا الأب إلى ابنه ولا المملوك إلى سيده .

قال الراوى : وأما الفرقة التى كان سفرهم على الساحل فإنهم قاسَوْا شدة عظيمة من أهل جبل كسروان ، فكانوا ينزلون إليهم ويمسكون عليهم المضايق ، ويأخذون الجندى قبضا بالكف ، ويأخذون ما معه ، ويُرسلونه عريانا إذا أحسنوا إليه ، وربما يقتلونه أو يُرسلون عليه حجرا من فوق فيهلك هو وفرسه ، وكانوا قد استوقفوا [٢٠٠] جماعة كثيرة عن المسير ، وقصدوا أن يأخذوا منهم ما يريدونه حتى يفتحوا لهم الطرق ، فاتفق فى ذلك الوقت حضور طائفة من العسكر الذين هم صحبة الأمير بدر الدين أمير سلاح ، وصحبته الأمير بلبان الطباخى نائب حلب وجماعة من الأمراء ، فلما رأوا ذلك حملوا عليهم وأزاحوهم عن الطريق ، فرجعوا ، واجتمعوا جماعة كثيرة ووقفوا لمنع الأمراء أيضا ، فلما رآهم الأمير بدر الدين مُصمّمين على القتال رسم الذين معه أن يترجلوا وأن لا يتهاونوا فى أمرهم كيلا يدركهم التتار فيكونون بين العدوّين ، فترجلوا وزحفوا عليهم وقتلوا منهم جماعة ، فقام القتال بينهم من ضحوة النهار إلى الظهر ، وجُرحت من جماعة أمير سلاح خلقٌ ، فآخر الأمر كسروهم وفتحوا الطرق وذهبوا ، وبعض الأمراء وراءهم ساقة لهم إلى أن وصلوا إلى غزّة ، وأقام أمير سلاح فيها ينتظر المنقطعين من العسكر ، والتحق به جماعة كبيرة من الناس والجند

(١) هكذا فى الأصل ، والمقصود مدينة الخليل عليه السلام .

والأمراء، وهو يداوى المجروح، ويُركّب الراجل ، ويكسو العارى ، ومن جملة ما وجده فى غزّة القاضى « فتح »[(١)] الدين بن القيسرانى ، فأركبه وكساه وصحبه إلى القاهرة .

وأما قازان، فإنه لما رأى أن جيش المسلمين قد انهزموا فرح فرحا عظيما، وقصد أن يلحق المسلمين ، فمنعه الأمير قفجق وقال له : لاتعجل فربما يكون لهم كمين ويكون انهزامهم هذا مكيدة منهم ، فقبل كلامه وتوقف عن اللحوق بهم، وإلا لو مشى وراء المسلمين لكان أخذ الجميع .

ولما أصبح يوم الخميس ورأى أن أخبار السلطان والعسكر قد انقطعت اطمأنّ ، وسيّر إلى حمص وأخذ ما وجد فيها من الأموال والودائع والذخائر ، وقبض على من وجد فيها من الجند من الجرحى والمنقطعين ، وفيهم جماعة من الكتاب والموقعين وممن وقف فرسه ، ثم اقتضى رأيه أن يجرد أميرا يسمى بورى ومعه جماعة يكشفون الخبر، ثم توقف من ذلك خوفا أن يكون فى الطريق جماعة من عسكر السلطان يشوشون عليه ، ثم أرسل شخصا على هيئة جاسوس ليكشف خبر السلطان هل هو أقام بدمشق أم راح إلى مصر ؟، فخرج الرجل وغاب يوما وليلة ، ثم جاء وأخبر أن دمشق خالية ليس فيها لا سلطان ولا عسكر .

ولما سمع بذلك أمر بالمسير إلى الشام ، ولكنه انتظر المنهزمين من عسكره ، ثم رجع هو إلى مكان الوقعة وهو وادى الخزندار، بينه وبين تربة خالد بن الوليد رضى الله عنه مسافة نصف يوم أو دونه، فوجد هناك بعض الجند جرحى ممن

(١) «   » بياض فى الأصل ، والإضافة عما يلى ، فهو : عبد الله بن محمد بن أحمد ابن خالد القيسرانى، فتح الدين أبو محمد ، المتوفى سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٣م — انظر ما يلى فى وفيات ٧٠٢هـ .

وقع فى الوقعة، ووجد من أصناف الأسلحة والأقمشة المفتخرة والحوائص الذهب والكلوتات الزركش والأكياس من الذهب والفضة مالا يوصف ، وكذلك من السروج الزركش والبركستوانات والقرقلات والخوذ ما عجزوا عن حمله ، وأما الدواب من الخيول المسومة فكان شيئا كثيرا واقفة من مكان المصاف إلى قرب حمص ، ورأى قازان من هذه الأشياء ما أذهله عن عقله ، فإن الدولة كانت جديدة وأمراؤها كانوا يفتخرون بأنواع [٢٠١] الزينة، وكل منهم كان يُريد أن يزيد على صاحبه بالعدد المفتخرة والأشياء الحسنة .

وكان من جملة من أسره من حمص برهان الدين المنجم ، فلما أحضروه بين يدى قازان عرفه قفجق وبكتمر وقالا لقازان: هذا منجم عارف ، فلما رآه قازان أحضر إليه ابن الخواجا نصيرالدين الطوسى حكيم الزمان،وكان هو عند قازان حكيما ومنجما، كما كان أبوه نصير الدين عند هلاون وأمثاله ، ولما قدم هلاون الشام كان الخواجا نصير الدين معه كما ذكرنا .

فقال له قازان : سَلْ هذا المنجم كيف ما عرّف أستاذه الناصر بأمر هذه الواقعة ؟ فسأله وقال له : يا حكيم كيف حكمت على صاحب مصر وعسكره أن يلاقى عدوه فى مثل يوم الأربعاء وهو آخر الأربعاوات فى السنة (١) وهو يوم نحس مستمر ؟ فقال له : قد عَرَّفته ذلك، وعَرَّفت أكابر عسكره، ولم يسمعوا منى ونهرونى ، ولم يلتفتوا إلى كلامى ، وكان قد وقع ذلك ، فإن السلطان عند نزوله حمص طلب الأمير سيف الدين سلار والأمير ركن الدين بيبرس وشمس الدين الفارقانى وطلبوا برهان الدين هذا ، ثم شرع سلار يسأل من الفارقانى عن أحوالهم وكيف يكون أمرهم عند الملاقاة وأى الأيام يصلح لذلك ، وكان

(١) هكذا فى الأصل ، والأرجح أن يكون « فى الشهر » — انظر ما سبق ص ١٢ من تاريخ الموقعة ، وانظر باقى الفقرة .

الفارقانى له اليد فى أحكام الفلك أكثر من برهان الدين المذكور . فقال له الفارقانى : يا خوند إن قدرت أن تؤخر الملاقاة مع العدو إلى مستهل الشهر تكون النصرة إن شاء الله لكم، وماعندى فى هذا اليوم طائل ، وكان يوم الأحد . قال : ولا يوم الإثنين ولا يوم الثلاثاء وخصوصا أن يكون يوم الأربعاء فإنه يوم لا يحمد فيه لقاء العدو . فقال له سلار: إذا — وافانا عدو نقول له ، اصبروا حتى نبصر يوما جيدا نلقاكم فيه . ما هذا الفشار ؟ ونهضوا من عنده مثل المطرودين .

ذكر ما جرى فى دمشق بعد انهزام الجيش :

بتاريخ ليلة الأحد الثانى من ربيع الآخر[1] كسر المحبوسون بباب الصغير باب السجن ، وخرجوا منه قريبا من مائتى راجل ، فنهبوا ما قدروا عليه ، وجاءوا إلى باب الجابية فكسروا أقفال الباب الجوانى وأخذوا من الباشورة ما شاءوا ، وكسروا أقفال الباب البرانى وخرجوا منه على حمية ، فتفرقوا حيث شاءوا ، لا يقدر أحد على ردهم ولا صدهم ، وعاثت الحرافشة فى ظاهر البلد ، فكسروا أبواب البساتين ، وقلعوا من الأبواب والشبابيك وغير ذلك ما قدروا عليه ، وباعوه بأرخص الثمن ، هذا وسلطان التتار قد قصد ورود دمشق بعد الوقعة .

واجتمع أعيان البلد والشيخ تقى الدين بن تيمية[2] فى مشهد على[3] ، واتفقوا

---

(١) « ربيع الأول » فى البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٧ ، وهو تحريف ، فالموقعة كانت فى ٢٨ ربيع أول — انظر ما سبق ص ١٢ — ١٤ .

(٢) هو : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ /١٣٢٧ م — المنهل الصافى جـ ١ ص ٣٥٨ رقم ١٩٥ .

(٣) « بمشهد على من الجامع الأموى » — فى السلوك جـ ١ ص ٨٨٩ .

على المسير إليه لتلقيه وأخذ الأمان منـه لأهل دمشق ، فتوجهوا يـوم الإثنين الثالث من ربيع الآخر ، فاجتمعوا به عند النبك(١) ، وكلمه الشيخ ابن تيمية كلاما قويا فيـه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين ، ودخل المتسلمون للبلد من جهة قازان ، فـنزلوا بالباذرائية(٢) ، وغلقت أبواب المدينـة سوى باب توما ، وخطب الخطبة [٢٠٢] يوم الجمعة سابع الشهر المذكور بالجامع ولم يذكر سلطانا فى خطبته(٣) ، وبعد الصلاة قدم الأمير إسماعيل [التترى(٤)] ومعه جماعة من الرسل فنزلوا ببستان الظاهر عنـد الطـريق ، وحضر الفـرمان بالأمان فطيف به فى البلد ، وقرىء يوم السبت ثامن الشهر . بمقصورة الخطابة ، ونثر شىء من الذهب والفضة(٥) .

وفى نزهة الأنـام : الذين خرجوا من دمشق لطلب الأمان من قازان هم : خطيب دمشق القاضى بـدر الدين بن جماعة ، والشيخ زين الدين الفارقى(٦) ، والشيخ تقى الدين بن تيمية ، والقاضى نجـم الدين بن صصرى(٧) ، والصاحب

(١) النبك : قرية بين حمص ودمشق — معجم البلدان .

(٢) المدرسة الباذرائية بدمشق : داخل باب الفراديس بدمشق ، أنشأها الشيخ عبد الله بن محمد ابن الحسن الباذرائى ، نجم الدين البغدادى ، المتوفى سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧ م — الدارس جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٣) « ولم يعين فى الخطبة اسم سلطان » — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ١٩ .

(٤) [ ] إضافة للتوضيح — السلوك جـ ١ ص ٨٩٠ .

(٥) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٠٧ .

(٦) هو : عبد الله بن مروان بن عبد الله ، الشيخ زين الدين الفارقى الشافعى ، خطيب الجامع الأموى ، المتوفى سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م — انظر ما يلى فى وفيات سنة ٧٠٣ هـ .

(٧) هو : أحمد بن محمد بن سالم ، قاضى القضاة نجم الدين أبو العباس بن صصرى ، المتوفى سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٣ م — المنهل الصافى جـ ٢ ص ٩٧ رقم ٢٦٤ .

فخر الدين بن الشيرجى[1] ، والقاضى عز الدين بن الزكى[2] ، والشيخ وجيه الدين ابن المنجى ، والصدر الرئيس عز الدين بن القلانسى وابن عمه شرف الدين ، وأمين الدين شقير الحرانى ، والشريف زين الدين بن عدنان ، والشيخ نجم الدين ابن أبى الطيب ، وناصر الدين بن عبد السلام ، وشرف الدين بن الشيرجى ، والصاحب شهاب الدين الحنفى ، والقاضى شمس الدين الحريرى ، والشيخ محمد بن قوام البالسى والقاضى جلال الدين أخو قاضى القضاة إمام الدين القزوينى ، والقاضى جلال الدين ابن قاضى القضاة حسام الدين ، وجماعة كثيرة من الفقهاء والقراء[3] ، وتوجهوا نحو جيش التتار .

وبقيت[4] المدينة بلا نائب ولا حاكم ، وأكل الناس بعضهم بعضا ، ومن قدر على أمر فعله ، ووصلت أربعة من التتار ، ومعهم الشريف القمى ونزلوا بالباذرائية ، وأصبح الصباح ولم يفتح من أبواب دمشق باب ، فكسرت أقفال باب توما ، وكان الذى تولى كسرها نواب الولاة : الشجاع هُمام الدين وابن ضاعن وابن الذهبى النقيب ، ووصل إلى ظاهر دمشق جماعة من التتار ومعهم أمير إسمه إسماعيل ، فنزلوا ببستان الظاهر بطريق القابون ، وأما الجماعة الذين خرجوا من دمشق فإنهم التقوا بالعساكر التترية بالنبك ، واجتمعوا بالملك ، ووقف

(١) هو : سليمان بن محمد بن عبد الوهاب ، الصاحب فخر الدين أبو الفضل بن الشيرجى ، المتوفى سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م — المنهل الصافى .

(٢) هو : عبد العزيز بن يحيى بن محمد بن على بن الزكى ، قاضى القضاة ، المتوفى سنة ٦٩٩ هـ/ ١٢٩٩م .

(٣) انظر كنز الدرر جـ ٩ ص ١٩ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢٣ .

(٤) « وبقى » فى الأصل .

الترجمان ، وتكلم منهم ، وكان المتكلم فخر الدين بن الشيرجى ، وأحضروا ما كان معهم من المأكول ، فلم يظهر له وقع ولا حضر قدام الملك . وقال الملك قازان : إن الذى تطلبونه من الأمان قد أرسلناه إليكم قبل حضوركم ، فرجعوا إلى دمشق ، وحضر الأمير إسماعيل إلى مقصورة الخطابة وحضر الخطيب ابن جماعة وفخر الدين ابن الشيرجى وابن القلانسى وابن منجى وجماعة لقراءة الفرمان ، واجتمع الناس ، وقرئ الفرمان على السُدّة . فحمد الناس الله تعالى ، وحصل للناس سكون وطمأنينة ، وقرب التتار من دمشق وأحدقوا بالغوطة ، وكثر العبث والفساد والنهب بالحواضر البرانية مثل العُقيبة والشاغور وقصر حجاج وحكر الساق ، ووصل الأمير قفجق وبكتمر السلحدار مع جماعة ونزلوا بالميدان الأخضر .

وورد مرسوم من الأمير إسماعيل بأن العلماء والقضاة والأكابر يتحدثون مع أرجواش نائب القلعة ويحسنون له تسليم القلعة [٢٠٣] وإلا يدخل الجيش البلد ، ولا تبقى بعد هذا القلعة ولا البلد ، فاجتمع جماعة منهم بدار الحديث وأرسلوا رسولا إلى أرجواش فلم يجُبهم ، فقاموا فى دار الحديث بأجمعهم إلى باب القلعة وأرسلوا إليه رسولا ثانيا فبلغه سلامهم . فقال : ومن هم الذين أرسلوك؟ فسماهم له بأنسابهم ، فقال : هم المنافقون الخائنون للمسلمين ، وليس عندى جواب ، ومع هذا فهذه بطاقة وصلت إلى من السلطان صاحب مصر مضمونها أنهم قد اجتمعوا على غزة وكسروا الطائفة الذين تبعتهم من التتار ، وهو يوصينى بالقلعة ، وكان من جملة الجماعة الواقفين بباب القلعة : بدر الدين[1] بن فضل الله .

---

(١) هو : محمد بن فضل الله العمرى ، الدمشقى ، القاضى بدر الدين ، كاتب السر بدمشق ، توفى سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م — انظر ما يلى فى وفيات ٧٠٩ هـ .

فقال أرجواش : وصل ابن فضل الله ويقف على البطاقة فإنها بخط أخيه[(١)] ، فامتنع ابن فضل الله من الدخول واشتد خوفه وهرب من بين الجماعة ، وتفرقت الجماعة على هذه الصورة .

وفي اليوم الثاني : حضر الأمير قفجق وجلس بالمدرسة العزيزية[(٢)] وأمر بالمراجعة بأرجواش في أمر القلعة ، فراجعوه فلم يجبهم ، وكتبوا في هذا اليوم فرمانات كثيرة من شيخ الشيوخ [نظام[(٣)]] الدين للتتار ، ولم يحصل بأكثرها نفع ، وخاف الناس ، وأصلحوا أبواب الدروب ، وكثر دخول التتار البلد ، ونزل شيخ الشيوخ نظام الدين بالمدرسة العادلية[(٤)] وادعى أنه يصلح أمور الناس ، وطلب الأموال ، ووقع النهب في جبل الصالحية[(٥)] ، ودخلوا الناصرية[(٦)] ، والمارستان

(١) هو : يحيى بن فضل الله العمرى : القاضى الرئيس ، كاتب السر بالشام ثم بمصر ، توفى سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م — المنهل الصافى .

(٢) المدرسة العزيزية بدمشق : شرقى التربة الصلاحية : لصوق الجامع الأموى ، أنشأها الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، المتوفى سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م — الدارس جـ ١ ص ٣٨٢ .

(٣) [ ] إضافة عما يلى ، وهى ساقطة من الأصل .

وهو : نظام الدين محمود بن على الشيبانى ، شيخ الشيوخ — السلوك جـ ١ ص ٨٩١ .

(٤) هى : المدرسة العادلية الكبرى بدمشق ، داخل دمشق ، شمالى الجامع بغرب ، وتجاه باب الظاهرية ، يفصل بينهما طريق ، أول من أنشأها نور الدين محمود ، وتوفى ولم تتم ، فبنى بعضها الملك العادل أخو صلاح الدين ، ثم توفى ولم تتم أيضا ، فتممها الملك المعظم عيسى — الدارس جـ ٢ ص ٣٥٩ .

(٥) الصالحية : قرية كبيرة فى لحف جبل قاسيون ، تطل على دمشق — معجم البلدان .

(٦) هى : المدرسة الناصرية الجوانية بدمشق : داخل باب الفراديس ، شمالى الجامع الأموى ، من إنشاء الملك الناصر يوسف بن صلاح الدين يوسف بن أيوب المتوفى سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠م — الدارس جـ ١ ص ٤٥٩ .

القيمرى[١] : وكسروا الأبواب والشبابيك، وصعدوا إلى مغارة الدم ، وإلى مغارة الجوع ، ولم يعص عليهم موضع ، ودخلوا إلى جامع الحنابلة ، وأخذوا بُسطه وكسروا القناديل والمنبر ، ودخلوا فى مدرسة الشيخ ضياء[٢] فنهبوها ، وأخذوا من الصالحية من المطعومات والقمح والشعير والدفائن والذخائر شيئا كثيرا حتى كان الواحد يأتى إلى الخبيئة كأنه هو الذى خبأها من سرعة هدايته إلى مكانها .

وبلغ الناس بالبلد ماجرى بالصالحية ، فشق عليهم ،وتوجه الشيخ تقى الدين ابن تيمية وجماعة إلى شيخ الشيوخ الذى نزل بالعادلية وشكوا إليه الحال ، فخرج معهم إلى الصالحية ، فسمع التتار بخروجه فهربوا ، ودخل أكثر الناس عرايا عليهم الجوالق والبلاسات ، واشتد الأمر وسار التتار إلى قرية المزّة[٣] ؛ وكان أكثر أهلها لم ينتقلوا عنها فنهبوها ، وسبوا أهلها ، وفعلوا بها كما فعلوا بالصالحية ؛ ثم ساروا إلى داريا فاحتمى أهلها بالجامع ، فلم يزالوا حتى دخلوه وفعلوا كما تقدم ؛ وقتل من التتار جماعة من أهل داريا جماعة .

ثم خرج الشيخ تقى الدين بن تيمية إلى مخيم السلطان الذى يُسمونه الأُرْدُو ؛ وكان بتلّ راهط ، فدخل عليه ولم يمكَّن من الإعلام كما ينبغى ، بل أذن له فى

(١) البيمارستان القيمرى بدمشق : بسفح قاسيون ، أنشأه يوسف بن موسك القيمرى الكردى ، الأمير سيف الدين أبو الحسن ، المتوفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م — الدارس جـ ٢ ص ٢٧١ — ٢٧٢ .

(٢) هى : المدرسة الضيائية المحمدية بدمشق ، بسفح قاسيون شرقى الجامع المظفرى ، أنشأها الشيخ الضياء أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى الحنبلى ، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٤ م — الدارس جـ ٢ ص ٩١ .

(٣) المزة ، قرية كبيرة وسط بساتين دمشق — معجم البلدان .

الدعاء والإسراع ، وقيل : إنه كان مشغول الدماغ ولم يعلم بما جرى ، ولو علم كان قتل جماعة من المغل ، فيحصل بذلك فتنة وتفريق كلمة . فاجتمع تقى الدين بالوزير ابن سعد الدولة ورشيد الدولة [٢٠٤] وتحدث معهما ، فذكر أن جماعة من مقدمى المغول الأكابر لم يصل إليهم شىء من مال دمشق ولابد من إرضائهم ، فدخل الشيخ تقى الدين البلد ، وقد ضاق الأمر بالناس ، وهم فى شدة عظيمة ، واشتاع بينهم أن قازان يريد الدخول إلى البلد ، وقد جعل ما فيه للمغول خاصة ، فضاقت صدور الناس ، وقيل لهم : مَن لم يخرج من البلد نَدقُّه فى عنقه ، ومن أراد الخروج فليخرج إلى الصالحية ، وكان هذا الكلام من جهة شيخ الشيوخ ، ثم حمل حوائجه وخرج من العادلية ، فقالت الناس : لو لم يكن الخبر صحيحا لما خرج مسرعا ، فلما كان آخر النهار رجع بعض حوائجه وحضر إليه أعيان البلد وقالوا : إن رسم السلطان أن يضع على البلد شيئا معلوما سعينا فى استخراجه ، ويكون مثل الشراء عن السلطان ويمنّ السلطان بالعتق على المسلمين ، وكان قد قتل فى هذه الليلة رجلان من متولى أمر المناجيق من جهة أهل القلعة ، وكان السلطان غضب من ذلك غضبا شديدا .

وقال الشيخ وجيه الدين بن منجى : أنا أبذل جميع ما أملكه من العين . وقال الرئيس عز الدين بن القلانسى : قد أخذ منا شىء كثير ، ولم يبق إلا أن يموت بعضنا على بعض ، كل هذا وشيخ الشيوخ ساكت مصمم لا يفرج كربة عن مسلم ، ولكن اشتد الطلب من الناس فقرّر على سوق الخواصين مائة ألف وثلاثون ألف من الدراهم ، وعلى سوق الرمّاحين مائة ألف درهم ، وعلى سوق علىّ ستون ألف(١) درهم ، وعلى أكابر البلد ثلاثمائة ألف دينار ، وجبيت من حساب

(١) « مائة ألف » — فى السلوك جـ ١ ص ٨٩٣ .

أربعمائة ألف[1]، ورُسِّم عليهم طائفة من المغل، مع كل إنسان طائفة منهم، وضيقوا عليهم، وعصروا ابن شُقَير، ووعدوا ابن منجى وابن القلانسى بوعيد، والمغل محيطون بهم يضربونهم، فصار جميع أهل دمشق فى الذل والهوان، وكثر النهب فى البلد، والقتل عمّال فى ضواحى دمشق وضياعها. يقال: إنه قتل ما يُقارب مائة ألف إنسان من الجند والفلاحين والعامّة، وكثر الطلب، وعجز المطلوب، وعسر الأمر على الناس، وكان متولى الطلب الصفى السنجارى وعلاء الدين أستادار قفجق وأولاد الشيخ على الحريرى الحَنّ والبَنّ، وكان هؤلاء من أكبر المصائب على الناس، فنظم فيهم الشيخ كمال الدين بن الزملكانى[2]:

لَهفى على جِلّق يا سوءَ[3] ما لقِيَتْ ... من كل علج له فى كُفره فَنُّ
بالطِّم والرِّم جاءوا ولا عَديدَ لهم ... فالجن بعضهم والحَنّ والبَنُّ

وقال علاء الدين الوداعى:

دَهَتْنا أمورٌ لا يُطاق احتمالُها ... فَسَلِمْنا منها الإلهُ له المَنُّ
أتَتْنا تتارٌ كالرمال تخالُهم ... هم الجنُّ حتى معهم الحَنّ والبَنُّ

(١) وورد « وعلى سوق على مائة ألف درهم ، وعلى سوق النحاسين ستون ألف درهم ، وعلى قيسارية الشرب مائة ألف درهم ، وعلى سوق الذهبيين ألف وخمسمائة دينار . وقرر على أعيان البلد تكملة ثلاثمائة ألف دينار ، جبيت من حساب أربعمائة ألف » — السلوك ج ١ ص ٨٩٣ — ٨٩٤ .

(٢) هو : محمد بن على بن عبد الواحد ، كمال الدين الزملكانى ، الدمشقى ، توفى سنة ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م — المنهل الصافى .

(٣) « يا شره » — فى النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢٦ .

وقال الشيخ كمال الدين ابن قاضى شُهْبة[1] :

[٢٠٥]

رَمَتنا صروف الدَهر منها بسَبْعةٍ ... فما أحدٌ منّا من السَّبْع سالِمُ

غلاءٌ، وغازانٌ، وغزوٌ، وغارةٌ، ... وغدرٌ ، وإغبانٌ ، وغمٌ مُلازِمُ

ثم استهلّ شهر جمادى الأولى : ففى أول ليلة منه بات المُغل منتشرين بباب البريد إلى القلعة بسبب حفظ مناجيقهم التى بالجامع ، وكانت لهم مدة يُحاصرون القلعة ، وكسروا دكاكين باب البريد وأخذوا ما فيها ، وانتقل الناس من تلك الناحية ، وتركوا حوائجهم وأقواتهم ، عجزوا عن حملها ، وغلقت أبواب الجوامع وترك منها باب صغير ، وانقطع الناس عن الجامع .

وفى الجمعة الأولى من الشهر : نهب دير الحنابلة مرة ثانية ، وسُبيت من كان فيه من النساء والأولاد ، ومن جملة ما أخذوا : مائة وعشرون بنتا ، وأسَروا القاضى تقى الدين الحنبلى[2] وعملوا فى رقبته حبلا يجرونه به ، ثم تركوه .

وأما البلد فأحرقت منه دار الحديث الأشرفية[3] وما جاورها ، ودار الحديث

---

(١) هو : عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب ، كمال الدين ، ابن قاضى شهبة ، المتوفى سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م — المنهل الصافى .

(٢) هو : سليمان بن حمزة بن احمد بن عمر بن قدامة المقدسى الحنبلى ، قاضى القضاة تقى الدين ، المتوفى سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م — شذرات الذهب جـ ٦ ص ٣٥ — ٣٦ .

(٣) دار الحديث الأشرفية بدمشق : جوار باب القلعة الشرقى ، أنشأها الملك الأشرف موسى ابن أبى بكر بن أيوب المتوفى سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م — الدارس جـ ١ ص ١٩ — ٢٠ .

النورية[1] ، والعادلية الصغيرة[2] وما جاورها ، وأحرقت القيمارية[3] وما جاورها إلى دار السعادة إلى المارستان النورى ، ومن الجهة الأخرى إلى المدرسة الدماغية[4] إلى باب الفرج ، وأحاطت التتار بالقلعة من جميع الجهات[5] ، وبقيت الأماكن موحشة لا يجسر أحد أن يمر بها ، ولم تبق حارة ولا محلة إلا وقد دخلها التتار ونهبوها ، واختفى الناس ، وكان الرجل إذا حصلت له حاجة يخرج فى أثواب رَثّة وهو خائف وجل ، ثم يعود مسرعا ، ولم يكن يصلى فى الجامع خلف الإمام إلا رجل أو رجلان ، والتتار منتشرون فيه لأجل حفظ المناجيق ، وشربوا فى الجامع الخمور ، وانتهكوا حرمته ، وفجروا فيه بالنساء ، ونجسوه بالبول ، وامتنع الناس من حضور الجمعة خوفا على أنفسهم ، والأمرُ فى المصادرة والجباية حثيثا لم يعف عنه أحد لا غنى ولا فقير .

وحصّل لشيخ الشيوخ من البراطيل فوق الثلاثين ألف دينار ، وكان لا يزال الدبوس على كتفه ، ويفخم كلامه ، ولم يكن فيه شئ من أخلاق المشايخ ،

---

(١) دار الحديث النورية بدمشق : أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى ، المتوفى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م ، وهو أول من بنى دارا للحديث — الدارس جـ ١ ص ٩٩ .

(٢) المدرسة العادلية الصغرى بدمشق : داخل باب الفرج شرقى باب القلعة الشرقى ، أنشأتها زهرة خاتون بنت الملك العادل أبو بكر بن أيوب — الدارس جـ ١ ص ٣٦٨ .

(٣) المدرسة القيمرية بدمشق : بسوق الحريميين بدمشق ، أنشأها الأمير ناصر الدين الحسين ابن على القيمرى ، المتوفى سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م — الدارس جـ ١ ص ٤٤١ .

(٤) المدرسة الدماغية بدمشق : داخل باب الفرج ، وهى قبلى وشرقى الطريق الآخذ إلى باب القلعة الشرقى ، وهذا الطريق بينها وبين الخندق ، أنشأتها زوجة شجاع الدين بن الدماغ العادلى سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م — الدارس جـ ١ ص ٢٣٦ .

(٥) « وأخذ أرجواش فى هدم ما حول القلعة من العمائر والبيوت ، وصيرها دكا لئلا يستتر العدو فى المنازلة بجدرانها ، فأحرق ذلك كله » — السلوك جـ ١ ص ٨٩٣ . وانظر ما يلى .

وكان كثير الطمع وكان يستهزئ بقلعة دمشق ويقول : إش هـذه ؟ لوأردنا أخذها أخذناها من أول يوم جئنا ، وإنمـا الملك يريد الرفق .

كل هـذا والناس فى المصادرة ، وكان المُستخرج من الدراهـم برسم خزانة المـلك ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف سوى الدواب والقماش والسـلاح والقمح والشعير ، وذلك غـير الذى أخذه المغول من النهب والبرطيل ، وحصل لخواجا أصيل الدين بن النصير الطوسى نحو من مائتى ألف لأنه كان منجم الملك وناظر الأوقاف التى فى ممـالك التتار ، وطلب من أوقاف دمشق أجرة النظر عن سنة كاملة ، واستخرج الصفى السنجارى لنفسه مائة ألف درهم ، وكل هذا غـير الذى استخرجه قفجق لنفسه ولأمراء المغول ، وسـوى الرواتب المرتبة للملك فى كل يوم ولخواصه ، ونُهب لأهل دمشق مايقارب ذلك ، وأحرق من الأمـلاك والأوقاف والمدارس مالا يقدر أحد على ضبط قيمته .

ذكر نُسْخة فَرْمان التى كتبها قازان :

[٢٠٦] لمـا تولى قازان بظـاهر المرْج والغوطة خرج إليـه أهل دمشق بمفاتيح أبوابها ونفائس هـداياها ، فأقبل عليهم وقبـل ما أحضروه وأمنهم فكتب فرمان لأهل دمشق ونواحيها وأرسلها بأنهم آمنون وأنُ مغل لا يتعرضون للرعية ولا لأموالهم ، وهم يقيمون جمع ما يختاره الملك ، فإن البلاد بلاده والرعية رعيته ، وكتب ذلك على يد الشريف ، وصورة ذلك(١) :

(١) كانت بداية الفرمان : « بقوة الله تعالى وإقبال دولة السلطان محمـود غازان » — كنز الدرر جـ ٩ ص ٢٠ . و « بقوة الله تعالى ، وميامين الملة المحمدية ، فرمان غازان » — فى زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٠٨ أ .

ليعلم أمراء التوامين والألوف ، وعموم عسكرنا المنصور من المغل والكرج والأرمن أن الله نور قلوبنا بالإسلام ، وهدانا إلى ملة نبيه عليه السلام ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ (١) . وأتم الله علينا نعمته ، وأنزل علينا سكينته ، وقهرنا العدو الطاغية ، والجيوش الباغية ، وصَدَّرنا أن لا يتعرض أحد من العساكر على اختلاف أجناسها لدمشق وأعمالها ، وسائر البلاد الشامية ، وأن يكفوا أظفار التعدى عن الأنفس والأموال والحريم والعيال ، والتعرض لأهل الأديان ، وكل راع مسئول عن رعيته ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (٢) .

ثم أرسل قازان إلى دمشق قطلوشاه ، ومعه يحيى بن جلال الدين ، ورشيد الدين المسلمانى ، وزيره ، ونجيب الدولة اليهودى ، مُشيره ، والأمراء المصريون وهم : الأمير سيف الدين قفجق ، والأمير سيف الدين بكتمر السلحدار ، وأكابر دمشق صحبتهم ، وكان ذلك يوم الجمعة ، ولم يدركوا الخطبة بدمشق ، وكان وصولهم دمشق بعد العصر ، ودخلوا الجامع ، وحضرت أهل دمشق ، وقرئ الفرمان على المنبر ، واطمأنت نفوس الناس بعض شيء ، ثم أقاموا بها أياما لجباية الأموال كما ذكرنا صورة الجباية .

وأطاع أهل دمشق جميعهم قازان ما خلا الأمير علم الدين سنجر المنصورى المعروف بأرجواش نائب القلعة ، وكان من مماليك السلطان الملك المنصور

---

(١) آية رقم ٢٢ من سورة الزمر رقم ٣٩ .

(٢) آية رقم ٩٠ من سورة النحل رقم ١٦ . وانظر نص الفرمان فى : زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٠٨ أ — ٢١٢ أ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ٢٠ — ٢٢ .

القدماء ، فإنه أظهر حزما واجتهادا و يقظة واستعدادا ولم يُسلم القلعة ، بل صمم على امتناعه وأخذوه بأنواع من الترهيب والترغيب ، فلم يَرْهَب السّطا ولا رغب في العطا ، ونُصبت عليها المجانيق ، فما هاله أمرها ولا فتح لها بابا حتى رحل قازان عن البلاد ولم ينل منها ما أراد ، ولما اشتد الحصار وأحاطت بالقلعة جموع التتار خاف أن يستولوا عليها من الأماكن والمساكن التى عليها ، فهدم جميع ما حولها من العمائر والبيوت وصيرها دكا ، وهدم دار السعادة وكان هدمها من السعادة لئلا يتستر العدو في المنازلة بجدرانها و يتسلطوا بنصب المجانيق خلف بنيانها ، فتناوبوا على حصارها أياما متواترة ، وليالى متكاثرة ، ولم ينالوا منها مراما ولا رأوا من نائبها تسليما ولا استسلاما ، فصبروا إلى أن أدركهم لطف الله ، فسلموا وصابروا وما سلموا .

وعلم[1] قازان أن أموال دمشق جميعها بالقلعة ، وفيها خزانة السلطان الناصر ، وأموال الأمراء وغيرهم ، وأنه لايتم له مُلك ولا يملك قلعة من قلاع الشام حتى يملك قلعة دمشق ، فإن أمر القلاع معدوق بأمرها ، فطلب قفجق و بكتمر وغيرهما واستشارهم في أمرها ، فعرفوه أنها قلعة حصينة ، وأن نائبها رجل شديد البأس وما يمكن أخذها إلا بعد قتال شديد وتلاقى العسكر .

وحضر في ذلك الوقت نجيب الدين وزير قازان من غزنة ، فأشار عليه أن يعمل المنجنيق و يتوصل به إلى هدم القلعة[2] ، فرسم له عند ذلك بالإنعام الكثير، فشرع في عمل ذلك ، وساعده جماعة من أهل دمشق على قطع الأخشاب

(١) بداية ما كتب على هامش الورقتين ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢) « وجاء رجل منجنيقى فالتزم لقازان بأخذ القلعة ، وقرر أن ينصب المجانيق عليها في جامع دمشق » ـ نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٤١٢ .

وعمل المنجنيق فى وسط الجامع الأموى ، فبلغ ذلك أرجواش نائب القلعة ، فصبر إلى أن هجم الليل ، وأرسل جماعة من القلعة ومعهم النفط ، فأطلقوا النار أولا فى دار السعادة ، ثم فى سائر الأماكن القريبة من القلعة[1] ، فصارت تلك الأماكن شعلة نار ، وكان فيها جماعة من التتار ، فهربوا منهزمين ، فبقيت النار تعمل يومين وثلاث ليال .

ولما بلغ ذلك قازان غضب غضبا شديدا وأمر لسائر المغل بالركوب ، وركب هو مع الأمراء إلى أن وصل إلى القلعة ، ونظر إليها ، واستهون أمرها ، وأمر بردم الخندق . فقالوا له : لا يمكن ردمه فى شهر لأن المياه مسلطة عليه وصعّبوا أمره ، وكان قصدهم إخماد النار ، وأشار قفجق أن يخاطب نائب القلعة بحضور قازان ويعد له بكل خير ، وسمع قازان جوابه ، فخرج قفجق وبكتمر وبعض أمراء المغل ، فوقفوا قريبا من الخندق ، وكان أرجواش قد نصب له كرسى عال[2] بحيث يراهم ويرونه ، فلما رأوه سلموا عليه ، وسلم عليهم ، ثم شرع قفجق يعرّفه عن قازان بالمواعيد والعطايا ، وإنه إن لم يفعل فإن الملك يفعل كذا وكذا .

فلما سمع أرجواش كلامه أجابه فأغلظ فى جوابه ، فقال له : يامنافق ، من يتقرب إلى القلعة ؟ والله لو تقرب إليها أستاذى الملك المنصور ما كان له عندى غير سهم فى صدره ، ولكن قل لقازان يتقدم حتى ينظر ما يجرى عليه ، وأخذ فى سبهم ولعنهم ، وبلغ المغل ذلك لقازان ، فغضب غضبا شديدا ، وأمر

(١) « لئلا يتمكنوا من محاصرة القلعة من أعاليها » ـ البداية والنهاية ج ١٤ ص ٩ .

(٢) « عالى » فى الأصل .

عند ذلك « ... ... »[(١)] وأحدقوا بجوانبها ، وما شعروا إلا وقد شقتهم سهام من أكف الرماة من سهام قسي وجرخ ونفط ومدافع ومكاحل ، وكان في القلعة من الرماة أكثر من ألف رام ، فنزلت السهام عليهم مثل المطر ، واختلطت الرجالة بالخيالة ، فقُتلت[(٢)] طائفة وجرحت آخرون .

ورأى قازان يوما عظيما لم ير مثل ذلك ، فتقدم قفجق والأمراء منه وقالوا له : يا خوند أمهل حتى يفرغ عمل المنجنيق تبلغ به ما تريد ، وتلطفوا معه في الكلام إلى أن رجّعوه ، فعند ذلك جهز أمراء من المغل يستعجلون بعمل المنجنيق .

وبقي أرجواش يكشف أمر المنجنيق إلى أن عرف أنه على الفروغ ، فطلب أربعة أنفس من الرجال المعدودين فقال لهم : أنزلوا واقتلوا صانع المنجنيق وارموا النفط فيه ، فنزلوا وقد بايعوا أنفسهم من الله تعالى ، فوجدوا المغل نائمين وعامل المنجنيق سهران في العمل ، فوثب بعضهم عليه وضربه بسكين في بطنه أخرج أمعاءه ، وضرب كل واحد منهم آخر من رفقته فقتلوا ثلاثة ، ورموا في الأخشاب النفط فعلق من ساعته ، ووقع الضرب في الجامع ، وقتل من المغل اثنان ، وركبت المغل وهم متحيرون لم يعرفوا من أين جاءتهم الداهية ، ورأوا النار تعمل في الجامع ، وكانت ليلة عظيمة ، ودقت الكوسات في القلعة .

وبلغ ذلك قازان ، فصعب عليه جدا ، فطلب الأمير إسماعيل وأمره أن يأخذ معه جماعة من المغل ويتولى عقوبة أهل دمشق ويستخرج منهم الأموال ، فركبوا ،

---

(١) « ... ... » موضع ثلاث كلمات غير مقروءة .

(٢) هكذا بالأصل .

ورأى أهل دمشق منهم شدة عظيمة، فجاء[1] قفجق إلى قازان وتلطف به وقال له: ياخوند الأموال لا تستخرج على هذه الحالة، ولكن بالتلطف على الناس، فأجاب إليه، وعين لذلك جماعة — وقد ذكرناهم — حتى جبوا الأموال التى ذكرناها.

قال صاحب النزهة: واستمر الأمر على أهل دمشق من النهب وأخذ الأموال خمسة وأربعين يوما، فإن قازان نزل الغوطة فى العشر الأول من ربيع الآخر ورحل منها فى منتصف[2] جمادى الأولى[3]، والله أعلم.

ذكر إرسال قازان جماعة من جيشه ذوى الطغيان إلى الأغوار وبَيْسان:

ولما وصل قازان إلى دمشق أرسل من عسكره عشرين ألفا مجردين صحبة مولاى [٢٠٧] وأبشغا وجبجك وهُلاجُو، فنزلوا بالأغوار وبيسان وشنوا الغارات على تلك البلاد، ونهبوا ما وجدوا من المواشى والأقوات والأزواد، وقتلوا من وقع فى أيديهم، وانتهت غاراتهم إلى القدس الشريف والخليل عليه السلام، ووصلوا إلى غزة وقتلوا بجامعها خمسة نفر[4] من المسلمين كانوا به منقطعين، ثم رجعوا إلى الشام وقد عاثوا ونهبوا وسبوا وأسروا جماعات كثيرة، وحصروا قرى كثيرة

(١) «جاء» فى الأصل.

(٢) «ورحل قازان فى يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الأولى» السلوك جـ١ ص ٨٩٥، «تاسع عشر جمادى الأولى» — فى البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٩.

(٣) نهاية ما وجد على هامش الورقتين ٢٠٦، ٢٠٧.

(٤) «وقتلوا بجامعها خمسة عشر رجلا» — السلوك جـ١ ص ٨٩٦.

وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا ، ولما وصلوا إلى دمشق - وكان قازان قد رحل بعسكره - جبى له قبجق من أهل دمشق جباية أخرى لأجل مُولاى ، وخرج تقى الدين بن تيمية إلى مخيم مولاى ، فاجتمع به فى مكان ، فرأى من معه من أسارى المسلمين ، فاستنقذ كثيرا منهم . وأقام عنده ثلاثة أيام ، ثم عاد .

وفى عشية يوم السبت الرابع من رجب[1] : رحل مُولاى وأصحابه ، وأشمروا من البلد ، وساروا من على عقبة دُمّر ، فعاثوا فى تلك النواحى فسادا ، ولم يأت سابع الشهر وفى حواشى البلد منهم أحد ، ولله الحمد[2] .

ذكر رحيل قازان من الشام :

لما مَلّ قازان من الإقامة على الشام همّ بالرحيل ، وكانت إقامته قدر شهرين ، ثم رحل متوجها إلى بلاده فى الخامس عشر[3] من جمادى الأولى من هذه السنة ، وكان قد ولّى الأمير سيف الدين قفجق النيابة بالبلاد الشامية ، والأمير سيف الدين بكتمر السلحدار البلاد الحلبية والحموية ، والأمير سيف الدين إلبَكى البلادَ الساحلية ، ظنا أنه قد صارت الممالك الإسلامية فى قبضته وانحازت إلى حوزته ، فلم يتم له ما أراد ، ولا بلّغه الله شيئا من هذا المراد ، وأقام بعد رحيله نائبهُ قطلوشاه مع جمع كثيف من الجيش ، فلما كان يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر المذكور قُرِىء بالجامع تقليد الأمير قفجق بنيابة السلطنة بالشام ،

(١) «ورحلوا من دمشق يريدون بلادهم فى ثانى رجب» — السلوك جـ ١ ص ٨٩٦ .

(٢) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٠ — ١١ .

(٣) «ثانى عشر» — السلوك جـ ١ ص ٨٩٥ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ٣١ «السابع عشر من جمادى الآخرة» — التحفة الملوكية ص ١٥٩ .

وتولية الأمير يحيى بن جلال الدين الختنى(١) الوزارة .

وفى يوم الإثنين الثانى والعشرين من الشهر : رحل قطلوشاه والعساكر ، ففرح الناس بذلك واطمأنت قلوبهم ، وخرج الناس إلى جبل الصالحية وإلى الحواضر والمزارع وأظهر الناس ما تخلف من أمتعتهم ، وجلسوا فى الأسواق وباعوا واشتروا ، واشتد الغلاء ، فبلغ سعر القمح الغرارة منه بثلاثمائة درهم ، ومن الشعير إلى مائتى درهم ، والرطل الخبز بدرهمين ، والرطل من اللحم بإثنى عشر ، والرطل من الجبن بإثنى عشر ، ومن الزيت بستة . والبيض كل أربعة بدرهم .

وأما الأمير قفجق فإنه لما عاد من وداع قازان ركب(٢) الموكب فى دمشق والعصابة على رأسه ، ونادى فيها برجوع الناس ، وآمنهم على أنفسهم .

وكان قد حضر إليه بعض أهل الفساد وضمنوا منه الخمر وبيعه وعين عليه كل يوم ألف درهم وجعل دار ابن جرادة خارج باب توما خمّارة وحانة .

وأخذ أموالا أُخر من أوقاف المدارس وغيرها ، ثم شرع يركب بالعصابة والشاويشية بين يديه ، وجهّز نحوا من ألف فارس نحو خربة اللصوص ، ومشى مشى الملوك فى الولايات وتأمير الأمراء والمراسيم العالية النافذة والآراء ، وصار كما قال الشاعر :

---

(١) الختنى : نسبة إلى بلدة ختن بالقرب من كاشغر بالتركستان — معجم البلدان .

(٢) هكذا بالأصل ... وأقام الأمير قطلوشاه مقدم عساكر التتار بعد قازان بدمشق ... حتى سافر ببقية التتار فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين جمادى الأولى ، وخرج الأمير قبجق نائب الشام لتوديعه ، ثم عاد يوم الخميس خامس عشرينه » — النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٧ .

يالك من قنبرة بمعمرى
خلالك الجوّ فبيضى واصفرى
ونقّرى ما شئت أن تنقرى (١)

[٢٠٨] ثم نهض الشيخ تقى الدين بن تيمية واجتمع بالأمير قفجق وقال له : إن الذى فعلته من ضمان الخمور شُنْعة كبيرة، وثلمة عظيمة فى حق الإسلام، واستأذنه فى إبطاله ، فأذن له ، وخرج بنفسه وأراق ظروف الخمر جميعها .

ولما كان يوم الجمعة (٢) رسم للخطيب بإعادة الخطبة فى سائر الجوامع باسم السلطان الملك الناصر ، وكان بالجامع الأموى ذلك النهار بكاء عظيم وتضرع إلى الله تعالى وتذاكر بما كانت الناس فيه من الشدة والنهب والسبي ،وكانت مدة انقطاع الخطبة عن ملك الإسلام نحو مائة يوم ، ثم أعادها الله تعالى .

وكان تقدير الذى حُمل إلى خزانة قازان (٣) ثلاثة آلاف ألف دينار سوى ما أُخذ من البراطيل للأمراء والوزراء وأكابر المغل، وهذا هو الذى حصَره ابن المُنجى، وأما الذى نهب من دمشق والأماكن التى ذكرناها فإنه لا يمكن حصره ، وكذا الذى كسبه الأمراء والجند يوم الهزيمة ، وذكر أن الذى صحبهم من الأَسْرى أحد عشر ألف نفس من الرجال والنساء والأطفال ، وكان معظمهم من جبل

(١) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٠ .

(٢) « يوم الجمعة سابع عشر رجب » — فى البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١١ .

(٣) « قال ابن المنجا : إن الذى حمل إلى خزانة قازان خاصة نفسه ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف » — النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢٧ .

الصالحية ولم يصحب معهم[1] إلى البلاد إلا القليل منهم ، فإن منهم من هرب بالليالى ، ومنهم مَنْ مات ، ومنهم من اختفى ، وأخذوا من البلد فوق عشرة آلاف فرس ، وكان معظم فسادهم فى جبل الصالحية ، وكان غالب ذلك من طائفة الأرمن ، فإن صاحب سيس كان فى قلبه حزازات من فعل المسلمين فى بلاده التى أخذت منهم[2]، وضياعه التى أخربت ، ورجاله الذين قتلوا ، والغارات التى كانت تتواتر على بلاده من جهة المسلمين ، ولما اتفق من نصرة قازان ما اتفق حضر صاحب سيس قدام قازان وسأله أن يمكنه من الدخول من الباب الشرقى والخروج من باب الجابية ، ويضع السيف بين البابين ويشتفى من المسلمين ويقيم بألف ألف دينار ، فوقف قفجق فى طريقه وتحدث مع قازان وقال له : قد ملكت هذه البلاد وهى فى يدك والمال الذى تحمله هذا تأخذه من أهل الشام من غير سفك دم ، وما زال به حتى طرد صاحب سيس عن مراده .

ذكر صور الفرمانات التى كتبها قازان :

وهى أربعة :

الأول : كتبه إلى الأمراء والعساكر والجيوش والأكابر ، وهذه نسخته[3] :

ميامين الملة المحمدية[4] ، فرمان غازان ، ليعلم[5] الأمراء والأكابر وأشراف السادات العظام ، والمشايخ الكرام ، وسائر مشاهير الأعراب ، من الخواص

(١) هكذا بالأصل .

(٢) هكذا بالأصل بصيغة الجمع .

(٣) انظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٠٨أ — ٢١٢أ .

(٤) « بقوة الله تعالى ، وميامين الملة المحمدية » — فى زبدة الفكرة .

(٥) « أعلم » — فى زبدة الفكرة .

والعوام ، إنه فى كل زمان يقتضى الدوران . يُرسل الله تعالى نبيا لهداية العالم ، ودلالة الإنسان إلى طريق الصواب . وحفظ الأساطير فى ملل الدين ، فلما انتهت النوبة إلى خاتم النبيين محمد المصطفى الذى أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أرسله إلى جميع الخلائق ليهدى كافة الأنام من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، ويُرشدهم من علائق الجُثمانيات إلى زوايا الروحانيات ، ويزيّنهم بكمال الدين وتهذيب الأخلاق ، وأنزل عليه القرآن العظيم ، [٢٠٩] وعلمه الأحكام الشرعية الشريفة المطهرة لينقذ بها التابعين من نارجهنم ، فالواجبُ على كل أحد متابعة هذا النبى ومطاوعة شريعته ، والذى يُخالفه يكون مأواه[(١)] جهنم وبئس المصير ، ومن أول بعثته ومُفتتح رسالته إلى زماننا هذا كلما وقع فى أمور الدين الخلل وظهر الوهن فى شريعة المسلمين ، وأقدم الإنسان على العصيان وأصر على الطغيان ، أظهر لهم[(٢)] من أولى الأمر شخصا يقَوِّى الأمور الدينية ويُزكى الخلائق طرا ، وينهاهم عن الأمور المستنكرة ، ويردّهم إلى الطرائق المستقيمة المستحسنة ، وقبل زماننا[(٣)] هذا قد ظهر المشركون وعبدة الأوثان ، والجماعة الذين كانوا يلايمونهم من المسلمين الذين يقولون آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ظلموا وتعدّوا ، وكانوا يُعلّمونهم الحَيْف والجور على الرعية وغصْب أموالهم وأكل الربا[(٤)] ، وترك الصلاة والزكاة والصيام والصدقات وأعمال البر .

(١) « مأواهم » ــ فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة ، ويتفق مع السياق .

(٢) « سبب له » ــ فى زبدة الفكرة .

(٣) « زمان » ــ فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٤) « الربوا » فى الأصل .

وقدر الله من المعجز النبوى المصطفوى المحمدى على صاحبه الصلاة[(١)] والسلام أننا من أولاد جنكزخان الأعظم الذى تحت حكمهم معظم الأقاليم العظيمة دخلنا فى هذا الدين القويم والصراط المستقيم بغير تكليف ، بل أجلا نور هداية الحق ودين النبي المصطفى على قلوبنا ، وكرمنا الله بالإسلام ، وفضلنا بالعدل والإحسان ، ورسخ فى قلوبنا محبة الدين الحنيفى ، ووفقنا الله تعالى بالجهاد فى قتل المشركين وعبدة الأوثان والمخالفين ، وهدم بيوت الأصنام ودفع شر الظالمين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما أمر الله فى محكم كتابه : ﴿ إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾[(٢)] الآية . فأمرنا فى الممالك كلها ببناء المساجد ونصب المنابر وإقامة الصلوات وإيتاء الزكاة[(٣)] ، ونهينا عن أخذ الربا[(٤)] ، ومنعنا من سائر أنواع الظلم والخطأ ، فإن الظلم مرتعه وخيم ، وقررنا فى بلاد الإسلام الأموال المقننة لمصالح عساكر الإسلام عند المجاهدة فى سبيل الله عز وجل ، حسبما اقتضاه الشرع المطهر بلا إحداث قاعدة ولا حيف ولا عدوان ولا تطاول على أحد من المسلمين ، واجتهادنا فى استخدام هذه المعانى زائد عن الحد ، ﴿ والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾[(٥)] .

وحيث آباؤنا وأجدادنا سمونا غازان ، كان ذلك بتقدير الله عز وجل فى الأزل فى الإلهام الإلهى الملهم بالتلقيب لهذا الاسم الذى هو مشتق من الغزو ،

(١) « الصلوة » فى الأصل .

(٢) جزء من الآية رقم ٩٠ من سورة النحل رقم ١٦ .

(٣) « الزكوة » فى الأصل .

(٤) « الربوا » فى الأصل .

(٥) الآية رقم ٤٣ من سورة الأعراف رقم ٧ .

أوجبنا على أنفسنا الغزو والجهاد ، وقمع المشركين والخوارج والمتمردين والظالمين ، وسمعنا أن أهل مصر والشام الذين أمسى منهم مسلمون مالهم عهد ولا ميثاق ولا أمانة ولا ديانة ، ويأخذون أموال المسلمين ، ويقصدون دماءهم،(١) توجهنا قاصدين دمارهم لدفع الحركات الرديّة البادية منهم ، وإثباتهم على دين الإسلام ليكونوا هم وذرياتهم مفلحين من أهل الجنة ، ويحصل لنا ثواب الاجتهاد ، ويردهم السؤال فى معنى خللهم وزللهم فى دين الإسلام . والجواب أنهم لما تحققوا أننا أولاد سلاطين ربع أقاليم الأرض ، وإنا مسلمون ومعاونون دين الإسلام يجب على كل أحد [٢١٠] مطاوعتنا ، اقتداء بكلام الله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾(٢) ، لحيث عصى من عندنا سولتمش ، [وانخرط فى الخوارج والمرتدين](٣)، وأقدم على إيذاء المسلمين ببعض بلاد الروم ، وتخريب بيوتهم ، ونهب أموالهم ، هرب من عسكرنا المنصور ، وتوجه إلى تلك البلاد ، كانت الشريعة النبوية والشفقة الإسلامية تقتضى أن تمسكوه وتبعثوه مغللا بالحديد ، مسلسلا إلى عتبتنا العالية ، فتغافلتم وتهاونتم عن هذا ، بل زودتموه بالعساكر والأنعام والنجدة إلى فوج من التركمان ، ووعدتموه مواعيد عرقوب حتى يقع القتال بين المسلمين من عسكرنا المغول [وساكنى بلاد الروم ، وعسى ما بلغهم أن جميع عسكرنا من

(١) يشير بذلك إلى إغارة العسكر الحلبى على ماردين سنة ٦٩٦ هـ ، انظر ما سبق بالجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٣٦٥ وما بعدها .

(٢) الآية رقم ٥٩ من سورة النساء رقم ٤ .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

المغول] [1] والأيغورية والقفجاق والخطائية، وكل من كان بعد هذا من اختلاف الملل دخلوا كافة وطرا بصدق النيـة فى الإسلام ، وأدركهم بتوفيق الله حسن الاتفاق ، وارتضعوا أفاويق الوفاق ، ونحن كأسنان المشط فى الاستواء والنفس الواحدة فى التئام الأهواء، وما كان فينا مَنْ لم يؤمن بربّه الأعلى ونبيه المصطفى، وعاش [2] على دين المغول ثمانين عاما ، فإنه فى هذه السنة آمن بالله والملة الحنيفية ودخل فى زمرة المهتدين والحمد لله رب العالمين .

وإذا كنتم متهاونين فى قضية سولتمش وسائر الطاغين [3]، فالله تعالى الذى هدانا للصراط المستقيم ردّه مقيدا [4] مكبلا على يد أقل مملوك من مماليكنا ، فجاءوا به إلى عتبتنا العالية لمـا أنعم الله علينا بالدين القويم ، ووفقنا لتشييد قواعد سنن رسوله الكريم، وأرشدنا فى عنفوان الصّبا وريعان الحداثة للانخراط فى سلك أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعلى آله وصحبه الكرام ، عسى لم يعجبكم تقوية دين الله عز وجل التى نحن مصرّون عليها . ولو وصل لأجل هـذا لقلوبكم البهجة والسرور لشكرتم الرحيم الغفور ، وبعثتم من يُهنئنا بدخولنا فى دين الحق من إخوانكم وأقاربكم . فمـا فعلتم من هذا شيئا [5] ؟ ألا إن من اعتصم بالله كفاه .

وأيضا من أفعالكم المذمومة أن تنصبوا فى كل شهر وعام سلطانا ، وتبايعون وتحلفون على طاعته والإعراض عن مخالفته ، ثم تخالفونه بعد قليـل ، وتقتلون

---

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) « إلا مرلبه فإنه عاش » ــ فى زبدة الفكرة .

(٣) هكذا بالأصل .

(٤) « رده الله مقيدا » ــ فى زبدة الفكرة .

(٥) « فما فعلتم شيئا من هذا » ــ فى زبدة الفكرة .

ذوى الأمر منكم خلافاً لما أمر اللهُ فى كتابه العزيز بطاعة أولى الأمر منكم . وتنقضون ميثاقكم ، ولم توفوا بعهدكم حتى تصيروا من ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويُفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون ﴾[1] ، وأى جرح أقبح من هذا .

وأما سائر أخلاقكم وعدم مشروعيتها فهى واضحة غير خافية ، ومستغنية عن الشرح والتفصيل ، فقد وافقنا مع عمنا خان[2] الأعظم وسائر أعمامنا وإخوتنا وعشائرنا فمنهم : قايدو ، ونُوقاى ، وتُوقتا ، وقُرجى ، [وطو][3] ، وغيرهم ، وهانحن متوجهون بأنفسنا إلى تلك البلاد بالعساكر الكثيرة التى ما لها نهاية ولا حدّ ، والكتائب الجرارة التى لاتحصى ولا تعدّ ، ومن ولاية الإفرنج والروم والكفور وديار بكر وبغداد بعثوا أفواجا كثيرة لا تعد ، وجما غفيرا لنهدى بهم سبيل الرشاد ، وندفع عن سائر المسلمين الشر والفساد .

[٢١١] فإن كنتم تتبعون الهدى وتستقبلون عساكرنا المنصورة ، فنحن فى هذه النهضة الميمونة عازمون على أن لايصدر عن أمرنا المُطاع إلاّ إطفاء النائرة ، ومحافظتهم فى الأمن والأمان ، ليستريح المسلمون فى عهد الشفقة والإحسان ، تعظيما لأمر الله وشفقة على خلق الله ، وقد حرمنا على عساكرنا المنصورة التعرض إلى نفوس المسلمين والطموح إلى أموالهم ، فإن لم تسمعوا مارسمنا ونصحنا :

ف : السيف أصدق أنباءً من الكتب		فى حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

---

(١) الآية رقم ٢٧ من سورة البقرة رقم ٢ .

(٢) « قاآن » — فى زبدة الفكرة .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

ولما كانت همتنا المنصورة مقصورة على وضع قواعد العدل والإنصاف ، وعزمتنا المنيفة مصروفة إلى رفع قوانين الزور والاعتساف بحيث يستقيم الأمر فى مركزه تأسيا بقوله تعالى : ﴿ ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ﴾ الآية (١) . ولهذا توجهنا إلى تلك الجهات ، وكيف يجوز تعذيب الرعية من غير جريمة صادرة منهم لاسيما سفك دمائهم وسبى حريمهم (٢) ، فتجب علينا محافظتهم (٣) ودفع الأسواء منهم بموجب قوله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » (٤) . والتزمنا بمحافظة الرعية فى أنفسهم وأموالهم ، والسعى فى ترفيه خواطرهم وتطييب قلوبهم ، فينبغى أن يسكنوا فى دورهم آمنين مستكنّين ، ويقيموا أسواقهم ويرتبوها ، ويشتغلوا بالكسب والمعاملات بعد أداء وظائف العبادات وإقامة مراسم الطاعات ، داعين (٥) لدوام هذه الدولة القاهرة ، ودوام أيامنا الزاهرة (٦) ، إذ وجب عليهم وعلى كافة المسلمين طاعتنا لقوله تعالى وأمره بطاعة أولى الأمر منكم (٧) ، وعليهم أن يخطبوا على المنابر باسمنا ، وعند قرب

(١) جزء من الآية ٢٦ من سورة ص رقم ٣٨ .

(٢) هكذا بالأصل .

(٣) هكذا بالأصل .

(٤) قال عليه الصلاة والسلام : « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » — انظر سنن أبى داود — جـ ٣ باب الخراج والإمارة والفىء ص ١٣٠ حديث رقم ٢٩٢٨ .

(٥) « لداعين » فى الأصل .

(٦) « الزاهرة » ساقط من زبدة الفكرة .

(٧) يشير إلى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » — جزء من الآية رقم ٥٩ من سورة النساء رقم ٤ .

الوصول إلى بلادهم يستقبلونا ، وتُصاحبنا القضاة والعلماء والصلحاء والمشايخ والسادات والفقهاء مرشدين إلى المزارات المباركة من مشاهد الأولياء ومواقف الأنبياء ، مُستوهبين من الله تعالى التوفيق لنيل مثوباتهم ، وإحراز بركاتهم ، وبعد ذلك نقصد الإحرام بحجة الإسلام وزيارة بيت الله الحرام ، سيما وهو أكبر قواعد الإسلام ؛ إذ هو على كافة لقوله عز وجل : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾[1] .

وقد نذرت يميننا [على ذلك][2] ، وانعقد نذر بأنه يُنادى من جهتنا بأن جميع المسلمين وسائر المتوكلين في أمان من الله ورسوله ، ويكونون مطمئنين ، فارغي البال ، رافهي الحال ، ونحن عاهدنا الله ورسوله على جميع ذلك ، وإذا وقفوا على ما أنفذنا إليهم يبعثون إلينا من يُعرف أحوالهم ، وخلوص عقيدتهم ، وصفاء طويتهم حتى نعين الشحاني[3] المعتبرين . وفي صحبتهم التواقيع والفرامين[4] ليحفظوا البلاد ، ويُقيموا الأسواق ، ولا يمكنوا أحدا من الظلم والجور ، ولا تشويش خواطرهم ، لأن العسكر المجهز إليهم معهم ما يكفيهم سنة وأكثر[5] ، فاستراحوا من ذلك .

فإذا تشرفوا بمطالعة هذا التوقيع الشريف ، وامتثلوا مقاصده وفحواه فقد فازوا فوزا عظيما ، وإلا فقد خسروا خسرانا مبينا ، وعقابُ ذلك سَفك الدماء

---

(١) جزء من الآية رقم ٩٧ من سورة آل عمران رقم ٣ .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٣) المقصود جمع « شحنة » .

(٤) المقصود جمع « فرمان » — فرمانات .

(٥) « لأن العساكر الجمة إذا وصلوا إليهم تبع المعاملات معهم ما يكفيهم سنة وأكثر » — في زبدة الفكرة ، وفيه اضطراب واضح .

[٢١٢] وغارة الأموال بوقوع الهرج والمرج ، ونحن نبرأ من ذلك ، وقد أعذر من أنذر ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾[(١)] .

الثانى من الفرامين[(٢)] : كتبه عند رحلته من الشام ، فقرىء بجامع بنى أُمَيّة .

بقوة الله وميامين الملة المحمدية ، فرمان السلطان محمود غازان :

ليعلم الأمراء والنُّـواب والولاة والقضاة والسادة والصدور والناس كافـة بممالك الشام والسـواحل أنّ جدنا جنكزخان كان ملكا وابن ملك إلى سـبعة جدود فى بلاد المغول ، وحيث أيده الله تعالى مَلك[(٣)] بسيفه ربع الأرض المسكون ، ولم يبلغنا فى تاريخ من التواريخ من لدن آدم عليه السلام وإلى يومنا [هذا][(٤)] أن ملكا ملك من الأقاليم ما ملكه ، ولا تيسر له من التأييد ما تيسر له ، ونحن سادس ملك من صلبه ، وكان قـد سبق فى تقدير الله أن يُصيب أولاده ممن سلف قبلنا عين نافذة ، فوقع بينهم الخلف وطال التنازع بينهـم سنين كثيرة ، فاجتمع من من بقايا سيوفهم أمم مختلفون يتسترون فى الأكْنان ويتغيبون فى أبعد المكان ، وكان منهم سكان مصر والشام ، واجتمع بها من المماليك والخوارج زُمرة غرّتهم سلامتهم من المغل المشتغلين عنهـم بما كان أهم عندهم منهـم ، وطفقوا كل قليل يختارون من بينهم مملوكا من أرذل الأجناس ، فيُملكونه على الإسـلام ، ويحكمونه فى رقاب الأنام ، وحسبوا أن ذلك تدبير الملك ، ولم يتعرفوا طريق

(١) جزء من الآية رقم ٤٧ من سورة طه رقم ٢٠ .

(٢) المقصود « فرمانات » . وانظر نسخته أيضا فى زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢١٢ أ — ٢١٤ أ .

(٣) « الملوك » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة ، ويتفق مع السياق .

(٤) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

النجاة من الهلك ، حتى وصلت نوبة المملكة إلينا ، وزُفّت عروسها علينا ، زين الله قلوبنا بالإسلام [١] ، وأبهجها بأنوار الإيمان ، وكان من الواجب المتعين وأدب الملوك الهين أن هؤلاء المماليك يهنئوننا [٢] بما وهب الله لنا من الملك العظيم وهدانا إليه من الصراط المستقيم ، ويُرسلون إلينا رُسلهم بتحف السلاطين ، ويجدون في استجلاب مودتنا أوضح القوانين ، فمرت على ذلك ثلاث سنين ، وهم يجهلون حقوق الأدب ، ولم يؤدوا من عوائد الملك ما يجب ، ولما علموا أننا دخلنا في الإسلام راغبين ، ولرضى الله سبحانه طالبين ، حسبوا أنهم إذا فتحوا إلينا طريق المودّة جاءنا أكثر عسكرهم هاربين ، ولم يكن لهم من التمييز أن يعلموا أن الملك يؤتيه من يشاء من عباده ، وقد ملّك كثيرا من الكفار أكثر بلاده ، كما بلغهم عن جنكزخان ومن كثير ممن كان ، ولو كان نيل الملك بالتقوى لكان بنو فاطمة [عليهم السلام] [٣] على الخلافة أقدر وأقوى ، ولم يرضوا بذلك حتى سلكوا من التهجم والتقحم أقبح المسالك ، وقصدوا طرفا من أطراف بلادنا على غرّة ، وهجموا عليها على فترة ، وكذلك سلامش [٤] لما تسحب خوفا من ذنوب اقترفها وديون ارتكبها حموه ، وأنفذوا معه عسكرا ، وقصدوا أن يشعثوا الروم ، وقد يكون حتف المغرور فيما يروم .

---

(١) « بحب الإسلام » — في زبدة الفكرة .

(٢) « يهنونا » في الأصل .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٤) « سولمش » — في الفرمان الأول — انظر ما سبق ص ٤٩ .

فلما رأيناهم قد تجاوزوا فى البغى غاية الحد ، واتخذوا المملكة لعبا واتكلوا على الجد ، واغتروا بعدم التفاتنا إليهم ، فكان[1] ذلك وبالا عليهم ، لأنا رفعنا التنازع بيننا وبين أقاربنا ، وجعلنا قصد مهلكتهم من مطالبنا ، خشينا [٢١٣] أن جيوشنا تستأصل من المسلمين الأصاغر والأكابر ، فأرسلنا إليهم رسلا يُنذرونهم ويحذّرونهم ويذكرونهم ، فحبَسوا الرسل وقطعوا السُبُل ، ثم حملهم الجهل والغرة على مقابلة جيوشنا ومقاتلتهم ، وتمثلوا فى أنفسهم الغلبة فأقدموا على مماثلتهم ، وكانوا قد عاجلونا وأكثر عساكرنا لم يركبوا خيولهم ولم يشهدوا الحرب ، لما لم يعلموا تعجيلهم ، وما لقيهم غير تسعة آلاف كانوا قد ركبوا معنا ، فلقونا بأجمعهم ، وما قابلوا جمعنا ، وكان [من][2] أمرهم ما كان ، وتبين لذوى البصائر أن الله لم يرض منهم ذلك العُدوان ، فاجتمعت معنا أمراء دولتنا ، وذكروا لنا أن هذه الطائفة من المماليك لهم أربعون سنة يقصدون الحصون فيخربونها ، والمدُن المستصعبة فيدمّرونها ، حتى إنهم خرّبوا من البلاد وقتلوا من العباد ما يعادل أهل مصر والشام ، وأوضحوا فى ذلك مقول الكلام ، والمصلحة أننا نشن الغارة[3] على الشام من غزة إلى الفرات ، وينقل من فيها من الرعية فيُعمّر بها ما خرّبوا ليقابل الفاسد بمثله ، فما قبلنا مشورتهم ، وقلنا : نحن لم نرض [فعلهم ، ا][4] فنصير بما فعلوا مثلهم ، وأعرضنا عن ذلك ، ورحمنا الرعية ، وجعلنا مأمنهم أولَ نعمة لله عليهم ، ومَبْدأ عطية ، وإن كان قد وقع إلى أحد من عساكرنا بعض من استُضعف

---

(١) « وكان » — فى زبدة الفكرة .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٣) « الغارات » — فى زبدة الفكرة .

(٤) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

فقد أمنـه بانتزاعه من يد مَن استلبه ، حـتى يبلغ برجوعه إلى أهـله إربه ، فأرسلنا إلى أهـل القلاع والجبال والأعراب والتركمان والعشائر كتب الأمان ليكونوا فى أمان الله ورسوله وأماننا ، وإذا خفت العساكر من هذه البلاد رُدّ كل إلى وطنه ، ورجع كل إلى سكنه .

ولقصدنا مصلحة الرعايا وحمايتهم ، رتبنا مُولاى وجبجك وأبشقا وبُغا وهُلَاجُو وقرابغا وبهادر مُقدّمين على أربعين ألف فارس ، وتركناهم على غزة والغور ، وأمرنا الأمير سبا أن يقيم على حلب وحماة وحمص فى عشرين ألف راكب ، وأعطينا الأمير سيف الدين قفجق[1] نيابة السلطنة بدمشق ، ورتبنا الأمير سيف الدين بكتمر نائب السلطنة بحماة وحلب[2] ، والأمير فارس الدين إلبكى نائب السلطنة بصفد وطرابلس والسواحل ، وجعلنا ملك الأمراء والوزراء ناصر الدين يحيى شادّا على الدواوين فى هـذه الأقاليم كلها ، فكل من أعطاه أحد من هؤلاء الأمراء أمانا فهو أماننا ، وكل جندى أراد خدمتنا فقد أمرناهم أن يُعينوا له إقطاعا يليق به ، وَلْيَثِقُوا بما أودعه الله لهم فى قلوبنا من الرأفة وحسن النيـة ، وليطيعـوا هؤلاء الأمراء طاعة موفقة ، ولا يتخلف أحد عن طاعتهم ، فقد أخذنا عليهـم العهود بالعـدل والشفقة ، وإن خالف أحد أو عصى فلابد أن يذوق كأس الردى ، والله تعالى يجمع قلوب رعايانا على الهوى ، إن شاء الله تعالى .

(١) « قفجاق » — فى زبدة الفكرة ، فى هذا الموضع والمواضع التالية .

(٢) « بحلب وحماة » — فى زبدة الفكرة .

الثالث من الفرامين[1] : فرمان الأمير سيف الدين قنجق :

بتقوى الله وميامين الملة المحمدية ، [٢١٤] فرمان السلطان محمود غازان :

الحمد لله الذى جرّد لنصر هذه الدولة القاهرة سيفا ماضيا ، وانتضى لتأييدها من أوليائها قاضيا قاضيا[2] ، وارتضى لها من أصفيائها من أصبح الملك عنه راضيا ، نحمده ونشكره على نعمته التى أورثتنا الممالك ، وجمعتْ لنا مابين النصر والفتح وما أشبه ذلك ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة تُنيلُ النجاة وترفع الدرجات ، ونشهد أن محمدا نبيه المرسل بالهدى والصدق ، والمبعوث بدين الحق صلى الله عليه صلاة تنيله الوسيلة والفضيلة . وعلى آله خير آل وأشرف قبيلة ، وبعد :

فإن الله تعالى لما مَنّ علينا بالإيمان ، وهدانا إلى أشرف الأديان ، حمدناه وشكرناه على أنه أضاف إلى مُلكنا للدنيا ملكنا للآخرة ، وجَلّل علينا حُلل الدين الفاخرة ، ونذرنا أن نعم الرعيّة بعدلنا ، ونشمل البريّة بفضلنا ، وأن لا نسمع بمظلوم إلّا نصرناه ، ولا نطلع على مقهور إلا أنقذناه ، فلما اتصل بنا ما بمصر من المظالم ، ومن فيها من غاصب وظالم ، هاجرنا لنصر الله تعالى ونصرة الدين ، وبادرنا لإنقاذ من فيها من المسلمين ، وراسلناهم وأنذرنا ، وكاتبناهم وزجرناهم ، ووعظناهم فلم تنفع فيهم العظة ، وأيقظناهم فلم تكن فيهم[3] يقظة ، فلقيناهم

(١) المقصود : الفرمانات . وانظر أيضا نسخته فى : زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢١٤ أ — ٢١٥ ب .

(٢) هكذا فى الأصل ، وفى زبدة الفكرة .

(٣) « عندهم » — فى زبدة الفكرة .

بتقوى الله تعالى(١) ، فكسرناهم وقطعنا(٢) آثارهم ، وملّكنا الله تعالى أرضهم وديارهم ، وتبعناهم إلى الرمل وحطمناهم كما حطم سليمان وجنوده وادى النمل ، فلم ينج منهم إلا الفريد ، ولا سلم إلّا البَريد ، فلما استقر تملكنا البلاد وجب علينا حسن النظر فى العباد ، فاحضرنا الفكر فيمن نقلده الأمور ، وأمعنا النظر فيمن نفوض إليه مصالح الجمهور ، فاخترنا لها مَن يحفظ نظامها المستقيم ، ويقيم ما أباد من قوامها القويم ، يقول فيُسمع مَقاله ، ويفعل فتقتفى أفعاله ، يكون أمرُه من أمرنا ، وحكمه من حكمنا ، وطاعته من طاعتنا ، ومحبته هى الطريق إلى محبتنا ، فرأينا أن الجناب العالى الأوحدى الكفيلى المجاهدى الأميرى الهمامى النظامى السيفى ، ملك الأمراء فى العالمين ، ظهير الملوك والسلاطين قفجق ، هو المخصوص بهذه الصفات الجليلة ، والمحتوى على هذه المناقب الجميلة ، وأن له حرمة المهاجرة إلى أبوابنا ، ووسيلة القصد إلى ركابنا ، فعرفنا له هذه الحرمة ، وقابلناه بهذه النعمة ، ورأينا أنه لهذا المنصب حفيظ قمين ، وعلى ما استحفظ قوى أمين ، وأنه يبلغنا الغرض من حفظ الرعايا ، فأقمناه مقامنا فى العدل والقضايا ، فلذلك رسمنا أن نفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الدمشقية والبعلبكية والحمصيّة والساحلية والجبلية والعجلونية والرّحبية من العريش إلى سلمية ، نيابة تامة عامّة ، كاملة شاملة ، يؤتمر فيها بأمره ، ويُزدَجر فيها بزجره ، ويُطاع فى أوامره ونواهيه ، ولايخرج أحد عن حكمه ولا يعصيه ، له الأمر التامّ والنظر العام ، وحسن التدبير وجميل التأثير ، [٢١٥] والإحسان الشامل لأهل

---

(١) « بقوة » — فى زبدة الفكرة .

(٢) « وقلعنا » فى زبدة الفكرة .

البلاد ، واستجلاب الغُزاة والقُوّاد ، وتأمين مَن يطلب الأمان والطاعة والامتنان متفقا فى الاستخدام والتأمين مع ملك الأمراء ناصر الدين ، فإن اجتماع الآراء بركة ، والهمم تؤثر إذا كانت مشتركة ، وكل من أمّناه فإنه أماننا أجريناه على قلمهما ولسانهما(١) .

وقد أنعمنا(٢) عليه بالسيف ، والسنجق الشريف ، والكؤوس ، والبائزة الذهب برأس السبع ، ورسمنا له بألف فارس من المغل يركبون لركوبه وينزلون لنزوله ، وليكونوا تحت حكمه رفعةً لقدره ، وتنويها باسمه ؛ وسبيل الأمراء والمقدمين وأمراء العربان والتركمان والأكراد والدواوين والصدور والأعيان والجمهور بأن يتحققوا أنه نائبنا فى السلطنة الشريفة ، فإن(٣) له هذه المنزلة المنيعة ، وليطيعوه طاعة تُزلفهم لديه وتقربهم إليه ؛ ويحصل لهم بها رضاه عنهم وإقباله عليهم وقربهم منه . وليلزموا عنده الأدب فى الخدمة كما يجب ، وليكونوا معه فى الطاعة والموافقة على ما يحب .

وعلى ملك الأمراء سيف الدين بتقوى الله فى أحكامه ، وخشيته فى نقضه وإبرامه [وتعظيم الشرع وحكامه ، وتنفيذ قضية كل قاض على قول إمامه(٤)] وليعتمد الجلوس للإنصاف والعدل(٥) ، وأخذ حق المشروف من الأشراف ، وليقم

(١) « على قلبه ولسانه » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) « أنعم » ــ فى زبدة الفكرة .

(٣) « وأنه » ــ فى زبدة الفكرة .

(٤) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٥) « العدل والإنصاف » ــ فى زبدة الفكرة .

الحدود والقصاص على كل من وجبت عليه ، وليكُف الكَفّ العادية عن كل من يتعدى إليه ، وقد تقدم من الأمر بالآثار الجميلة فى الشام المحروس ماتشوقت إليه الأعين وتاقت إليه النفوس ، وقد ردّه الله سبحانه إليهم ردّا جميلا ، فليكن بمصالح الدولة ومصالح الرعية كفيلا ، والله تعالى يجعل له إلى الخير سبيلا ويوضح له إلى مَراضى الله ومراضينا دليلا ، بمنّه ولطفه .

الرابع من الفَرامين (١) : [فرمان] (٢) الأمير سيف الدين بكتمر السلاحدار .

بقوة الله وميامين الملة المحمدية . فرمان السلطان محمود غازان :

الحمد لله الذى أيدنا بالنصر العزيز (٣) والفتح المبين ، وأمدّنا بملائكته المقربين ، وجَعلَنا من جنده الغالبين ، نحمده على الهداية إلى سبيل المهتدين ، والإرشاد إلى إحياء الدين ، حمدا يوجب المزيد من فضله كما وعد الحامدين ، ونشهد (٤) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تُنظمنا فى سلك المخلصين ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين ، أما بعد :

فإن الله تعالى لما مَلّكنا البلاد وفوض إلينا النظر فى أمور العباد ، وجب علينا أن ننظر فى مصالحهم ، وأن نهتم بنصائحهم ، وأن نقيم عليهم نائبا يتخلق

---

(١) المقصود : الفرمانات . وانظر أيضا نسخته فى : زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢١٥ ب — ٢١٦ ب .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح يقتضيها السياق ، كما ورد فى أول الفرمان السابق .

(٣) « والعز » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٤) « وأشهد » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة ، ويتفق مع السياق .

بأخلاقنا فى كرم السجايا ، ويبلغنا الأغراض فى مصالح الرعايا ، فأعملنا الفكر فيمن نقلده الأمور ، وأمعنا(١) النظر فيمن نفوض إليه مصالح الجمهور ، واخترنا لها من يحفظ نظامها المستقيم ، ويقيم ماتأود(٢) من قوامها القويم ، يقول فيسمع مقاله ، ويفعل فتقتفى أفعاله ، يكون أمره من أمرنا ، وحكمه من حكمنا ، وطاعته من طاعتنا ، ومحبته هى الطريق إلى محبتنا ، فرأينا أن الجناب العالى الأوحدى المؤيدى العضدى النصيرى العالمى العادلى الذخرى الكفيلى [٢١٦] السيفى سيف الدين ، ملك الأمراء فى العالمين، ظهير الملوك والسلاطين بكتمر ، هو المخصوص بهذه الصفات الجميلة ، والمحتوى على هذه السمات الجليلة ، وله حرمة المهاجرة إلى أبوابنا ، ووسيلة الوصلة إلى ركابنا ، فرعينا له هذه الحرمة ، وقابلناها بهذه النعمة ، ورأينا أنه لهذا المنصب حفيظ مكين ، وخاطبنا لسان الاختيار ﴿ إن خير من استأجرت القوى الأمين ﴾(٣) ، وعلمنا أنه يبلغ الغرض من صون الرعايا ، ويقوم مقامنا بالعدل فى القضايا ، فلذلك رسمنا أن نفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الحلبية ، والحموية ، وشيزر ، وأنطاكية ، وبغراس ، وسائر الحصون ، والأعمال الفراتية ، وقلعة الروم ، وبهنسى(٤) ، وما أضيف إليها من الأعمال والثغور ، نيابة تامة عامة ، كاملة شاملة ، يؤتمر فيها بأمره ، ويزدجر فيها بزجره ، ويطاع فى أوامره ونواهيه ، ولايخرج أحد عن حكمه ولا يعصيه ، له الأمر التام والنظر العام ، وحسن التدبير وجميل التأثير ،

---

(١) « وأنعمنا » ـ فى زبدة الفكرة .

(٢) « إتآد » ـ فى زبدة الفكرة .

(٣) جزء من الآية رقم ٢٦ من سورة القصص رقم ٢٨ .

(٤) « بهسنا » ـ فى زبدة الفكرة .

والإحسان الشامل إلى أهل البلاد ، واستجلاب الولاء والوداد ، وتأمين مَن يطلب الأمان[1] ، ويتلقى مَن يترامى [إلى][2] الطاعة والخدمة بالامتنان ؛ متفقا في الاستخدام والتأمين مع ملك الأمراء والوزراء ناصر الدين ، فإن اجتماع الآراء بركة .. إلى آخره مثل ما في آخر الفرمان الثالث[3] .

ثم في آخر الكل : مؤرّخ في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وستمائة بمقام مرج .

ذكر قدوم السُلطان مصر مع أمراء دولته بعد الانهزام في الوقعة المذكورة :

لما جرى ما جرى من انهزام الجيش السلطاني وصل السلطان الناصر إلى القاهرة وصحبته الأمير سيف الدين سلاّر ، والأمير ركن الدين الأستادار ، والأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار ، ومن يلوذ بهم ، وطلعوا القلعة في العشر الأخير من ربيع الآخر[4] .

وقال صاحب النزهة : وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء بكرة النهار الثاني عشر من ربيع الآخر ، وكان المصاف الكائن بينهم يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ربيع الأول بين الصلوتين ، وتواردت بعده الأمراء المتأخرون والأجناد

(١) « الأمن » في الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٣) انظر ما سبق ص ٦٠ — ٦١ .

(٤) « الأول » في الأصل ، وهو تحريف . وقد ورد : « قدم إلى قلعة الجبل يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الآخر » — السلوك جـ ١ ص ٨٩٦ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢٨ ، وانظر ما يلي .

المنقطمون، وآخر من حضر كان أمير سلاح والطباخى وتغريل الأيغانى ، وهم الذين كانوا سافروا على الساحل وحموا العسكر ، وحملوا من وجدوه من المنقطعين ، ووقع عند وصولهم فى قلوب الخلق توجع كثير وأسف وبكاء ، وأقاموا المأتم على من فُقد ، وأقاموا أياما فى الحزن والنياح على من فقد من الأمراء إلى أن منعوا من جهة السلطنة .

وقال بيبرس فى تاريخه : وصل الأمير سيف الدين بلبان السلحدار المنصورى المعروف بالطباخى نائب السلطنة بالمملكة الحلبية وصحبته العسكر الحلبى ، وكان عبورهم على جانب الساحل من جهة طرابلس ، وصادفوا(١) المضيق ، وقاسوا مشقة عظيمة من وعر الطريق ، وخرج عليهم الجبلية ونهبوا منهم جماعة وقتلوا جماعة ، ووصل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب السلطنة بالشام(٢) [٢١٧] ومعه العسكر الدمشقى ، والأمير سيف الدين كراى المنصورى نائب السلطنة بصفد وصحبته العسكر الصفدى ، وحضر بعدهم الأمير زين الدين كتبغا المنصورى من صرخد ، وعبر فى طريقه بالكرك وترك بها عائلته وأولاده ، وأقبلت العساكر السلطانية واجتمعوا بالقاهرة(٣) .

وقال صاحب النزهة : الأمير زين الدين كتبغا هذا قد كان تولى السلطنة وتلقب بالملك العادل كما تقدم ذكره ، ثم لما خلعوه ولوه نيابة صرخد(٤) ، فلما

---

(١) « فصادفوا » ــ فى زبدة الفكرة .

(٢) « بالشام المحروس » ــ فى زبدة الفكرة .

(٣) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢١٧ أ ، ب .

(٤) انظر الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٣١٢ وما بعدها ، ص ٣٥٠ وما بعدها .

دخل العدو البلاد ووصل السلطان الناصر والأمراء إلى دمشق تكلموا فى أمر حضوره، فلم يعجب الأمراء حضوره وسيروا إليه، فطلبوا مماليكه وعرفوه أنهم أعفوه من الحضور ليحفظ قلعته، فسير إليهم جماعة من مماليكه، لحضروا المصاف، فلما اتفق ما اتفق، نزل من صرخد وسافر على البريد إلى مصر، وكان يجلس مع الأمير سيف الدين سلار والأمير ركن الدين بيبرس ويأخذ الموملة ويرمل على العلامات التى يكتبها نائب السلطان، فكان سلار يسأله أن يعفيه من ذلك، وكان كتبغا يحلف أنه لابد أن يفعله، فكانت الناس إذا رأوا ذلك يتعجبون من صنع الله تعالى وعظمة قدرته أن سلار وغيره من الأمراء الكبار وأصحاب الوظائف كانوا فى خدمة كتبغا وهو سلطان يتخدمون له ويتضرعون إليه فى الأمور، ثم قلب الله ذلك حتى صار كتبغا فى خدمة سلار الذى هو أمير وليس بسلطان، ويرمل على ما يكتبه من العلامات، ويسأله فى أشغال كثيرة سؤال مملوك مخدومه، وهذا من غرائب الزمان وعجائب الدهر، فسبحان المعز والمذل.

ومن العجائب أن كتبغا هذا عرضوا عليه جوشنا (١) فى أيام دولته وقد أعطى فيه بيبرس الجاشنكير أربعة آلاف درهم، فلما رآه كتبغا قال للدلال: كم جاب هذا الجوشن؟ قال: ياخوند أربعة آلاف درهم على بيبرس الجاشنكير. قال: وهذا يصلح لذاك الخرباطي؟ فأخذه ووزن ثمنه، ومرت الأيام إلى أن اتفق لكتبغا ما اتفق ونفى إلى الشام ووقعت الحوطة على جميع حواصله، ووجد ذلك الجوشن فى حاصله، فأخذه لاجين، ثم انتقل بالعطاء من يد إلى يد حتى وقع فى يد بيبرس فعرفه وأخذه، وجعله فى حاصله إلى أن اتفق حضور كتبغا بعد

(١) جوشن — جواشن: لفظ فارسى، وهو درع يتكون من حلقات يتداخل فيها صفائح رقيقة من التنك — صبح الأعشى جـ ٢ ص ١٧٣ .

هـذه الوقعة ، ولما اجتمع بالأمراء أراد بيبرس يُنكى كتبغا ، فأرسل من يحضر بالجوشن المذكور ، فلما حضر به قام بيبرس ولبسه ، والأمراء كلهم حاضرون وكتبغا فيهم ، ثم نظر بيبرس إلى كتبغا وقال : يا أمير إشْ تقول؟ يصلح لى هذا الجوشن فألبسه أم لا ؟ فنظر إليـه كتبغا ولم يعلم ما فى نفس بيبرس مماقصده من إنكائه . فقال : والله يا أمير هذا كأنه قد فُصّل لك ، ولولبسه غيرُك ما لاق به ، فنظر بيبرس إلى الأمراء وتغامزوا ، وعلم كل منهم ما قصده بيبرس فيما فعله ، وهذا الذى اتفق لكتبغا لم يسْمع فى دولة من الدول ، فسبحان الفعال لما يريد.(١)

ذكر مادبّر السلطان وأمراء دولته بعد قدومهم :

[٢١٨] ولمـا اسـتقر ركاب السلطان فى القـاهرة أمر للأمراء فى أخذ الأهبة والتجهيز وتحصيل أصناف السلاح ، فشرعوا فى ذلك ولم يدعوا صانعا إلا وأحضروه ، وأمروا للوزير بجمع الأموال من سائر الجهات لأجل النفقات ، وكان من أجلّ من قام فى أمر النفقة الأمير سيف الدين سلار ، والأمـير سيف الدين بكتمر أمير جندار .

قال صاحب النزهة : حكى لى بعض مماليك بكتمر فقال : خرجت أنا والأمير ومعنا من مماليكه ستة أنفس من المصافّ يوم الهزيمة ، وإذا أنا بشخص جندى اعترضَنا وبيده رمح ، وقال للأمير : إلى أين يامن يأكل ثلث ديار مصر ، أما تستحى من الله وأنت هارب؟ قال : فالتفت إليه الأمير فقال : ويلك أنا وحدى إشْ أقدر أعمل ؟ فتقدم أغير أنا وأنت . فقال : لأى شيء عملت لى لما قبضت ربع خبزك، فقال : أنا وأنت نأكل، وأنت تأكل ثلث إقطاعات مصر وأنا آكل

(١) انظر السلوك جـ ١ ص ٨٩٦ — ٨٩٧ .

خمسة آلاف درهـم ، فالآن تقول : تقدم للحرب ، فأعرض عنه وتولى راجعا وهـو يقول : لابيّض الله لك وجها ولالخشداشيتك . قال المملوك المخبر لهـذا : قصدت أن أرجع إليـه أنا و بعض رفقتى فنقتله على إساءته الأدب على الأمير ، فمنعنا الأمير وقال: خلّوه فإنه معذور والله لقد قلت للأمير سلار عدة مرات انظر فى حال الأجناد ، فما قبل كلامى .

قال صاحب النزهة : ثم حكى سيف الدين الطُشلاقى خشداش سلار قال: كنت مع سلار وخرجنا من المصاف وقد جرح فرسى وجرح لسلار فرسا تحته ، ولما انهـزمنا سُقنا إلى أن وصلنا دبُوسية فوق حمص فى الليل ، وكان أمامنا جماعة من الجند يتحدثون وفيهم واحد يقول لرفيقه : كيف كان خروجك و إش جرى لك ؟ فقال : والله كنت أنا وفلان وفلان وسمى جماعةً دخلنا فى ضياع من ضياع حمص ووجدنا فيها جماعة يشترون شعيرا وكنا نحن ستة نفر، قد كُنّا تحالفنا أن لا نحضر المصّاف لأجل ما جرى علينا من أولئك الفَعلة الترك بيبرس وسلار والبُرجيّـة ، وذلك أنهـم لا يذكرون الأجناد إلا بالسبّ والشتيمة ويقـولون : والله ماهم إلا مُسخرة ، ولقـد كتبنا قصة فى غزّة وأعطيناها لهـم وقلنا : إنا قد خرجنا بـلا نفقة متكلين على نفقة السـلطان ، وما معنا شىء ننفق ، وألحفنا فى الطلب ، فكان جوابهم لنا : والله أنتم ماتنفقون شيئا سواء تأخذون النفقة أو لا تأخذونها ، ما عندنا شئ نعطيكم حـتى نصير فى دمشق ، فلما حصلت النفقة فى دمشق ألزمنا أنفسنا أن لانحضر المصاف لأجل ما حصل لنا من الغبن ، وهؤلاء يأكلون مصر كلها وقد تقاسموها ونحن كل واحد ما يصل خبزه ألفى درهـم ، ومع هذا ضاقت أعينهم علينا ، وهذا الذى جرى عليهم بسبب [٢١٩] الأجناد،

فإن نياتهـم للأجناد كانت سيئة ، فقاتلهم الله تعالى وأحوجهم إليهـم ، وكان سلار يسمع ذلك ويبكى ويقول : لاحول ولا قوة إلا بالله ، وقعنا والله فى ألسنة الناس ، هم معذورون . قال : وبقيت أُشاغله حتى لا يسمع ما يقولونه ، وهو لا يريد إلا سماع كلامهم ، فيسمع ويتوجع لهم .

ذكر تصدّيهم للنفقات على العسكر :

لما اجتمع الأمراء للمشاورة لأجل النفقة كان أول من تكلم فيها الأمير سلار والأمير بكتمر الجوكندار ، وشرعوا فى طلب الخيل التى فى الدشار جميعها من البغال والأكاديش(١) ، وكتب لسائر الأقاليم بطلب العربان المستجيرة ، وأخذ الخيل من عرب الصعيد والولاة ، وفى طلب السيوف والرماح وغير ذلك من آلات الحرب ، وسفروا البريدية لذلك .

وتحسنت أسعار الدواب ، فالفرس الذى كان يُساوى ثلاثمائة درهم بيع بألف . كذلك الجمال والبغال والهجن ، واشترت الأجناد الخيل حتى من الطواحين ، كذلك تحسنت أسعار سائر أصناف السلاح ، والقرقل الذى كان يساوى مائة درهم بيع بسبعمائة ، والبركستوان التى كانت تساوى مائتى درهم بيعت بألف ، والجوشن الذى كان بخمسين بيع بمائتين وثلاثمائة ، والخوذة التى كانت تساوى خمسين بيعت بمائتين وثلاثمائة وما توجد إلا نادرا ، وتحسن أسعار سائر أصناف آلات الحرب ، وأمروا أن يُضاف إلى كل واحد

(١) الكديش — أكاديش : هو البرذون — البراذين : من أصناف الخيل التى تطلب الصبر على السير وسرعة المشى — انظر صبح الأعشى جـ ٢ ص ١٤ ، الخيل ورياضتها ص ٣٥ .

من الأمراء المقدمين الألوف عشرة من البطالين يقيم بهـم طول السفر ، ولكل واحد من أمراء الطبلخاناة خمسـة أنفس ، ولأمير العشرة شخصان ، واستخدم الأمراء الذين لهم مقدرة جماعة برسم الغزاة فى سبيل الله احتسابا ، وكذلك كثير من الأغنياء ، حتى استخدمت جماعة من نساء الأمراء اللائى فيهن الخير .

ثم إن السلطان فتح بيوت الأموال والذخائر وأنفق فى الجيش نفقة ما سمع مثلها ، فجعل الحلقة[1] ثلاثة أقسام : -

القسم الأول : أعطى لكل واحد منهم ثمانين دينارا .

والقسم الثانى : لكل واحد منهم خمسة وسبعين دينارا .

والقسم الثالث : لكل واحد منهم خمسة وستين دينارا .

وأعطى لكل واحد من أجناد الشام خمسة عشر إردبا من القمح والشعير والفول ، وأعطى لأجناد الأمراء لكل واحد منهم خمسين دينارا .

قال بيبرس فى تاريخه : هـذه النفقات حين أقبلت العساكر السلطانية واجتمعوا بالقاهرة فرقت عليهم ، فأزالوا شعثهم ، وجددوا عُدَدهم ، ورخصت قيمة الذهب حتى بلغ الدينار إلى سبعة عشر درهما[2] ، وقلت الدراهم حتى طاف الجند بالدنانير فلم يجدوا من يشتريها ، وارتفعت أسعار العدد وآلات السلاح ، وأثمان الخيل والبغال والجمال ، ولم تمض على العساكر إلا أيام يسيرة حتى عادوا إلى أحسن صورة[3] .

(١) المقصود : جند الحلقة .

(٢) « بعد خمسة وعشرين درهما ونصف » — فى السلوك جـ ١ ص ٨٩٩ .

(٣) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢١٧ ب .

وقال صاحب نظم الجمان : ثم أنفق السلطان نفقة ثانيـة لكل جندى اثنى عشر دينارا ، وهـذه النفقة حين خروج السلطان والعساكر إلى الشام بعد مجيئه إلى القاهرة بعد الانهزام على ما نذكره عن قريب إن شاء الله .

قال صاحب النزهة : وكان قد قدم إلى القاهرة خلق كثير من سائر البلاد – عقيب انهزام [٢٢٠] السلطان – من الحلبيين والحمويين والدماشقة والحمصيين ومن أهـل السواحل من الأجناس المختلفة حتى ضاقت بهـم القاهرة ومصر ، وسكنوا القرافة وجامع [ابن](١) طولون والحُسينية ، وكان من ألطاف الله تعالى على خلقه أنه رَخّص أسعار سائر الحبوب والمأكول ، فكان الأردب من القمح قبل أن يسافر السلطان بستة عشر درهما إلى ثمـانية عشر ، والأردب من الشعير بعشرة ، والأردب من الفول بثمـانية ، ثم لمـا دخلت العساكر وفتـح الأمراء والأجناد الشون باعوا الأردب من القمح بخمسة عشر وأربعة عشر وثلاثة عشر ، وباعوا الأردب من الشـعير بعشرة وتسعة وثمـانية ، وباعوا الأردب من الفول بسبعة وثمانية ، ولم تتحسن إلا أسعار آلات الحرب من أصناف السـلاح وأسعار الدواب .

وقال صاحب الـنزهة أيضا : وكانت الأمراء اجتمعوا عنـد السلطان قبل النفقة وتشاوروا أن يؤخذ من سائر التجار والسُّوقة وسائر مَن يتسبب(٢) بمصر والقاهرة عن كل رأس دينار ، وطلبوا مجد الدين [عيسى](٣) بن الخشاب نائب الحسبة وقالوا

(١) [ ] إضافة تتفق والسياق .

(٢) يتسبب ، يرتزق . والمقصود ، له عمل يرتزق منه أو يتعيش بسببه .

(٣) [ ] إضافة للتوضيح من السلوك جـ ١ ص ٨٩٧ .

وهو : عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن ، مجد الدين أبو الروح ، ابن الخشاب ، المتوفى سنة ٧١١ هـ / ١٣١١ م — الدرر جـ ٣ ص ٢٨٥ رقم ٣١٢١ .

له : انزل وتحدث مع القضاة في ذلك وخذ لنا الفتوى منهم . فقال لهم مجد الدين : إن عندي فتوى بخط الشيخ عز الدين بن عبد السلام (١) ، لما خرج الملك المظفر قطز (٢) إلى ملتقى نائب هلاون وهو كتبغا نوين لما سيره إلى أخذ مصر ، فتلاقى معه على عين جالوت كما ذكرناه مفصلاً (٣) ، وأنه لما لم يجد من المال ما يكفي نفقة العساكر وقصدوا أخذ المال من العامة استفتوا الشيخ عز الدين في هذا فأفتى لهم بأخذ دينار من كل أحد ، وهذه الفتوى عندي ، فأحضرها عندهم وقال له الأمير سلار : اكتب صورة الاستفتاء وانزل بها إلى الشيخ تقي الدين [محمد بن دقيق العيد (٤)] قاضي القضاة حتى يكتب عليها بخطه ، فكتب مجد الدين صورة الاستفتاء ونزل بها إلى قاضي القضاة ومعه شخص من الحجاب ، وتحدثوا مع الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وناولوه صورة الاستفتاء ، فأخذها وتأمل ما فيها ، ثم هز رأسه وقال يا فقيه : ما القصد في ذلك ؟ فقال : يا سيدي القصد أن تكتب على هذا لتُطيِّب خواطر الناس بالعطاء . قال : فرماها من يده وقال : لا حاجة للفتوى ، وما ثم مانع إذا أرادَ وُلاة الأمر بشيء قبل الناس ، فخرج المحتسب والحاجب من عنده على هذا ، وجاءوا إلى الأمراء وعرّفوهم

(١) هو : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ، شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي ، توفي سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م — المنهل الصافي .

(٢) هو : قطز بن عبد الله المعزي ، السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز ، توفي سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م — المنهل الصافي .

(٣) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٢٤٣ وما بعدها .

(٤) [ ] إضافة للتوضيح من السلوك جـ ١ ص ٨٩٨ .

وهو : محمد بن علي بن وهب القشيري ، قاضي القضاة تقي الدين ، الشهير بابن دقيق العيد الشافعي ، المتوفى سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م — انظر ما يلي في وفيات ٧٠٢ هـ .

بذلك ، فقال الأمير سلار : ما بقى يمكن الكلام فيما قصدناه دون أن نجتمع بالقاضى ونعرفه بالأمر ونسأله هل هذا جائز أم لا ؟ فإذا امتنع أخرجنا له فتوى الشيخ عز الدين بن عبد السلام . ففى بكرة النهار إنزلوا إليه ، وسلموا عليه واسألوه(١) الاجتماع بنا لالتماس بركته ، فلما أصبحوا نزلوا إليه و بلّغوه الرسالة ، فقام وركب وجاء عند الأمراء ، والكل حاضرون عند الأمير سلار ، فلما رأوه قاموا كلهم وتلقوه من أسفل الإيوان ، وأخذ السلار بيمينه والأمير بيبرس بشماله إلى أن أجلساه بينهما ، وبقية الأمراء جلسوا بين يديه ، وتأنّسُوا به حتى فتحوا له باب النفقات [٢٢١] وقلة الحواصل فى بيت المال و بينوا له الضرورات ، ثم ذكروا له أمر الفتوى . فقال الشيخ : أيها الأمراء ما المانع لما تفعلوه إذا رسمتم بشىء ولا ثمة أحد يُخالف . وقال الأمير سلار : يا سيدى نريد أن يكون معنا فتوى حتى لانقع فى أمر غير جائز ، فيحصل علينا الإثم . فقال الشيخ : أما الفتوى فما يمكن أن أكتبها فى مثل هذا . فقال له مجد الدين ابن الخشاب المحتسب : يا سيدى هذا خط الشيخ عز الدين بن عبد السلام كتبها فى أيام الملك مظفر قطز ، فنظر إليه وتبسم وقال : يافقيه تعرف كيف أفتى الشيخ عز الدين فى ذلك الوقت ؟ قال : لا . فقال لما سألوه الفتوى ، قال لهم : إن الفتوى فى هذا لها شروط إن فعلتموها صَحّت الفتوى . فقالوا : ما هى ؟ فقال : أن يتقدم كل أمير منكم و يحلف بالله أنه لايملك فضة ولا ذهبا ولا لزوجته وأولاده مصاغ ولاغيره ، فلما سمعوا هذا من الشيخ قام كل منهم وأحضر من موجوده وموجود أهله من حُلِىّ وغيره ، ثم حلف كل واحد منهم أنه

---

(١) « وسلوه » فى الأصل .

لا يملك شيئا غير ذلك ، فعند ذلك كتب لهم هذه الفتوى ، ويا فقيه أما أنا فإنه يبلغني أن كل أمير يجهز بنته بأنواع اللؤلؤ والفصوص، ويعمل بكالى فضة لبيت الماء[1] ، وقباقيب مكللة بأصناف الجواهر[2] ، وتريد منى أن أكتب فتوى على ما لا يحل ، ثم قام ناهضا وخرج ، وقد ألجم كل واحد منهم عن الجواب .

وكان الشيخ قصد بهذا تسميع الأمير سلار حيث جهز بنته لما زوجها من أمير موسى ابن أستاذه الملك الصالح، والأمير بيبرس حيث جهز بنته لما زوجها من بُرلغى قريب السلطان ، وكان كل منهما قد جهز بنته بما لا يوصف ولا يضبط .

ولما انقضى الأمر على هذا الوجه وعلموا مقصود الشيخ اقتضى رأيهم أن ناصر الدين الشيخى متولى القاهرة ينزل ويستعلم حال التجار وأرباب الأموال وينظر فى أمرهم ، ويأخذ من كل واحد منهم مقدار ما يطيقه على قدر حاله ، ثم بعد أيام قال ناصر الدين المذكور للأمراء : نحن نجبي من المدينة ونواحيها ، ونُسير إلى وُلاة الأقاليم كل إقليم يرتب عليه شيء ونسميه مقرّر الخيالة ، فقالت الأمراء : هذا فيه شنعة كبيرة ، وفيه شطط وعُنف ، والمصلحة أن يكون المقرر على كل أردب غلة خرّوبة[3] ، وفى القماش والسلع يؤخذ نصف السمسرة،

(١) « ويعمل الإناء الذى يستنجى منه فى الخلاء من فضة » — السلوك ج ١ ص ٨٩٨ .

(٢) « ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر » — السلوك ج ١ ص ٨٩٨ .

(٣) « من كل أردب يباع من الغلال خروبة تؤخذ من المشترى » — السلوك ج ١ ص ٨٩٩ .
خروبة — خراريب : قطعة صغيرة من النقود النحاسية ، قيمتها عشر درهم — السلوك ج ١ ص ٨٩٩ هامش (١) .

ومعنى ذلك أن المنادى إذا باع قطعة قماش أو غيرها فإن له فيها درهمين فيكون الدرهم من ذلك باسم السلطان والدرهم الآخر للمنادى، والأردب إذا طلع للطحان يكون عليه خروبة ، ومهما تحصل من هاتين الجهتين يستخدم به البطالون ، فتقرر ذلك على هذا الوجه واستخدم به نحو مائتى نفر ، ثم بعد ذلك شرعوا فى طلب التجار من القياسر والدكاكين، واعتبر حال كل واحد منهم من قدرته وسعة ماله ، فمنهم من حمل مائتى دينار، ومنهم من حمل مائة وخمسين وأربعين وثلاثين وعشرين وعشرة ، واقترضوا أيضا من التجار الكبار مما يأتى عليهم من الحقوق التى كانت توجد منهم ، فانجمع من ذلك أموال عظيمة وصار يُحمل أولا فأولا إلى أن جُمعت فى بيت المال ، ثم بعد ذلك شرعوا فى النفقات .

ذكر خروج السلطان إلى الصالحية :

قال بيبرس فى تاريخه : وفى العشر الأوائل[1] من شهر رجب من هذه السنة تجهز السلطان ، والأمير سيف الدين سلار ، والأمير ركن الدين [٢٢٢] الأستاذ الدار ، وخرجوا بالعساكر الإسلامية ، ولما وصلوا إلى الصالحية أقام السلطان بها وتوجه الأميران بالعساكر لتدبير البلاد وإصلاح ما استحكم بها من الفساد ، واستصحبوا نُواب الممالك الشامية وعساكر البلاد الإسلامية ليُرتبوا كلا منهم فى مكانه ويعمروا كل بلد شغر من سكانه ، وينظروا فى المصالح التى يجب النظر فيها ، ويتلافوا الأحوال التى ينبغى تلافيها ، ورحلوا فى الثانى والعشرين من رجب الفرد، فلما وصلوا إلى منزلة سكرير[2] راسلوا الأمير سيف الدين

(١) « الأول » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) سكرير : منزلة بين غزة وعسقلان — السلوك جـ ١ ص ٩٠٠ .

قفجق والأمير سيف الدين بكتمر السلحدار والأمير فارس الدين ألبكى فى الحضور إلى الخدمة والطاعة ، والانتظام فى سلك الجماعة وتوثقوا منهم وحضروا إليهم بمنزلة سُكرير ، فأرسل الأمراء الأمير بدر الدين [بكتوت](١) الجوكندار المعروف بالفتاح على خيل البريد إلى الدهليز المنصور مخبرا بمهاجرتهم وحُسْن إنابتهم ، فابتهجت بذلك الخواطر وضربت البشائر(٢) .

وفى العاشر من شعبان : وصلوا إلى الوطاق ، فركب السلطان لتلقيهم ، وبالغ فى إكرامهم والإحسان إليهم ، ورحل عائدا إلى القلعة ، فوصلها رابع عشره ، وأسكنهم فى القلعة ، وأجرى عليهم الإقامات ، ووصلهم بأجزل الصلات(٣) .

وأما الأميران سيف الدين سلار وركن الدين أستاذ الدار فإنهما دخلا دمشق ، ورتبا أحوالها ، وسدّا اختلالها ، وأقرا الأمير جمال الدين أقوش الأفرم فى وظيفته على قاعدته ، وفوضا إلى الأمير زين الدين كتبغا نيابة السلطنة بحماة ، وأولياه إحسانا ، ورتبا الأمير سيف الدين قطلوبك بطرابلس والفتوحات والسواحل ، عوضا عن الأمير سيف الدين كُرت(٤) المستشهد فى الوقعة ، وأرسلا الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكندار إلى حلب ليباشر النيابة بها بحكم إعفاء الأمير سيف الدين بلبان الطباخى منها ، وأعادا كل قوم إلى وظيفتهم ،

(١) [ ] إضافة للتوضيح من زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢١٨ أ ، ب .

(٣) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢١٨ ب .

(٤) « كرد » فى زبدة الفكرة .

[وطيبا خواطر نواب الحصون ، وأحسنا إلى من اعتمد المناصحة منهم][(١)] ، ثم عادا إلى الديار المصرية ، فوصلا فى العشر الأول من شوال . وعند وصولهما عينا للأمير سيف الدين قفجق نيابة الشوبك ، وللأمير سيف الدين بكتمر السلحدار إمرة بالديار المصرية وتقدمة ألف فارس من العساكر الإسلامية . وللأمير فارس الدين ألبكى طبلخاناة بدمشق[(٢)] ، واستقر الأمير سيف الدين بلبان الطباخى بالديار المصرية بخبز الأمير سيف الدين كرتيه المتوفى إلى رحمة الله .

وقال صاحب النزهة : ولما تكامل أمر النفقة نودى فى الجند بالخروج ، وأى من تخلف شنق ، وكان قد حصل للجند تعب كثير بسبب نقص الذهب ، فإن النفقات كلها كانت ذهبا ، وكان صرف الدينار بخمسة وعشرين ونصفا ، فتناقص إلى أن أصرفوا الدينار بستة عشر حتى قام نائب السلطان فى ذلك وطلب الوالى وأمره أن ينزل إلى الصيارف ويلزمهم بإخراج الدراهم وصرف كل دينار بعشرين ، فنزل الوالى وهو ناصر الدين الشيخى [٢٢٣] وفعل ما أمره به حتى استقرت الأحوال .

ثم خرج السلطان والأمراء من مصر فى العشر الأول من رجب من هذه السنة ، فكان بين دخوله مصر وإقامته وبين خروجه ثانى مرة شهرين وثمانية وعشرين يوما ، فإنه دخل فى الثانى عشر من ربيع الآخر وخرج فى العشر الأول من رجب .

ولما دخل السلطان الصالحية وردت كتب قفجق وبكتمر السلحدار وألبكى بخروج التتار من دمشق وسائر الأماكن ، وأنهم قاصدون الديار المصرية لخدمة

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢١٨ ب ، ٢١٩ أ .

السلطان و يستعيذون مما صدر عنهم مما قدّره الله عليهم . فلما وقعت الأمراء على ذلك اقتضى رأيهم أن يقيم السلطان على الصالحية إلى أن يشبع الصيد والتفرج ، ثم إن شاء يدخل مصر و إن شاء يقيم هناك ، وأن الأمراء يرحلون و يلاقون الأمراء الذين يحضرون ، ثم رحلوا طالبين دمشق ، فلما وصلوا إلى أرض عسقلان لاقوا قفجق ومن معه بين غزة وعسقلان . فلما تلاقوا ترجلوا كلهم وتعانقوا وتباكوا ، ولم يزالوا حتى دخلوا دمشق ، وكان يوم دخولهم نهارا عظيما وكان فى مستهل شعبان ، وخرجت(١) سائر أهل دمشق ولاقوهم ، وكان يوما مشهودا ، ثم كتبوا كتبا لسائر النواب وأهل القلاع ، وسيّروا بين يديه لسائر نواحى الشام وطرابلس وحماة وحمص وحلب ، وللقلاع التى فى بلاد حلب نحو كختا وكركر وبهسنى وعينتاب وسائر النواحى ، وجلبت أهل الضياع الخيرات من سائر النواحى ، وجلب التركمان الأغنام ، وكان سعر الغلة قد تحسن فوصلت الغرارة من القمح إلى ثلاثمائة ، ثم انحط قليلا قليلا إلى أن بقيت الغرارة بمائة وخمسين ، وكان الرطل من اللحم بدرهمين(٢) ، وكثر الجلب ، وطابت قلوبهم ، ووقفت الدماشقة للأمراء واستغاثوا من جماعة منهم وافقوا المغل فى أخذ أموال الناس والأذى ، وكانوا يدخلون معهم بيوت السعداء والأكابر من أهل دمشق و يأخذون أموال لهم ويعاقبونهم ، فرسم الأمراء لوالى المدينة ووالى البر أن يحصّلاهم وكانوا قد أخفوا أنفسهم ، فأخرجوهم من المواضع التى اختفوا فيها ، فلما أحضروهم أمروا بإشهارهم فكان منهم الشريف القمى ، فرسم بتسميره

---

(١) هكذا بالأصل .

(٢) « وأبيع لحم الضأن بدرهمين الرطل الدمشقى » — السلوك ج ١ ص ٩٠١ ؟

وتسمير ابن العوف ، وكانا بَردَدارية[1] ، ومنهم ابن خطليجا شُنق وكان كاتب خطبه الولاية ، وإبراهيم مؤذن بيت لُهيا ، ومنهم كجكن والحاج مندوه سُمّرا ، وقطع لسان ابن ظاعن ، ثم يده ورجله ، وقطع يد الشجاع همام ، ثم كحل وتوفى فى ليلته ، وقطعت أيدى جماعة وأرجلهم ، وكحلت جماعة من المستصنعية بدار الولاية ، ومن الحرافيش الذين عرفتهم الدماشقة وكانوا يؤذون الناس مع المغل ويأخذون أموالهم ، ثم طلب الأمير سيف الدين أرجواش نائب القلعة وخلع عليه خلعة سنية ، ورسم له بعشرة آلاف درهم إنعاما عليه ، ثم عادوا طالبين مصر ، فوصلوا إليها فى العشرين من شوال ، وركب السلطان إلى ملاقاتهم ، وصحبته الأمير سيف الدين قفجق [٢٢٤] وبكتمر السلحدار وفارس الدين البكى .

ذكر ما تجدد فى الشام من الحوادث :

بتاريخ يوم الخميس النصف من شعبان أعيد القاضى بدر الدين بن جماعة إلى قضاء قضاة دمشق مع الخطابة بعد إمام الدين القزوينى ، ولبس الخلعة ، ولبس معه فى هذا اليوم أمين الدين العجمى خلعة الحسبة .

وفى الحادى والعشرين من شعبان : تولى قضاء الحنفية شمس الدين بن الصفى ، عوضا عن حسام الدين الرازى الذى فقد يوم المعركة ، وباشر تاج الدين ابن الشيرازى نظر الدواوين .

(١) البردادار : هو الذى يكون فى خدمة مباشرى الديوان — انظر صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٦٨ ، ٤٩٦ .

وفيها : ألزموا النـاس بتعليق الأسلحة على الدكاكين ، وعملوا لكل سوق مقـدما .

وفيها : طُلب المقـدمون من قَيْس ويمن ، وطلب منهم جميع ما اعتمده العربان من أصحابهم من الفساد وأخذ أموال الأجناد .

واتفق نائب طرابلس مع نائب حماة أن يركب كل منهما بعسكره إلى جبل كسروان ، ثم رسم بتجهيز عسكر الشام وعسكر صفد أيضا مع هؤلاء ، فاجتمعت العساكر وجاءوا إلى جبل كسروان ووجدوا أهله كلهم مستعدين للقتال ، وكان هذا الجبل حصينا قويا لايمكن صعود الفرس إليه إلا بعد مشقة كبيرة مع عدم مانع منه ، والراجل أيضا لايمكن صعوده إلا إذا كان مُخـفا ، وكان أهـله من أعظم غلاة الروافض والزنادقة ، وحصل لهم فى هذه السنة من الأموال من جهة العسكر لما انهزموا مالم يحصل لأحد قبلهم ، فإنهم كانوا يأخذون الأمير بطلبه عندما يتوسط الجبل قبضا باليد ، ولم يكن أحد يقدر أن يمانع عن نفسه ، فإذا تعسر عليهم أحد منهم أرموا عليه حجرا يقتـله أو يهشمه ، وذكر أنهم كانوا فى هـذا الجبـل نحو اثنى عشر ألف رجل كلهـم يرمون بقسى قوية ، ولما نزلت الأمراء عليهم رتبوا أمرهـم ، وأصبحوا فى الزحف إليهم من كل جانب ، ولم يقدروا على الثبات معهـم إلى الظهر حتى رجعـوا وتأخروا وخرجت من العسكر جماعة كثيرة ، فلما عادوا إلى الوطاق استشاروا فيما بينهـم ، وقالوا القتال معهم صعب ، والرجوع عنهم أصعب ، ثم اتفقوا أن يكون الأمير سيف الدين أسندمر (١)

(١) هو : أسندمر بن عبـد الله الكرجى ، الأمير سـيف الدين ، المتوفى سـنة ٧١١ هـ / ١٣١١ م ــ المنهل الصافى جـ ٢ ص ٤٤٣ رقم ٤٦٥ .

نائب طرابلس بعسكره ومضافيه من ناحيـة من الجبل ، وأن يكون الأمير زين الدين كتبغا نائب حماة ونائب حمص معه من ناحيـة أخرى ، وأن يكون سيف الدين بهادر آص[1] ، وبكتمر من ناحية أخرى ، وأن يكون الأمير سيف الدين قطلوبك — الذى كان نائب طرابلس وعزل — من ناحية أخرى ، وأن يكون نائب الشام من ناحية أخرى ، واتفقوا أن تكون المواظبة على الزحف ستة أيام . وأهل الجبل أيضا قد تعرفوا على نواحى الجبـل وجعلوا جانبا من الجبـل للنساء والصبيان يرمون الأحجار .

ولمـا ركبوا فى ذلك اليوم وزحفوا ترجل الأمير أسندمر الكرجى ، ثم أرسل إلى الأمراء وأخبرهم أنه ترجل وليترجل الأمراء أيضا ، فترجلوا كلهم فى ذلك اليوم ، وكان أول من صعد قدام العسكر أسندمر المذكور وكان شجاعا مقداما ، ولمـا رأى أهـل الجبل هـؤلاء قد ترجلوا وقع فى قلوبهم الرعب حتى ذكر عن [٢٢٥] بعضهم أنه قال : كنت أرمى على قوس أربعـين رطلا بالدمشقى ، وفى هـذا اليوم لحقتنى رعدة فى يدى ولم أقدر على الرمى ، فأوقـع الله فيهم الذلة والرعب وانهزموا ، وقتلوا منهم جماعة كثـيرة ، فلما رأوا ذلك أرموا أسلحتهم وطلبوا الأمان ، فكفوا عنهـم القتل وأسروا منهـم جماعة كثيرة ثم حضرت مشايخ الجبل وأكابرهم والتزموا أن يحضروا جميع ما أخذوه من العسكر ولا يخلون عندهم شيئا يساوى درهما ولا يخفونه ، فرضى العسكر بذلك ، وأقاموا هناك إلى أن أحضروا جميع ما أخذوه من القماش والسلاح والعـدد من السيوف والرماح والقرقلات وغير ذلك ، ثم حلفوهم على اعتقادهم أنهـم لا يخفون شيئا ، وبعد

(١) هو : بهادر بن عبد الله ، الأمير الكبـير سيف الدين ، المعروف بآص ، والمتوفى سـنة ٧٣٠ هـ / ١٣١٩ م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ٤٢٨ رقم ٧٥٤ .

ذلك قرروا عليهم مائتى ألف درهم ، وأخذوا جماعة من مشايخهم وأكابرهم رهائن وأصحبوهم[1] معهم الى دمشق الى أن يحضروا بالمال الذى قرر عليهم ، ثم كتبوا للسلطان والأمراء بذلك .

ذكر الحرب الذى وقع بين الملك طقطا وبين نوغيه وأولاده ، ومقتل نوغيه[2] :

وفيها عزم الملك طقطا بن منكوتمر على حرب نوغيه للأخذ بثاره وإطفاء جمرة ناره . واتفق أن جماعة من أمراء نوغيه الذين كان يعتمد عليهم ويعتمدون عليه فارقوه وانحازوا إلى طقطا ، فقويت بهم عزيمته واشتدت بهم شكيمته وهم : مَاجى وسُدُن ، وأُتراج ، واقبغا ، وطَيْطا ، ومعهم ثلاثون ألف فارس ، فعزم على المسير إليهم واتصل بهم أنه هاجم عليهم : وأنه قد جمع لهم من العساكر أمدادا ، واستصحب من الجيوش أمدادا ،وكان قد صحبته من الخانات ومُقدَّمى التمانات : مُرتد طقطا ، ومَنجك ، وجهركس ، وينجى ، وصَاجُوداى ، وبيلق ، وتلك تمر ، وأقبغا ، والطنبغا ، وقبجماز ، وإخوة الملك وهم : بُرْلُك ، وصراى بغا ، وتدان ، والأمراء الذين انحازوا إليه من عسكر نوغيه : وقد ذكرناهم ، وركب نوغيه وأولاده وهم : جكا ، وتكا ، وطراى وأمراؤه وعسكره وتأهبوا اللقاء .

---

(١) هكذا بالأصل .

(٢) ينقل العينى هذا النص عن بيبرس الدوادار دون أن يشير إلى ذلك — انظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢١٩ أ — ٢٢٠ أ .

فلما صار بين العسكرين مسافة يوم واحد أرسل شخصا يسمى بُغا ومعه مائة فارس ليكشفوا له الخبر ، ويعلموا أين وصل طقطا ومن معــه من العسكر ، فسار ليكشفهم ، فلما أشرف عليهم أحاطوا به وقتــلوا كل من معــه وسلم هو بنفسه ورجع ، فأخبر نوغيه بأنهم قد دهموه ، فركب نوغيه وأولاده ومن عنده والتقى الجمعان على مكان يسمى كوكان تلك (١) واقتتلوا : فكانت الكسرة على نوغيه وقت المغرب ، وانهزمت بنوه وعساكره وتفرقوا ، وثبت هو على ظهر فرسه ، وقد طعن فى السن وتغطت عيناه بشعر حواجبه وعلاه الكبر (٢) وضعفت به (٣) القدرة فوافاه روسىّ من عسكر طقطا فعرفه بنفسه وقال له : لاتقتلنى فأنا نوغيه وأحملنى (٤) إلى طقطا فإن لى به اجتماعا ولى معه حديث .

فلم يصغ الروسى إلى مقاله ، بل حزّ رأســه لوقتــه وحاله ، وأحضرها إلى الملك طقطا وقال له : هذه رأس نوغيه ، فقال له : وماالذى أعلمك أنه نوغيه ؟ قال : إنه عرّفنى بنفسه واستوقفنى عن قتله ، فلم أصغ إليه وأجهزت عليــه ، فغضب طقطا لذلك غضبا شديدا [٢٢٦] وأمر بالروسىّ فقتــل لكونه تعدى على مثل هذا الرجل الكبير الشأن ولم يُحضره إلى السلطان ، وقال : إن السياسة توجب قتله حتى لايعود أحد يفعل مثــل (٥) ذلك ، وعاد طقطا إلى مقامــه وقد ظفر بمناه ، وقرّت بنصرته (٦) على أعدائه عيناه .

(١) « كوكان لك » فى زبدة الفكرة . (٢) « وعلته الكبره » فى زبدة الفكرة .

(٣) « منه » فى زبدة الفكرة .

(٤) « فأنا هو نوغيه ، وانما احملنى » فى زبدة الفكرة .

(٥) « مثل » مكتوبة بهامش المخطوط ، ومنبه على موضعها بالمتن .

« مثله » فى زبدة الفكرة .

(٦) « بنصره » فى زبدة الفكرة .

وأما أولاد نوغيه ومن سلم من عسكرهم فإنهم استتروا بجنح الليـل واختفوا فى غمار عساكر طقطا ، وتنادوا بشعارهم ليظنوا أنهم من أصحابهم ، وكان شعارهم على ماحكاه مَن شهد الوقعة معهـم : إتاَى بايق ، فسلَموا ليلتهم تلك ، وساروا مُفلّسين وعادوا راجعين ، وكان الذى سُبِى من نسوانهم وذراريهم الخلق الكثير والجمّ الغفير ، وبيعوا بالأقطار ، وجُلبوا إلى الأمصار ، واشترى السلطان والأمراء منهم بالديار المصرية جماعة من الطوائف التى جلبها التجار ، ودخلوا فى دين الإسلام بالرغبة ، وأقاموا الصلاة باجتهاد ومحبة ، وصاروا من أنصار الملة وأعوان الأمة[1] .

ذكر الخُلف الواقع بين وَلدىَ نُوغيه وهما جكا وتكا[2] :

وذلك أنهما لمـا عادا إلى مقامهما من الهزيمة ، ورجـع إليهما فلّ عسكرهما الذين سلموا من القتل والغنيمة ، استقر جكا فى تقدمة أبيه وأستأثر بها دون أخيه ، فأوغر صدره وغير ضميره ، وأراد مفارقتـه واللحاق بطقطا هو وجماعتـه ، ولله درّ القائل فى مثل ذلك :

إذا أنت لم تُنْصِف أخاك وجدتَه على طرف الهجران إن كانَ يعقلُ
ويركب حدّ السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مَرْحل

واتصل بأخيه نفاره منه ، وما أزمع عليه من الخروج عنـه ، فخشى غائلة ذلك ، فجهز قوما — فى الباطن — إليه ، فقصدوه ليلة من الليالى وهـو راقد

(١) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢١٩ أ — ٢٢٠ أ .

(٢) ينقل العينى هذا النص عن بيبرس الدوادار دون أن يشير إلى ذلك — انظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٠ ب — ٢٢١ أ .

فى حركاته خلى البال ، فأحاطوا بالحركاة من كل الجهات ، وطعنوه بالرماح وهو فى الداخل[(١)] حتى ظنوا أنه مات ، وتركوه وعادوا ، وبه رمق الحياة . فثارت الضجة فى خيامه ، وقام الصراخ بين أهله وألزامه ، وسارعوا بإعلام أخيه إلى مصرعه[(٢)] ، فبادر إلى نحوه سائلا عن أمره ، ووهما أنه لم يشعر بقاصدى غدره ، ودخل إليه فى صورة الزائر ، [وأظهر له أنه متألم الخاطر[(٣)]] ، وأخذ يسأله[(٤)] عن القوم الذين أتوه ، ويستخبره هل عرفهم حين طعنوه؟ فقال له أخوه إن الذى قتلنى لن تطول مدته بعدى ، وسيفقد عُقيب فقدى ، وإنك لتعرفه أكثر منى ، وهو الذى جاءنى ليسأل عنى ، فعلم أخوه أنه إليه يُشير وله نسب تلك الحيلة والتدبير ، فخرج من عنده ودسّ إليه من تمم قتله جهرا ، فلما[(٥)] شاع ذلك بين عساكره وقومه أنكروه على أخيه[(٦)] ، وتغيرت قلوبهم ، وتشوشت خواطرهم ، وفارقه كثير منهم[(٧)] .

وفيها : اشتهر فى آخر السنة قتل جماعة من المسلمين ممن أسروهم من المغل ، وكان قتلهم سرا فى ديار بكر .

---

(١) « وطعنوه وهو داخلها بالرماح » — فى زبدة الفكرة .

(٢) « بمصرعه » فى زبدة الفكرة .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٤) « يسائله » فى زبدة الفكرة .

(٥) « فلما » ساقط من زبدة الفكرة .

(٦) « وشاع ذلك بين عساكرهم ، وذاع لأقاربهم وعشائرهم ، فأكبروا فعله ، وأنكروا تدبيره على أخيه وقتله » — فى زبدة الفكرة .

(٧) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٠ ب — ٢٢١ أ .

وقال علاء الدين [على بن مظفر](1) الوداعى :

ما لبستُ الصوفَ من عبث ولا الخلقات(2) مجانا
إنه زىّ لمن هو من فقراء الشيخ غازانا

وقال أيضا :

أما دمشق فأهلها قد أصبحُوا بكرية جعلوا التستّر(3) مذهبا

[٢٢٧]

سّرا وجهرا أنفقوا أموالهم حتى تحلل كل شخص بالعبا

وقال أيضا :

شيخ غازان ماخلا أحد من تجَرده
وغدا الكل لابسى خرقة الفقر من يده

وفيها : حج بالناس الأمير « ..... »(4) .

---

(١) [ ] إضافة من السلوك جـ ١ ص ٩٠٣ .

وهو : على بن مظفر بن إبراهيم : الشيخ علاء الدين ، المحدث ، الشاعر ، المعروف بكاتب ابن وداعة ، وبالوداعى ، والمتوفى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م — المنهل الصافى .

(٢) « الخلقان » فى السلوك جـ ١ ص ٩٠٤ .

(٣) « التستن » فى السلوك جـ ١ ص ٩٠٣ .

(٤) « ..... » بياض فى الأصل مقدار ثلاث كلمات .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

قاضى القضاة حسام الدين أبو الفضائل الحسن[(١)] بن قاضى القضاة تاج الدين أبى المفاخر أحمد بن الحسن بن أنو شروان الرازى الحنفى .

ولى قضاء ملطية مدة عشرين سنة ، ثم قدم من الروم مع الملك الظاهر سنة خمس وسبعين وستمائة إلى دمشق ، فتولى القضاء بها مدة[(٢)] ، ثم انتقل إلى مصر مدة ، وتولى ابنه جلال الدين[(٣)] بالشام ، ثم صار[(٤)] إلى الشام ، فعاد إلى الحكم بدمشق ، ثم لما خرج مع الجيش إلى لقاء غازان بوادى الخزندار عند سلمية ، ففقد بين الصفوف ، ولم يدر ما خبره وقد قارب السبعين . وقيل : إن مولده سنة إحدى وثلاثين وستمائة .

وكان من سادات العلماء الأكابر الرؤساء الكرماء النبلاء ، محبوبا إلى جميع الناس ، لم يخيب قصد من قصده ، ويستقل الكثير فى حق من سأله ، ورزق سعادة فى ولايته بالشام ومصر والروم ، ولم يزل متقدما عند الملوك .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٥ ص ٦٣ رقم ٨٨٧ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ٦٤ رقم ٦٥ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٣ ، الدرر جـ ٢ ص ٩١ رقم ١٤٩٢ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٦ ، درة الأسلاك ص ١٤١ ، ١٤٨ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٧ ، السلوك جـ ١ ص ٩٠٦ .

(٢) ولى القضاء بدمشق سنة ٦٧٧ هـ ، انظر ما سبق بالجزء الثانى من هذا الكتاب ص ٢٠٠ .

(٣) هو : أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنو شروان ، قاضى القضاة جلال الدين الحنفى ، المتوفى سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م ـــ المنهل الصافى جـ ١ ص ٢٦٤ رقم ١٤١ .

(٤) « صار » ـــ فى الأصل .

وكان له نظم حسن، وكان مولده بأقسراى(١) من بلاد الروم فى المحرم من السنة التى ذكرناها، وكان فقده(٢) يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول منها، وهو يوم الواقعة، وولى قضاء الحنفية بعده شمس الدين(٣) بن الحريرى.

ويقال إن الجبلية أسروه وباعوه للفرنج، ولما وصل إلى قبرس جعل نفسه طبيبا، وكان صاحب قبرس مريضا فداواه فتعافى، وكان قد وعد له أنه إذا تعافى يُطلقه ويبعثه إلى بلاد المسلمين، فلما تعافى الملك مرض حسام الدين مرض الإسهال فأقام أياما قلائل ومات إلى رحمة الله تعالى.

قاضى القضاة الإمام العالم إمام الدين أبو المعالى عمر(٤) بن القاضى سعد الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن الشيخ إمام الدين أبى حفص عمر بن أحمد بن محمد القزوينى الشافعى.

قدم هو وأخوه جلال الدين(٥) فقُررا فى تداريس، ثم انتزع إمام الدين قضاء

(١) أقسراء، أو أقصرا: من بلاد الروم، بينها وبين قونية ثلاثة مراحل — تقويم البلدان ص ٣٨٢.

(٢) «ولا شك أنه عاش إلى بعد السبعمائة» — فى الدرر جـ ٢ ص ٩١.

(٣) هو: محمد بن عثمان بن أبى الحسن بن عبد الوهاب، قاضى القضاة شمس الدين الأنصارى الحنفى، المعروف بابن الحريرى، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٧ م — المنهل الصافى.

(٤) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، درة الأسلاك ص ١٤٨، العبر جـ ٥ ص ٤٠٢، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٣، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ١١٧ رقم ١٨١، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥١، طبقات الشافعية الكبرى جـ ٥ ص ١٣١، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٦، السلوك جـ ١ ص ٩٠٥.

(٥) هو: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، قاضى القضاة جلال الدين القزوينى الشافعى، المتوفى سنة ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨م — المنهل الصافى.

القضاة بدمشق من يد بدر الدين بن جماعة[١]، كما تقدم فى السنة السابعة والتسعين[٢]، وناب أخوه عنه، وكان جميل الأخلاق كثير الإحسان قليل الأذى، ولما أزف قدوم التتر سافر إلى مصر، فلما وصلها لم يقسم بها سوى أسبوع وتوفى، ودفن بالقرب من قبة الشافعى رضى الله عنه عن ست وأربعين سنة، وعاد المنصب إلى ابن جماعة المذكور مضافا إلى الخطابة كما كان، ودرّس أخوه بعده بالأمينية[٣].

قلت: وكانت وفاته يوم الثلاثاء الخامس عشر من ربيع الآخر، وحضر جنازته خلق كثير وترحموا عليه لغربته، ومولده فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

المُسْنِد الرحلة المعمر شرف الدين أبو الفضل أحمد[٤] بن هبة الله بن أحمد ابن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الدمشقى.

ولد سنة أربع عشرة وستمائة، وسمع الكثير وروى، وكانت وفاته فى الخامس والعشرين من جمادى الأولى منها عن خمس وثمانين سنة.

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، بدر الدين، المتوفى سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢م — المنهل الصافى.

(٢) هكذا بالأصل، وورد فيما سبق أن صاحب الترجمة ولى قضاء دمشق عوضا عن ابن جماعة سنة ٦٩٦ هـ — انظر ما سبق بالجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٣٥٣.

(٣) المدرسة الأمينية بدمشق: قبلى باب الزيادة من أبواب الجامع الأموى، المسمى قديما باب الساعات، وتنسب إلى أمين الدين كمشتكين بن عبد الله الطغتكينى، أتابك العساكر بدمشق، والمتوفى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م — الدارس جـ ١ ص ١٧٧ — ١٧٨.

(٤) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى جـ ٢ ص ٢٥٤ رقم ٣٣٣، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٠، العبر جـ ٥ ص ٣٩٥، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٣، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٥.

الخطيب الإمام العالم الرئيس موفق الدين أبو المعالى محمد[١] بن محمد بن الفضل البهرانى[٢] [٢٢٨] القضاعى الحموى ، خطيبها[٣] ، ثم خطب بدمشق عوضا عن الفاروثى[٤] ، ودرس بالغزالية[٥] ، ثم عزل بابن جماعة وعاد إلى بلده ، وقدم دمشق عام قازان ، فمات بها فيها .

الصدر شمس الدين محمد[٦] بن سلمان بن حمايل بن على المقدسى المعروف بابن غانم .

كان من أعيان الناس وأكثرهم مروءة ، ودرس بالعصرونية[٧] وجاوز الثمانين ، وكان من الكتاب المشاهير المشكورين ، وهو والد الصدر علاء الدين[٨] بن غانم .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٣ ، الدارس جـ ١ ص ٤٢٢ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٣ .

(٢) « البهرانى » — فى شذرات الذهب ، والبداية والنهاية .

(٣) « ويعرف بابن حبيش » — فى شذرات الذهب .

(٤) هو : أحمد بن إبراهيم بن عمر ، الفاروثى الواسطى ، المتوفى سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م — عقد الجمان جـ ٣ ص ٢٩٠ .

(٥) المدرسة الغزالية بدمشق : فى الزاوية الشمالية الغربية من الجامع الأموى ، الدارس جـ ١ ص ٤١٣ ، ص ٤٢٣ .

(٦) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٤ ، الدارس جـ ١ ص ٤٠٣ — ٤٠٤ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥١ — ٤٥٢ .

وورد اسمه : سليمان بن محمد — الدارس .

(٧) المدرسة العصرونية بدمشق : داخل باب الفرج والنصر شرقى القلعة ، أنشأها عبد الله بن محمد بن هبة الله ، قاضى القضاة شرف الدين بن عصرون ، المتوفى سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م — الدارس جـ ١ ص ٣٩٩ .

(٨) هو : على بن محمد بن سليمان بن حمايل ، علاء الدين بن غانم ، المتوفى سنة ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م — المنهل الصافى .

ومولده بالقدس الشريف سنة خمس عشرة وستمائة ، ومات في السادس عشر من شعبان، وكان قد حج هو ووالده فمات والده بمكة شرفها الله ودفن بالزاهر، وكان حجازي الأصل ، وإنما مولده ببغداد بمحلة الجعافرة ، وكان جعفريا ، وكان من الأجواد الكرام ، رحمه الله .

الشيخ جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم (١) بن عمر بن عثمان الموصلي البآجربقى (٢) الشافعي .

أقام مدة بالموصل يُشغل ويفتى ، ثم قدم دمشق وأقام بها مدة كذلك ، ودرس بالفتحية (٣) والدولعية (٤)، وناب في الخطابة، ودرس بالغزالية نيابة عن الشمس الأيكى (٥)، وكان قليل الكلام، مجموعا عن الناس، وهو والد الشمس محمد (٦) المنسوب

---

(١) وله أيضا ترجمة في : درة الأسلاك ص ١٥٠ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٤ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ١٢٢ رقم ١٨٦ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٤ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٩ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٨ ، الدارس جـ ١ ص ٢٤٤ .

ويلاحظ أن المصادر اختلفت في اسم صاحب الترجمة فهو : عبد الله بن عمر في العبر ، وعبد الرحيم بن عمرو في شذرات الذهب ، وعبد الرحيم بن عبد المنعم بن عمر في تذكرة النبيه .

(٢) الباجربقى : نسبة إلى بلدة باجربق : قرية بشمال العراق ـ معجم البلدان .

(٣) المدرسة الفتحية بدمشق ، أنشأها الملك الغالب فتح الدين صاحب بارين نسهب صاحب حماة ، الدارس جـ ١ ص ٤٢٩ .

(٤) المدرسة الدولعية بدمشق قبالة جيرون قبلي المدرسة البادرائية ، أنشأها العلامة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل بن زيد بن ياسين التغلبي الأرقي الدولعي المتوفى سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ـ الدارس جـ ١ ص ٢٤٢ وما بعدها .

(٥) هو : محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي الأيكى ، شمس الدين ، المتوفى سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م ـ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٥٣ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٠٩ .

(٦) هو : محمد بن عبد الرحيم بن عبد المنعم بن عمر بن عثمان الباجربقى ، حكم عليه القاضي المالكي بدمشق بالقتل وإراقة دمه سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م ، ولكنه هرب إلى مصر ، ثم تسحب إلى دمشق فأقام بالقابون قرب دمشق حتى توفي سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م ـ الوافي جـ ٣ ص ٢٤٩ رقم ١٢٦٩ ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٤٤٤ رقم ٤٢١ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٦٤ .

إلى الزندقة والإنحلال ، وله أتباع ينسبون إلى ما ينسب إليه ، و يعكفون على ما كان يعكف عليه .

وقد حدث جمال الدين المذكور بجامع الأصول عن بعض أصحاب مصنف ابن الأثير ، وله نظم ونثر حسن ، ومات بالمدرسة الفتحية بدمشق ، ودفن بمقابر باب الصغير .

القاضى عماد الدين إسماعيل[1] بن تاج الدين بن الأثير الحلبى ، كاتب السر بمصر .

عدم فى وقعة قازان فى هذه السنة .

القاضى علاء الدين أحمد[2] بن عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلامى المعروف بابن بنت الأعز .

---

(١) هو إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير ، الحلبي ، التنوخى .

وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٢ ص ٣٩١ رقم ٤٢٥ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٠ ، درة الأسلاك ص ١٤٩ ، الوافى بالوفيات جـ ٩ ص ٩٠ رقم ٤٠٠٧ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٣٠ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ١ ص ٣٧٨ رقم ٢٠٢ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٨٩ ، درة الأسلاك ص ١٤٩ ، الوافى جـ ٧ ص ١٦٣ رقم ٣٠٩٦ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ١٢١ رقم ١٨٥ وورد فيه اسم صاحب الترجمة « علاء الدين على » ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٤ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٨ ، طبقات الشافعية الكبرى جـ ٨ ص ٢٣ رقم ١٠٤٩ ، السلوك جـ ١ ص ٩٠٤ ، فوات الوفيات جـ ١ ص ١٠٦ رقم ٤٢ .

كان فصيح العبارة ، جميل الصورة ، لطيف المزاح ، فيه مكارم أخلاق وإحسان ، تولى الحسبة بالقاهرة والأحباس ، ودرس بالمدرسة الكهارية (١) والقطبية (٢) ، وحج ودخل اليمن ، وقدم دمشق متوليا نظر ديوان الأمير حسام الدين طرنطاي الخزندار المنصوري ، ودرس بالظاهرية (٣) ، والقيمرية (٤) ، ولما تولى علم الدين الشجاعي نيابة السلطنة بدمشق باشر عنده مدة يسيرة ، ثم أنه طلب منه دستورا للسفر إلى مصر خوفا منه ، فأذن له فسافر ، وأقام بالقاهرة إلى أن مات في ربيع الآخر منها .

وله نظم حسن ، فمن ذلك قوله :

إن أومض البرقُ في ليل بذى سلَم ... فإنه ثغر سَلمى لاحَ في الظلم

وإن سرَت نسمةٌ في الكون عابقة ... فانها نَسْمةٌ من رَبّة الخيمَ

تنامُ عين التي اهْوى وما علمتْ ... بأن عينىَّ طول الليل لم تنم

إذا هدى الليل يطويني وينشرني ... شوق أبيتُ به في غاية الألم

(١) المدرسة الكهارية بالقاهرة : أنشأها الملك السعيد محمد بركة بن الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م ، وعرفت بالكهارية نسبة إلى الدرب الذى أنشئت فيه وهو درب الكهارية بجوار حارة الجودرية ـ المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٤١ .

(٢) المدرسة القطبية بالقاهرة : في خط سويقة الصاحب داخل درب الحريرى ، أنشأها الأمير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهذباني ـ من أمراء صلاح الدين الأيوبي ـ وذلك سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م ، وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية ـ المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٦٥ .

(٣) هي المدرسة الظاهرية الجوانية بدمشق : أنشأها الملك الظاهر بيبرس لتكون مدرسة الحنفية والشافعية ودارا للحديث ـ الدارس جـ ١ ص ٣٤٨ ، ص ٣٥٢ ، خطط الشام جـ ٦ ص ٨٢ .

(٤) المدرسة القيمرية بدمشق : أنشأها الأمير ناصر الدين حسين بن علي القيمرى المتوفى سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ـ الدارس جـ ١ ص ٤٤١ ، ص ٤٤٣ .

وتُرسـل الدمعَ أجفانى مُحاكية لفيض وبل من الوَسْمىّ منسجم

لله عيش مضى فى سَـفح كاظمة قد مَرّ حُلواً مُرورَ الطيف فى الحلم

أيام لا نـكد فيهـا نشـاهدُه ولّت بغير الرضى منى ولم تَدُم (١)

وحكى الشيخ (٢) أثير الدين أبو حيان (٣) قال : اسـتدعانى القاضى علاء الدين بن بنت الأعز [٢٢٩] يوما لمأدبة صنعها لنا بالروضة تجاه مصر ، وهو مكان يحفـه المـاء من جميع جوانبه ، وحضر معنا القاضى فخر الدين بن صدر الدين الماردانى (٤) ، فرأينا شابا مليحا يسبح ، ثم يخرج من المـاء فيتلطخ بالتراب . فقال لنا القاضى علاء الدين : لينظم كل منا فى هذا الشاب شيئا ، فقام كل منا إلى ناحية وانفرد ، فنظمنا نظما قريب الاتفاق ، ولم يطلع أحد منا على ما نظم رفيقه ، فكان الذى نظمه القاضى علاء الدين :

ومُترّب لـولا الترابُ بجسمه لم تبصر الأبصـارُ منه منظرا

فـكأنه بـدر عليـه سحـابةٌ والترب ليل من سناه أقمرا (٥)

---

(١) انظر شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٤ .

(٢) «قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : أخبرنى من لفظه الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان» — المنهل الصافى جـ ١ ص ٢٧٨ .

(٣) هو : محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان ، أثير الدين الغرناطى ، المتوفى سـنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م — المنهل الصافى .

(٤) هو : عثمان بن إبراهيم بن مصطفى ، فخر الدين أبو عمرو المـاردينى الحنفى ، المتوفى سـنة ٧٣١هـ/١٣٣٠م — المنهل الصافى .

(٥) «مقمرا» فى فوات الوفيات .

والذى نظمه القاضى فخر الدين :

ومُـترّب ترَبت يـدا مَن حازه		كقضيب تبر ضمَّخوه بعنــبر

وكأن طرته ونــور جبينــه		ليل أطــلّ على صباح أنور

والذى نظمه الشيخ أثير الدين رحمه الله :

ومُترّب قــد ظنّ أن جمــاله		سيَصُونه منّا بـتُرْب أعْفـر

فغـدا يُضمخه فزاد ملاحةً		أو قد حـوى ليــلا بصُبح أنور

وكأنمـا الجسمُ الصقيل وتُربه		كافـورة لطخت بمسـك أذفر (١)

وقال الشيخ أثير الدين : وحضرنا معه مرة أخرى بالروضة ، ومعنا شهـاب الدين العزازى ، فأنشدنا لنفسه (٢) :

تعطلت فابيْضت دَواتى لحـزنهـا		ومُذ قلّ مالى قلّ منها مدادُها

وللناس مُسـوَدّ الثياب حدادهم		ولكن مُبيّض الدواة حدادها (٣)

ولعلاء الدين دُو بيت :

للسُمر (٤) معان لاتُرى فى البيـــض		تالله لقد نصحت فى تحريضى (٥)

---

(١) انظر المنهل الصافى جـ ١ ص ٣٧٩ — ٣٨٠ ، فوات الوفيات جـ ١ ص ١٠٦ أ — ١٠٧ .

(٢) المقصود : علاء الدين بن بنت الأعز — انظر تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

(٣) انظر تذكرة النبيه جـ ٢ ص ٢٢٩ .

(٤) « فى السمر » — فى السلوك جـ ١ ص ٩٠٤ .

(٥) « تمريض » — فى السلوك .

ماالشهد إذا طعمته (١) كاللبن يكفى فطنا محاسن التعريض

وله :

وقالوا بالعذار تسل عنه وما أنا عن غزال الحسن سال
وإن أبدت لنا خداه مسكا فانّ المسك بعض دم الغزال (٢)

وله فى دمشق :

إنى أدلّ على دمشق وطيبها من حسن وصفى بالدليل القاطع
جمعت جميع محاسن فى غيرها والفرق بينهما بنفس الجامع

وقال فى حماة :

حماة غزالة البلدان أضحت لها من نهرها العاصى عيون
وقلعتها لها جيد بديع ومن سود التلول لها قرون

مات علاء الدين فى هذه السنة بالقاهرة كما ذكرناه .

الشيخ الإمام الحافظ الزاهد البارع الورع بقية السلف شهاب الدين أبو العباس أحمد (٣) بن فرج بن أحمد بن محمد اللخمى الإشبيلى .

---

(١) « إذا أطعمته » — فى السلوك .

(٢) انظر تذكرة النبيه ج ١ ص ٢٢٩ ، وفوات الوفيات ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ج ٢ ص ٥٩ رقم ٢٤٠ ، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٩١ ، طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٢٦ رقم ١٠٥٢ وفيه « أحمد بن فرح بالفاء والحاء المهملة » شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٤٣ ، درة الحجال ج ١ ص ٣٦ رقم ٤١ ، الوافى ج ٧ ص ٢٨٦ رقم ٣٢٦٦ ، السلوك ج ١ ص ٩٠٤ .

مات داخل دمشق [بسكنه](1) بتربة أم الصالح(2)، وصلّى عليه في الجامع ، ودفن بمقابر الصوفية .

وله نظم حسن ، فمن ذلك قوله(3) :

غرامي صحيحٌ والرجا فيك معضلُ ... وحزني ودمعي مرسلٌ ومسلسلُ

وصبري عنكم يشهدُ القلبَ أنه ... ضعيفٌ ومتروكٌ وذُلّي أجملُ

[٢٣٠]

ولا حسنٌ إلّا سماعُ حديثكم ... مُشافهةً تُملى علىَّ فأنقلُ

وأمري موقوفٌ عليك وليس لي ... على أحدٍ إلّا عليك معوّلُ

ولو كان مرفوعا إليك لكُنتَ لي ... على رغم عُذّالي ترقُّ وتعدلُ

وعذلُ عذولٍ منكرٌ لا أسيغه ... وزورٌ وتدليسٌ يُرَدُّ ويُهمَلُ

أقضّي زماني فيك متصلَ الأسى ... ومنقطعا عمّا به أتوصّلُ

وها أنا في أكفان هجرك مُدرَجٌ ... يكلّفني مالا أطيق فأحملُ

وأجريتُ دمعي بالدماء مُدبّجا ... وماهي إلا مهجتي تتحلّلُ

فتفقُ جفني وسهدي وعَبرتي ... ومُفترق صبري وقلبي مُبلبلُ

(١) [ ] إضافة للتوضيح من المنهل الصافي جـ ٢ ص ٩٠ .

(٢) تربة أم الصالح = المدرسة الصالحية بدمشق : أوقفها الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل أبي بكر المتوفى سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م — الدارس جـ ١ ص ٣١٦ .

(٣) « قصيدة غزلية في صفات الحديث وهي عشرون بيتا » — المنهل الصافي جـ ٢ ص ٩٠ .

ومؤتلف وجدى وشجوى ولوعتى ... ومختلف حظى ومامنك آمل
خذ الوجد عنى مرسلا ومعنعنا ... فغيرى لموضوع الهوى يتحيل
غريب يقاصى البعد عنك وماله ... وحقك من دار الفنى متحول
فرفقا بمقطوع الوسائل ماله ... إليك سبيل لا ولا عنك معدل
فلا زلت فى عز منيع ورفعة ... ولا زلت تعلو بالتجنى فأعزل
أروى بسعدى والرباب وزينب ... وأنت الذى تعنى وأنت المؤمل
فخذ أولا من آخر ثم أولا من ... النصف منه فهو فيه مكمل
أبر إذا أقسمت إنى بحبه ... أهيم وقلبى بالصبابة يشمل

مولده فى سنة خمس وعشرين وستمائة ، وسمع الكثير ، توفى فى التاسع من جمادى الأولى منها .

الشيخ الإمام العالم المفتى شمس الدين محمد بن[1] الشيخ فخر الدين عبد الرحمن ابن يوسف البعلبكى الحنبلى .

كان من فضلاء الحنابلة فى الفقه والأصول والنحو والحديث والأدب ، درس وأعاد وأفتى ، وأفاد وروى عن ابن عبد الدايم ، وشيخ الشيوخ الحموى ، وخطيب مردا ، واليونينى ، وغيرهم ، مات فى تاسع رمضان ، ودفن بمقابر باب توما .

---

(١) وله ترجمة فى : الوافى جـ ٣ ص ٢٤٣ رقم ١٢٠٦ ، العبر جـ ٥ ص ٤٠٣ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٢ .

وله نظم حسَنٌ فمنه قوله :

الحسنُ أجمعُ جزءٌ من مُحَيّا — رِيمٍ تبارك مَنْ بالحُسْن حَلَّاه
حلْوُ اللمى غنجٌ فى طرفه دعج — كأنما كحلت بالسحْر عَيْناه
مُهَفْهَفٌ خنث الإعطاف ريقته — من الرحيق ومن دُر ثناياه
داجى الغدائر لايحنو على دنف — تذرى الدموع على خديه عيناه
الغُصن قامتُه والمسك نكهته — والورد والنـدّ خداه وريّاه
بدرٌ بدا وظلامُ الشَعر غيهبهُ — ظبيٌ فدا ونؤادُ الصبّ مرداه
نَهى رُقادى فتُور فى لواحظه — والخصرُ للجسْم بالأسقام أعلاه

[٢٢١]

إنْ لم أنل منه وَصلا حبذا شرف — بمُهْجتى إن فدت من بعض قتلاه
لله كم من صبابات حوت كبدى — ومن غرام بقلبى ظلّ مَثْواه
جار الحبيبُ على قلبى بجفوته — ولستُ أنسى طوال الدهر ذكراه
وشِى الوُشاةُ بأنى قد كلفت به — وكيف لاونؤادى بعضُ أسْراه
بالروح أفديه من ظبى تملّكنى — شِفاء داءٍ بقلبى قبلتى فاه
رمَى فؤادى بسهم من لواحظه — عمدا فلم يخْطِ ذاك السهم مرماه
أمات قلبى بالهجران منه ولو — أراد بالوصل بعد الموت أحياه
نهى العواذل عن حبّ له سفهاً — ولو رأوا حُسْنه يوماً لما فاهُوا
ياسائلى ما اسْمُ مَن أهوى لتعرِفَه — اجمع أوائل أبياتى لتلقاه

قلت : اسمه أحمد بن الحوبرانى ، كان صاحب جمال عظيم متفق على حسنه عند أهل دمشق ، وكان محبوب الشيخ ، وكل من فى دمشق من فضلاء عصره نظموا فيه ، وتفاخروا بعشقه ، وعند طلوع وقته عشقته زوجة الحميدى والى نَوَى — وكانت قرابته — وتزوجت به ، وأعطت له مالا كثيرا ، فبقى معها قليلا ومات ، وماتت بعده .

ومن نظم شمس الدين المذكور دو بيت :

أصبحتُ بسحر المُقلة الكحلا صبًّا دنفا مُقلقل الاحشاء
ما يُطفِىء نارا أضرمت فى كبدى إلاّ لَثمِىَ للشفة اللَعْساء

وقال شمس الدين المذكور أنشدنى بدر الدين الصائغ لنفسه :

لى فى القدود وفى لثم الخدود وفى ضم النُهُود لبُانات وأوْطار
فإن توافق فذاك السُؤل يا أملى وإلا فَدعْنى وما أَهْوى وأختار

وقال شمس الدين فعملت فى المعنى :

لى فى النُحور وفى رشف الثُغور وفى ضمّ الخصور غرامٌ ينقرضُ
فإن تُوافِق فذاك السُؤل يا أملى وإلاّ فلاتكُ ممّن راح يعترضُ

قال : وأنشدتُ للشيخ عز الدين البَابصَرى خازن كتب الخانقاة الشُمَيْصاطيّة :

فى صَدرَها كوكَبا نُور كانهما وركنان لم يُدْنيَا من لمسْ مُسْتلم
صانتهما فى سُتُورٍ من غلائِلها فنحن فى الحِل والركنان فى الحَرم

وقال فأنشدنى لنفسه :

أَهْـوى الغـزالَ الذى قدنمَّ عارِضُه		كأنّه عَنـبرٌ من فـوَق كافـور
ولا أُحبُّ فتـاة الحىّ قـط		ولو كانت من الآنسات الخُرد الحُور

ولشمس الدين أيضا :

عَرانى الهوى الممدودُ من بَعدما هَوى		بجِسْمِى الهوى المقصورُ حتّى أذابَه
و بعضُهما أَعْـيي الأنامَ عـلاجُه		فكيف بمَنْ هذا وَذا قَـد أصابه

وقال أيضا :

أأحبابنا إن رُمـتم فى مسـيركم		مياهًا تُرويكم فها فيضُ أدمُعى

: [٢٣٢]

وإن شـئتم نارا تأجّج وقـدُها		فـا قَدُّ آثار البَيْنْ ما بين أَضلعُى

وله دو بيت :

ما أصرف عن جنابكم آمالى		عمدا وأَرى التخفيف من أثقالى
إلا وتـردّى إليـكم طمـعى		فى وصلكم وعلمكم بالحـال

الشيخ الفاضل الأصيل شمس الدين أحمد(١) بن شرف الدين مفضل بن عيسى ابن إبراهيم بن مطروح ، الكاتب الضرير ، وهو ابن أخى الصاحب جمال الدين(٢) ابن مطروح .

(١) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ١٥١ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ٤٤ رقم ٦٨ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(٢) هو : يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين ، الصاحب جمال الدين أبو الحسين ، الوزير والشاعر ، والمتوفى سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م — المنهل الصافى ، وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٣٠٢ رقم ٧٨٢ .

توفى بدمشق ، ودفن بمقابر باب توما ، كان كاتبا جيدا ، وأضر فى آخر عمره ، وكان شاعرا فاضلا ، فمن شعره :

رُوَيد الهَوى كم ذا يراق(١) دمى عمداً ويفنى وجُودى فى أُهَيل الحمى وَجْدا
ولى بالكثيب الفرد أنه وَامِق(٢) تُذيبُ الحديدَ الصَلْبَ والحجرَ الصَلدا
وكم وقفة لى بالغُوَير ورامة أُبثّ غراماً جاوز الوصف والحدّا
وها جَلدى عن حمل ما أنا واجدٌ وجار الهَوى ظلما وكم نالنى جَهْدا
ألا فى سبيل الحُبّ مهجةُ مغرم قضى نَحبه شَوْقا وما بلغ القَصْدا(٣)

الشيخ الإمام بهاء الدين أيوبُ(٤) بن أبى بكر بن ابراهيم بن النحاس ، الحنفى الحلبى .

مات بدمشق فى شوال ، ودفن بمقابر الصوفية ، روى عن جماعة من البغداديين وغيرهم ، وكان مدرسا بالمدرسة القليجية مدة طويلة ، ومولده فى سنة سبع عشرة وستمائة .

الشيخ الإمام العالم العلامة بهاء الدين محمد(٥) بن يوسف بن محمد البَرْزالى .

---

(١) « يريق » فى تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٣ .

(٢) وامق : أى المحب — تاج العروس .

(٣) أنظر أبيات أخرى فى تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٣ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ٢٢٤ رقم ٦٣٠ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٤ ، الوافى بالوفيات جـ ١٠ ص ٣٦ رقم ٤٤٧٨ .

(٥) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ١٤٩ ، الوافى بالوفيات جـ ٥ ص ٢٥٢ رقم ٢٣٣١ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٥ .

مات بدمشق ودفن بمقابر الباب الشرقي إلى جانب قبر والده بالقرب من أُبيّ بن كعب رضي الله عنه ، وهو والد الشيخ علم الدين البِرْزالي[(١)] ، وكانت له إجازات من بغداد وديار مصر والشام ، وكان من أكثر الناس مروءة وديانة وصيانة ، وكان عفيفا نزِها ، ولم يكتب في مكتوب فيه ريبة أو منازعة .

الشيخ الإمام العالم الفاضل جمال الدين عمر[(٢)] بن ابراهيم بن الحسين بن سلامة العقيمي الرسْعني .

مات بدمشق ودفن بسفح قاسيون ، ومولده برأس العين سنة ست وستمائة ، وكان فاضلا جيد الشعر ، حسن النثر ، جمع مقامات كثيرة في فنون شتّى .

ومن نظمه قوله :

يا سائراً نحو الأثيل مُبكرا ... عَرِج على أكناف[(٣)] جِلّق مُسحرا
واهبس بوادي النَيْرَبَيْن وبانه ... يستحل أنفاس النسيم معطرا
والمَـخ قلائدَ زهرها منظومة ... والكُلّ ينثر من نداه جَوْهرا
واجنح إلى الروض الأريض لتسـ ... ـتمع لحنَ الغَريض عن الهزار محرّرا
حرم إذا اعتلّ النسيم بأرضه ... عبثت نعائمه بمسك أذفرا
ما ناوحت ريح الشمال رياضه ... إلا حسبْناها الشمول المُسكرا
أو صافحت ريح الجنوب جنابه ... الا وجدنا كل تُربْ عَنبَرا

(١) هو : القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البرزالي ، المتوفى سنة ٧٣٩ هـ/١٣٣٨م — المنهل الصافي ، الدرر جـ ٣ ص ٣٢١ رقم ٣٢٢٩ .

(٢) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي ، درة الأسلاك ص ١٥١ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٤ ، العبر جـ ٥ ص ٤٠١ — ٤٠٢ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ١٢٤ رقم ١٨٧ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٥ ، الوافي جـ ٢٢ ص ٤١٣ رقم ٢٩٢ .

(٣) الكنف هو الجانب والناحية ، والكنف : الرحبة — معجم البلدان للبغدادي .

وقال :

سقى الله أكناف الجزيرة ربها وحق لأرض تنبت الود أن تسقى
أناس متى استمسكت من حبل ودهم بأيسره استمسكت بالعروة الوثقى

[٢٣٣] وقال :

يا صبر لا تفعل فصبرك أجمل ودع العذول بناره يتململ
ضنوا وما أنا بالضنين على هوى أنت الأخير به وأنت الأول
وكلت طرفى بالسهاد وبالسهى فإلى خيالك والكرا أتوسل
فعلام طرفك طارق فى فترة تدعو القلوب له وصدغك مرسل
وإلام تهجر مغرما هجر الكرى حتى لقد جارت عليه العذل
واعجب لعذرى فى عذارك إننى أدعى به المجنون وهو مسلسل

وقال :

شبهت بدر سمائها لما بدت منه الثريا فى قميص سندس
ملكا مهيبا قاعدا فى روضة حياه بعض الزائرين بنرجس

وقال :

أغصن النقا ابن القدود الموايس وابن الظبا النافرات الأوانس
لقد درست أطلالهن وهل ترى يهيج الشجى إلا الطلول الدوارس
وعندى دواعى جمة لفراقهم على أننى من ذلك الوصل آيس
مهاة كناس فارقته فمالها شبيه سوى ما مثلته الكنائس

يخفـى على آثارهم مُطلِقٌ دَمى		ودمعى وقلـبى للصَّبابة حائسُ
أبى بيننا إلّا جمـاحاً وقسـوةً		تذوبُ لملقاها نُفُـوسٌ نفائسُ

بهاء الدين يوسف بن الشيخ تاج الدين موسى بن محمد بن مسعود المراغى ، عرف بابن الحيوان .

مات بالمـارستان النورى ، ودفن عند والده بمقبرة باب الصغير ، وكان شابا صالحا ذكيا ، فاضلا ، له اشتغال بالعلوم وله شعر فمنه قوله :

أُناشِـدكم بالله ألّا وقفـتمُ		ليقضى أوطاراً من الوَصل مُغرَمُ
أخـو صَبوة مازال يكـتم حبّه		فأظهرَ فانى الدمع ما كان يكتم
يقولون لى ما العشـق والوجد		والأسى وما البُعد حتى يشتكيه المتيمُ
فواحَسرتا واطول حُزنى واوعنى		يهـوّن أمر الحبّ من ليس يعلمُ

الشيخ الصالح الواعظ سـيدى أبو محمد عبـد الله(١) بن محمد المرجانى ، شيخ المغرب وواعظه بتُونُس .

كان عالمـا متفنّنا مذكرا ، حلو العبارة ، كبير القدر ، له شهرة فى الآفاق ، قدم الإسـكندرية ومصر ووعـظ بهما ، وكان عارفا بالحـديث ، وله قدم فى التصوف ، وكان ربمـا فسّر فى الآية الواحدة ثلاثة أشهر ، مات فى هذه السنة وخلّف كتبا كثيرة ، وعدة أولاد ، رحمه الله .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى .

الشيخ الإمام البارع العلامة نجم الدين أحمد(١) بن محسن بن ملىّ الأنصارى البعلبكى ، الشافعى الأصولى المتكلم .

مولده(٢) سنة سبع عشرة وستمائة ببعلبك ، سمع من البهاء عبد الرحمن وابن الزبيدى وابن رواحة ، واشتغل بدمشق ، وأخذ العربية عن ابن الحاجب ، والفقه عن ابن عبد السلام ، والحديث عن زكى الدين المنذرى ، والأصول عن جماعة ، وقرأ القانون وكتبا كثيرة فى الطب ، والأصول ، واشتغل على عز الدين بن مقبل فى مذهب الشيعة ، ودرس ، وأفتى ، وناظر ، وتخرج به جماعة ، وكان متبحرا فى علوم كثيرة ، [٢٣٤] فصيح العبارة ، ذكيا متيقظا ، مقداما شجاعا ، إماما فى مذهب الشيعة ، يُقتدى به ، مات فيها بقرية بَخْعُون من جبل الظنين(٣) .

الشيخ الإمام العالم مفتى المسلمين شمس الدين محمد(٤) بن الشيخ الإمام العلامة شيخ المذاهب قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن أبى العزّ بن وهيب الحنفى .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ٢ ص ٦٥ رقم ٢٤٥ ، درة الأسلاك ص ١٥٠ ، الوافى جـ ٧ ص ٢٠٥ رقم ٣٢٩٤ ، طبقات الشافعية الكبرى جـ ٨ ص ٣١ رقم ١٠٥٥ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٤ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٣٤ .

(٢) هو : عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور ، المقدسى ، الحنبلى ، المتوفى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م ــ شذرات الذهب جـ ٥ ص ١١٤ .

(٣) جبل الظنين : بين طرابلس و بعلبك ــ شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٥ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ١٤٩ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، الوافى بالوفيات جـ ٣ ص ١٣٧ رقم ١٠٧٧ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٥ ، السلوك جـ ١ ص ٩٠٦ .

كان فقيها كبيرا فى مذهبه ، أفتى مدة أربعة وثلاثين سنة ، ودرّس بالعذراوية (١) ، والخاتونية البرانية (٢) ، والنورية ، وكان لا يتردد إلى أحد ولا يخالط الناس ، مات فى النورية فى السادس عشر من ذى الحجة ، ناب فى القضاء عن والده ، وكان من خيار الناس .

الشيخ العارف سعد الدين محمد (٣) بن أحمد الكاشانى الفرغانى ، شيخ خانقاة الطاحون (٤) .

مات فى السابع عشر من ذى الحجة منها ، ودفن فى مقابر الصوفية ، وكان شيخا فاضلا عارفا بكلام الشيخ محى الدين بن العربى ، وشرح قصيدة ابن الفارض .

الشيخ الإمام العارف بدر الدين الحسن (٥) بن الإمام أبى الحسن على بن أمير المؤمنين أبى الحجاج يوسف بن هود المرسى .

---

(١) المدرسة العذراوية بدمشق : أنشأتها الست عذراء ابنة أخ السلطان صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ـ الدارس جـ ١ ص ٣٧٠ ، خطط الشام جـ ٦ ص ٨٦ .

(٢) المدرسة الخاتونية البرانية بدمشق : أوقفتها زمرد خاتون أخت الملك دقاق صاحب دمشق المتوفاة سنة ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م ـ الدارس جـ ١ ص ٥٠٢ ، خطط الشام جـ ٦ ص ٩٢ .

(٣) هكذا بالأصل ، وورد « سعيد الكاسانى » فى كل من : الدارس جـ ٢ ص ١٦٤ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٨ .

(٤) خانقاة الطاحون بدمشق : خارج البلد ، وتنسب إلى السلطان نور الدين محمود بن زنكى ـ الدارس جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٥) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ١٥٠ ، العبر جـ ٥ ص ٣٩٧ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٦ ، السلوك جـ ١ ص ٩٠٥ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٣١ ، فوات الوفيات جـ ١ ص ٣٤٥ رقم ١٢٢ .

توفى عشية الإثنين السادس والعشرين من شعبان منها بدمشق ، ودفن بقاسيون ، ومولده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمرسية[(١)] ، وكان والده متوليها نيابة عن أخية أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود صاحب الأندلس[(٢)] .

وكان يلبس الصوف ، وعلى رأسه قبع صوف عسلى ، وترك بلاده وهاجر إلى دمشق ، وأقام بالخانقاة الشميصاتية وبالأندلسية وبخانقاة الطاحون .

وقال الذهبي : كان ابن هود قد حصل له زهد وفراغ عن الدنيا وسكرة عن ذاته ، وغفلة عن نفسه ، فسافر وترك الحشمة ، وصحب ابن سبعين واشتغل عليه بعلوم الأوائل ، وحج وقدم اليمن ، ثم رحل إلى الشام ، وكان فيه انقباض عن الناس ، حمل مرة إلى والى البلد وهو سكران ، أخذوه من حارة اليهود خبثا منهما ليقصوا منه بذلك ، وكان أسلم على يده جماعة ، وكان يمشى فى الجامع باهت الطرف ، ذاهل العقل ، وهو رافع أصبعه السبابة كالمتشهد .

ومن شعره :

فؤادى من محبوب قلبى لا يخلو ... وسرّى على فكرى محاسنه يجلو
ألا ياحبيب القلب يا من بذكره ... على ظاهرى من باطنى شاهد عدلُ
تجليت لى منى علىّ فأصبحت ... صفاتى تُنادى : ما لمحبوبنا مثل

---

(١) مرسية : مدينة فى شرق الأندلس ، بنيت أيام الأمويين بالأندلس ، اختطها عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام — معجم البلدان ، تقويم البلدان ص ١٧٨ .

(٢) تولى حكم مرسية فى الفترة من ٦٢١ — ٦٣٥ هـ / ١٢٢٤ — ١٢٣٧ م — معجم الأسرات الحاكمة جـ ١ ص ٩٣ .

أُورّى بذكر الجزع عنه وبانة		فلا البان(١) مطلوبى ولا قصدى الوبل(٢)
وأذكر سُعدى فى حديثى مغالطًا		بليلى ولا ليلى مُرادى ولا جُمل
ولم أرَ فى العُشاق مثلى لأننى		تَلَذّ لى البلوى ويَحلُو لى العذل
مجانين إلا أنّ ذلّ جُنونهم		عزيز على أبوابهم(٣) يسجُدُ العقلُ

ومن شعره :

خُضت الدُجنةَ حتى لاحَ لى قبسٌ		وبانَ بانُ الحِمى من ذلك القَبسَ
فقلتُ للقلب هذا الربعُ(٤) ربعهمُ		وقلتُ للسمع لا تخلو من الحرسَ
وقلت للعين غُضّى عن محاسنه		وقلت للنطق هذا موضع الخرسِ

[٢٣٥] وله مُوشحه يصف دمشق :

أشاقك البرقُ سارى		أم راعَك الطَيفُ زائر
فما لدمعك جارى		وما لقلبك طائر
لاذا ولا ذاك ذكرا		منى أثارت شجونا
أيامُ شُرْبى يرعى		روض الأمانى أمينا
معنّى به كل معنا		يفيدُ دُنيا ودِينا
فمن خليع عِذارِى		له من الحسن عاذر

---

(١) « ولا البان » — فى فوات الوفيات .

(٢) « الرمل » — فى فوات الوفيات .

(٣) « أعتابهم » — فى فوات الوفيات .

(٤) « القوم » — فى فوات الوفيات .

ومن حليف وقار ذاكى الفُؤاد وذاكر
حيّاكَ ربعُ الأحبّة دمع الحيا المستهل
واطلع السَعد شُهبه بأُفقك المستهل
وعرّس النجح رَكبَه ما بين ماء وظل
لذى قرى وقرار بمزهر وزاهر
عذب الجنا والنجار سامى العُلا والمفاخر
اشبهت جنة عدن دمشق حُسْنا وطيبا
أبديت من كلّ فنّ للحُسن معنىً غريبا
لازلت منزل آمن رَحْبَ الفَضَا خصيبا
بكل حامى الديار وكامل الفضل وافر
طويل باع الفخار بَسيطُ كف المآثر
هل عائدٌ لى عَهْدُ بروضة النيربين
انى وقد دان بُعْدُ ما بين ذاك وبينى
لله وَدْقٌ ووقد بأضلُعى وبعَيْنى
فكم أجنّ بجارى وحاكم البَيْن جائرْ
وكم أُوارى أُوارِ والدمعُ لى متُواتِرِ
الصبرُ دونك عجز لا تحسبيه اختيارا
والذلُّ عندك عزٌّ ما آن أراه صَغارا

ترنّم الطير غمزٌ به إليك أشارا
معناه أنت اختيارى وانني جد خابر
عليك يا خير دار قطبُ السّعادة دائر

عماد الدين يوسف[1] بن أبى نصر بن أبى الفرج الشقارى .

كان زمن الظاهر أمير الركب ، وكان له حجّات كثيرة ، ومولده سنة عشر وستمائة ، مات فى هذه السنة ، ودفن بالنيرب بتربته جوار الجامع .

الأمير جمال الدين أقوش[2] المطروحى ، وسيف الدين كُرد ، والأمير ركن الدين الجمالى ، نائب غزّة ، عُدموا فى وقعه قازان فى هذه السنة .

الزين خضر بن دانيال الأنطاكى الزرّادى الضرير المُقرئ .

كان عارفا بعلم النجم والرمل ، وكان يخيط ويدخل الخيط فى خرت الابْرة ، وكانت خياطته فى غاية الجَودة ، ويوصل الأوصال ويرفع ما يفصّله فى مواضعه ترقيعا حسنا ، وكان آية من آيات الله ، وأصله من مسيحى أنطاكية وقع فى قسم الأمير عز الدين الزّرّاد نائب قلعة دمشق فربّاه وأقرأه القرآن ، فحفظ الكتاب العزيز وتلا بالسبع على المشايخ ، مات بدمشق فى الثامن من شعبان منها ، ودفن بمقابر باب الصغير .

الأمير عماد الدين حسن[3] بن على بن محمد بن النشابى الحلبى .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : العبر جـ ٥ ص ٤٠٢ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٤ — ٤٥٥ وفيه « ابن السفارى » .

(٢) شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٦ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٥ ص ١٠٢ رقم ٩١١ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٧ ، العبر جـ ٥ ص ٣٩٧ ، الوافى جـ ١٢ ص ١٥٩ رقم ١٢٩ ، الدارس جـ ٢ ص ٣٠٠ .

مات [٢٣٦] بالبقاع من أعمال بعلبك . ودفن بقاسيون بتربته ، وكان قد ولى ولايات بالبرّ ، ثم نقل إلى ولاية المدينة ، ثم ولاية البرّ ، ثم جعل أمير طبلخاناة ، فمكث قليلا ومات ، وكان مشكورا فى ولايته ، وعنده شهامة ونهضة وكفاية .

الأمير الكبير العالم المحدث أبو موسى سنجر(١) الدواداري التركى البرنلى .

مولده فى سنة نيف وعشرين وستمائة ، وقدم من بلاد الترك فى حدود الأربعين وستمائة ، وكان عبس الشكل ، كبير الوجه ، خفيف اللحية ، صغير العينين ، ربعة من الرجال ، حسن الخَلق والخُلق ، مهيبا فارسا شجاعا ، دينا ، عالما فاضلا ، حسن الخط ، حافظا لكتاب الله تعالى ، قرأ القرآن على الشيخ جبريل الدلاصى وغيره ، وحفظ الإشارة فى الفقه لسُليم الرازى(٢) ، وكتب بخطه ، وحصّل الأصول ، وكانت له عناية بالحديث وسماعه ، سمع كثيرا ، وخرج له المزّى جزأين عوالى ، وخرّج له ابن الظاهرى ، وحج ست مرات .

وكان من الأمراء الظاهرية ، ثم نقل إلى حلب ، ثم قدم إلى دمشق ، وكان من أصحاب سنقر الأشقر ، ثم مُسك ، ثم أعيد إلى رُتبته ، ثم أعطى تقدمة ألف ، وزادت رتبته فى دولة لاجين المنصور ، وقدّمه على الجيش فى غزوة سيس ، وكان

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ٦ ص ٦٨ رقم ١١٠٩ ، درة الأسلاك ص ١٤٧ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ٨٧ رقم ١٢٨ ، الوافى جـ ١٥ ص ٤٧٩ رقم ٦٤٤ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٩ ، السلوك جـ ١ ص ٩٠٥ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٨ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ٤٠ .

(٢) هو كتاب « الإشارة فى الفروع » لمؤلفه سليم بن أيوب بن سليم الرازى ، أبو الفتح ، الفقيه الشافعى « المتوفى سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥ م ــ هدية العارفين جـ ١ ص ٣٩٤ » .

له معروف كثير وأوقاف بالقدس ودمشق ، وروى عن الحافظ زكى الدين عبدالعظيم المُنذرى ، والرشيد العطار ، والكمال الضرير ، وابن عبد السلام ، وجماعة كثيرة ، وشهد الوقعة وهو ضعيف ، فالتجأ بأصحابه إلى حصن الأكراد ، فمات به ليلة الجمعة الثالث من رجب الفرد منها ، وكان المنصور لاجين قد فوّض إليه عمارة جامع ابن طولون فعمّره وعمّر أوقافه وقرّر فيه دروس الفقه والحديث والطب (١) .

وله شعر حسن ، فمنه قوله :

سَلُوا عن •وقفي يوم الخميس ... وعن كَرّات خيلى فى الخميس

شربتُ دم العدى فرويتُ منه ... فشُربى منه لا خمر الكؤوس

وجاورتُ الحجاز وساكنيه ... وكان البيتُ فى الليل أنيسي (٢)

وأتقنت الحديث بكل قُطرٍ ... سماعا عاليا ملء الطُروس

أباحث فى الوسيط لكل خبرٍ ... وألقى القومَ فى حرّ الوطيس

فكم لى من جلاد فى الأعادى ... وكم لى من جدالٍ فى الدُروس (٣)

وقد ذكرنا طرفا من ترجمته فيمن استشهد من الأمراء فى وقعة قازان (٤) .

(١) انظر وثيقة وقف السلطان حسام الدين لاجين رقم ٣/١٧ وصورتها رقم ١٨ / ٣ بمجموعة المحكمة الشرعية بدار الوثائق القومية بالقلعة بالقاهرة - فهرست وثائق القاهرة ص ٧ مسلسل ١٩ - ٢٠ .

(٢) « فى ليلى » الوافى جـ ١٥ ص ٤٨٢ ،

(٣) الوافى جـ ١٥ ص ٤٨٢ .

(٤) انظر ما سبق ص ١٧ ق

حسام الدين بلال[1] الطواشى المغيثى ، خادم الملك المغيث صاحب الكرك .

مات فى هذه السنة ، وخدم الملك الصالح ، وكان معظما فى الدولة المصرية يجلس فوق الأمراء كلهم .

وقال صاحب النزهة : وعاينته يجلس فوق البَيْسرى وسنقر الأشقر على باب القبة ، وكان السلطان الملك المنصور سلّم إليه الملك الصالح علاء الدين وقال له : هـذا ولدك ربّه ، وكان مقيما فى القلعة بدار الملك الصالح أستاذه ، وكان له أوقاف على تربة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوقاف على عتقائه وأولادهم ، ولما توفى أثبت مجد الدين بن الخشاب أن بعض الأوقاف التى أوقفها كان فى غير عقله وأنه كان مخبلا فى ذلك الوقت وأخذ منها ما اختاره ، وكانت له مكارم ، وقصده [٢٣٧] الشعراء ومدحوه ، وكان يهب لهم ويُعطيهم ، وامتدحه فى وقت شرف الدين القدسى الكاتب بقصيدة مطولة منها :

ما رأيت الناس مثل حسنك لا لا هـكذا هـكذا و إلا فـلالا

فتبسم وقال : يا شرف الدين بعد الثمانين يكون الحسن ، والله أسرفت فى التجمل . فقال له : ياسيدى أحسن الشعر ما كذب الشاعر فيه ، فأعجبه ذلك ورسم له بخمسمائة درهم .

وكان قد خرج من مصر على نيّة الجهاد ، فأدركه مرض منعه أن يحضر المصاف ، وبقى إلى أن رجع العسكر فركّبه مماليكه إلى أن وصل منزلة السوادة ، فتوفى بها ودفن هناك ، ونقل بعد شقحب إلى مصر ودفن بتربته بالقرافة .

(١) وله أيضا ترجمة فى : العبر جـ ٥ ص ٣٩٦ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٦ ، السلوك جـ ١ ص ٩٠٥ .

الأمير سيف الدين جافان مملوك السلطان لاجين ، مات فى هذه السنة بمرض أصابه بدمشق .

الأمير علاء [الدين][1] قطلوبرس[2] العادلى ، مات فى هذه السنة بعد شنقه فى سوق الخيل ، وأقام ثلاثة أيام ، ثم دفن وكان قد هرب فى نوبة الأويراتية واستخفى بمصر ، ثم وجد عند مملوك له فيه هوى[3] .

(١) [ ] إضافة للتوضيح من السلوك .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : العبر جـ ٥ ص ٣٩٦ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٦ وفيهما « جاهان » ، السلوك جـ ١ ص ٩٠٥ .

(٣) انظر ما جاء بالجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٧٨ وما بعدها ، ص ٣٠٤ وما بعدها ، ص ٣٥٥ وما بعدها .

فصل فيما وقع من الحوادث

في السنة السبعمائة من الهجرة (*)

استهلت والخليفة : الإمام الحاكم أبو العباس أحمد بن الأمير أبي على بن الإمام أبي بكر بن الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين العباسي .

وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية : الملك الناصر محمد بن قلاون الصالحي ، ونائبه بمصر : سيف الدين سلار ، وفي دمشق : جمال الدين أقوش الأفرم (١) ، وفي حلب : شمس الدين قراسنقر المنصوري ، وبطرابلس والسواحل : سيف الدين قطلوبك ، وبصفد : سيف الدين [بلبان] (٢) طرنا السلحدار ، وبحماة : زين الدين كتبغا العادلي ، وبالكرك : جمال أقوش الأشرف (٣) .

والقاضي الشافعي بمصر : تقي الدين بن دقيق العيد ، والحنفي : شمس الدين السروجي (٤) ، والمالكي : زين الدين بن مخلوف ، والحنبلي : شرف الدين الحراني .

(*) يوافق أولها يوم الجمعة ١٦ سبتمبر ١٣٠٠ م .

(١) « ملك الأمراء بدمشق المحروسة » ــ في كنز الدرر جـ ٩ ص ٤١ .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح من كنز الدرر جـ ٩ ص ٤١ .

وهو : بلبان بن عبد الله ، أمير جندار ، الأمير سيف الدين ، المعروف ببلبان طرنا ، والمتوفى سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م ــ المنهل الصافي جـ ٣ ص ٤٢١ رقم ٦٩٨ .

(٣) هو : أقوش بن عبد الله الأشرفي ، الأمير جمال الدين نائب الكرك ، والمتوفى سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م ــ المنهل الصافي جـ ٣ ص ٢٧ رقم ٥١٨ .

(٤) هو : أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني ، قاضي القضاة شمس الدين السروجي ، المتوفى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م ــ المنهل الصافي جـ ١ ص ٢٠١ رقم ١٠٢ .

وقاضى الشافعية بدمشق : بدرالدين بن جماعة ، وقاضى الحنفية : شمس الدين ابن الحريرى ، والمالكية : جمال الدين الزواوى ، والحنابلة : تقى الدين سليمان بن حمزة المقدسى ، والخطيب : بدر الدين بن جماعة .

والوزير بمصر : شمس الدين سنقر الأعسر .

وصاحب المغرب : أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن يحيى بن محمد وأبو يعقوب المـريني .

وصاحب اليمن : الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر .

وصاحب ماردين : الملك المنصور نجم الدين غازى بن الملك المظفر الأرتـق .

وصاحب مكة : الشريف نجم الدين أبو نمى محمد بن أبى سعد بن على بن قتادة الحسينى .

وصاحب المدينة : عز الدين جماز بن شيحة الحسينى .

وملك التتار : محمود قازان ، وصاحب المملكة الشمالية : طقطاى ابن أخى الملك بركة ، والمتولى على الصين قان بن قان بن جنكزخان ، ومن حد بلاد خراسان إلى خان بالق الملك قَيدو .

وصاحب الحبشة : الأَمحرى النصرانى .

وصاحب الهند إلى نجد إلى كنبايت : الملك المسعود ناصر الدين محمود ابن علم الدين سنجر عتيق شمس الدين أيتمش مملوك شهاب الدين الغُورى .

ذكر اختلاف عربان بحيرة :

قال بيبرس فى تاريخه : وفى سنة سبعمائة اختلفت عربان البحيرة ، وهم طائفتان جابر ومرديس (١) اختلافا كثيرا (٢) أنشأ بينهم حربا ، وأفنى بعضهم بعضا ، [٢٣٨] وكانت مرديس (٣) هى المستظهرة على جابر ، وقد كسرتها كسرا [أعتى على الجابر] (٤) ، فاتصل ذلك بالأبواب السلطانية ، فنُدِبتُ (٥) لإخماد فتنتهم و إطفاء جمرتهم وردع المعتدين منهم ، وجُرِّد معى من أمراء الطبلخاناة (٦) عشرون أميرا ، وهم : الأمير شمس الدين سنقرجاه السلحدار ، والأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير ، والأمير سيف الدين بلبان الطغريلى ، والأمير سيف الدين طشتمر الجمقدار ، والأمير علاء الدين بن أمير مجلس ، والأمير بدر الدين محمد الوزيرى ، والأمير عز الدين أيدمر الشمسى القشاش ، والأمير بهاء الدين قراقوش الصوابى ، والأمير سابق الدين بُوزْبا الساقى ، والأمير ناصر الدين محمد بن طرنطاى ، والأمير ناصر الدين محمد بن أيتمش السّعدى ، والأمير علاء الدين على بن دُدَا التركمانى ، والأمير جمال الدين أقوش الرومى ، والأمير شمس الدين الدُكز السلحدار ،

(١) هكذا بالأصل ، و « مرديش » فى التحفة الملوكية ، ولعل الصواب « مرداس » ــ انظر نهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب ص ٤١٨ .

(٢) « كثيرا » ساقط من زبدة الفكرة .

(٣) « جابرديس » فى الأصل ، وهو تحريف ــ انظر ما يلى ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٤) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٥) ضمير المتكلم هنا يعود على بيبرس الدوادار المنصورى .

(٦) « الطبلخانات » فى زبدة الفكرة .

والأمير سيف الدين قطز بن الفارقانى ، والأمير علاء الدين مغلطاى المسعودى ، وأصحاب الأمير مظفر الدين أمير موسى ، وأصحاب الأمير جمال الدين الطشلاقى وغيرهم ، وأُنْهِى إلى الأبواب الشريفة أنهم صافون ، وعلى القتال عاكفون ، وذلك على ظاهر تروجة ، فسرنا سيرا حثيثا ، فوجدناهم قد اتفقوا وافترقوا ، فتبعناهم فانهزموا ، وقصدوا جهة اللَّيونة وغربى الإسكندرية ، فأخذنا مواشيهم من الجمال والأغنام ، وسُقنا[1] إلى الباب الشريف ، وأحضرنا هؤلاء العربان بالأمان ، وقررنا قواعدهم ، ونظمنا الصلح بينهم ، وعدنا إلى الأبواب الشريفة ، فتواترت الأخبار بحركة التتار[2] .

ذكر ورود القُصّاد من بلاد الشرق :

وردت القصاد فى أوائل هذه السنة من بلاد الشرق وأخبروا أن قازان ملك التتار قد بلغه أن قفجق النحق بمصر إلى السلطان بمن معه من الأمراء ، وسلم إليه دمشق ، وخطب للسلطان صاحب مصر ، وأبطل اسمه ، فعز عليه ذلك ، ورمم أن يجمع جيشه للعبور إلى الشام ، وكان قد حنق على قفجق ، وجمع المغول واستشارهم ، فمنهم من أشار عليه بالركوب ، ومنهم من قال له : ياخوند الذى حصل لك ما حصل لأحد من ملوك المغول حيث نُصِرْت على عسكر ما عرف قط أنه انهزم من المغول ، وقد بقى لك فى نفوسهم هيبة ، وما فى الاستعجال فى الركوب إليهم فائدة ، فربما يكون بعد الربح الخسران ، ولا تأمن أن يُنْصَروا

(١) « وسقت » فى زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢١ أ ، ب .

علينا ، والمصلحة أن تبعث إليهم رسلا فى ذلك وتطالبهم أن يحملوا لك مالا ويكون ذلك راحة للعسكر وحرمة للملك .

ثم تواترت مطالعات نواب الشام بأن التتار قاصدون البلاد ، ووقع الجفل فى أهل البلاد إلى الديار المصرية ،وتتابعوا من جميع الأعمال حتى ملأوا الأقاليم والنواحى ، وضاقت بهم الأماكن ، وعجز أكثرهم عن المساكن ، وظن الناس أنهم يُعدمون الأقوات ، فوضع الله البركة فى الغلال ،وأنزل الرخاء فى الأسعار، فكانوا كلما تكاثروا انحطت الأسعار حتى أبيع الأردب من القمح بخمس عشرة درهما(١) .

وقال ابن كثير: وفى مستهل صفر وردت الأخبار بقصد التتار(٢) بلاد الشام، [٢٣٩] [وأنهم عازمون على دخول مصر(٣)] وانزعج الناس ، وازدادوا ضعفا على ضعفهم ، [وطاشت عقولهم وألبابهم(٤)] وشرعوا فى الهروب إلى مصر والكرك والحصون المنيعة ، فبلغت الحمارة إلى مصر خمسمائة درهم ، وأبيع الجمل بألف، والحمار بخمسمائة ، وبيعت الأمتعة بأرخص الأثمان وأبخسها ، وجلس الشيخ تقى الدين بن تيمية فى ثانى صفر بمجلسه فى الجامع ، فحرض الناس على القتال ، وتلا عليهم الآيات والأحاديث الواردة فى ذلك ، ونهى عن التسرع فى الحركة، ونودى فى البلدان لايسافر أحد إلا بمرسوم ، فتوقف الناس عن السير، وسكن

(١) هذا الخبر ملخصا عن زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢١ ب ، ٢٢٢ أ .

(٢) « التتر » فى البداية والنهاية .

(٣) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٤) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

جَأشهم ، وتحدّث الناس بخروج السلطان من القاهرة بالعساكر المنصورة ، فبلغ السلطان ذلك ، فقصد أن يجمع مالاً من الناس لأجل العساكر (١) .

ذكر عزم السلطان على السّفر وأمره بجمع الأموال من الناس :

لما جرى ما ذكرنا اجتمعت الأمراء عند السلطان وتشاوروا فيما بينهم ، واتفقوا على تجهيز أمرهم ، وخروج السلطان مع العساكر ، وأن يجمعوا مالاً يكون فى الخزانة برسم نفقات العساكر ، وكتبوا لنائب الشام أن يدبّر أمره ويستخدم بَطّالين إلى وقت حضور السلطان ، وطلبوا ناصر الدين [محمد بن] (٢) الشيخى ، وأمروه أن ينظر فى أمر التجار والكارم والأكابر ، ويتفقد أيضا مَن لم يخرج مع العسكر فى النوبة الأولى ، فيأخذ منهم شيئا ، ثم اتفق رأيهم أن يعرضوا الجيش ، وذلك لأنهم استجدوا جماعة كثيرة من الجند ، وكان فيهم جماعة كثيرة من أهل الصنائع والناس المجمعين ، فطلب مُقدمى الحلقة وأمروهم أن يُحضروا الأجناد راكبين خيولهم وأرماحهم بأيديهم ويدخل كل واحد ويعرض نفسه لينظر الأمراء إلى حملة الرمح وسوقة الفرس ، ويعرفون بذلك هل هو أصيل فى الجندية أو دخيل فيها ، وأيضا يعرف المقدمون من كان منقطعا يوم الواقعة الأولى ومن كان حضرها ، وكان الأمراء نصبوا لهم مخيما بميدان القبق (٣) ، وأقاموا أياما

(١) انظر البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٤ حيث يوجد اختلاف فى بعض الألفاظ لا يغير المعنى .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح من السلوك .

(٣) ميدان القبق : وهو ميدان خاص للعب القبق ، ويقع خارج القاهرة المعزية فيما بين النقرة التى ينزل من قلعة الجبل إليها وبين قبة النصر تحت الجبل الأحمر ، ويقال له أيضا الميدان الأسود ، وميدان العيد ، والميدان الأخضر ، وميدان السباق ، وهو ميدان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى — المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١١١ .

يعرضون الجيش في كل يوم عشر مقدمين من الحلقة بمضافيها .

وأما أمر المال فإن السلطان والأمراء قصدوا التوسع بشئ يعين على كلف العساكر ، وسمّوا بتقدير مال على الأملياء والتجار وأرباب المعايش والأسباب بالقاهرة ومصر ، فقرّر ، وتولاه الأمير سنقر المعروف بالأعسر ، والأمير ناصر الدين محمد الشيخي متولى القاهرة ، فاستخرجا منه نحو مائة ألف دينار ، وسُمى مُقرّر الخيالة .

وقال صاحب نزهة الناظر : لما تولى ناصر الدين الشيخي استخراج المال المقرر على هؤلاء المذكورين عجز عن ذلك ، وبلغه كلام كثير منهم ، فاختار أن يشرك الوزير معه في أمر الجباية ، واتفق مع ذلك حضور بعض الجند وشكايته إليه ما قاسى من العامة ومن كلامهم الفاحش ، وذكر أن الأجناد ما بقيت لهم حرمة عند العوام ، وإذا وقف واحد منهم لشراء حاجته مما يتعلق بحال الجندية يسمعونه الكلام الفج ويقولون له : أما تستحون بالله تحدثون اليوم وبالأمس كنتم هاربين ، والآن تتشطرون علينا ، وإذا هب واحد منهم على أحد من العامة بمقرعة في يده ، ينهض إليه ويُمسكها من يده ويقول : إش معنى ما كانت هذه الحرمة على مثل الذين فعلوا بكم كذا وكذا وهربتم منهم ، فصارت الأجناد في ألم عظيم من مثل ذلك ،[٢٤٠] وعرف ناصر الدين الشيخي ذلك للأمراء ، واختار أن يشرك معه في هذا الأمر من هو أكبر وأكثر حرمة ، فرسموا أن يكون شريكه في ذلك الأمير شمس الدين الأعسر ، فإنه كان ذا حرمة عظيمة وهيبة قوية بحيث أن أحدا من العوام إذا وقف بين يديه لم يقدر أن ينطق بكلمة واحدة ، فاستقام حينئذ حال ناصر الدين المذكور ، ثم نُودى في

القاهرة بأن أىّ عامىّ يزيد فى الكلام على جندى كانت روحه وماله للسلطان (١) ، فانقطعوا بعد ذلك عماهم فيه من تشويشهم على الأجناد .

قال الراوى : ثم جاء خبر من نائب الشام صحبة قاصد من عنده أن عسكر قازان يتواردون أولا فأولا ، وهو يحثهم على عبور الشام ، وأنه قد استخرج من الأملاك والأوقاف وأصحاب البساتين أجرة أربع شهور وأنه استخدم بها من التركمان وغيرهم نحو ثمانمائة فارس ، ونفق على كل جندى منهم ستمائة درهم نقرة (٢) ، ثم أعرضهم وهم منتظرون حلول الركاب الشريف ، فعند ذلك تجهزت الأمراء والسلطان للخروج .

ذكر خروج السلطان من القاهرة متوجّها إلى الشّام لأجل حركة التتار :

كان خروج السلطان مع عساكره فى النصف من شهر صفر (٣) من هذه السنة ، وتموا سائرين إلى أن وصلوا إلى غزّة وأقاموا عليها يومين ، والثالث ورود خبر من نائب حلب ونائب الشام صحبة القُصّاد أن قازان قد توجه بجيشه إلى نحو جبال أنطاكية وقد جفلت أهل السّواد بين يديه ، فكتب السلطان الجواب بأن تكونوا على يقظة من أمره ، وتعرفوا بحركاته كل وقت ، فاقتضى رأيهم الرحيل من غزة إلى منزلة العوجاء ، فضربوا الدهاليز بها ، وشرعت الأجناد فى

(١) انظر السلوك جـ ١ ص ٩٠٧ .

(٢) درهم نقرة : كان الدرهم النقرة على عهد الظاهر بيبرس عياره الثلثان من فضة ، والثلث من النحاس — صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٢ — ٤٦٣ ، الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ٢٩٧ .

(٣) « فى يوم السبت ثالث عشر صفر » النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٣١ .

تسفير جمالهم إلى تحصيل الشعير والتبن وما يحتاجون إليه ، وجاءت الأمطار الكثيرة بإذن الله خارجة عن الحد والعادة ، واستمرت ليلا ونهارا عشرة أيام ، ثم أصبحت فى نهار واحد من بكرة النهار إلى الظهر ، ثم شرعت وتزايدت إلى أن منعت المسافرين والجافلين عن جلب الأشياء ، فضاقت بهم الأحوال ، فصار كل أمير إذا أراد طبخ شيء من الطعام يستر مطبخه باللبابيد الكثيرة حتى يتيسر إيقاد النار ، فأقامت المطر على منوال واحد أحداً وأربعين يوما بلياليها ، لم يتلذذ فيها أحد بالنوم من شدة البرد والرعد والمطر والثلج والبرد الذى يمنع الرجل عن القيام لمصلحته ، وكذلك بلغت أحوال الخيول فلا يقدر أحدا منها أن يضع جنبه على الأرض ولا يشرب الماء إلا من النهر الذى يجرى بين يديه ، فتحسنت أسعار التبن والشعير وغير ذلك .

قال صاحب النزهة : اشترينا الحمل من التبن بأربعين درهما ، والعليقة الواحدة بثلاثة دراهم ، والخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم ، والرطل من اللحم بثلاثة دراهم ، وانقطع الجلب من سائر الأماكن ، ثم حصل بعد ذلك سيل عظيم من الأمطار والثلوج التى ذابت من الجبال وانحدر فى النهر إلى أن فاض من جوانبه وارتفع إلى أن علا من فوق القنطرة ، وجاء عقيب ذلك برد عظيم جدا حتى مات من الغلمان جماعة كثيرة من البرد ، وتلفت حال العسكر ، وتلف جميع ما معهم من الثياب والقماش والخيام وأنواع [٢٤١] المأكولات بحيث أن أحدا ما كان يقدر على القعود فى الخيام من المياه من كثرة المطر ، ثم أجمع رأيهم على الرحيل ، فنودى فى العسكر بالركوب بكرة النهار ، وأول من ركب وتقدم الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة ، وقدامه حزمة حطب على السرج ورماها فى الوحل ، ثم

الأمير ركن الدين بيبرس ، ثم بقيـة الأمراء أولا فأولا ومماليكهم وغلمانهم ، وكذلك أجناد الحلقة ، وبيد كل واحد قفة أو مخلاة من التراب أو الحجر أو غير ذلك فيرميه فى الوحل حتى تمشى الدواب عليه .

وهم فى ذلك إذ وصل ممـلوك من نائب حلب ومعـه اثنان من الناصحين ، وأخبروا أن قازان ركب بجيشه إلى أنطاكية ، ثم إلى جبل السماق ورجـع إلى قرون حماة وأرض شـيزر ، ونهب وسبى خلقا كثيرا ، وأخذ مواشى كثيرة للتركمان وأهل البلاد ، وأن صاحب سـيس بذل له مالا عظـيما فى شراء أسرى كثيرة من المسلمين ، وأنه صمّم على عبوره الشام ، فأرسل الله على جيشه أمطارا عظيمة وثلوجا لم يعهدوا مثلها قبل ذلك ، ومع ذلك وقع الفناء فى خيولهم ، وكان الفرس منهم يصيبه البرد وينزل عليه الثلج فيقع على الأرض ، ثم لا ينتفع به بعد ذلك ، وحكوا أن قازان كان معه خصوصا اثنى عشر ألف رأس من الخيـل دُشار ، فلم يبق منهـا إلاَّ مادون الألف ، وأنه لما رأى ذلك استشار أمراءه[1] فى الرجوع ، فرجعوا فى أسوأ حال ، وتفرق عسكره ، وركب بعضهم بعضا ، فلما سمع السلطان والأمراء ذلك اقتضى رأيهم أن يجردوا بعض المقدمين بمضافيهم إلى حلب لأجل تطمئن البلاد ولسُمْعة العدو بأن عسكر مصر قد وردوا للقائهم ، فعينوا الأمير سـيف الدين بكتمر السلحدار ومضافيـه ، والأمير بهـاء الدين يعقوب ومضافيه ، وأشاروا برحيل بقية العساكر إلى مصر .

ذكر عَوْد السُلطان إلى مصر :

ثم رحل السلطان ببقية العسكر وتوجهوا إلى مصر ، فوصـل السلطان إلى

(١) « أمرائه » فى الأصل .

قلعة الجبل فى عاشر جمادى الأولى[(١)]، وكان العود أحمد وأولى .

واستعفى الأمير سيف الدين كراى[(٢)] السلحدار من نيابة صفد، ورسموا بنيابتها للأمير سيف الدين بُخَاص[(٣)]، وأنعم على الأمير كراى بإقطاع الأمير سيف الدين بلبان الطباخى بحكم وفاته .

وكان عند العسكر فرح عظيم من رجوع السلطان إلى القاهرة بسبب ما قاسوا من الشدة والقلة ، وقال بعضهم فى ذلك :

أقمنا على العوجاء خمسين ليــلةً ... نُدبِّر أمراً قد حكاه اعوجاجُهــا

وقال صاحب النزهة منشدا لنفسه :

ياسفرة العوجاء من ســـفرة ... كادت بها أرواحُنا تخـــرجُ
سماؤهــا ممطـــرة دائمــا ... وغيثهــا من بَرده يثلـــج
والشمس فى أركانها ظلمــــة ... وصبحها مـــع ليلها مُدلج
لابَرِح الُجندىُّ من أرضهــا ... إلاّ عليـــل الجسم أو أفلـــج

(١) « فى يوم الإثنين حادى عشرة » — السلوك جـ ١ ص ٩٠٩ ، النجـوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٣١ .

(٢) هو كراى بن عبد الله المنصورى ، نائب صفد ، ثم نائب دمشق . اعتقل بعد سنة ٧١٠هـ وتوفى معتقلا بقلعة الجبل سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩م — المنهل الصافى .

(٣) « بدخاص » فى السلوك جـ ١ ص ٩٠٩ .
وهو : بتخاص بن عبد الله ، الأمير سيف الدين ، كان آخر العهد به سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ٢٣٧ رقم ٦٤٠ .

وقال ابن كثير : ولما وصلت الأخبار إلى الشام بأن السلطان صاحب مصر قد رجع عائدا إلى مصر ، كثر الخوف واشتد الحال ، وكثرت الأمطار جدا ، وخرج كثير من الناس خفافا وثقالا [٢٤٢] يتحملون بأهاليهم وأولادهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون[1] ، ثم قويت الأراجيف بوصول التتار ، وتحقق أهل الشام عود السلطان إلى مصر ، ونادى ابن النحاس متولى دمشق فى الناس : من قدر على السفر فلا يقعد بدمشق ، فتصايح النساء والولدان ، وبقى على الناس ذلة وخمدة وزلزلوا زلزالا شديدا ، وغلقت الأسواق ، وتيقن الناس أن لا ناصر لهم ، ودخل كثير من الناس إلى القلعة ولم يبق فى دمشق من الأكابر إلا القليل ، وسافر قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وشمس الدين بن الحريرى ، ونجم الدين ابن صصرى ، ووجيه الدين بن منجا ، وقد كانت سبقتهم بيوتهم إلى ديار مصر .

وجاءت الأخبار بوصول التتار إلى سرمين ، وخرج الشيخ نجم الدين بن القرافى ، وإبراهيم الرقى ، وابن قوام ، وابن تيمية ، وابن حبان إلى نائب السلطنة الأفرم ، فقووا عزمه على ملاقاة العدو ، واجتمعوا بمهنى أمير العرب ، فأجابه إلى السمع والطاعة ، وقويت نياتهم على ذلك ، وخرج طلب الأميرسلار من دمشق إلى ناحية المرج ، واستعدوا للحرب والقتال بنيات صادقة .

ورجع ابن تيمية من الديار المصرية فى السابع والعشرين من جمادى الأولى على البريد ، وقد أقام بقلعة مصر ثمانية أيام ، واجتمع بالسلطان والوزير وأعيان

---

(١) يوجد هذا الخبر ملخصا فى المطبوع الذى بين أيدينا من كتاب البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٥ .

الدولة وحرضهم، فأجابوه، وكان الشيخ قد خرج من الشام مستهل جمادى الأولى، وقد غلت الأسعار بدمشق جدا حتى أنه بيع خروفان بخمسمائة درهم، واشتد الحال جدًا.

ثم جاءت الأخبار بأن ملك التتار قد خاض الفرات راجعا فى عامه ذلك لضعف جيشه وقلة مَدَده، فطابت الأخبار، وسكن الناس، ورجعوا إلى منازلهم منشرحين آمنين، ولله الحمد رب العالمين، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق من المرج، وكان فيه مخيما مدة أربعة شهور متتابعة، وكان هذا من أعظم الرباط، وتراجع الناس من الحصون حول دمشق إلى أوطانهم.

ذكر وصول الرُسُل من جهة قازان :

وفى أواخر شوال : جاء مملوك نائب حلب وأخبر بحضور الرسل من جهة قازان إلى السلطان، ورُسم للأمير سيف الدين كراى المنصورى أن يتجهز إلى لقائهم، فتجهز وخرج، وقد كتبوا بالإقامات فى الطرفات، وتلقاهم الأمير كراى فأحضرهم، وهم : الأمير ناصر الدين [على][1] خواجة، والقاضى كمال الدين يونس[2] قاضى الموصل، ورفقيهما، وكانوا رسموا قبل تمثلهم بين يدى

---

(١) [ ] إضافة للتوضيح من السلوك جـ ١ ص ٩١٥.

(٢) « موسى بن يونس » فى السلوك جـ ١ ص ٩١٥. و« القاضى ضياء الدين بن بهاء الدين ابن يونس الشافعى » ـ فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٥٢. و« القاضى كمال الدين بن يونس قاضى الموصل » فى زبدة الفكرة.

وهو : موسى بن محمد بن موسى بن يونس الأربلى، القاضى كمال الدين، قاضى الموصل، والمتوفى سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م ـ الدرر جـ ٥ ص ١٥٢ رقم ٤٨٩٧.

السلطان أن يلبس سائر الجيش الكلوتات الزركش والطرازات الذهب ، وأن يلبسوا أفخر ما عندهم ، ورتبوا من باب القلعة إلى داخل الإيوان صفين ، فدخلوا ، وكان دخولهم فى النصف من ذى القعدة(١) ، فلما وصلوا إلى مجلس السلطان رأوا ما أذهلهم من الحشمة والهيبة ، ورأوا عسكرا كأنهم خلقوا من حسن ومهابة وجمال ، وهم صُور حسان ووجوه جميلة ، وباسوا الأرض ، واعطوا ما معهم من الكتب .

واجتمعت الأمراء ، وقُرئت الكتب بحضورهم ، وفهموا ما فيها ، ثم أنهم شافهوا السلطان بما حملهم قازان ، فذكرها السلطان للأمراء ، وأمر السلطان بإكرامهم واحترامهم ، وأنزلوهم فى أحسن [٢٤٣] منزلة ، ورتبوا لهم الرواتب السنية ، ثم اجتمعت الأمراء بعد ذلك فتشاوروا فيما بينهم عند السلطان ، وطلبوا كاتب السر وأمروه أن يكتب الجواب عن سائر الفصول التى يتضمنها كتاب قازان .

وقال القاضى شرف الدين بن الوحيد فى تاريخه : لما حضر الرسل من جهة قازان استحضرهم السلطان فى الليل ، فلما وقعوا بين يديه أحسن إليهم وقربهم منه ، ولما رأى قاضى الموصل ذلك خطب خطبة بليغة وذكرآيات فى فى معنى الصلح بين الفريقين ، واتفاق الملكين والعسكرين ، ثم بسط يده ودعى لمولانا السلطان ، ثم بعده لمحمود قازان ، ثم أوضح الرسالة التى بيده وأعاد الكلام فى معنى الصلح وقال : ودفع الكتاب للسلطان وهو مختوم بغير عنوان ، فلم يفتحه السلطان فى تلك الليلة ، ورسم بإعادة الرسل إلى مكانهم ، ولما كانت

(١) « ليلة الإثنين خامس عشر ذى الحجة » ـ فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٥٤ .

الليلة الثانية طلب السلطان الأمراء المقدمين الأكابر وفتحوا الكتاب ، وقُرِئَ على السلطان فإذا هو بالخط المغلي ، وهو فى قطع النصف البغدادى ، أوله بسم الله الرحمن الرحيم .

ذكر نسخة الكتاب[1] :

بقوة الله تعالى ، وميامين الملة المحمدية ، فرمان السلطان محمود غازان، ليعلم السلطان المعظم الملك الناصر أنه فى العام الماضى بعض عساكرهم[2] المفسدة دخلوا أطراف بلادنا وأفسدوا فيها، لعناد الله تعالى[3] وعنادنا ، كماردين ونواحيها ، وجاهروا الله بالمعاصى فيمن ظفروا به من أهلها ، وأقدموا على أمور بديعة[4] وأحوال شنيعة[5] من محاربة الله ، وخرق ناموس الشريعة ، فأنفنا من تهجمهم ، وغرنا من تقحمهم ، وأخذتنا الحمية الإسلامية ، فَحَدَتْنَا على دخول بلادهم ومقابلتهم على إفسادهم ، فركبنا بمن كان لدينا من العساكر ، وتوجهنا

---

(١) انظر نص الخطاب أيضا فى كل من : زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٣ ب — ٢٢٤ ب ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٩ ورقة ٢٣٠ أ وما بعدها ، صبح الأعشى جـ ٧ ص ٢٤٣ وما بعدها ، وانظر أيضا ملاحق كتاب السلوك جـ ١ ملحق رقم ١٤ ص ١٠١٦ وما بعدها .

و يوجد نص مختلف فى كنز الدرر جـ ٩ ص٥٣ — ٥٦ ، وفى النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢٦ — ١٢٩ .

(٢) هكذا بالأصل .

(٣) « تعالى » ساقط من زبدة الفكرة .

(٤) هكذا بالأصل .

(٥) « وارتكبوا آثاما شنيعة » فى زبدة الفكرة .

بمن اتفق منهم أنه حاضر، وقبل وقوع الفعل منا ، واشتهار الفتك عنا ، سلكنا سنن المرسلين ، واقتفينا آثار المتقدمين ، واقتدينا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ لئلا يكون « للناس على الله »[1] حجة بعد الرسل[2] ﴾ وأنفذنا صحبة يعقوب الكرجى جماعة من القضاة والأئمة الثقات ، وقلنا : ﴿ هذا نذيرٌ من النذر الأولى ، أزفت الآزفة ، ليس لها من دون الله كاشفة[3] ﴾ .

فقابلتم ذلك بالإصرار ، وحكمتم عليكم وعلى المسلمين بالأضرار ، وأهنتموهم وسجنتموهم ، وخالفتم سُنن الملوك فى حسن السلوك ، فصبرنا على تماديكم فى غيكم و إخلادكم[4] إلى بغيكم إلى أن نصرنا الله وأراكم فى أنفسكم قضاه ، ﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله[5] ﴾ ، وظننا أنهم حيث تحققوا كُنه الحال ، وآل بهم إلى ما آل ، أنهم ربما تداركوا الفارط من أمرهم ، ورتقوا ما فتقوا بغدرهم ، وأوجه إلينا وجه عذرهم ، وأنهم ربما سيروا إلينا حال دخولهم إلى[6] الديار المصرية رُسلا لاصلاح تلك القضية ، فبقينا بدمشق غير متحجحثين ، وتثبطنا تثبط المتملكين المتمكنين ، فصدهم عن السعى فى صلاح حالهم التوانى ، وعللوا نفوسهم بالأمانى[7] .

---

(١) « على الناس » فى الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من المصحف .

(٢) جزء من الآية رقم ١٦٥ من سورة النساء رقم ٤ .

(٣) الآيات رقم ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ من سورة النجم رقم ٥٣ .

(٤) « وخلودكم » فى زبدة الفكرة .

(٥) جزء من الآية رقم ٩٩ من سورة الأعراف رقم ٧ .

(٦) « إلى » ساقط من زبدة الفكرة .

(٧) « وعللوا نفوسهم من اليقين بالأمانى » فى زبدة الفكرة .

ثم بلغنا بعد عودنا إلى بلادنا ، أنهم ألقوا فى قلوب العساكر والعوام، وراموا جبر ما أوهنوا من الإسلام ، أنهم فيما بعد يلتقونا (١) على حلب أو الفرات ، وأن عزمهم مصر على ذلك لاسواه ، فجمعنا العساكر وتوجهنا للقياهم ، ووصلنا (٢) [٢٤٤] الفرات مرتقبين ثبوت دعواهم ، وقلنا لعلهم وعساهم ، فما لمع لهم (٣) بارق ، ولا ذرّ لهم (٤) شارق ، فتقدمنا إلى أطراف حلب ، وتعجبنا من بطائهم غاية العجب، فبلغنا رجوعهم بالعساكر ، وتحققنا نكوصهم عن الحرب . وفكرنا أنه متى (٥) تقدمنا بعساكرنا الزاخرة (٦) ، وجموعنا العظيمة القاهرة، ربما أخرب البلادَ مرورُها (٧) ، وبإقامتهم فيها فسدت أمورها ، وعم ضرر العباد ، وخراب (٨) البلاد ، فعدنا بقيا (٩) عليها ، ونظرة لطف من الله إليها .

وها نحن أيضا الآن مهتمون بجمع العساكر المنصورة ، ومشحذون غرار عزماتنا المشهورة، ومستعملون (١٠) المجانيق وآلات الحرب ، وعازمون بعد الإنذار، ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (١١) .

---

(١) « يلقونا » فى زبدة الفكرة .

(٢) « ووصلنا » مكررة فى بداية الورقة التالية .

(٣) « لهم » ساقط من زبدة الفكرة .

(٤) هكذا بالأصل .

(٥) « متى » ساقط من زبدة الفكرة .

(٦) « الباهرة » فى زبدة الفكرة .

(٧) « الضرر » فى زبدة الفكرة .

(٨) « الخراب » فى زبدة الفكرة .

(٩) « بقى » فى الأصل . والتصحيح من زبدة الفكرة .

(١٠) « ومشتغلون بصنع » فى زبدة الفكرة .

(١١) جزء من الآية رقم ١٥ من سورة الإسراء رقم ١٧ .

وقد سيّرنا حامل هذا الفَرْمان الأمير الكبير ناصر الدين بن(١) على خواجا ، والإمام العالم ملك القضاة كمال الدين موسى بن يونس ، وقد حملناهما كلاما يُشافهانهم بهن(٢)، فليثقوا بما تقدمنا به إليهما، فإنهما من الأعيان المعتمد عليهما، لنكون كما قال الله تعالى : ﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾(٣) ، فتعدّون(٤) لنا الهدايا والتحف ، فما بعد الإنذار من عاذر ، وإن لم تداركوا(٥) الأمر فدماء المسلمين وأموالهم مطلوبة بتدبيرهم ، ومطلوبة منهم عند الله على طول تقصيرهم .

فليمعن السلطان لرعيته النظر فى أمره ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ ولاّه الله أمرا من أمور هذه الأمة واحتجب دون حاجتهم وخَلّتهم وفقرهم ، احتجب الله دون حاجته وخلّته وفقره »(٦) . وقد أعذر من أنذر ، وأنصف من حذّر ، ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾(٧) .

---

(١) « بن » ساقط من زبدة الفكرة .

(٢) « يشافهاهم به » فى زبدة الفكرة .

(٣) الآية رقم ١٤٩ من سورة الأنعام رقم ٦ .

(٤) « فتعدوا » فى زبدة الفكرة .

(٥) « تتداركوا » فى زبدة الفكرة .

(٦) قال عليه الصلاة والسلام : « من ولاه الله عز وجل شيئا من المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلّتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره » ـ انظر سنن أبى داود جـ ٣ باب « فيما يلزم الإمام من أمر الرعية » ص ١٣٥ حديث رقم ٢٩٤٨ .

(٧) جزء من الآية رقم ٤٧ من سورة طه رقم ٢٠ .

كتب فى العشر الأول من شهر رمضان « سنة سبعمائة »(١) بجبال الأكراد ، والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد المصطفى وآله الطاهرين(٢) .

وسنذكر ما أجابه السلطان عن هذا الكتاب في السنة الآتية إن شاء الله تعالى(٣) .

ذكر وقوع الفناء فى الأبقار :

وفيها : أصاب الفناء الأبقار دون غيرها من المواشى حتى تعطلت الدواليب والسواقى ، وغلت أسعارها غلوا لم يُسمع بمثله ، وبيع الرأس البقر بألف درهم(٤) وما يقاربها ، واستعمل الناس الخيل والجمال والحمير عوضًا عنها ، فما أجدت فى الحرث والكرب ولا أغنت عنها ، فتعذرت الأقصاب وتعطلت ، وتُرك زراعة أكثرها وأبطلت ، فارتفعت قيمة القنود وبلغت عشرة دنانير القنطار . ولقد حكى عن شيخ من أهل الفلاحة ببلد أشموم(٥) أنه كان يملك من الأبقار الحيسية السارحة فى تلك الجزائر ما جُملته ألف وإحدى عشرة رأسا ، فماتت فى هذا الفناء أولا فأولا حتى لم يبق له منها غير ثمانية(٦) لاسواها(٧) .

---

(١) « » ساقط من زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٣ب — ٢٢٤ ب .

(٣) انظر ما يلى ص ١٥٥ — ١٦٦ .

(٤) « وبلغ الثور ألف درهم » فى السلوك جـ ١ ص ٩١٤ .

(٥) « أشموم طناح » فى السلوك جـ ١ ص ٩١٣ .

(٦) « ثمانية عشر » فى السلوك جـ ١ ص ٩١٤ .

(٧) ينقل العينى هذا الخبر عن زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٢ ب — ٢٢٣ أ .

وقال صاحب نزهة الناظر : كان مبدأ فناء الأبقار فى أواخر سنة تسع وتسعين وستمائة، فلما دخلت سنة سبعمائة تزايد الأمر فى موتها، وتعطلت الدواليب وزراعات الأمصار، وتوقف حال أرباب السواقى ، وتزايد الأمر على الناس فكان يكون فى السافية عشرة أروس يصبح الستة منها موتى ، ويأتى اليوم الثانى والثالث فلا ترى منها شئ، ويحتاج صاحبها إلى شراء غيرها بقيمة زائدة، فحصل الضرر البالغ لأصحاب البساتين ، خصوصا لأهل دمياط وأشمون والمزاحميين والقليوبيين، [٢٤٥] وكذلك بلاد الصعيد ودواليب المعاصر ، وقال : لقد بلغنى أنه كان بدمياط رجل من أكابرها وله عدة بساتين ، وكان فيها مائة واثنى عشر رأسا مثمنة (١) ، فما مضى عليها ثلاث شهور إلا وقد بقيت منها تسعة أروس لا ينتفع بها .

وكتب الأمراء إلى سائر البلاد أن لا يذبح أحد شيئا من البقر ولا من العجول ، وكتبوا إلى نائب الشام بأن يجهز إليهم أبقارا شامية من سائر البلاد للدواليب السلطانية ، ثم وصلت أبقار كثيرة مع التجار ، وأبيع الرأس منها بثلاثمائة ، وبمائتين ، وظلقت معاملة سوق البقر فى تلك السنة للمقطعين ، وفاضت على ذلك مائة وستون ألف درهم .

ذكر بقيّة حوادث مصر والشام :

وفيها : اقتضى رأى السلطان والأمراء أن يخرج الأمير شمس الدين سنقر الأعسر مع جماعة من المماليك السلطانية إلى الوجه القبلى ليُحصّل من عزبة الخيلَ

(١) هكذا فى الأصل ، ولعل المقصود « سمينة » .

والجمال وآلاتِ السلاح ، والسببُ لذلك أنهم لما علموا بسفر السلطان مع العسكر لحقهم الطمع فى مقل الأمراء والجند ، ومنعوا الحقوق ، وعصوا على الولاة ، وقطعوا الطريق ، وأخافوا السبيل ، فجرد لذلك سنقر المذكور وصحبته مائة نفر من المماليك السلطانية ، فركب إلى أن وصل إليهم ، وكان له فى نفوس الناس حرمة عظيمة ومهابة قوية ، فكبس البلاد ، وأتلف كثيرا من المفسدين ، ولم يزل سائرا إلى أن وصل الأعمال القوصية ، ولم يَدَع فرساً فى بلاد الصعيد من خيل العرب ولا خيل القضاة والفقهاء والمتعممين إلا أخذه ، وأخذ سائر السلاح من الرماح والسيوف والدَرق(١) ، فكانت عدة ماحضر معه من الخيل ألف وستون فرسا ، ومن الجمال ثمانمائة وسبعون رأسا ، ومن الرماح ألف وستمائة رمح ، ومن السيوف ألف ومائتا سيف ، ومن الدرق تسعمائة درقة ، ومن الغنم ستة آلاف رأس ، فأصلح تلك البلاد حتى أخذ الناس مغلهم كاملا .

وقال بيبرس فى تاريخه : جرّد الأمير سيف الدين سنقر الأعسر إلى الصعيد للكشف والتمهيد ، [ورسم له بحسم مادة العربان ، فإنهم تظاهروا بالنفاق والعصيان](٢) وتوجهنا إلى الوجه(٣) فاجتمعنا بمنفلوط وأحضرنا أعيانهم ، وقررت عليهم جباية من المال والخيل والجمال والسلاح ، وجُبيت فكانت ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، وألف رأس خيل ، وألفى جمل ، وعشرة آلاف(٤) رأس

(١) الدرق : آلة لاتقاء قذائف العدو ، وتكون من الجلد ، وخاصة جلد البقر — صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٣ .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٣) « وتوجهت إلى ذلك الوجه » — فى زبدة الفكرة .

(٤) « ألف » فى زبدة الفكرة .

فنم ، وحُسِمت مادتهم فى ذلك الوقت .[١]

وفيها : فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ذى القعــدة عزل شمس الدين ابن الحريرى عن قضاء الحنفية بالقاضى جلال الدين أبى حسام الدين على قاعدته وقاعدة أبيه من قبله ، وذلك باتفاق من الأمير سنقر الأعسر والنائب جمال الدين أقوش الأفرم .

وفيها : استقال الأمير كراى السلحدار من نيابة صــفد ، فأقيل ، وجُهـز إليها عوضا عنه الأمير بُخاص المنصورى من دمشق .[٢]

وفيها : استعفى سيف الدين قطلوبك من نيابة الحصون ، فأعفى ، وجُهّز إليها من دمشق سيف الدين أسندمر الكرجى ، وأعيد قطـلوبك إلى دمشق ، فاستقر من أمرائها .[٣]

وفيها : ولّى الأمير فارس الدين البكى الظاهرى نيابة السلطنة بحمص ، وجُهّز الأمير قفجق إلى الشوبك وأعطى بأعمالها إقطاعا .[٤]

وفيها : ألزمت السلطنة طائفتى النصارى واليهود بمصر والشام بلبس العمائم الغيار [٢٤٦] ، فألبس النصارى عمائم زرقاء، واليهود عمائم صفراء، والسامرة بالشام عمائم حمــراء ، وغلقت كنائسها[٥] ، ثم فتـح بعضها أولا فأولا[٦] ، ثم اتفق

---

(١) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٣ أ .

(٢) زبدة الفكرة مخطوط جـ ٩ ورقة ٢٢٢ ب .

(٣) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٢ ب .

(٤) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٤ ب .

(٥) « وأغلقت كنائسهم » فى زبدة الفكرة .

(٦) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٣ أ .

أن بعض أكابر النصارى سعى فى فتح كنيسة وفتحها، واشتهر ذلك بين العامة ، فوقفت حرافيش كثيرة للنائب والأمراء بسبب ذلك .

وقالوا أيضا : إن بعض النصارى تكبروا عن لبس الأزرق ، وإن بعضهم احتمى ببعض أكابر الأمراء ، فاقتضى رأيهم باشهار النداء ، فأمروا والى القاهرة بالمناداة فى مصر والقاهرة بأن كل من لا يلبس الزُرْقَ من النصارى ، أو الصُفر من اليهود ينهبه العامة ، ويُستحل ماله وحريمه ، وأن لا يُستخدم نصرانى عند أمير ولا فى شغل من أشغال السلطنة إلا إذا أسلم ، فتسلطت عليهم العامة من الحرافيش وغيرهم ، فمَنْ رأوا منهم ما عمل بمُوجَب النداء ضربوه إلى أن كاد أن يقتلوه ، وكذا إذا رأوا أحدا منهم راكبا على حمار من غير أن يُثْنى رجله عليها ، فصار كثير منهم لا يجترئ على الركوب ويمشى فى الطريق وهو خائف على نفسه وأسلمت منهم جماعة كثيرة (١) .

وفيها : قصد الأمراء عزل الأمير شمس الدين سنقر الأعسر عن الوزارة ، وذلك لكبره وشممه وزيادته عن الحد وعدم توقيره لمن يكون من جهة الأمراء حتى أنه مَسَك التاج بن سعد الدولة (٢) ، وكان مستوفى الدولة وممن يلوذ بالأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وعرّاه وضربه بالمقارع ضربا مؤلما ، فأسلم من حرارة الضرب وألزمه أن يُشهد عليه بالإسلام ، وبعد ذلك تحمل مال السلطان ، فلما أطلقه دخل إلى زاوية الشيخ نصر (٣) وألزم نفسه أن لا يخرج منها ،

(١) انظر ما ورد فى النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٣٢ — ١٣٥ .

(٢) « بن سعيد الدولة » فى السلوك جـ ١ ص ٩١٦ .

(٣) زاوية الشيخ نصر المنبجى : خارج باب النصر من القاهرة ، أنشأها الشيخ نصر بن سليمان أبو الفتح المنبجى الناسك القدوة ، المتوفى سنة سنة ٧١٩ هـ / ١٣١٩ م — المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٤٣٢ .

وأرسل الشيخ نصر إلى بيبرس الجاشنكير أن يتحدث فيه ليُعفى من المباشرة ، ففعل ذلك واستمر عليه إلى أن وقفت الأمراء لبيبرس وحسنوا له أن يطلب الأمير عز الدين أَيْبك البغدادى من نيابة الإسكندرية ويتولى الوزارة بالديار المصرية ، عوضا عن شمس الدين سنقر المذكور ، وأجمع بيبرس مع الأمير سلّار على ذلك وولّوا أيبك المذكور الوزارة ، ثم اتفق رأيهم أن يكون شمس الدين سنقر كاشف القلاع الشامية بأمرها ، فينظر فيها ويُصلح أمورها ويرتب الرجال وما تحتاج إليه من سائر الأصناف ، فخلع عليه بذلك(١) .

وفيها : أعرس السلطان على بنت الأمير كرتيه(٢) ، وكانت تعرف بالأشرفية ، فكانت زوجة أخيه الملك الأشرف ، فعمل على ذلك مهما عظيما ، وخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف بخلع سنية .

ذكر ما جرى فى بلاد الشمال :

قد ذكرنا فى العام الماضى ما وقع بين ولدى نُوغيه(٣) ، وهما جكا وتكا ، وأن جكا استقر موضع أبيه ، وكان عند استيلائه على المملكة قد أقام له نائبا يسمى طُنْغر من أكابر الأمراء ، فلما أقدم على قتل أخيه تكا نفرعنه واتفق مع طاز بن منجك — وهو صهر نُوغيه زوج ابنته طُغاجا — على التوجه للإغارة على بلاد أولاق والروس ، فسارا بمضافيهما ، ولما خلا أحدهما بالآخر تحادثا وتفاوضا فى أمر جكا وجرأته وسوء سيرته وقالا : إذا كان هذا لم يُبق على أخيه ، [٢٤٧]

(١) أعاد العينى ذكر هذا الخبر فى أحداث سنة ٧٠١ هـ ــ انظر ما يلى ص ١٨٩ .

(٢) « خوندا أردكين بنت نوكاى » فى السلوك جـ ١ ص ٩١٢ ؛

(٣) انظر ما سبق ص ٨٣ .

فكيف يبقى علينا ؟ ، واتفقا على أن يعودا إليه ويقبضا عليه ، فعادا نحو مقامه ، فشعر واحد من عسكرهما أنهما اتفقا على إعدامه ، فركب وساق مسرعا ، وأعلمه بالحال تنصحا ، فلما تيقن أنهما قد دهماه ركب من ساعته فى مائة وخمسين فارسا من جماعته ودخل بلاد آص ، وكان بها مقدم وثُمان من عسكره ، فآوى إليهم وأقام بينهم .

وحضر طنغُر نائبه وطاز صهره إلى بيوته ، فنهبوها واستولوا عليها ، ووجدوه قد فاتهما .

ولما أقام جكا ببلاد آص وتحقق عسكره أنه حى موجود باق تسلل إليه كثير منهم ، فكثرت بهم عِدّته وعاد لحرب طنغر وطاز ، والتق الجمعان ، فاستظهر عليهم وكسرهم ، وفرق شملهم ، وسبى وغنم ما شاء ، واسترد بيوته وغنائمه منهم .

ولقد حكى من شهد الوقعة أن أخته طغلجا — بنت أبيه نوغيه — ركبت الخيول وقاتلت مع الفحول ، فلما انكسر زوجها ومن معه كاتبوا طقطا يستمدونه ويلتمسون أنجادهم بعسكر يقاتلون به جكا ويُعاوِدونه ، فأمدّهم بجيش صحبة أخيه برلك بن منكوتمر ، فلما جاءهم المدد من عند طقطا دعوا نزال وعادوا إلى القتال ، فلم يكن لجكا بهم قبل ، فهرب ولحق ببلاد أولاق ، وكان ملكها والحاكم عليها متزوجا إحدى أقاربه ، فتطلع إلى حِصْنه مُعتقدا أنه يمتنع عنده ، فقال لذلك أصحابه : هذا الوارد إليك هو عدو لطقطا ، وهو مُجِدّ فى طلبه ، ومتى علم بمقامه عندنا سار إلى نحونا وأهلكنا ، والصواب تعويقه وإعلامه بأمره ، فقبض

عليه وعوقه فى قلعته ، واسمها ترنو ، وطالع طقطا بأمره ، فأمر بقتله ، فقتل فى هذه السنة .

وخلت مملكة طقطا ممن يناوئه ، وبلغ من إبادة أعاديه أمانيه ، ولم يبق من أولاد نوغيه إلا أصغرهم المسمى طَرَنه ، ورتب ينجى بن قرمشى موضع أباجى أخيه ، وجهز تكل بغا وبُر بصار ولديه إلى بلاد نُوغيه ، فأما تكل بغا فإنه استقر فى طقجى ونهرطنا وما يلى باب الحديد ، وهى منازل نُوغيه ، وأقام ايربصار بنهر بيق ، وتكملت بلاد الشمال للملك طقطا[1] .

ذكر ما جرى فى بلاد الغرب من الحوادث فيها :

ومن الحوادث فيها أن جزيرة جربة كانت قد خرجت عن أيدى المسلمين ، كما ذكرناه فى سنة ثمانين وستمائة[2] ، وأقامت بيد المزاليا نائب الإفرنسى بصقلية يجبى إليه خراجها كل عام ، فهلك فى هذه السنة ، أعنى سنة سبعمائة ، فاغتنم أهلها الفرصة بهلاكه فأرسلوا إلى صاحب تونس يعلمونه بذلك ويستنجدونه ، فجهز إليهم ابن عمه أبا زكريا يحيى وجهز معه تقدير عشرين قطعة من المراكب ، وثلاثة آلاف فارس ، وعشرة آلاف راجل ، فتوجه إليها ونزل عليها ، وبلغ ذلك ولد المزاليا صاحب صقلية ، فتجهز فى طواعيته ، وجاءهم بجماعته ، فلما أقبلت شوانيه خرجت شوانى تونس عنها ، وأقلعت منها ، وعاد أبو زكريا اللحيانى ولم ينل مراما ولا شفى أواما ، فدخلها ابن المزاليا وتملكها وأمن أهلها ، وأقام بها إلى سنة ست وسبعمائة ، والله أعلم .

(١) ينقل العينى هذا الخبر عن زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٥ أ ، ب .

(٢) لم يرد هذا الخبر فى المطبوع من عقد الجمان ، نظرا لوجود سقط فى المخطوط تضمن بعض حوادث سنة ٦٨٠ هـ .

وفيها : كان وفاء النيل [٢٤٨] المبارك على سبعة عشر ذراعا وخمسة عشر إصبع ، وكانت السنة من السنين المقبلة على الناس من كثرة الغلال ورخص الأسعار .

وفيها : حج بالناس الأمير سيف الدين بكتمر أمير جندار ، وصنع لفقراء الحرمين معروفا ، وفرق من الأموال ألوفا ، قيل : إنه قد فرق من ماله خمسة وثمانين ألف دينار مصرية .

« وقال[1] صاحب « . . . . »[2] أن الأمير بكتمر هذا جهز سبعة مراكب « . . . . »[3] قمحا وشعيرا ودقيقا وسكرا « . . »[4] وزيتا وحلواء وقاووتا سوى ما حمله معه على الجمال ، وعند وصوله إلى ينبع قد وجد ثلاث مراكب قد وصلت قبله بيومين ، فأخرج جميع مافيها وجعل كل صنف من الأصناف المذكورة كوما بمفرده ، وأمر مناديا ينادى فى الركب أن أى من كان محتاجا إلى مؤنة أو حلواء أو شيئا من ذلك ، فليحضر إلى خيمة الأمير ، فحضرت الناس وفرق عليهم ، ثم فرق على الأمراء والجند من الحجاج وعلى أرباب البيوت كذلك ، ومافضل من ذلك فرق على أهل ينبع ، وعند الرحيل بقيت بقايا من الدقيق والشعير .[5]

(١) بداية المكتوب على هامش الورقة ٢٤٨ ، وبنفس الخط .

(٢) موضع ثلاث كلمات غير مقروءة .

(٣) موضع كلمة غير مقروءة .

(٤) موضع كلمة غير مقروءة .

(٥) « » نهاية المكتوب على هامش الورقة ٢٤٨ ، وبنفس خط المخطوط .

ولم يحج أحد فى هـذه السنة من الشام ، والذى حـج راح إلى غزة ولحق بالمصريين عند عقبة أيلا[(١)] .

(١) هكذا بالأصل .

ذكر مَنْ توفى فيها من الأعيان

الشيخ الصالح حسن الكُردى[(١)] المقيم بالشاغُور فى بستان يأكل من غلته ، ويُطعم من ورد عليه ، وكان يُزار، وكانت له كرامات وأحوال ، ولما احتضر اغتسل وأخذ من شعره ، واستقبل القبلة وركع ركعات ، ثم توفى يوم الإثنين الرابع من جمادى الأولى منها وقد جاوز المائة ، وصلى عليه بجامع جراح ، ودفن بمقابر باب الصغير .

الشيخ يعقوب بن محمد بن حسن الزُرْزارى الكردى العدوى ، توفى فى هذه السنة .

الشيخ الإمام العالم العلامة محمود[(٢)] بن أبى بكر بن أبى العلاء الكلاباذى[(٣)] البخارى الفرضى ، الملقب شمس الدين ، أحد السادات الحنفية .

له المصنفات الفائقة فى الفرائض وغيرها[(٤)] ، وكان محدثا متقنا فاضلا، حسن الأخلاق ، سمع ببخارى وقدم بغداد، فأقام بها يسمع وصنف وكتب، ثم رحل إلى دمشق والقاهرة وسمع بهما من أصحاب ابن طبرزد والكندى، وحدّث .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٥ ص ١٤٦ رقم ٩٣٧ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٧ ، الوافى جـ ١٢ ص ٣١٣ رقم ٢٨٥ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، تاج التراجم ص ٧٠ رقم ٢١٠ ، العبر جـ ٥ ص ٤١٢ ، السلوك جـ ١ ص ٩١٨ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٧ .

(٣) الكلاباذى ، نسبة إلى كلاباذ : محلة فى بخارى — معجم البلدان .

(٤) من مؤلفات صاحب الترجمة انظر هدية العارفين جـ ٢ ص ٤٠٦ .

قال الذهبي : هو رأس فى الفرائض ، عارفا بالحديث والرجال ، جم الفضائل ، مليح الكتابة ، واسع الرحلة ، سّود كتابا كبيرا فى (١) مشتبه النسب (٢) ونقلت منه كثيرا ، وسمع منه الحافظ المزّى وابن سيد الناس وغيرهما ، ومولده ببخارى فى مُستهل جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وستمائة .

وفى تاريخ ابن كثير : توفى بدمشق فى العشر الأول من ربيع الأول سنة سبعمائة (٣) . وذكر غيره : أنه مات بماردين .

الشيخ الصالح المُسند عز الدين أحمد (٤) بن عبد الحميد بن عبد الهادى بن يوسف بن قدامة المقدسى .

كان شيخا مباركا كثير الصلاة والذكر ، حسن الخلق ، متوددا إلى الناس ، سمع جماعة ، وحدّث بجميع مسموعاته ، مات فى هذه السّنة (٥) بجبل الصالحية ، ودفن بتربة الشيخ موفق الدين بقاسيون .

الشيخ عماد الدين القصاص (٦) ، الفقيه الأحمدى المزمزم .

---

(١) « فى » مكررة فى الأصل .

(٢) هو كتاب : مشتبه النسب فى أسماء الرجال — هدية العارفين ج ٢ ص ٤٠٦ .

(٣) لم يرد هذا النص فى المطبوع الذى بين أيدينا من البداية والنهاية .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : العبر ج ٥ ص ٤٠٩ ، شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٥٥ .

(٥) « فى ثالث المحرم ، وله ثمان وثمانون سنة » — العبر ج ٥ ص ٤٠٩ .

(٦) هو : أحمد بن محمد بن سعد بن عبدالله بن سعد بن مفلح ، أبو العباس المقدسى الصالحى الحنبلى ، المسند عماد الدين .

وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ج ٢ ص ٨٤ رقم ٢٥٨ ، العبر ج ٥ ص ٤٠٩ ، الوافى ج ٧ ص ٤٠٢ رقم ٣٤٠١ ، شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٥٥ .

مات فيها[1] بزاويته بميدان الحصى ، ودفن بمقابر الصغير ، وكان فقيرا حسنا ، مليح الشيبة ، معروفا مشهورا .

الشيخ الصالح أبو عبـــد الله محمــد بن أبي بكر عبــد الرحمن بن عبد الله الكنجي .

جاور بجامع بني أمية بدمشق أكثر من ستين سنة ، وسمع من الزين خالد ، والحرستاني ، وابن عبـد الدايم ، وابن البُرْهان ، وكان من الصلحاء الأخيار ، كثير الذكر والعبادة ، مات في هذه السنة ، وكان قد بلغ تسعين سنة ، ودفن بمقابر باب الصغير .

الشيخ يوسف[2] بن أحمد بن أبي بكر الغسولي الصالحي الحجار[3] .

كان قد انفرد بالرواية عن موسى[4] بن الشيخ عبد القادر وبأشـياء ، ومولده في سنة اثنتي عشرة وستمائة ، ومات في هذه السنة .

الشيخ الصالح عبد الله ، المعروف بالقَانُولَة .

كان من عقلاء المجانين ، وله كرامات ومكاشـفات وكان على حاله مُسفة من خشونة العيش ، مات بمسجد الرفاعة[5] [٢٤٩] العتيقة بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون بتربة الموَلّهين .

---

(١) « في المحرم ، وله ثلاث وثمانون سنة » — العبر جـ ٥ ص ٤٠٩ .

(٢) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٧ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٨ ، العبر جـ ٥ ص ٤١٢ .

(٣) « المعروف بابن غالية » — في المنهل الصافي .

(٤) هو موسى بن عبد القادر الجيلي ، أبو نصر ، المتوفى سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م — العبر جـ ٥ ص ٧٥ .

(٥) المقصود : زاوية الرفاعي — الدارس جـ ١ ص ٤١ .

الشيخ عمار المشرق المولّه .

كانت له كرامات ومكاشفات ، وكان يعلق فى رقبته عظام الجمال ، مات فى هذه السنة .

الشيخ الكبير المعمّر شمس الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أبى بكر بن عبد العزيز[(١)] الجزرى الكتبى ، المعروف بالفاشوشة ، ويعرف أيضا بابن سمعون .

كان مشهورا بالكتب ومعرفيها والتجارة فيها ، وكانت عنده فضيلة تامّة ، ومذاكرة حسنة ، ومروءة كثيرة ، وكرم نفس ، كثير السعى فى حوائج أصحابه . وعلى ذهنه قطعة جيدة من التاريخ وأيام الناس وماجرياتهم .

وله نظم حسن ، فمنه قوله :

وما ذكرتكم إلّا وضعت يدى على حُشاشة قلب قلّ ما بَردا

وماتذكرت أياما بكم سلفت إلا تحدّر من عينى ما بَردا[(٢)]

وله مخمّس :

ولما وقفنا بالقو يروعينه من الربع قد بانوا وبان قرينه

وقد كاد من حزن تَدكّ حرونه بكيتُ على الوادى ففاضت عيونه

ونُحت على النادى فمالت غُصونه

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : الوافى جـ ٥ ص ٣٢٨ رقم ٢٤٠٧ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٦ .

(٢) انظر شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٦ .

زمانا تذكرت الحمى وأحبتي ولذة عيش معهم لى تولت
سقيتُ رباه من سحائب مُقلتى وأحرقت بان الجروع من حرّ رذى
فأسهله مسوده وحزونه

وكيف يطيق الغمض أو يعرف الكرى محبٌّ جرى من جفن عينيه ما جرى
ويُؤلمه مَسّ النسيم إذا سرى وإنى امرءٌ أضحى من السُقم لا يُرى
ولا يعرفون الناس إلّا أنينه

سألتكم بالله يا ساكنى قبا صلوا مُغرما أمسى حزينا مُعذّبا
سوى حبكم لم يتخذ قط مذهبا يحنُّ اشتياقا كلما هبّت الصبا
وتبكيه شجوًا سرب سَلعَ وعينُه

له مهجة ذاب بطول عنائها وأجفانه قد قرحت من دمائها
رحلتم فأضحى ذاهب العقل تائها وماجادت السُحب العوادى بمائها
سل الذى جادت عليكم جفونه

لقد شمتت من بعد بعدكم العدا وقد بان يوم البَين طرفى مُسهدا
فرقوا الصبّ بالسقام قد ارتدى تهيّجه نوح الحمام إذا شدى
ويعلقه وجدانه وحنينه

غدا يومَ وشك البَين فى زىّ حائر يُسائل عنكم كل غادٍ سائرِ
حكمتم عليه فى الهوى حكمَ جائرٍ ولولاكم ماهاجه نُوح طائرِ
ولا فاض من أجل الظبا عيونه

ألا أيها الحادى المحث لركبه إذا جُزت فى وادى الأواك وكثبه
فَقُل للظِباء الراتعاتِ بسربه لِكل مُحبّ فنٌ وجدٍ يُحبّه
وصبّكم فيكم كثير فُنُونُه

مات بدمشق فى التاسع عشر من رجب منها، ودفن بسفح قاسيون، ومولده سنة اثنتين وستمائة بالجزيرة العمرية .

الشيخ أبو جَلنك أحمد بن أبى بكر الحلبى[(١)]، الشاعر المشهور .

كان بقلعة حلب أيام وصول التتار إليها، فنزل هو وجماعة للكشف والإغارة على التتار، فوقعت نشابة فى فرسه فمات وبقى راجلا ، فأسروه وأحضروه بين يدى المقدم ، فسأله عن عسكر المسلمين فكثرهم ورفع شأنهم ، فأمر بقتله ، فقتل .

ومن نظمه قوله :

أتى العذارُ بما إذا أنت معتذر[(٢)] وأنت كالوجْد لا تبقى ولا تذَرُ
[٢٥٠]لاعُذر يقبَل إذ نم العذارُ ولا يُنجيك من شرّه خوفٌ ولا حذَرُ[(٣)]
كأنى بوحوش الشَعر قد أنست[(٤)] بوَجْنتيك وبالعُشاق قد نفروا

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ١ ص ٢٢١ رقم ١١٣ ، درة الأسلاك ص١٥٣ ، النجوم الزاهرة جـ٨ ص ١٩٤ ، الوافى جـ ٦ ص ٢٧١ رقم ٢٧٦٦ ، فوات الوفيات جـ ١ص ٦٠ رقم ٢٢٥ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٦ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٣٦ .

(٢) « إن نم » — فى فوات الوفيات .

(٣) « ينجيك من خوفه بأس ولا حذر » — فى فوات الوفيات .

(٤) « قد نزلت » — فى فوات الوفيات .

وكلما مرّ بى مرد أقول لهم		قفوا(١) انظروا وَجْهَ هذا(٢) الحزو اعتبروا
هذا الذى قد سرت يا صاحبى له		بقُبح سـيرته بين الورى سِيَرُ
قد كان شكلا نقى الخد مُعتدلا		كأنه غصنُ بانٍ فوقَه قمرُ
ذا حُمرة و بياض فوق وجنتـه		لهـا اجْتماعٌ بطرف زانه الحَوَرُ
وحُكمه نافـذٌ فى عاشقيه فـلا		يُخالفُـون له أمراً إذا أُمروا
فعادَ لحيـان فانفـلَّ الجماعة إذ		رأوا طريقا إلى السُّلوان وانتصروا
وعادَ فى قبضهم لا شـكر جَوْدَلَة(٣)		الأفراح والدمعُ من عينيه منهمرُ
يبكى على ما مضى من حُسنه أسفا		وعسكر الشعْر من خدَّيه مُعتكرُ
لا يسـتطيعُ له ردًّا وكم حرصُـوا		بردّ ذلك أقـوامٌ فما قـدروا
فهـذه المـوتةُ الأُولى تجرَّعهـا		فصار أولى من الدنيا به الحفر
فاقرأ على نعشـه آخر سَـبأ فلقـد		جاءت بما يقتضى أحواله السُّوَرُ
إذ كان حاجبُه نوناً وناظِرُه صاداًّ		وعُشاقُه من حـوله زُمَرُ
إذا رأى عاشقا فى النازعات غدا		ما بعْدها وهو قد أوْدَى به الضررُ
فعاد والليـل يغشـى نورُ طلعتـه		وزال عن عاشقيه الهم والحصر
هـذا جزاؤك يا من لا وفاءَ له		والعاشقون لهم طوبى(٤) بما صبروا

(١) « قف » فى الأصل ، والتصحيح من شذرات الذهب .

(٢) « هذا الكيس » فى شذرات الذهب .

(٣) « لا شك » فى شذرات الذهب .

(٤) انظر بعض الأبيات الواردة هنا فى شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٦ ، وفوات الوفيات جـ١ ص ٦١ .

وله :

جعلتك المقصد الأقصى وموطنك الـ ـبيت المقدس من روحى وجثمانى (١)

وقلبك الصخرة الصماء حين قست قامت قيامة أشواق وأشجانى

أما إذا كنت ترضى أن تقاطعنى وأن يزورك ذا زور وبهتان

فـلا تغـرك نار فى حشاى فمن (٢) وادى جهنم تجـرى عين سلوان

ولآخر ألطف من هذا :

أيا قدس حسن قلبه الصخرة التى قست فهى لا ترثى لصب متيم

ويا سولى الأقصى عينى باب رحمة ففى كبـد المشتاق وادى جهنم

ولأبى جلنك المذكور فى مليح يصفع عاشقه :

وشـادن يصـفع مغـرى به براحة أنـدى من الـوابل

فصحت فى الناس : ألا فاعجبوا بحـر غـدا يلطـم فى الساحل (٣)

الأمـير عز الدين أيدمر (٤) الظاهرى ، الذى كان نائب الشـام فى الأيام الظاهرية .

---

(١) ورد هذا البيت هكذا :

[جعلتك المسجد الأقصى ومنزلك بهاض البيت المقدس من قلبي وجثمانى] .

تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٣٧ .

(٢) « فلا تغرنك » فى فوات الوفيات جـ ١ ص ٦٢ .

(٣) انظر المنهل الصافى جـ ١ ص ٢٢٣ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٥ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ١٨٣ رقم ٦٠٩ ، درة الأسلاك ص ١٥٣ ، نهاية الأرب جـ ٢٩ (مخطوط) ورقة ١٢٨ ، العبر جـ ٥ ص ٤١٠ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٦ = ٤٥٧ ، السلوك جـ ١ ص ٩١٧ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٣٥ .

مات برباطه بالجبل[1] ودفن به ، وكان رجلا كبير القدر ، شجاعا مقداما ، كريم النفس ، وكانت له جماعة من المماليك [٢٥١] أمراء ، فمن جملتهم الأعسَر وايدمر النقيب وآخرون .

الأمير عز الدين محمد[2] بن أبي الهيجاء الهمداني الإربلي متولى دمشق .

كانت لديه فضائل كثيرة في التاريخ والشعر ، وربما جمع شيئا من ذلك ، قيل : جمع مجلدا ابتدأ فيه من النبي عليه السلام إلى وقعة قازان ، وكان يسكن درب سعود فعرف به . فيقال : درب بن أبي الهيجاء .

وقال ابن كثير : وهو أول منزل نزلناه حتى قدمنا دمشق في سنة ست وسبعمائة[3] .

وكانت وفاة ابن أبي الهيجاء في طريق مصر بالسوادة ، ونقل إلى جبل قاسيون ، فدفن به ، ومولده سنة عشرين وستمائة بإربل ، ومات وله ثمانون سنة ، وكان مشكور السيرة ، حسن المحاضرة .

الأمير جمال الدين أقوش[4] الشريفي ، والى الولاة بالبلاد القبلية .

وتولى نيابة الصلت أيضا ، توفي في شوال منها ، وكانت له هيبة وسطوة .

---

(١) « برباط له بالجسر الأبيض بدمشق » — المنهل الصافي .

(٢) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي ، الوافي جـ ٥ ص ١٢٨ رقم ٢١٣٥ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٧ .

(٣) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٧ .

(٤) وله أيضا ترجمة في : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٧ .

الأمير الكبير سيف الدين بلبان[١] السلحدار المنصورى ، المعروف بالطباخى .

مات بالعسكر على الساحل وهو البيكار الذى خرج فيه السلطان إلى جهة الشام ، ودفن عند قبر بنيامين بن يعقوب عليه السلام ، فورثه الملك الناصر بالولاء وصارت إليه أمواله ومماليكه ، وكان من أعيان الأمراء وشجعانهم ، وأكثرهم مماليك وأصحاب ، ولى نيابة السلطنة بحلب مدة ، وكانت سيرته فى ولايته حميدة ، وكان قليل الأذى ، كان إذا غضب على أحد يكون عقوبته البعدَ عنه من غير ضرب ولا مصادرة .

وفى النزهة : كان بلبان هذا اشتراه الحاج إبراهيم أخو جاشنكير الملك المنصور ، فرَباه وهو صغير ، وكان يدخل مع أستاذه بحمل سرموحته عند قلاون وهو أمير ، فرآه فطلبه منه وأخذه ، وعوضه عن ثمنه ثلاثة آلاف درهم ، واستمر عنده إلى أن تسلطن قلاون وكان من أمره ما كان .

الطواشى صفى الدين جوهر[٢] التفليسى المحدث .

اعتنى بسماع الحديث وتحصيل الأجزاء ، وكان رجلا جيدا ، مباركا صالحا ، ووقف أجزاءه[٣] التى ملكها على المحدثين ، مات فى هذه السنة ، رحمه الله .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ٤٢٢ رقم ٦٩٩ ، درة الأسلاك ص ١٥٢ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ٥٦ رقم ٨٥ ، الوافى جـ ١٠ ص ٢٨٢ رقم ٤٧٨٨ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٤ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٧ ، كنز الدرر جـ ٨ ص ٥٣ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٣٤ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٧ .

(٣) « أجزائه » — فى الأصل.

فصل فيما وقع من الحوادث
فى السنة الحادية بعد السبعمائة (*)

استهلت هذه السنة : والسلطان هو : الملك الناصر ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله العباسى ، ونواب البلاد والقضاة وهم المذكورون قبلها .

ذكر جواب السلطان عن كتاب قازان :

قد ذكرنا كتاب قازان إلى الملك الناصر فى السنة الماضية ، وذكرنا نسخته (١) .

وفى أول هـذه السنة حصل الاهتمام بإعادة جواب كتاب قازان وإرسال الرسل إليـه ، فجُهز إليـه الأمير حسام الدين أَزدمر المجُـيرى (٢) أحد الأمراء ، والقاضى عماد الدين بن السُكرى (٣) من أعيان القضاة والكبراء ، وكُتب الجواب على يدهما ، وأنشأ الكتاب وكتبه القاضى علاء الدين (٤) بن محيى الدين بن عبد الظاهر .

(*) يوافق أولها يوم الأربعاء ٦ سبتمبر ١٣٠١ م .

(١) انظر ما سبق ص ١٣١ — ١٣٥ .

(٢) « وشخصا أمير آخور من البرجية » ــ النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٤٠ .

(٣) هو : على بن عبد العزيز بن عبـد الرحمن بن محمد ، عماد الدين بن السـكرى ، كان خطيب جامع الحاكم ، ومدرس مشهد الحسين ، توفى سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م ــ الدرر جـ ٣ ص ٢٢٣ رقم ٢٧٧٦ .

(٤) هو : على بن محمـد بن عبد الله بن عبـد الظاهر ، علاء الدين ، أحد أعيان كتاب الإنشاء بمصر ، توفى سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م ــ المنهل الصافى .

ذكر نسخة الكتاب (١)

بسم الله الرحمن الرحيم : بقوة الله وميامين الملة المحمدية .

أما بعد حمد الله الذى جعلنا من السابقين الأولين الهادين المهتدين ، التابعين لسنة سيد المرسلين بإحسان إلى يوم الدين ، والصلاة (٢) على سيدنا محمد ، والسلام على آله وصحبه الذين فضل الله من سبق منهم إلى الإيمان فى كتابه المكنون . فقال سبحانه وتعالى : ﴿ والسابقون السابقون ، أولئك المقربون (٣) ﴾ .

بإقبال دولة السلطان الملك الناصر ، كلام محمد بن قلاون .

فليعلم السلطان المعظم محمود غازان أن كتابه ورد ، فقابلناه [٢٥٢] بما يليق بمثلنا لمثله من الإكرام ، ورعينا له حق القصد فتلقيناه منا بسلام ، وتأملناه تأمل المتفهم لدقائقه ، المستكشف عن حقائقه ، فألفيناه قد تضمن مؤاخذة بأمور ، هُم بالمؤاخذة عليها أحرى ، معتذرا فى التعدى بما جعله ذنوبا لبعض طالب بها الكل ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٤) ﴾ .

---

(١) انظر نص الخطاب فى كل من : زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٦ أ — ٢٣٠ أ ، ونهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٩ ورقة ٣٣٠ وما بعدها ، صبح الأعشى جـ ٧ ص ٢٤٣ وما بعدها .
وانظر أيضا نصا مختلفا لهذا الخطاب فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٦٦ — ٧٠ ، والنجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٤٢ — ١٤٦ .

(٢) « والصلوة » فى الأصل .

(٣) الآيتان رقم ١٠ ، ١١ من سورة الواقعة رقم ٥٦ .

(٤) جزء من آية تكرر فى أكثر من سورة — انظر الآية رقم ١٦٤ من سورة الأنعام رقم ٦ ، والآية رقم ١٥ من سورة الإسراء رقم ١٧ ، والآية رقم ١٨ من سورة فاطر رقم ٣٥ ، والآية رقم ٧ من سورة الزمر رقم ٣٩ .

أما حديث من أغار على ماردين فمن رجّالة[1] بلادنا المتطرفة ، وما نسبوه إليهم من الإقدام على الأمور البديعة ، والأحوال الشنيعة . وقولهم إنهم أنفوا من تهجّمهم ، وغاروا من تقحمهم ، واقتضت الحمية ركوبهم فى مقابلة ذلك ، فقد تلمّحنا هذه الصورة التى أقاموها عذرا فى العدوان ، وجعلوها سببا إلى ما ارتكبوه من طغيان ، فالجواب[2] عن ذلك أن الغارات من الطرفين ، لم يحصل من المهادنة والموادعة ما يكف يدها الممتدة ، ولا يغير هممها المستعدة ، وقد كان آباؤكم وأجدادكم على ما علمتم من الكفر والنفاق ، وعدم المصافاة للإسلام والوفاق ، ولم يزل ملك ماردين ورعاياه منفذين ما يصدر من الأذى للبلاد والعباد ، منهم متولّين ، كبر مكرهم ، والله تعالى يقول : ﴿ ومَن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾[3] .

وحيث جعلتم هذا ذنبا موجبا للحمية الجاهلية ، وحاملا على الانتصار الذى زعمتم أن هممكم به مليّة ، فقد كان هذا القصد الذى ادعيتموه يتم بالانتقام من [أهل][4] تلك الأطراف التى أوجب ذلك فعلها ، والاقتصار على أخذ الثأر ممن ثار ، اتباعا لقوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئةٌ مثلها ﴾[5] لا أن تقصدوا الإسلام بالجموع الملفقة على اختلاف الأديان ، وتطأوا البقاع الطاهرة بعبدة الصُلبان ، وتنتهكوا حرمة البيت المقدس الذى هو ثانى بيت [الله][6] الحرام ، وشقيق مسجد

(١) « من » فى زبدة الفكرة .

(٢) « والجواب » فى زبدة الفكرة .

(٣) جزء من الآية رقم ٥١ من سورة المائدة رقم ٥ .

(٤) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٥) جزء من الآية رقم ٤٠ من سورة الشورى رقم ٤٢ .

(٦) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وإن احتججتم بأن زمام تلك الغارة[1] بيدنا ، وسبب تعديهم من سببنا ، فقد أوضحنا الجواب عن ذلك ، وأن عدم الصلح والموادعة أوجب سلوك هذه المسالك .

وأما ما ادعوه من سلوك سنن المرسلين ، واقتفاء آثار المتقدمين فى إنفاذ الرسل أولا ، فقد تلمحنا هذه الصورة ، وفهمنا ما أوردوه من الآيات المسطورة ، والجواب عن ذلك أنهم[2] ما وصلوا إلا وقد دنت الخيام من الخيام ، وناضلت السهام عن السهام ، وشارف القوم القوم ، ولم يبق للقاء إلا يوم أو بعض يوم ، وأشرعت الأسنة[3] من الجانبين ، ورأى كلّ خصمه رأى العين ، ولا نحن ممن لاحت له رغبة راغب ، فتشاغل عنها ولها ، ولا ممن يُسالم فيقابل ذلك بجفوة النفار والله تعالى يقول : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها[4] ﴾ . كيف والكتاب بعنوانه ، وأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : ما أضمر الإنسان شيئا إلا أظهره[5] الله فى صفحات وجهه وفلتات لسانه . ولو كان حضور هؤلاء الرسل والسيوف وادعة فى أغمادها ، والأسنة مستكنة فى أعوادها ، والسهام غير مفوقة ، والأعنة غير مطلقة ، لسمعنا خطابهم ، وأعدنا جوابهم .

وأما ما أطلقوا به لسان قلمهم ، وأبدوه من غليظ كليمهم فى قولهم : فصبرنا على تماديكم [٢٥٣] فى غيكم ، وإخلادكم إلى بغيكم ، فأىّ صبر ممن أرسل

(١) « الغارة » فى الأصل ، و « الغارة » فى زبدة الفكرة .

(٢) « أن هؤلاء الرسل » — فى زبدة الفكرة .

(٣) « وما نحن » — فى زبدة الفكرة .

(٤) جزء من الآية رقم ٦١ من سورة الأنفال رقم ٨ .

(٥) « إلا ظهر » — فى زبدة الفكرة .

عنانه إلى المكافحة ، قبل إرسال [رُسل](١) المصالحة ، وجاس خلال الديار ، قبل ما زعمه من الإنذار والإعذار ، وإذا فكروا فى هذه الأسباب ، ونظروا فيما صدر عنهم من خطاب ، علموا الغدر فى تأخير الجواب ، وما يتذكر إلا أولوا الألباب(٢) .

وأما ما يحتجوا به مما اعتقدوه من نُصرة ، وظنوا(٣) من أن الله جعل لهم على حزبه الغالب فى كل كَرّة الكرّة ، فلو تأملوا ما ظنّوه ربما لوجدوه هو الخسران المبين ، ولو أمعنوا(٤) النظر فى ذلك لما كانوا به مفتخرين ، ولتحققوا أن الذى اتفق لهم كان غرما لا غنما ، وتدبّروا معنى قوله تعالى : ﴿ إنما نُملى لهم ليزدادوا إثما ﴾(٥) . ولم يخف عنهم ما أبلته السيوف الإسلامية منهم ، وقد رأوا عزم مَنْ حضر من عساكرنا التى لو كانت مجتمعة عند اللقاء لما ظهر خبر عنهم ، فإنا كنا فى مفتتح مُلكنا ، ومبتدى أَمرنا ، حللنا بالشام للنظر فى أمور البلاد والعباد ، فلما تحققنا خبركم ، وقفونا أثركم ، بادرنا نقدّ أديم الأرض سَيرا ، وأسرعنا لندفع عن المسلمين ضررا وضيرا ، ونؤدى من الجهاد السنة والفرض ، ونعمل بقوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ﴾(٦) .

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) أسلوب قرآنى مأخوذ من « إنما يتذكر أولوا الألباب » — جزء من الآية رقم ٩ من سورة الزمر رقم ٣٩ .

(٣) « وظنوه » — فى زبدة الفكرة .

(٤) « أنعموا » — فى زبدة الفكرة ، وهو تحريف واضح .

(٥) جزء من الآية رقم ١٧٨ من سورة آل عمران رقم ٣ .

(٦) جزء من الآية رقم ١٣٣ من سورة آل عمران رقم ٣ .

فاتفق اللقاء بمن حضر من عساكرنا المنصورة، وثوقا بقوله تعالى : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ﴾ [(١)] ، وإلا فأكابركم يعلمون وقائع الجيوش الإسلامية التى كم وطئت موطئا يغيظ الكفار ، فكتب لها به عمل صالح ، وسارت فى سبيل الله يفتح الله عليها أبواب المناجح ، وتعددت أيام نصرتها التى لو دققتم الفكر فيها لأزالت ما حصل عندكم من لبس ، ولما قدرتم أن تنكروها ، وفى تعب من يجحد ضوء الشمس ، وما زال الله لها نعم المولى ونعم النصير ، وإذا راجعتموهم قصوا عليكم نبأ النصرة : ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ [(٢)] .

وما زالت تتفق الوقائع بين الملوك والحروب ، وتجرى المواقف التى هى بتقدير الله فلا فخر فيها للغالب ولا عار على المغلوب ، وكم من ملك أستظهر عليه ثم نصر ، وعاوده التأييد فجبره بعدما كسر ، خصوصا ملوك هذا الدين ، فإن الله تكفل لهم بحسن العقبى فقال سبحانه : ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾ [(٣)] .

وأما إقامتهم الحجة علينا ، ونسبتهم التفريط إلينا ، كوننا لم نسير إليهم رسولا عند حلولنا بدمشق ، فنحن عندما وصلنا إلى الديار المصرية لم نزد على أن اعتددنا وجمعنا جيوشنا من كل مكان ، وبذلنا فى الاستعداد غاية الجهد والإمكان ، وأنفقنا جزيل الأموال فى جمع العساكر والجحافل ، ووثقنا بحسن الخلف لقوله تعالى ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ﴾ [(٤)] .

---

(١) جزء من الآية رقم ٢٤٩ من سورة البقرة رقم ٢ .

(٢) جزء من الآية رقم ١٤ من سورة فاطر رقم ٣٥ .

(٣) جزء من الآية رقم ١٢٨ من سورة الأعراف رقم ٧ .

(٤) جزء من الآية رقم ٢٦١ من سورة البقرة رقم ٢ .

ولما خرجنا من الديار المصرية بلغنا خروج الملك من البلاد، لأمر حال بينه وبين المراد ، فتوقفنا عن المسير توقف من أغنى رغبة عن حث الركاب ، وتلبثنا تلبث الراسيات ، ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدةً وهى تمرُّ مرَّ السَّحاب ﴾ (١) وبعثنا طائفة من العساكر لمقابلة من أقام بالبلاد ، فما لاح لهم منهم بارق ولا ظهر ، وتقدمت فلحقت (٢) من حمله على التأخير الغرر، ووصلت الفرات فما وقعت للقوم على أثر .

[٢٥٤] وأما قولهم إنا ألقينا فى قلوب العساكر والعوام أنهم فيما بعد يلتقوننا على حلب أو الفرات . وأنهم جمعوا العساكر ورحلوا إلى [الفرات و إلى] (٣) حلب مُرتقبين وصولنا ، فالجواب عن ذلك أنه من حين بلغنا حركتهم جزمنا ، وعلى لقائهم عزمنا ، وخرجنا وخرج أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ابن عم سيدنا رسول الله ، [صلى الله عليه وسلم] (٤) ، الواجب الطاعة على كل مسلم ، المفترض المبايعة والمتابعة على كل معترض ومُسلّم (٥) ، طائعين لله ولرسوله فى أداء فرض الجهاد ، باذلين فى القتال (٦) بما أمرنا اللهُ غاية الاجتهاد ، لايتم أمر دين ولا دنيا إلا بمتابعته (٧)، ومَن والاه فقد حفظه الله وتولاه ، ومَن عانده أو عاند من أقامه فقد أذلّه الله ،

(١) جزء من الآية رقم ٨٨ من سورة النمل رقم ٢٧ .

(٢) « فتخطفت » — فى زبدة الفكرة .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٤) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٥) « منازع » — فى زبدة الفكرة .

(٦) « فى القيام » — فى زبدة الفكرة .

(٧) « إلا بمشايعته » — فى زبدة الفكرة .

فحين وصلنا إلى البلاد الشامية تقدّمت عساكرنا تملأ السّهل والجبل ، وتبلغ بقوة الله فى النّصر الرجاء والأمل ، ووصلت أوائلها إلى أطراف بلاد حماة وتلك النواحى ، فلم يَقْدم أحد عليها ، ولا جَسر أن يمدّ حتى ولا الطرف إليها ، فلم نزل مقيمين حتى بلغنا رجوع الملك إلى البلاد، وإخلافه موعد اللقاء ، والله لايخلف الميعاد[1] ، فعدنا لاستعداد جيوشنا التى لم تزل تندفع فى طاعة الله تعالى اندفاع السيل ، عاملين بقول الله تعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل[2]﴾ .

وأما ما جعلوه عذرا فى الإقامة بأطراف البلاد وعدم الإقدام عليها، وأنهم لو فعلوا ذلك [ودخلوا بجيوشهم[3]] ربما أفسد[4] البلاد مرورها ، وبإقامتهم فيها فسدت أمورها ، فقد فُهم هذا المقصود ، ومتى ألفت البلاد والعباد منهم هذا الإشفاق ؟ ، ومتى اتصفت جيوشهم بهذه الأخلاق ؟ ، وها آثارهم موجودة، ودعاوى خلافها بمشاهدة الحال مردودة ، وهل هذا اعتماد مَن رمَق شخص الإسلام بإنسانه ؟ ، كيف ورسول الله عليه السلام[5] يقول (المسلم من سلم

(١) أسلوب قرآنى مأخوذ من الآية « إن الله لايخلف الميعاد » ـ جزء من الآية ٩ من سورة آل عمران رقم ٣ ، وجزء من الآية ٣١ من سورة الرعد رقم ١٣ ، وجزء من الآية ٢٠ من سورة الزمر رقم ٣٩ .

(٢) جزء من الآية رقم ٦٠ من سورة الأنفال رقم ٨ .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٤) « أفسدوا » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٥) « صلى الله عليه وسلم » فى زبدة الفكرة .

الناس من يده ولسانه (١)) ، وأسارى المسلمين عندهم فى أشد وثاق، فى يد الأرمن والتكفور منهم ما يخالف ما أدعوه من الإشفاق (٢) .

وقد كان المسلمون غزوا عسكر أبغا وقتلوا من قتلوا من التتار ، وحصل لهم التمكن فى البلاد والاستظهار . واستولوا على ملك آل سلجوق ولا (٣) تعرضوا لدار ولاجار ، ولاعفوا أثرا من الآثار ، ولاحصل لمسلم منهم ضرر ، ولا أوذى فى وِرْد ولا صَدر ، وكان أحدهم يشترى قوته بدرهمه وديناره ، ويأبى أن يمتد إلى أحد من المسلمين يد أضراره ، هذه سنة أهل الإسلام ، وفعل مَن يُريد لملكه الدوام .

وأما ما أرعدوا به وأبرقوا، وأرسلوا فيه عنان قلمهم وأطلقوا ، وما أبدوه من الاهتمام بجمع العساكر، وتهيئة المجانيق إلى غير ذلك مما ذكروه من التهويل، فالله تعالى يقول : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (٤) .

وأما قولهم وإلا فدماء المسلمين مطلولة، فما كان أغناهم عن هذا الخطاب، وأولاهم بأن لا يصدر عن ذلك جواب ، ومَنْ قصدُه الصلح والإصلاح ، كيف يقول هذا القول الذى عليه فيه من جهة الله وجهة رسوله [٢٥٥] أى جناح ؟

(١) قال عليه الصلاة والسلام: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» . انظر فتح البارى - جـ ١ ص ٥٣ - باب «الإيمان» حديث رقم ١٠ .

(٢) « إشفاق » - فى زبدة الفكرة .

(٣) « وما » فى زبدة الفكرة .

(٤) الآية رقم ١٧٣ من سورة آل عمران رقم ٣ .

وكيف يضمر هذه النية ، وينجح بهذه الطوية ، ولم يَخف موانع هـذا القول وخالله ؟ ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : (نيـة المرء أبلغ من عمله)(١) . وبأىّ طريق تُهـدر دماء المسلمين التى(٢) من تعـرض إليها يكون الله له فى الدنيا والآخرة مُطالبا وغريما ، ومؤاخذا بقوله تعالى : ﴿ ومَن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً ﴾(٣) .

وإذا كان الأمر كذلك فالبُشرى لأهل الإسلام بمـا نحن عليـه من الهمم المصروفة إلى الاستعداد وجمع العساكر التى يكون لها الملائكة الكرام إن شاء الله [تعالى](٤) من الإمداد(٥) ، والاستكثار من الجيـوش الإسلامية المتوفرة العُدد ، المتكاثرة المدد ، المدعوة بالنصر الذى يحفها فى الظعن والإقامة ، الواثقة بقوله صلى الله عليه وسـلم : (لا تزال طائفـة من أمتى ظاهرين على عدوهم إلى يوم القيامة)(٦) ، المبلغة فى دين الله آمالا ، المستعدة لإجابة داعى الله إذ قال : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾(٧) .

(١) قال عليـه الصلاة والسلام : « الأعمال بالنية ، ولكل امرىء ما نوى » فتح البارى جـ ١ ص ١٣٥ باب « الإيمان » حديث رقم ٥٤ ، وانظر بنفس الكتاب أحاديث رقم ١ ، ٢٥٢٩ ، ٥٠٧٠ ، ٣٨٩٨ ، ٦٦٨٩ ، ٦٩٥٣ .

(٢) « الذى » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٣) جزء من الآية رقم ٩٣ من سورة النساء رقم ٤ .

(٤) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٥) « الانجاد » ــ فى زبدة الفكرة .

(٦) قال عليـه الصلاة والسلام : « لاتزال طائفـة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال » ــ انظر سنن أبى داود جـ ٣ ص ٤ ، كتاب الجهاد ، باب « فى دوام الجهاد » حديث رقم ٢٤٨٤ .

(٧) جزء من الآية رقم ٤١ من سورة التوبة رقم ٩ .

وأما رُسلهـم وهم فلان وفلان فقد وصـلوا إلينا ، ووفدوا علينا ، فأكرمنا وفادتهم ، وعززنا لأجل مُرسلهم من الإقبال مادتهم ، وسمعنا خطابهم ، وأعدنا جوابهم ، هـذا مع كوننا لم يخف علينا انحطاط قدرهم ، ولاضَعف أمرهم ، وأنهم ما دُفعوا لأفواه الخطوب ، إلا لما ارتكبوه من ذنوب ، وما كان ينبغى أن يُرسل مثـل هؤلاء لمثلنا من مثله ، ولا يُندب لهـذا المهم إلا من يجمع على فصل خطابه وفضله .

وأما ما التمسوه من الهدايا والتحف ، فلو قدموا من هداياهم حسنة لعوضناهم بأحسن منها ، ولو أتحفونا (١) بتحفة لقابلنا [هم] (٢) بأجل عوض عنها ، وقـد كان عمه الملك أحمد (٣) راسل والدنا السلطان الشهيد ، وناجاه بالهدايا والتحف من مكان بعيد ، وتقرب إلى قلبه بحسن الخطاب ، فأحسن له الجـواب ، وأتى البيوت من أبوابها بحسن الأدب ، وتمسك من الملاطفة بأقوى سبب .

والآن فحيث انتهت الأجوبة إلى حدها ، وأدركت الآنفة من مقابلة ذلك الخطاب غاية قصدها ، فنقول : إذا (٤) جنح الملك للسلم جنحنا لهـا ، وإذا دخل فى الملة المحمدية ممتثلا ما أمر الله به مجتنبا ما عنه نهى ، وانضم فى سلك الإيمان ، وتمسك بموجباته تمسك المتشرف بدخوله فيه لا المنان ، وتجنب التشبه بمن قال الله فى حقهم : ﴿ قل لاتمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ﴾ (٥) ،

(١) « تحفونا » — فى الأصل .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٣) هو : أحمد سلطان ، المسمى تِكُدار بن هلاون بن باطو بن جنكزخان ، ملك التتار ، المتوفى سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م — المنهل الصافى جـ ٢ ص ٢٥٤ رقم ٢٣٤ .

(٤) « إذ » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٥) جزء من الآية رقم ١٧ من سورة الحجرات رقم ٤٩ .

وطابق فعله قوله ، ورفضَ الكُفار الذين لايحل له أن يتخذهم حوله ، وأرسل إلينا رسولا من جهته يرتل آيات الصلح ترتيلا ، ويروق جوابه وخطابه حتى يتلو كل أحد : ﴿ يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ﴾(١). صارت حجتنا وحجته المركبة على مَن خالف ذلك ، وكلمتنا وكلمته قامعة أهل الشرك فى سائر الممالك ، ومظافرتنا له تكسب الكافرين هوانا ، والمُشاهد لتصافينا يتلو قوله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾(٢) .

وينتظم إن شاء الله شمل الصلاح أحسن انتظام ، ويحصل التمسك من الموادعة والمُصافاة بعروة لا انفصال لها [٢٥٦] ولا انفصام ، وتستقر قواعد الصلح على ما يُرضى الله ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام(٣) .

قال صاحب النزهة ، وختم الكتاب وأرسل على يد الرسل الذين ذكرناهم من جهة السلطان صحبة الرسل الواردين من جهة قازان فى العشرين من المحرم من هذه السنة .

ذكر ماجرى للأمير حُسام الدين المجُيرى مع قازان:

قال القاضى جمال الدين بن الكُرم فى تاريخه(٤) : قال المجيرى لما حضرت بين

(١) جزء من الآية رقم ٢٧ من سورة الفرقان رقم ٢٥ .

(٢) جزء من الآية رقم ١٠٣ من سورة آل عمران رقم ٣ .

(٣) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٦أ — ٢٣٠أ .

(٤) انظر أيضا ما أورده ابن أيبك فى كتابه كنز الدرر حيث يقول : « كان الأمير حسام الدين أزدمر بينه وبين الوالد — سقى الله عهدهما — صحبة أكيدة وخشداشية من قديم الزمان ، فلما عاد بعد طول مدة إقامته عند التتار ، حتى هلك غازان ، وتملك خدابنده — حسبما =

يدى قازان أوقفنى بعيدا[(١)] منه وسألنى عن أمور كثيرة وتحدث مع الحُجاب ، فكان أول كلامه لى : ما اسمك ؟ قلت : أُزدمر . قال : لا أنتم تتَسمون بأسماء ثلاثة ، قلت : نعم . قال : وماهى أسماؤك أنت ؟ قلت : حسام الدين أزدمر المُجيرى . قال : وما معنى المجيرى ؟ قال : فقبلت الأرض وقلت : يحفظ الله القان ، نحن يشترينا التجار ونحن صغار ، ثم يجلبونا إلى البلاد ، يُنسب كل منا إلى اسم تاجره أو لقبه ، وكان اسم أستاذى الذى اشترانى مجير الدين . فقالوا لى : المجيرى . قال : صدقت ، ثم قال : ماجنسك ؟ قلت : تركى . قال : من أىّ الترك ؟ قلت : من قفجاق . قال : صدقت .

قال المجيرى : لما سألنى قازان عن أشياء كثيرة ، فجاوبته عنها ، وعرف منى الصدق فى القول ، قربنى إليه[(٢)] ، ثم سألنى عن أشياء أخرى منها : أنه قال لى : مامحلك عند السلطان — يعنى الملك الناصر — ؟ قلت : جندى . قال : جندى؟ قلت : نعم . قال : فنظر إلى وأطال نظره ، ثم قال : مثل ملك مصر يُرسل إلى مثلى جنديا . قلت : نعم . قال : ما أنت أمير؟ قلت : نعم . قال : على بابك طبلخاناة . قلت : نعم . قال : فكيف تقول : أنا جندى . قال : فقبلت الأرض وقلت : يحفظ الله القان إنما الأمير هو جندى السلطان ، والجندى هو جُندى الأمير وكلنا جند الله ، ثم قال لى : أنت مملوك هذا السلطان وشراء ماله . قلت : مملوكه ومملوك أبيه وأخيه ، وهو الذى أحسن لى وأنشأنى وعمل

= يأتى ذكر ذلك فى تاريخه إن شاء الله تعالى — فحضر عنده فى داره الوالد — رحمه الله — وأنا معه أسمع » . كنز الدرر جـ ٩ ص ٧١ وما بعدها .

(١) « وكلمنى من أربعة حجاب » كنز الدرر جـ ٩ ص ٧١ .

(٢) « وكلمنى من حاجب واحد » كنز الدرر جـ ٩ ص ٧٢ .

معى خيرا، وعمل على بابى طبلخاناة ، وإنما أنا مملوك الملك الظاهر البندقدارى، ثم قال لى : كم رأيت مصافا ؟ قلت : فى نفسىَ ما للسكوت محل ، فقبلت الأرض وقلت : يحفظ الله القان ، إنى كنت مع جدك هلاون نوبة تمرقابو ، قال : لما سمع هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض ، ثم التفت إلى شيخ من التركان إلى جانبه وتحدّث معه ، ثم قال : كيف هربتم منا ؟ فقبلت الأرض وقلت : عسكرا كثيرا لهم سنون يهربون منا ، ونحن هربنا منكم مرة واحدة ، وما كان هروبنا منكم خوفا من كثرتكم ولكن احتقارا بكم . قال الملك : كيف ذلك ؟ قلت : يحفظ الله القان ، نحن كسرنا التتر مرات عديدة مدة سنين من أيام جدك هلاون حتى صار ملتقاهم علينا أهون مايكون، وإن عساكر مولانا السلطان الملك الناصر عساكر كثيرة وخلق عظيم لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، وإن لنا أعداء كثيرة من سائر الأقاليم ، ولنا إقليم يعرف ببلاد قوص ، وهى تجاور بلاد السودان ، تركنا فيها عشرة آلاف فارس ، وتركنا أيضا بإقليم يعرف ببلاد دمياط مجاورة لأقاليم الإفرنج عشرة آلاف فارس ، وكل هذا مع قلة اهتمامنا بالتتر، وكانت سعادة القان كبيرة ، وكان فى ذلك فى الكتاب [٢٥٧] مسطورا .

قال الجيرى : وكلّ هذا جرى بينى وبينه ولم يكن بيننا غير حاجب واحد وهو يسمع كلامى مشافهة ، ولم يحصل لى منه حرج إلا فى كلام واحد . قال : ثم سألنى قازان فقال : كيف يترك أمراؤكم الرجال ويستخدمون الشباب ، وأراد بذلك المُرْدان .

قال الجيرى : فعلمت أنه يُريد أذاىَ ، فجاوبته بجواب أسخطه علىّ ، فقبلت الأرض وقلت : يحفظ الله القان ، إن أمراءنا ما كانوا يعرفون شيئا من

ذلك ، وإنما هذا استجدّ فى بلادنا لما جاء إلينا طرغاى ، فإنه لما ورد كان معه شبابٌ من أولاد التتر ، فاشتغل الأمراء بهم عن النساء .

قال المجيرى : لما سمع قازان منى هـذا الجواب أطرق إلى الأرض وعظم عليه كلامى ، والتفت إلى جماعة من أعيان التتر ، فتحدث معهم بلسان التتر ، وأنا واقف بين يديه ، ثم التفت إلى القاضى عماد الدين بن السُكرى فقال : ياقاضى تشهد على صاحبك بما قال ؟ . قال : نعم(١) ، والله منذ حضرنا بين يديه إلى حين خروجنا من عنده لم يتحدث مع القاضى عماد الدين غير هذا الكلام .

قال المجيرى : ثم سألنى قازان على لسان حاجبه ماتقول فى نسائنا ونسائكم ؟ فقبلت الأرض وقلت : أيدّ الله الملك(٢) ، إنه ملك عظيم ، فيقبحُ أن نذكر النساء فى مثل هذا المجلس ، إن نساءنا يستحين من الله ومن الناس ، فَيَسْتُرْن وجوههن وأما نساؤكم فأنتم أخبرُ بحالهن . قال : فأطرق قازان رأسه إلى الأرض زمانا ، ثم أمر لحاجبه أن يحطونا فى لفة منجنيق ويرمونها .

قال : فلما خرجنا من عنده توضأ للموت ، وقام القاضى عماد الدين ليتوضأ وهـو يرتعد وتطقطق أسنانه ، فتبسمت ، فالتفت إلى وقال : يا حسام الدين هذا وقت الضحك . قلت له : يا قاضى لا تخف فلن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

قال المجيرى : كان قازان سألنى قبل أن أخرج من بين يديه كم يكون فى عسكركم مثلك تركى ؟ قلت : عشرون ألف من الفرسان ، فالتفت الملك قازان إلى أمير على بن بركنجان — وكان بعيدا منه — فأشار إليه ، فدنا منه وقال : ما تقول

(١) « بما قال ؟ نعم ، قال : نعم » فى الأصل .

(٢) هكذا بالأصل .

فى حسام الدين ؟ أصحيح ما يقـوله أم لا ؟ قال : والله يا خوند[1] ما قال صحيحا . وحق رأس القان ما فى عسكر مصر مثـله خمسة أنفس . قال : فالتفت نحـوى وقال : ياحسام الدين تسمع ما قال ابن بركنجان . قلت : وما يقول أيدك الله ؟ قال : يقول إنك ما قلت الصحيح .

قال المجيرى : فقبلت الأرض وقلت : يحفـظ الله القان هـو والله ما قال الصحيح ، وهو من جمـلة الذين ما رضى بهـم السلطان أن يستخدمهم فى عسكر مصر وأعطاه أربعـة آلاف درهـم فى حلب ، ولو وجد فى مصر أربعـة آلاف ما هرب وجاء إليكم ، فالتفت قازان إلى ابن بركنجان فقال له : أنت من عسكر الشام ، فأطرق ، فقال قازان : أنت لمـا جئت إلينا ما قلت أنا من عسكر مصر . قال المجيرى : قلت وحق رأس القان هو أقل مَنْ فى عسكر الشام .

قال : ثم لمـا خرجنا من بين يـدى قازان على أنهـم يحطونا فى المنجنيق إذا بمرسـوم ثانٍ أتى بأن يحبسونا فى مدرسة هناك ولا يمكنوا أحدا من العبور إلينا لا المهمندار[2] ولا غيره من الناس ممن نعرف وممن لا نعرف . قال : فعلمنا عند ذلك أنه غضبان علينا ، وسنذكر ما جرى عليهم بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

---

(١) « يا خواند » فى الأصل .

(٢) « المهما ندار » فى الأصل . المهمندار : لفظ فارسى مركب بمعنى القائم على أمر الضيف ، ويقوم صاحب هـذه الوظيفة بلقاء الرسل والعربان الواردين على السلطان ، وينزلهم دار الضيافة ، ويتحدث فى القيام بأمرهم — صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٩ .

[٢٥٨] ذكر عصيان عُربان الوَجْه القبلىّ :

قال بيبرس فى تاريخه : وفى هذه السنة كثرت شكوى الولاة الذين بالوجه القبلى من فساد العربان ، وما ظهر منهم من العصيان والنفاق والعدوان ، وأنهم لم يزدجروا بالجباية التى أخذت منهم فى السنة الماضية ، ولم يسيروا مع الرعية والجند السيرة الراضية ، بل منعوا الحقوق واعتمدوا العقوق ، وقطع أراذلهم الطريق ، وهاشوا على الأجناد ، وثاروا فى البلاد ، وأكثروا من الفساد ، فسار الأمير سيف الدين سلار ، والأمير ركن الدين أستاذ الدار كفيلا الممالك ومشيراها وممهدا الدولة ومُدّبراها إلى الأعمال المذكورة فى جموع من العساكر المنصورة[(١)] ، وفرقا العساكر ثلاثة فرق ليحيطوا بهم برا وبحرا ، ويأخذوهم حيث حلوا سهلا ووعرا ، فتوجهت فرقة من البر الغربى ، وفرقة من الحاجر ، وفرقة من البر الشرقى[(٢)] ، وضربوا على البلاد حلقة كحلقة الصيد ، فبقى العربان جميعا فى حلقتهم ، وحصلوا فى قبضتهم ، فما أفات منهم أحد من ربقتهم ، وأخذوهم بنواصيهم وأقدامهم ، وجاؤوهم من خلفهم وقدامهم ، وأذاقوهم الوبال ، ونكلوا بهم كل النكال ، وأبادوا مفسديهم ، وأهلكوا معتديهم ، ومزقوهم تمزيقا ، وفرقوهم بيد الحتوف تفريقا ، وأوثقوا مشايخهم بالقيود ، وملأوا من رهائنهم السجون ، وأخذوا ما كان لهم من خيل وإبل وبقر وغنم ، ومنعوا أن يركب أحد من العربان فرسا أو يحمل سلاحا ، فانطفأت جمراتهم ،

---

(١) « فى رابع جمادى الآخرة » — فى السلوك جـ ١ ص ٩٢١ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٥١ .

(٢) « فرقة من البر الشرقى ، وفرقة من البر الغربى ، وفرقة من الحاجر » — فى زبدة الفكرة . وانظر بعض التفاصيل فى النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٤٩ — ١٥٤ .

وزالت مضراتهم، وتمهدت تلك الأعمال تمهيدا واضحا، وعاد من سلم من مفسدى العرب فقيرا صالحا، وحمل أكثرهم السواك والسبحة [١]، عوضا عن حمل الرماح والأسلحة، وكان الذى أخذ من موجودهم وسيق من خيولهم خمسة آلاف فرس [٢]، وعشرون ألف جمل، ومائة ألف رأس غنم [٣]، سوى الأبقار والأتن والأغنام [٤]، وتركوهم على الديار، وعادوا فى أواخر شعبان [٥] وقد فرغوا من أمر العربان وتمهيد البلدان، فخلع عليهم السلطان [٦].

وقال صاحب النزهة : وفيها كثر فساد العرب بالوجه القبلى، وقطعوا الطريق، وأوغلوا إلى أن كانوا يدخلون مدينة أسيوط ومنفلوط ويقتسمون تجارها، ويأخذون من كل واحد مبلغا على زى الجالية [٧]، وتسمى كل واحد منهم باسم أمير من أمراء البرجية، وأمروا من بينهم كبيرين، فسموا أحدهما بيبرس والآخر سلار، ومنعوا حقوق الجند والأمراء من المغل، وكانوا يهجمون على السجون ويخرجون منها المفسدين.

---

(١) « والمسبحة » — فى زبدة الفكرة.

(٢) « ألف » فى زبدة الفكرة.

(٣) « ثمانين ألف رأس مابين ضأن وماعز، ونحو أربعة آلاف فرس، واثنين وثلاثين ألف جمل، وثمانية آلاف رأس من البقر » — فى السلوك جـ ١ ص ٩٢٢.

(٤) « والأغيار » — فى زبدة الفكرة.

(٥) « فى سادس عشر رجب » — السلوك جـ ١ ص ٩٢٢، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٥٣.

(٦) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٣١ أ — ٢٣٢ أ.

(٧) الجالية : يقصد بها الجزية — محيط المحيط، وهى الجزية المقررة على أهل الذمة فى كل سنة — صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٢.

ثم اتفق الأمراء على الخروج إليهم ، وطلبوا ناصر الدين [محمد](١) بن الشيخى متولى الجيزة ، وقالوا له أن يمنع سائر المسافرين فى البر والبحر ، وأى من خرج من مصر شنق(٢) ، وأشاعوا بالتجهيز إلى الشام ، وكتبوا الأوراق بأسماء المقدمين ، كل مقدم بمضافيه من الأمراء والأجناد ، فكانوا أربعة وعشرين مقدما بمضافيها ، وافترقوا أربع فرق : فرقة فى البر الغربى ، وفرقة فى البر الشرقى ، وفرقة فى البحر بالحراريق(٣) ، وفرقة فى الطريق السالك ، واتفقوا أن يضعوا السيف فى الكبير والصغير والرضيع ، [٢٥٩] والحقير والجليل ، ولا يرحموا شيخا ولا صبيا ، ولايبقوا على أحد من الذين يظفرون به ، ولا يقع لهم فى قلبهم رحمة .

وكان سفرهم من مصر فى نصف ربيع الآخر ، ورُسم للأمير شمس الدين الأعسر أن يكون فى جهة الواحات ، وصحبته خمسة من الأمراء ، وتفرقت عشرون من المقدمين الألوف بأمراء الطبلخانات ، وتخلف مع السلطان أربع من المقدمين ، وكان أول أمرهم من الجيزة وانتهوا فى عمل قوص ، واستقبلوا من وجدوه بسفك دمه ، فمنهم من عف عن الحريم وعن الشيخ الكبير وعن الطفل ، ومنهم من استحل الجميع ، وكانوا إذا وجدوا رجلا ويريدون مسكه

---

(١) [ ] إضافة التوضيح — السلوك جـ ١ ص ٩٢٠ .

(٢) وذلك حتى لا تصل أخبار الاستعداد للخروج إلى الصعيد إلى العربان ، إذ ورد « وقد عميت أخبار الديار المصرية على أهل الصعيد لمنع المسافرين إليها » — النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٥٢ .

(٣) حراقة — حراقات ، حراريق : نوع من السفن الحربية التى ترمى بالنيران ، وهى من السفن الخفيفة — السفن الإسلامية على حروف المعجم .

فيقول الرجل حضرى ، فيقولون له قل : دقيق ، فإذا قالها : دكيك يقتلونه[(١)] ، وإذا قال : دقيق يتركونه ، وأخذل الله العرب إلى أن ضاقت عليهم المسالك ، ودماهم الله فى طريق المهالك ، وما أحسوا بالعساكر إلا وقد دهموهم وأخذوا عليهم الطرقات ، فأى موضع قصدوه وجدوا فيه طائفة من العساكر حتى إن الغلمان والجمالين يخرجونهم من الأماكن ، أما الذين قصدوا جهة البحر فإن أكثرهم قُتل بالنشاب والغرق ، والذى سلم نفسه إليهم قتلوه ، ولم يرفعوا عنهم السيف من الأعمال الجيزية إلى الأعمال القوصية من الشرق إلى الغرب حتى جافت سائر الطرق بالموتى ، وأسروا منهم ، فمن اختفوا بالفلاحة نحو ألف وستمائة نفر ، وحصل للعسكر من الأموال والمواشى والخيل والسلاح ما لا يحصر ، والذى فهم بالتقدير وأحيط به العلم من الغنم نحو ستة عشر ألف رأس ، ومن الخيل نحو ألف وثمانمائة فرس ، ومن الجمال نحو إثنى عشر ألف رأس ، ومن الأبقار من المعاصير وغيرها نحو ثمانية آلاف رأس ، وما يعلم أحد ما حصل من الكسب للجمالين والغلمان ، وبيع خروف سمين بثلاثة دراهم وما دونه ، وبيع الماعز بدرهم وأقل من ذلك ، والجزة الصوف المرعزى بنصف ، والكساء بخمسة دراهم ، والرطل من السمن بربع درهم ، وكذلك الرطل من العسل .

وكانوا يجدون مطامير القمح فلا يلتفت أحد إليها ، ولا يجدون من يشتريها أو يحولها ، وما رجعت العساكر من بلاد الصعيد إلا وقد تركوها كما قال الله

---

(١) « فإن قال بقاف العرب قتل » ــ السلوك جـ ١ ص ٩٢١ .

« فإن قال : دقيق بالكاف لغات العرب قتل ، وإن قال « بالقاف المعهودة أطلق » ــ النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٥٣ .

تعالى : ﴿ قاعا صفصفا ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾ [(١)] .

وكان شخص يمشي في بلاد الصعيد بعد رجوع العسكر فلا يجد في طريقه أحدا ، وإذا بات في بلد لا يجد من يحدثه فيه غير النساء أو الأطفال الصغار .

ولما وصلوا إلى القاهرة عرضوا الرجال الذين أحضروهم على السلطان ، فاقتضى رأيهم أن يصفحوا عنهم ليذهبوا إلى البلاد لحفظ الزراعات والسواقي وغيرهما .

ذكر قضية الفتح أحمد بن البققي [(٢)] :

بتاريخ يوم الإثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول ، قتل الفتح المذكور ، وكان من أهل حماة ، رُمي بالزندقة ، فمُسك وسُجن بالقاهرة ثم حكم فيه القاضي زين الدين [(٣)] بن مخلوف المالكي بما ثبت عنده من تنقيصه للشريعة المطهرة ، واستهزائه بالآيات المحكمات ، ومعارضته المتشابهات ، وذُكر عنه أنه كان يحُلّ

(١) جزء من الآية رقم ١٠٦ ، الآية رقم ١٠٧ من سورة طه رقم ٢٠ .

(٢) « الثقفي » في الأصل ، وفي شذرات الذهب ، وورد « البققي » في مصادر ترجمته ، وورد في المنهل الصافي « بباء موحدة وقافين » .

وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي جـ ٢ ص ١٨٧ رقم ٦ ٣ ، الدرر جـ ١ ص ٣٢٩ رقم ٧٨٤ ، الوافي جـ ٨ ص ١٥٨ رقم ٣٥٨٣ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢ ، السلوك جـ ١ ص ٩٢٥ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٤١ .

(٣) هو : علي بن مخلوف بن ناهض ، أبو الحسن ، المالكي ، زين الدين ، المتوفى سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م ـ المنهل الصافي .

المحرمات من اللواطة وشرب الخمر لمن يجتمع بهم من الفسقة من الترك وغيرهم من الجهلة ، هذا وقد كان لديه فضيلة وله اشتغال وهيئة « جميلة » فى الظاهر، ولبسة [٢٦٠] جيدة ، ولما أوقف عند شباك الكاملية ببين القصرين استغاث بالقاضى تقى الدين بن دقيق العيد وقال : ما تعرف منى ؟ فقال : إنما أعرف منك الفضيلة ، ولكن حكمك إلى القاضى زين الدين ، فأمر القاضى للوالى أن يضرب عنقه ، فضربت وطيف برأسه فى البلد، هذا جزاء من طعن فى الله ورسوله .

وفى نزهة الناظر : وكان هذا الرجل من أهل حماة ، وله اشتغال ، وحفظ كتبا كثيرة ،وكان ذكيا مفرطا، وحفظ سائر كتب الفقه ودواوين الأشعار، وكان قليل الدين ، سيء الاعتقاد ، كثير الزندقة ، وكان قد اشتغل بكتب المنطق والحكمة وهى التى أفسدت عليه نظامه ، وكان له إدلال على القضاة وجرأة لسان من غير أن يهاب منهم .

وقال صاحب النزهة : حكى لى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أنه دخل يوما على قاضى القضاة الشيخ تقى الدين ، فسلم عليه ووقف بين يديه وسأله مسألة ، وقصد الشيخ أن يجيبه عنها ، فولى ظهره وهو يقول : وقف الهوى ، وقف الهوى ، فأجابه الشيخ تتمة البيت ، فلم يعبأ به ، وتتمته :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى   متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامَ على هواك يلذ لِى   حبا لذكرى فليلُمْنى اللُّوَّمُ

قال : والتفت إلى الشيخ وقال لى : يا فتح الدين عقبى هذا الرجل إلى التلاف . قال : فوالله كان بين ذلك الكلام وقتله واحد(١) وعشرون يوما، فإنه

(١) « أحد » — فى الأصل .

صار يقع فى حق القاضى زين الدين بن مخلوف قاضى القضاة المالكية ويسُبّه ، ويبلغه ذلك عنه ، وبلغ من أمره إلى أن شهدت عليه عنده جماعة كثيرة ممن حضروه : أنه كان عزم على جماعة فى بيته وأطعمهم طعاما ، وأنه قام إلى رَفّ عنده فى البيت يتناول منه شيئا فقصرت يده عنه ، فوضع الكتاب العزيز تحت رجليه ليطول إلى الرف ، فقاموا وأنكروا عليه ، فشرع فى سبّهم بأنهم ناسٌ حمير ، ثم تلفظ بعد ذلك بالكفر ، فشهدوا عليه عند القاضى زين الدين ، وكتبوا محضرا بأمور ، ثم أتوا بها إلى قاضى القضاة تقى الدين ، فلما وقف عليها قال : ما المراد من هذا ؟ قالوا : يا سيدى إثباتها . قال : ما أفتى فى رجل يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ورماها من يده ، فتوقف حال إثباتها .

وسعت جماعة كثيرة ممن كانوا يعنون بابن البقفى(١) من جملتهم ناصر الدين الشيخى وجماعة من أكابر القبط وغيرهم وسألوا القاضى زين الدين فى أمره بأن يستتيبه ، وسعوا فيه بشىء كثير حتى أرادوا أن يثبتوا له جنونا ليتخلص من هذه الورطة ، فكتبوا محضرا وشهدت فيه جماعة كثيرة ممن يسمع قولهم ، وأرادوا أن يثبتوه على قاضى القضاة الشيخ تقى الدين لما رأوا عنه الإعراض من إثبات كفره ، وفهموا أيضا أن للشيخ به عناية ، فأحضروا المحضر إليه ، فلما وقف عليه رفع رأسه وقال : من يجعل المولى فتح الدين مجنونا ؟ ما نعرفه إلا رجلا عاقلا ، ثم لما أحضروا المحضر إلى القاضى زين الدين ونظر فيه خلاه إلى جانب منه وتفكر فى أمره ، واقتضى رأيه أنه يصلى تلك الليلة صلاة الاستخارة ويسأل الله فى أمره ، فلما نام تلك الليلة رأى كأن جماعة جاءوا إليه وبينهم كلب أسود

---

(١) « النقفى » فى الأصل ، والتصحيح من مصادر الترجمة .

زوبرىّ قدر الكبش ، وفى رقبته [٢٦١] طوق وزنجير وهم يقودونه إليه ، ثم قناوه وألقوه فى حُفْرة وهو يراه ، فلما استيقظ حمد الله تعالى على تلك الرؤيا ، وأصبح عازما على قتله .

ولما فتح بابه وجد شخصا من طلبته جالسا على الباب ، فسلم عليه وناوله ورقة مكتوب فيها من شهاب الدين الأعزازى(١) الشاعر وأخبر أن شهاب الدين المذكور حضر إلى بيته وقت الأذان وأعطاه هذه الورقة وقال : عرّف قاضى القضاة ما انتظاره فى هذا الزنديق ، وفيها من شعره :

قل للإمام [العادل](٢) المرتضى وكاشف المُشكل والمُبْهم
لا تمهل الكافر واعمل بما قد جاء فى الكافر عن مسلم

فلما وقف عليها تبسم وقال : شاعر ومكاشف ، هكذا عزمنا إن شاء الله .

وكتب وهو فى سجن المالكى إليه من شعره :

يا من يُخادعنى باسهم مكره بسلاسل نُعمت كلمس الأرقم(٣)
اعتد لى زرَدا تضايق نسجه وعلى فكى(٤) عيونها بالأسْهُم

---

(١) هكذا فى الأصل ، وهو « أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم العزازى ، شهاب الدين » المتوفى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م – المنهل الصافى جـ ١ ص ٣٦٢ رقم ١٩٦ .

(٢) [ ] إضافة من السلوك جـ ١ ص ٩٢٦ .

وورد هذا البيت :

« قل للإمام المرتضى كاشف الـ مشكل بين الناس والمبهم » – كنز الدرر جـ ٩ ص ٧٨ .

(٣) « يا لابسا لى حلة من مكره بسلاسة نعمت كلمس الأرقم » – السلوك جـ ١ ص ٩٢٦

(٤) « نرق » – فى السلوك .

وأرسلها إليه ، فوقف عليها وقال : نرجو أن الله لا يمهله لذلك ، ثم اجتمع هو والقاضى زين الدين السُروجى، وشاوروا السلطان ،وعرفوه زندقته وكفره، وكان قد بلغ السلطان أمره ، فتحدث السلطان بكلام فهم القاضى منه المهلة عليه ، فانزعج القاضى لذلك وقال : هذا الرجل ثبت عندى كفره وزندقته، وقد وجبت عندى إراقة دمه ، فلما رأى السلطان تصميم القاضى قال : إذا كان لا بدّ فاعقدوا له مجلسا بحضور الحكام ، فإذا وجب عليه أمر شرعى افعلوه ، ورسم لناصر الدين بن الشيخى والحاجب بأن يحضرا المجلس ، فجلست القضاة والأمراء فى شباك الصالحية وطلبوه من السجن ، وشقوا به بين القصرين ، وهو بزنجير فى رقبته ، مكشوف الرأس ، وهو يستغيث : يا قوم أتقتلون رجلا يقول ربى الله ويعلن بالشهادة ، إلى أن وصل إليهم ، ووقعت الدعوى والإنكار ، وأخرجوا الشهادة عليه والإثبات بكفره ، فنهض القاضى السروجى وهو ينشد :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى　　حتى يراق على جوانبه الدم

وأشار أن يخرجوه الى ظاهر المدرسة إلى أن وقف مقابل الشباك وهو يصيح ويعلن بالشهادة ويقرأ القرآن ، والتفت الحاجب وناصر الدين للقاضى زين الدين وقالا : يا سيدنا إش ثبت عندك فى هذا الرجل ؟ قال : ثبت عندى كفره ووجب قتله ،فنهض السروجى وقال: إضربوا رقبة الكافر ودمه فى عنقى، فأشار فى ذلك لعلاء الدين آقبرص بعض مقدمى الحلقة أن يضرب رقبته ،وكان قوى اليد،ماضى السيف ، فضربه ثلاث ضربات وأراد بذلك تعذيبه، ثم علق جسده على باب زويلة وطيف برأسه المدينة ، وكان قد تكهل .

وقال ابن دانيال (١) فيه لما ضُربت عنقه :

لا تــلم البق فى فعــله . إن زاغ تضليــلا عن الحـــق
لو هـذّب الناموس أخلاقــه (٢) ما كان منسوبا إلى البق

[٢٦٢]

وقال فيه لما سجن ليُقتل :

يظن فـتى البقفى (٣) إنـــه سيخلصُ من قبضة المــالكى (٤)
نعــم سوف يُسلمه المــالكى قريبا ولكن الى مالك (٥)

والفتح المذكور شعر ، فمنــه قوله :

جبلت على حبى لهـا وألفتــه ولا بـد أن ألقى به الله مُعلنا
ولم يخل قلبى من هواها بقدرما أقـــول وقلبى خاليا فتمكّنا

وله أيضا :

أين المراتبُ فى الدنيا ورفعتها من الذى جاز علما ليس عندهم
لا شك أن لنا قـــدرا رأوه وما لمثلهم عنـــدنا قدر ولا لهم
هم الوحوش ونحن الأنس حكمتنا تقودهم حيث ما شئنا وتَعَمُ

(١) هو محمد بن دانيال بن يوسف الموصلى ، الحكيم شمس الدين الكحال ، الأديب . المتوفى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م — المنهل الصافى ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٣٣٠ رقم ٤٤٣ .

(٢) المنهل الصافى جـ ٢ ص ١٨٨ .

(٣) « الثقفى » فى الأصل ، والتصحيح من تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٤٢ ، الدرر جـ ١ ص ٣٢٩

(٤) المقصود : قاضى القضاة المــالكية .

(٥) المقصود : مالك خازن النار .

وليس شيء سوى الاهمال يقطعنا عنهم لأنهم وجدانهم عدَم
لنا المرتجان من علم ومن عدم وفيهم المتعبان الجهل والحشم

قلت : عارض بهذه الأبيات الأبيات التي للقاضي تقي الدين بن دقيق العيد وهي :

أهل المراتب في الدنيا و رفعتها أهل الفضائل مَرْذولون بينهم
فما لهم في توقي صبرنا نظر ولا لهم في ترقي قدرنا همَمْ
قد أنزلونا لأنا غير جنسهم منازل الوحش في الإهمال عندهم
فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم مقدارهم عندنا أو لو دَرَوْه همُ
لهم مرتجان من جهل وفرط غنىً وعندنا المتعبان العلم والعدَمُ

وله :

لحى الله الحشيش وآكليها لقد خَبُثت كما طاب السُلافُ
كما تُصبِى كذا تُضنى وتُشقي كما تُشقي وغايتها انحرافُ
وأصفرُ دائها والداء جَمٌّ بغاء أو جنُون أو نِشَافُ

ذكر غزوة سيس :

وفيها كتب نائب حلب إلى السلطان والأمراء بأن تكفور صاحب سيس منع الحمل وتجاهر بالعصيان وادعى أن البلاد لقازان وأنه يحمل الحمل ، فاقتضى رأيهم بتجريد الأمير بدر الدين أمير سلاح والأمير عز الدين أيبك الخزندار بمضافيهما أن يدخلوا بلاد سيس ومعهما نائب حلب وحماة وحمص ويخربوها

و ينزعوا زرعها ، وأن لا يوغلوا فى عتورهم إلا إذا وجدوا فرصة ، وألا يكونون فى أطراف البلاد .

وقال ابن كثير : وكان رحيلهم فى شهر رمضان ، وفى ذى القعدة ضربت البشائر بقلعة دمشق أياما بسبب فتح أماكن من بلاد سيس عنوة ، وفى الحادى والعشرين من ذى الحجة قدم الجيش إلى دمشق ، فخرج نائب السلطنة والجيش إلى تلقيهم (١) .

ذكر الجزيرة التى سكنها الفرنج مقابل طرابلس :

وفيها : كتب الأمير سيف الدين أسندمر نائب طرابلس إلى السلطان بأن الإفرنج قد أنشأوا جزيرة مقابل طرابلس (٢) ، واتخذوها لهم حصنا ونقلوا إليها عددا ورجالا ، وتزايد أمرهم إلى أن صاروا يركبون البحر ويتجرمون فيه ويأخذون المراكب ، وأضر ذلك بحال أهل الساحل ، وأنه قصد على تجريد عسكر فى مراكب تأتى إليهم مع جند طرابلس ، [٢٦٣] ولعل الله أن يظفر المسلمون بها ، وأخذ من فيها من الإفرنج قبل أن يشتدّ أمرها ويقوى حال العدو فيها ، وهم يريدون أن يعمروا فيها قلعة ، فإذا بنوها يصعب على المسلمين أمرها ، فلما وقف السلطان على الكتاب أمر للوزير بالاهتمام فى تعمير أربع شوانى (٣) .

(١) انظر البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٩ ، حيث يوجد جزء من هذا الخبر فى المطبوع بين أيدينا من البداية والنهاية .

(٢) « تعرف بجزيرة أرواد » — السلوك جـ ١ ص ٩٢٣ .

وهى جزيرة رودس المعروفة ، والفرنج المقصودون هنا هم : هيئة الفرسان الاسبتارية .

(٣) شينى — شانى — شينية أو شونة : شوانى : السفينة الحربية الكبيرة ، وهى من أهم قطع التى يتكون منها الأسطول فى الدول الإسلامية — السفن الإسلامية على حروف المعجم :

وفى المحرم من السنة الآتية : جُهزت الشوانى وتكملت .

قال بيبرس فى تاريخه : وفى المحرم من سنة اثنتين وسبعمائة جهزت الشوانى للسفر إلى جزيرة أَرْوَاد ، وهى جزيرة قبالة انطرطوس فى البحر المالح ، وكان قد اجتمع فيها جمع من الفرنج الذين جاءوا من الساحل وسكنوها ، وأحاطوا بها سورا وحصنوها ، فجهزت الشوانى لقصدها ، وجرد فيها جماعة من الجند لأخذها ، ولما تجهزوا وتكملوا ولم يبق إلا سفرهم ركب مقدم الأجناد الذين سُفروا فيها فى الشينى الكبير وهو جمال الدين أقوش العلائى (١) المعروف بوالى البهنسا ، ومعه جماعة ، وخرجوا قبالة مقياس مصر (٢) ليلعبوا ويتحدروا ، فانقلب الشينى فى خروجه ، فغرق المقدم المذكور وأكثر من كان فيه ، فجهز عوضا عنه سيف الدين كُهُرْدَاش (٣) ، وسُفر بالشوانى ، فوصلوا إلى الجزيرة وأوقعوا بأهلها وأخذوا ما كان فيها ، وأحضروا منها عدة أسرى (٤) وعبروا بهم عند وصولهم إلى القاهرة مُصفَّدين ، وشقوا بهم المدينة مقيدين وبقوا (٥) فى الأسر مخلدين (٦) .

وقال ابن كثير : وفى يوم الأربعاء الثانى من صفر من سنة ثنتين وسبعمائة فتحت جزيرة أرواد المذكورة ، وقتلوا منها نحوا من ألفين ، وكانت الأسرى قريبا من خمسمائة نفس (٧) .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ١ ص ٤٢٧ رقم ١٠٣٠ .

(٢) مقياس مصر : هو المقياس الذى يقاس به ماء النيل ، ويقع بطرف جزيرة الروضة — المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٨٥ .

(٣) هو : كهرداش بن عبد الله ، الأمير سيف الدين ، المعروف بالزراق ، توفى سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م — المنهل الصافى .

(٤) « فكانت عدة الأسرى مائتين وثمانين » — السلوك جـ ١ ص ٩٢٩ .

(٥) « وبقيوا » — فى الأصل .

(٦) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٣٢ ب .

(٧) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢١ .

وقال صاحب النزهة : وكانت الشوانى مشحونة بالعُدد والسلاح والنَفطيّة والزاد ، وفيها جماعة من الحلقة ، ومن كل مقدم نفران ، ومن الطبلخانات والعشرات ، وجرد أيضا من المماليك السلطانية جماعة من الزَّرَّاقين ، وزُينت الشوانى بأشياء من الآلات ، وباتت الناس تلك الليلة ، لم يبت أحد فى بيته ، وغُلقّت مصر والقاهرة يومين لأجل التفرج ، وكان من أول بولاق إلى الصناعة (١) خلائق من البرين لايُحصى عددهم حتى إن الإنسان لايستطيع أن يضع قدمه إلى الأرض ، وأما بقية مراكب البحر والشخاتير (٢) الصغار فإنها طبقت وجه البحر ، والمركب الذى كان يكرى بعشرة أكروه بمائة درهم (٣) .

ففى صبيحة يوم السبت الثانى عشر من محرم سنة ثنتين وسبعمائة : نزل السلطان والنائب وسائر الأمراء ، ووقفت العساكر جميعهم على بَرّ بستان الخشاب ، وعدّى الأمراء فى الحراريق إلى الروضة ، ثم أمر بخروج الشوانى واحدة بعد واحدة ، فخرج الشينى الأول ولعب ساعة ولعبوا فيه بالنفط ، وصاحت الخلائق من الجانبين ، ثم الثانى ، ثم الثالث ، ثم خرج الرابع وهو الذى كان فيه أقوش العلائى ، ولعبت فيه الهوى ، فمال ميلةً ، فانقلب فصار أعلاه أسفله ، وصرخت الناس عن صوت واحد ، وتكدر ذلك الصفاء ، فتحيرت الأمراء والسلطان ، وحزنوا حزنا عظيما ، وأدركت المراكب إليه ، وخلصوا منه خلقا وغرق آخرون ، وممن غرق أقوش المذكور المقدم فيه (٤) .

---

(١) صناعة مصر : بساحل فسطاط مصر — المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٩٧ .

(٢) شختور — شخاتير : سفينة صغيرة بسار واحد فى الوسط ، وهو من اصطلاح النوتية — السفن الإسلامية على حروف المعجم .

(٣) انظر النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٤) « فلم يعدم منه سوى أقوش ، وسلم الجميع » — فى السلوك جـ ١ ص ٩٢٨ .

ومن الغرائب أن أقوش هذا كان فيه من الكبر والحمق مالا يوصف، ومن الظلم وقتل النفس مالا يعد ، وكان [٢٦٤] هـو الذى زين هـذا الشينى من عنده بأفخر زينة وأكمل عدة ، وعند نزوله إليـه قدمت له الاسـقالة ، فمشى عليها إلى أن جلس ، ثم عند الخروج استعجل ، فقال له الرئيس : طول روحك ياخوند ، فانحرف وشتمه وقال : اخرج لا كتب الله علينا بالسـلامة ولا أحيانا أن نرد إليهم .

قال الراوى : وأغرب من ذلك أن هذا الشينى انحـدر إلى أن وقف عند بولاق وبقى هناك ثلاثة أيام مقلوبا إلى أن ركب والى الصناعة والرئيس ومعهم رجال ، فجاءوا إليه وأقلبـوه ووجدوا زوجة الرئيس وولدها وهى ترضـعه وهما بالحياة ، فسألوها عن حالها فقالت : إن الشـينى لما انقلب لم يحصـل عليهـا تشويش أصلا ولا بذل عليها من المـاء ، فتعجبوا من ذلك وقالوا : قدرة الله أعظم من هذا .

ثم رسم السلطان بأن يُجَهـز شينى آخر عوض ذلك ، فجهـزوه وكانوا قـد أحضروا رؤساء من الإسكندرية ودمياط ، ثم سافروا إلى أن وصلوا إلى طرابلس ودقت بوقاتهم ، ووجدوا أهـل طرابلس أيضا قد تجهزوا كما ينبغى مما يحتاجون إليه من العدد والنفط وآلات الحصار، ثم ركبوا نصف الليل ورئيت لهم الجزيرة وجه الصبح ، وصاحوا بالتكبير والتهليـل ، وزعقت البـوقات والطبلخانات ، وقاموا فى المقاديف قومة رجل واحد ، فتوجه كل مركب بمقـدمه على الميـناء ونفر الفرنج أيضا ، فبينما يركبون مراكبهم سبقت مراكب المسلمين بمقـدميها[(١)]

(١) « بمقاديموها » فى الأصل .

على الساحل ، وتسابقت الفرسان من المقابلة إلى أن أحاطوا الساحل وتقاتلوا بالسيوف فى الوجوه والصدور وبالرماح بالطعن فى المحاجر والنحور ، وانحزات الجرخية ناحية والأقجية ناحية ، ولم تتعال الشمس صبيحة ذلك اليوم حتى خذلت الكفار ، وانتصرت ملة الإسلام ، وملأوا من قتلاهم الأرض ، ورجع من بقى إلى قلعتهم وأغلقوها ، وزحفت الرجال إليهم ، وأرسلوا سهامهم إلى من فيها ، فثبتوا ساعة مقاتلين ، ثم وقع كلهم ما بين قتلى وجرحى ، وصاحوا طالبين الأمان ، وسلموا أنفسهم ، وملك المسلمون القلعة أيضا ، وكان ذلك اليوم يوم الجمعة الثامن والعشرين من صفر عام ثنتين وسبعمائة ، وأخذوا جميع ما فيها من حواصل وسلاح ، ووجدوا فيها تجارا ومعهم تجارة .

وكانت هذه القلعة أعتنى بها وبعمارتها صاحب قبرس مع جماعة من أكابر الفرنج على أنهم يتخذونها سكنا لهم ويسمونها عكا الصغيرة ، ثم هدها المسلمون إلى أن صارت دكا دكا ، فحصل للمسلمين بذلك السرور التام والشكر على دين الإسلام .

ذكر وفاة الخليفة :

الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين أبى العباس أحمد(١) بن محمد بن الحسن بن أبى بكر بن الحسن بن على القبى بن الراشد بالله الهاشمى العباسى البغدادى ثم المصرى(٢) .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٣٠ ب ، المنهل الصافى جـ ١ ص ٧٩ رقم ٢٠٣ ، درة الأسلاك ص ١٥٥ ، الوافى جـ ٦ ص ٣١٧ رقم ٢٨١٩ ، تاريخ الخلفاء ص ١٩٢ ، السلوك جـ ١ ص ٩١٩ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١١٨ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ٣٠٦ ، الدرر جـ ١ ص ١٢٨ رقم ٣٣٢ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢١٠ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٩ ، التحفة الملوكية ص ١٩٢ .

(٢) اختلف المؤرخون فى نسبه — انظر مصادر الترجمة .

بويع بالخلافة في الدولة الظاهرية في أول سنة إحدى وستين وستمائة ، فاستكمل أربعين سنة في الخلافة ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى منها [٢٦٥] بالمناظر المعروفة بالكبش(١) بمرض عراه ، وصلى عليه العصر بسوق الخيل(٢) ، وصلى عليه الشيخ كريم الدين عبد الكريم(٣) الآملي(٤) شيخ الصوفية ، ودفن بجوار مشهد السيدة نفيسة(٥) رضي الله عنها ، ومشى الأمراء والكبراء والقضاة والحكام والأعيان في جنازته إكراما لمحله ، وخلّف من الأولاد سليمان(٦) ، وهو أول من دفن بمصر من الخلفاء العباسيين .

وقال صاحب النزهة : وصلّى عليه شيخ سعيد السعداء كريم الدين المذكور ومعه الصوفية كلهم ، وحضر السلطان أيضا جنازته ، وصلّى عليه بجامع ابن طولون .

---

(١) مناظر الكبش : أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٠ — ١٢٤٩ م) على جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني ، وهي عبارة عن قصر كبير سماه « الكبش » ، وكان يشرف على بركة قارون عند الجسر الأعظم الفاصل بين بركة الفيل وبركة قارون ، وظل بعده من المنازل الملوكية ، وما زال موضعه يعرف بالكبش إلى اليوم — المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٣٣ . صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٦٢ ، السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب (رسالة غير منشورة بجامعة القاهرة) ص ١٨٢ — ١٨٣ .

(٢) « من تحت قلعة الجبل » المنهل الصافي .

(٣) هو : عبد الكريم بن الحسين بن عبد الله الآملي الطبري ، أبو القاسم كريم الدين ، شيخ خانقاة سعيد السعداء بالقاهرة ، المتوفى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م — المنهل الصافي .

(٤) « الأيلي » في السلوك جـ ١ ص ٩١٩ .

(٥) هي : نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، توفيت بمصر سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م ، ودفنت بمنزلها ، وهو الموضع الذي به قبرها الآن — المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٤٤٠ وما بعدها .

(٦) توفي سنة ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م — المنهل الصافي .

وقال بعض معاصرينا فى تاريخه : وتولى تغسيله والصلاة عليه شيخ الشيوخ كريم الدين عبد الكريم المذكور ، وخلّف من الأولاد سليمان أبو الربيع ، وإبراهيم أبو إسحاق .

ذكر خلافة الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان بن الإمام الحاكم بأمر الله :

بعهد من أبيه بويع له يوم وفاة أبيه[1] ، وتقدير عمره عشرون سنة ، وخطب له على المنابر ، واستمر فى صحبة السلطان والركوب معه كأنهما أخوان ، وفى اللعب بالصوالجة فى الميدان ، والسفر والتفرج فى الصيد ، وأجرى له الإكرام والإحسان .

وقال ابن كثير : وكان أبوه عهد إليه وكتب له بذلك تقليدا ، وقرىء بحضرة السلطان والدولة[2] يوم الأحد العشرين من ذى الحجة منها ، وكان يوما مشهودا[3] .

ذكر مجلس عُقِد فيه لليهُود :

وفى شوال : عقد مجلس لليهود الخيابرة ، وألزموا بأداء الجزية أسوة أمثالهم من اليهود ، فأحضروا كتابا معهم يزعمون أنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وضع الجزية عنهم ، فلما وقف عليه الفقهاء تبينوا أنه كذب مفتعل لما فيه

(١) يذكر ابن تغرى بردى : « وبقى الأمر موقوفا إلى يوم الخميس رابع عشرين جمادى الأولى المذكور » ــ انظر النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٤٩ .

(٢) هكذا بالأصل ، ولعل المقصود « كبار رجال الدولة » .

(٣) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٠ .

من الألفاظ الركيكة والتواريخ المخبطة واللحن ، وحاققهم عليه الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وبين لهم كذبهم ، وخطأهم وأنه مزور مكذوب ، فأنابوا إلى أداء الجزية ، وخافوا من أن يستعاد عليهم بالسنين الماضية .

وقال ابن كثير : وقد وقفت أنا على هذا الكتاب ، فرأيت فيه شهادة سعد بن معاذ عام خيبر ، وقد توفى قبل ذلك « بنحو من ثلاث سنين ، وشهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم إذ ذاك وإنما أسلم بعد ذلك[1] » بنحو من سنتين ، وفيه : كتب على بن أبي طالب[2] ،وهذا لحن لا يصدر عن أمير المؤمنين على أنه يسند إليه علم النحو من طريق أبي الأسود الدؤلى عنه[3] .

قال ابن كثير : وقد جمعت فيه جزءا مفردا وذكرت فيه ما جرى أيام القاضي الماوردى وكبار[4] أصحابنا في ذلك العصر[5] .

ذكر بقية الحوادث :

وفيها : عُزل شمس الدين الأعسر عن الوزارة[6] ، وسُفّر إلى الشام لكشف القلاع ، وقُرّر عوضه نائب الإسكندرية الامير عز الدين أيبك البغدادى ،

(١) «   » ساقط من المطبوع من البداية والنهاية ، مما أدى إلى تغيير المعنى .

(٢) « بن طالب » فى البداية والنهاية .

(٣) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٩ .

(٤) « وكتاب » ـ فى البداية والنهاية .

(٥) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٩ .

(٦) سبق أن ذكر العينى هذا الخبر فى أحداث سنة ٧٠٠ هـ ـ انظر ما سبق ص ١٤٠

وهو الرابع من الوزراء [الأمراء] (١) الترك أرباب السيوف والأقلام : أولهم علم الدين سنجر الشجاعى، ثم الأمير بدر الدين بيدرا قبل النيابة، ثم شمس الدين الأعسر ، وهذا عز الدين أيبك .

وفيها : فى يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الآخر : شُنق الشيخ على الحورانى (٢) بـوابة الظاهرية على بابها ، بسبب أنه اعترف بقتل الشيخ زين الدين السمرقندى (٣) .

وقال الشيخ علم الدين البرزالى [٢٦٦] فى تاريخه : وفى وسط ربيع الأول ورد كتاب من حماة يخبر فيه أنه وقع فى هذه الأيام ببارين من عمل حماة بَرَد [كبار] (٤) على صور حيوانات مختلفة ، منها سباع وحيات وعقارب، وطيور ومعز وبلشون (٥) ، ورجال فى أوساطهم حوائص ، وأن ذلك ثبت بمحضر عند قاضى الناحية ، ثم نقل ثبوته إلى قاضى حماة (٦) .

(١) [ ] إضافة للتوضيح من النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٤١ .

« من الوزراء الأمراء الأتراك بالديار المصرية، الذين كان تضرب على أبوابهم الطبلخاناة على قاعدة الوزراء بالعراق زمن الخلفاء » ــ النجوم الزاهرة .

(٢) « الحورانى » فى البداية والنهاية .

(٣) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٨ .

(٤) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٥) « ونساء » ــ فى البداية والنهاية .

بلش ــ البلشون : طائر طويل العنق والجناحين والساقين ، يعرف بمالك الحزين ، وهو يعيش بالقرب من المياه ، فإذا جفت يبدو كئيبا .

(٦) هذا الخبر منقول من البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٨ .

وفيها : نقل ناصر الدين محمد الشيخى من ولاية القاهرة إلى الخاص السلطانى بالجيزية ، وبقى فيها إلى أن نقل إلى الوزارة .

وفيها : ولى الأمير سيف الدين أقجبا المنصورى نيابة غزة .

وفيها : فى شوال ، حصل بالشام جراد عظيم أكل الزروع والثمار ، وجرد الأشجار حتى صارت كالعصى ، ولم يعهد مثل هذا .

وقال ابن كثير : وفيها ولد كاتبه — يعنى نفسه — إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشى البصراوى الشافعى (١) .

وفيها : ظهر بالقاهرة إنسان سمى نفسه المهدى ، وادعى أنه من ذرية الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وأنه ينذر بوقائع يعلم وقوعها ، فاعتقل امتحانا لنقله (٢) ، فلم يصح شىء من قوله ، وظهر أن به فسادا فى عقله ، فعزر تأديبا له ، ثم خلى سبيله (٣) .

وفيها : كان خروج بكتمر الحسامى من وظيفة الأمير آخورية ، بسبب غيظ الأمراء عليه ، لأنه نقل عنه أنه يكثر الحديث مع السلطان ويذكر الأمراء عنده ، وكان الأمراء قد اتفقوا أنهم لا يدعون أحدا يجتمع بالسلطان أو يتحدث معه ، مع ما كان فى نفوسهم منه من تكبره عليهم ، فأخرجوه إلى الشام من غير إقطاع ، وأقام مدة إلى أن توفى الأمير علاء الدين مغلطاى التقوى بدمشق

(١) لم يرد هذا الخبر فى المطبوع الذى بين أيدينا من البداية والنهاية .

(٢) هكذا بالأصل ، ولعل المقصود « امتحانا لقوله » .

(٣) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٣٢ أ .

وطالع نائب الشام بسببه ، فرسم بإقطاع له ، وتولى عوضه فى الأمرآخورية علم الدين سنجر الصالحى .

وفيها: وصل كتاب نائب الشام يخبر بحضور القاضى علاء الدين بن القاضى شرف الدين بن القلانسى، وشرف الدين بن الأثير من عند قازان ، وذلك أنهما كانا مع الوزير نجيب الدين وزير قازان ، فإنه كان أخذهما رهينة إلى أن يحضر أخوه عبد اللطيف الذى كان معوقا عند السلطان ، والمذكوران قد تحيلا بحيل كثيرة حتى تخلصا ، واختفى ابن القلانسى بتبريز، وتحيل و بذل ما لا إلى أن مَنّ الله عليهما بالخلاص .

ذكر تحرك طَراى بن نُوغيه لطلب ثأر أبيه وأخَويه :

فشرع فى التحيل لإدراك مطلبه ، فالحق بَصراى بغا بن منكوتمر (١) ، وقد ذكرنا أن أخاه طقطا رتبه فى مقام نوغيه ، فتوصل طراى إليه ولازمه ، فلما آنس منه الميل إليه فاتحه فى أمر أخيه طقطا ، وفاوضه فى أنه أحق منه بالمملكة وأقدر على تدبير السلطنة ، فاستغواه فمال معه ، وانصاع إلى خداعه ، وركب فى ثمانه وعبر على نهر إتل وهو جامد بفرسانه ، وخطر بباله أن يستشير أخاه برلك ويستعينه ، فنزل العسكر ناحية ، وتوجه جريدة ، فاجتمع ببرلك وشاوره فى أمره ، فأظهر له الموافقة لهواه ، ثم بادر لوقته بإعلام طقطا بما هم به صراى بغا أخوه وطراى بن نوغيه من الوثوب عليه ، فركب طقطا لوقته فى خواصه و بطانته ، وجهز إلى نحوهما من أحضرهما ، فقتلا بين يديه [٢٦٧] وتفرق عسكرهما ،

(١) انظر ما سبق ص ١٤٠ وما بعدها .

وأرسل طقطا ولده إيل بَصّار إلى المكان الذى كان قد رتب صراى بغا ، فاستقر به عوض أخيه[1] .

وفيها هرب قرا كسك بن جكا بن نُوغيه ، وهرب معه اثنان من أقاربه ، وهما جركتمر ويلقطلو ، وذلك أنه لما قتل طقطا أخاه صراى بغا وطراى بن نوغيه أرسل بُرْلك فى طلب قرا كسك ، فانهزم هو وهذان المذكوران وطرحتهم الجفلة إلى بلاد شُشمَن إلى مكان يسمى بَدُول بالقرب من كَرَلْ ، ومعهم نحو من ثلاثة آلاف فارس ، فأواهم ششمن وأصحابه ، وأقاموا عندهم يُغيرون على الأطراف ويأكلون بالأسياف .

قال بيبرس فى تاريخه : إلى يومنا هذا[2] .

وفيها : حج الأمير ركن الدين بيبرس أستاذ الدار فى جماعة من الزامه وخواصه ، وكان رحيله من البركة مستهل ذى القعدة .

وقال بيبرس فى تاريخه : فندُبت للتقدم على الركب المصرى وكان ركبا كبيرا ، [وقد جمع خلقا كثيرا[3]] .

وحج فى هذه السنة ثلاثون أميرا ، وجعلوا ركبانا ثلاثة يتعاقبون فى المنازل والمراحل .

قال : ولما حصل اجتماعنا فى الحرم الشريف حضر اثنان من أولاد الشريف نجم الدين بن نُمَى أحدهما يسمى عُطَيْفة والآخر أبوالغيث ، وشكوا إلى المقر

(١) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٣٢ ب ، ٢٣٣ أ .
(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٣٣ أ .
(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

المشار إليه بحضرة من حضر من الأمراء فى أخويهما الكبيرين ، وهما أسدالدين رُمَيثة وعز الدين حُمَيضة ، وذكرا أنهما لما اتفقت وفاة والدهم الشريف ابن نمى فى هذه السنة ، وثبا عليهما وأساءا إليهما واعتقلاهما ظلما و بغضا ، فتحيلا وهربا من مكان سجنهما ، وتوجها إلى بنى عمهما أولاد إدريس بن قنادة ، وأقاما عندهم ، وسألا إنصافهما من أخويهما ، [ومقابلتهما بما جنياه عليهما](١) فاتفقت الآراء بإمساك رُميثة وحَميضة وتأديبهما بالسجن والعزل لإساءتهما على بنى أبيهما ،(٢) [والجرأة عليهما](٣) وغير ذلك من أمور نُقلت عنهما ، فأُمْسكا ، [ونسبت إليهما](٤) ورتب المشار إليهما(٥) عُطيفة وأبا الغيث عوضا عنهما ، وأحضرا هذان(٦) إلى الأبواب السلطانية واعتقلا مدة(٧) .

وقال صاحب نزهة الناظر : لما فرغ الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير من الوقوف بعرفة ، ورجع إلى طواف الزيارة وطواف الوداع بعده ، وقف له أبو الغيث وعطيفة وبقية إخوتهما(٨) من البنات ، وشكوا من أخويهم حُميضة ورُمَيثة و بالغوا فى الشكوى ، فأرسل الأمير ركن الدين وراءهما ، فحضرا بالحرم

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) « لما أقدما عليه من الإساءة إلى بنى أبيهما » ــ زبدة الفكرة .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٤) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٥) « إليه » فى الأصل ، وفى زبدة الفكرة ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٦) « هذان » ساقط من زبدة الفكرة .

(٧) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٢ أ ، ب .

(٨) « رميثة » فى الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح مما سبق ، وانظر أيضا ما يلى .

الشريف فقال لهم : اسمع يا حميضة لأى شيء تفعل كذا حتى يشكو منك أخويك؟ فأجابه بقوة نفس وقال : يا أمير نحن نفتصل مع إخوتنا ، وأنتم قد قضيتم حجكم وجُزتم خيرا ، فلا تدخلوا بيننا . فغضب بيبرس لذلك غضبا شديدا ، وأشار إلى الأمير سيف الدين طشتمر الجمقدار أن يَكمه ، فلكمه فأرماه إلى الأرض ، وما قام إلا وقد [وجد](١) روحه مكّتفا هو وأخاه(٢) ، ووقع الصوت فى الحرم بمسكهما ، فتصايحت النسوان والعبيد ، وطلعوا على البيوت وأسطحة الحرم بالأحجار ، وركبت الأشراف والعبيد .

فلما رأت الأمراء ذلك أدركوا خيولهم وركبوها ، وركّبوا الأميرين المذكورين مكتفين مُزنجرين فى رقابهما ، وهم يصيحون ياابنى حسن ، ياابنى أولاد نمى ، فخرجت البنات من مكة وسبقت خيل الشرفاء ، ومسكوا طرق الأبواب والأزقة ، وسمعت أيضا بقية الأمراء النازلين [٢٦٨] فى الوطاق ، فركبوا بالقسى والرماح ، واستعدوا ، ولما رأى بنو الحسن الجند والأمراء من خلفهم ومن بين أيديهم أخذ كل منهم فى طريق ، وخرج منهم نحو ثلاثة عشر نفرا ، وقتل ستة نفر ، وقيل ثمان رءوس من الخيل ، وخرجت جماعة من الذين على الأسطحة إلى أن خرجوا إلى المخيّم وطلبوا أبا الغيث وعطيفة وواوهما مكة ، وخلعوا عليهما ودخلوا بالممسوكين مصر مُزَنجرين وأودعا بالسجن مُدة .

قال صاحب النزهة : وكان وصول الأمير ركن الدين بيبرس من الحجاز الشريف فى أول المحرم من سنة اثنتين وسبعمائة ، وكان خروجه من مصر نصف

(١) [ ] إضافة يقتضيها السياق .
(٢) « وأخوه » — فى الأصل .

ذى القعدة ، ووصل إلى مكة فى التاسع والعشرين منه ، فكان سفره أربعة عشر يوما .

قلت : بيبرس هذا هو بيبرس الجاشنكير أحد أركان الدولة بمصر ، وليس هو بيبرس الدوادار ، فإن بيبرس الدوادار كان أمير الركب على ما ذكرنا عنه الآن ، وقد ذكرنا أيضا أنه ذكر أن بيبرس الجاشنكير قد رحل من البركة مستهل ذى القعدة ، وهذا صاحب النزهة ذكر أنه رحل فى نصف ذى القعدة ، وبينهما تفاوت كثير على ما لا يخفى .

ذكر من تُوفى فيها من الأعيان

الشيخ الإمام العالم العامل شرف الدين أبـو الحسين على[(١)] بن الشيخ الإمام العلامة الحافظ تقى الدين أبى عبد الله محمد بن أبى الحسين بن عبد الله بن عيسى ابن أحمد بن محمد بن محمد اليونينى البعلبكى .

وكان أكبر من أخيـه الشيخ قطب الدين ، وولد شرف الدين سنة إحدى وعشرين وستمائة[(٢)] ، تفقه وسمع الكثير ، وكان عابداً عاملا ، كثير الخشوع ، وكانت وفاته أنه دخـل فى الخامس من رمضان إلى خزانة الكتب التى بمسجد الحنابلة ببعلبك ليعزل كتبه من كتب الوقف وعنـده خادمه الشجاع ، فدخل عليه فقير اسمـه مؤمن المصرى ، فضربه بعصى على رأسه ضربات ، ثم أخرج سكينا صغيرة فجرحه فى رأسه ، فاتقى بيده فجرحه فى يده ، فدخل عليه الناس ، وأمسك[(٣)] وحمل إلى متولى البلد وضُرب ، فصار يُظهر الاختلال ويتكلم بكلام غير منتظم ، فحُبس بعد الضرب الكثير .

وأما الشيخ فإنه حُمل إلى داره ، وأقبل على أصحابه وتحدث معهم على جارى عادته ، وأتم صومه ، فحصل له حمى واشتد مرضه ، فلما كان يوم الجمعه الثانى

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص١٥٦ أ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص١٩٨ ، الدرر جـ ٣ ص ١٧١ رقم ٢٨٥٣ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٠ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٣ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ٦٦ رقم ١٠٢ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٤٢ .

(٢) « فى حادى عشر شهر رجب ... ببعلبك » ــ النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٨ .

(٣) « ومسك » فى الأصل .

عشر من رمضان[1] مات ، وصلى عليه بدمشق وغيرها صلاة الغائب .

وقال ابن كثير : ودُفن بباب سطحا .

الصدر ضياء الدين أحمد[2] بن الحسين ، ابن شيخ السلامية .

والد القاضى قطب الدين موسى[3] الذى تولى فيما بعد نظر الجيوش الإسلامية الشامية ، وفى وقت المصرية أيضا ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء العاشر من ذى القعدة ، ودفن بقاسيون .

المسند المعمر الشيخ الجليل بقية السلف شهاب الدين أبو المعالى أحمد[4] بن إسحاق بن محمد بن المؤيد بن على بن إسماعيل بن أبى طالب الأبرقوهى الهمدانى ، ثم المصرى .

ولد بأَبَرْقُوه[5] من بلاد شيراز فى رجب أو شعبان سنة خمس عشر وستمائة ، وسمع الكثير من الحديث على المشايخ الكثيرين ، وخُرجت له مشيخات ، وكان شيخا حسنا متيقظا ، وكانت وفاته بمكة بعد خروج الحجيج بأربعة أيام ، ودفن بالمعلّا ، رحمه الله .

---

(١) « الخميس حادى عشر شهر رمضان » ـ النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٨ .

(٢) هو : أحمد بن الحسين بن بدر بن أحمد ، ضياء الدين .

وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ١ ص ١٣٢ رقم ٣٤٩ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٠ .

(٣) هو : موسى بن أحمد بن الحسين ، القاضى قطب الدين الخاقانى ، المتوفى سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٣١ م ـ المنهل الصافى .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ١ ص ٢٣٥ رقم ١٢٤ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٨ ، الوافى جـ ٦ ص ٢٤٢ رقم ٢٧٢١ ، الدرر جـ ١ ص ١٠٩ رقم ٢٨٢ ، العقد الثمين جـ ٣ ص ١٥ رقم ٥١٨ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٤ .

(٥) أبرقوه : بلد مشهور بأرض فارس من كورة اصطخر بأصبهان ـ معجم البلدان .

الإمام العالم الكامل الأوحد العلامة شمس الدين أبو الندى مَعَد [٢٦٩] ابن الشيخ الإمام العلامة زين الدين أبي الفتح نصر الله بن رجب ، المعروف بابن الصيقل الجزرى .

مات بهرمز ، وكان فقيها شافعيا ، متفننا بعلوم كثيرة ، صنف المقامات الزينية خمسين مقامة على منوال الحريرى .

الشيخ الإمام العالم الصالح الزاهد العابد مفتى المسلمين ركن الدين عبيد الله[1] ابن محمد بن عبد العزيز السمرقندى الحنفى .

مات بالمدرسة الظاهرية بدمشق ، وُجد بالبركة بها ميتا ، ولم يعلم حاله ، فغسل وكُفن ، وصُلى عليه ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكان كثير الصوم والصلاة والاجتهاد فى العبادة ، وكان ورده كل يوم مائة ركعة ، فلما اتفق له ذلك مُسك يحيى قيم دار الحديث الظاهرية وضُرب ، فاعترف بقتل الشيخ ركن الدين ، فشُنق على باب الظاهرية فى عاشر ربيع الآخر .

الشيخ جمال الدين عثمان[2] بن أحمد بن عثمان بن هبة الله بن أبى الحوافر ، المتطبب بالقاهرة .

مولده سنة تسع وعشرين وستمائة ، وكان رئيس الأطباء بالديار المصرية ، وإليه تُنسب الحمام التى بمصر عند الجامع الجديد ، مات فى هذه السنة .

شيخ الشيوخ فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ تاج الدين أبى بكر عبد الله ابن شيخ الشيوخ عماد الدين عمر بن على بن محمد بن حموية الجوينى .

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، الدرر جـ ٣ ص ٤٢ رقم ٢٥٠٩ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٣ ص ٤٩ رقم ٢٥٦٦ .

مات فى ربيع الأول بالشميساطية ، ودفن بسفح قاسيون عند أخيه ، وله من العمر خمسون سنة ، وتولى عوضه فى المشيخة قاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة .

الخطيب علاء الدين على بن الحسن بن عبد الله الشافعى ، المعروف بابن الجابى ، خطيب جامع جراح ظاهر باب الصغير .

مات فى هذه السنة ، وكان يقصد لسماع خطبته من حسن صوته ، وكان مهووسا بعلم الكيمياء ، وتولى مكانه الشيخ شرف الدين الفزارى .

الشيخ العالم الصدر وجيه الدين محمد(١) بن عثمان بن أسعد بن المنجى الحنبلى .

مات بمدرسته دار القرآن بدمشق ، ودفن بقاسيون ، ومولده سنة ثلاثين وستمائة بدمشق .

الشيخ الصالح الزاهد العابد العارف القدوة عيسى بن الشيخ ثروان بن الشيخ محمد بن الشيخ الكبير ثروان التدمرى البيانى .

مات بدمشق ، ودفن بباب الصغير جوار قبر الشيخ أبى البيان ، وكان شيخ البيان ، وكان له صيت وقبول تام وكلمة مسموعة ، وكان عمره جاوز تسعين سنة .

الصدر الكبير الفاضل مجد الدين يوسف(٢) بن محمد بن على الأنصارى ، المعروف بابن القباقبى .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى « درة الأسلاك ص ١٥٦ ، الوافى جـ ٤ ص ٩١ رقم ١٥٦١ ، الدرر جـ ٤ ص ١٥٧ رقم ٣٩٧٢ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٣ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٤٢ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٥ ص ٢٤٧ رقم ٥١٠٦ .

مات بالقاهرة ، ودفن بتربة ابن عبد الظاهر ، كان فاضلا فى صناعة الترسّل وحساب الديوان ، ولّى كتابة الدرج بالفتوحات الطرابلسية (١) .

وله نظم حسن ، فمن ذلك قوله فى زهر الباقلاء :

عطّر زهر الباقلا الرُّبَى   فنشْره فى الروض منشورُ
لا يعجبُ الناشقَ منْ ريحه   فإنه مسك وكافُور

وقال وقد وقع بدمشق ثلج عظيم :

طمت الثلوجُ على الوهاد مع الرُّبَى   فالكون يعجب منه وهو مُفضض
فانهض لتجمع شمل أنس مقبل   بلذاذة فاليوم يوم أبْيَض

[٢٧٠] وكتب إلى الأمير علم الدين الدواداري :

يامَن كفانى وحربُ الدهر قائمة   بنَصْرة شمتها من فَضله الخدم
حلت من بابك العالى بذى سَلَم   فليهنى (٢) أننى من جيرة العلم

الشريف الكبير أبو نمى محمد (٣) بن الأمير أبى سعد حسن بن على بن قتادة الحسنى ، صاحب مكة منذ أربعين سنة ، توفى فى هذه السنة وكان حليما وقورا ذا رأى وسياسة وعقل ومروّة ، وخلف من الأولاد أحدا وعشرين ولدا ذكرا ، ومن البنات عشرة .

---

(١) « كان ناظر الفتوحات بدمشق » — فى الدرر .

(٢) « ليهنى » — فى الدرر .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ١٦٥ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢١ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٩ ، الدرر جـ ٤ ص ٤٢ رقم ٣٦٤٤ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٤١ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ٨٠ ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام جـ ٢ ص ٩ رقم ١٧٤ .

وقال بيبرس : ويكنى أبا مهدى أيضا ، وساق نسبه ، وهو محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم .

الأمير الكبير المجاهد المرابط علم الدين أرجواش[1] بن عبد الله المنصورى ، نائب قلعة دمشق .

كان ذا همة وشهامة وقصد صالح ، قدّر الله على يديه حفظ معاقل الشام لما ملكت التتار أيام قازان ، وكانت وفاته بقلعة دمشق ليلة السبت الثانى والعشرين من ذى الحجة ، وأُخرج منها ضحوة يوم السبت ، فصُلّى عليه ، وحضر نائب السلطنة فمن دونه ، ثم حُمل إلى قاسيون ودفن فى تربته .

وقال صاحب النزهة : ولم يخلف غير أربع بنات ، ووُجد له من تركته من الذهب خمسة عشر ألف دينار ، ومن الفضة خمسين ألف درهم ، وأوصى بعتق مماليكه وجواريه ، وأوقف عليهم وقفا ، ووجد له فى زردخاناته ثمانمائة قوس حلقة ومائتا عدة كاملة .

وقال : حكى لى مَنْ كان خصيصا بمنادمته ، ولم يعرف أنه اجتمع بأحد غيره ، أنه لحقه فى بعض الأيام قولنج ، فأُحضر له طبيب يَهودى ، فوصف له حقنة ولم يحضر أحد يَصف له صفة الحقنة غير ذلك النديم ، فلما رآها قال : ما هذه ؟ قال : هى الحقنة ، فنهض وقعد ، وأراد أن يشربها ، فقال له الرجل :

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٢ ص ٢٩٤ رقم ٣٠٨ ، الوافى جـ ٨ ص ٣٣٨ ، رقم ٣٧٦٦ : الدرر جـ ١ ص ٣٧١ رقم ٨٦٥ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ٨٠ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٠ ، وورد أسم « سنجر بن عبد الله المعروف بأرجواش المنصورى » فى النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٩٨ .

ياخوند هـذا ما يُشْرب . فقال : وما يُعمل به . فقال له : كذا وكذا ، فحين سمع ذلك تغيّر لونه ، ثم توجه إلى اليهودى فقال : ويلك يا ملعون ، أنا اشترانى الملك المنصور بعشرة آلاف درهم وما قدر أن يُمِرّ في دبرى شيئا ، وأنت جئت في آخر عُمرى تحـط في دُبرى عَظْما ، ثم أشار لمماليكه أن يُسقوا اليهـوديَّ تلك الحقنة ، فكتّفوه وأسقوها إياه ، فلما شربها مات في اليوم الثانى .

الأمـير عز الدين أيبك[1] بن عبد الله النجيبي الدوادار، والى البر (بدمشق) ، وأحد الأمراء الطبلخانات بها .

مات بدمشق يوم الثلاثاء السادس عشر من ربيع الآخر منها ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان مشكور السيرة ، ولم تطل مدته .

قُنجى[2] بن أرْدَنو بن دوشى خان بن جنكزخان صاحب غزنة وباميان .

توفى في هـذه السنة ، واختلف بنو عمه وأولاده وهم : بَيَان ، وكُبـلك ، وطقتمر ، وبُغـاتمر ، ومَنقطاى ، وصاصى ، وافـترق بعضهـم من بعض ، وكان كبلك قـد استقر في الملك بعد أبيه ، وسار أخـوه بيـان إلى طقطا مستنجدا ومستمدا على أخيه ، فأمدّه وعضده ، وسار كبلك إلى قيدو مُستغيثا ومُستعينا ، فأعانه وأيّده ، ثم التقى الجمعان واقتتل الأخـوان ، فكسر كبـلك وأدركه أجله ، فهلك ، واستقر بيان أخوه في المملكة الغزنوية .

---

(١) وله أيضا ترجمة في : الدرر جـ ١ ص ٤٥٢ رقم ١١١١ .

(٢) انظر تاريخ الدول الإسلامية جـ ٢ ص ٥٠٨ حيث يوجد اختلاف في الأسماء والسنوات إذ ورد فيه أن قونجوق خان بن دوراخان حكم من ٧٠٦ — ٧٠٨ هـ ، ثم تاليقو ٧٠٨ — ٧٠٩ هـ ، ثم كبك خان سنة ٧٠٩ هـ .

[٢٧١] فصلٌ فيما وقع من الحوادث
في السّنة الثّـانية بعد السبعمائة (*)

استهلّت هـذه السنة : والخليفة المستكفى بالله أمير المـؤمنين بن الحـاكم بأمر الله العباسى .

وسلطان البلاد : المـلك الناصر محمـد بن قلاون ، ونائبـه بمصر الأمير سيف الدين سـلّار ، ونائب الشام الأمير جمـال الدين أقُوش الأفرم ، ونائب حلب شمس الدين قراسنقر ، وقضاة مصر والشام هم المتقدم ذكرهم .

وفيها : وصلت رسل من جهة قازان ، ولم تعد معهم رُسل السلطان ، وقد ذكرنا أن السلطان جهز إليـه الأمير حسام الدين أزدمر المجيرى أحد الأمراء ، والقاضى عماد الدين بن السُكرى (١) من أعيان القضاة والكبراء .

وقال ابن كثير : ولم يعـد رُسل السلطان هؤلاء المذكورون إلّا بعد هلاك قازان فى أيام خربندا ، وكان وصول رُسُـل قازان يوم الأحد الثامن من محرم هذه السنة (٢) .

وقال بيبرس فى تاريخه : وتواترت الأخبار بحركة التتار ، ثم وردت كتب

(*) يوافق أولها يوم الأحد ٢٦ أغسطس ١٣٠٢ م .

(١) انظر ما سبق ص ١٥٥ .

(٢) لم يرد هذا الخبر فى المطبوع الذى بين أيدينا من البداية والنهاية .

النواب بالبلاد الحلبية مخبرة بأن قطلوشاه نائب قازان قد تحرك إلى جهة الفرات ، ويُخشى من تقدمه إلى هـذه الجهات ، وأنه قدّم بين يدى قدومه كتابا محشوا من خُبثه وُلؤمه مضمونه ما معناه أن بلادهم فى هذه السنة قد أمحلت ، وأراضيهم من الأعشاب والمـراعى خلت ، وأن التتار على عزم الانتشار لارتياد المـروج والأماكن التى توجد بها المرعى ومُروج ، وربمـا وصلت منهم طائفة إلى صوب الفرات لأجل قصد الأعشاب ، فيحصل بهم الإرتياب ، وليس قصدهم سوى الانتجاع والنزول بهما صادفوا به خصبا من تلك البقاع ، فإذا سمـع أهل البلاد الحلبية وسكان الأعمال الفراتية باقترابهم لا يبرحون من أماكنهم ولا يتزحون من مواطنهم ، فـلا بأس عليهم وليس ثمّ تعرض إليهم ، فعُـلم أن هذا الكلام عين الخداع ، ولم يلج القلوب ولا الأسماع .

ثم تواترت الأخبار بقـدوم التتار ، وأنهـم جاسوا خلال الديار ، وقدمت طائفة منهـم من جهة الرحبة ، ووصلت إلى دَيْر بسـير ، وجاءت طائفـة على مرعش ، بجفلت الرعية من البلاد الحلبية ، وحصل التأهب والاهتمام ، وبرزت المراسـيم السلطانية بالاستخدام ، وأن كل أمـير [من الأمراء](1) بمصر والشام يَستخدم نظير الربع من عدته ويُضيفهم إلى جماعته ، وقُرر على أهل البـلاد من الحواضر والبوادى خيالة يقومون بهـا من أموالهـم ، ويقيمونها من أحوالهـم ، واتفقت الآراء عند الاجتماع فى المشاورة على تجـريد مقدّمة من العساكر تقوية لجأش أهـل الشام ، وتثبيتا لجيوشـه على المقام إلى أن يتضح الحـال ويزول الإشكال(2) .

(1) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(2) انظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٣٣ ب — ٢٣٤ ب ، التحفة الملوكية ص ١٦٣ .

وقال صاحب النزهة : لما وصل القاصد إلى السلطان والأمراء ، وأخبرهم بأن قازان مجتهد على دخوله البلاد ، وقع اتفاق الأمراء مع السلطان على أنه لابدّ من تجريد عسكر ويكون صحبتهم أمير كبير يُشار إليه فى الأمور ، فإن فيه إرداعا للعدو وتطمينا للإسلام وأهل القلاع والنُواب ، ويكونون مقيمين فى دمشق ، فإن وجدوا حركة قازان صادقة كتبوا إلى مصر فيخرج السلطان بمن بقى من الأمراء والعساكر ، وإن كان قازان يبعث من يختاره من جنسه ، ورأى نائب الشام والأمراء أن يلاقوهم بجميع عسكر الشام ، فالرأى رأيهم [٢٧٢] فى ذلك ، وإن بلغهم أن عسكر قازان كثيرون يتأخرون قدامهم منزلة بمنزلة إلى أن يدركهم السلطان مع العسكر ، وما نهضوا من المشورة حتى وقع اتفاقهم على تعيين أمراء للتجريدة .

ذكر مَنْ جُرد من الأمراء ومن مُضافيهم إلى الشام :

قال بيبرس فى تاريخه : جُرِّد الأمير ركن الدين بيبرس أستاذ الدار ، والأمير حسام الدين لاجين الرومى أستاذ الدار ، والأمير سيف الدين طغريل الإيغانى ، والأمير سيف الدين كراى المنصورى السلحدار ، والأمير شمس الدين سنقرجاه المنصورى ، وجامع هذا التأليف — وأراد به نفسه بيبرس الدوادار — قال : فكنا ستة من مقدمى الألوف ، وجماعة المضافين من الأمراء والمقدمين ، فرحلنا من مسجد التبر فى الثامن عشر من رجب الفرد من هذه السنة ، وسرْنا على

(١) « التبن » فى زبدة الفكرة .

مسجد التبر : يقع هذا المسجد خارج القاهرة قريبا من المطرية ، و يعتبر موضعه المنزلة الأولى فى الطريق إلى الشام ، وتسميه العامة مسجد التبن ، وهو خطأ ، وتبر هذا أحد الأمراء الأكابر فى أيام الأستاذ كافور الإخشيدى — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٣ .

اسم الله و بركته ، فلما وصلنا قاقون تواترت الأخبار بصحة وصول التتار ، وأن قازان كان فيهم ، وعبر الفرات معهم ، و بلغ إلى الرحبة ، فقصد منازلتها ورام محاولتها ، و بها يومئذ نائب يسمى علم الدين سنجر الغتمى ، فأرسل إليه الإقامات صحبة ولده ، فتلطف به واستوقفه عما أزمعه من المحاصَرة والمنازلة ، وأرسل يقول له : الملك الآن سائر إلى الشام لقصد المُدن العظام ، وهذا بلد سهل المرام ، فإذا أخذت البلاد التى قدامك وحويتَ تلك الممالك التى هى أمامك ، فهذا البلد بين يديك وما يتعسر أمرُه عليك ، وخاطبه بهذا ومثله ، فاستوقفه عن التعرض إليها ، ثم أنه رحل ولم يعج عليها ، وأخذ ولد علم الدين الغُتمى المذكور صحبته إلى بلاد الشرق ، ثم لم يلبث أن عاد راجعا وعَبر الفرات قاطعا ، وعدّى نحو بلاده مسارعا ، وجرّد من العسكر الذى وجهه نحو الشام قطلوشاه نائبه ، ومعه اثنى عشر تُومان ، لقصد هذه البلدان ، وأخبروا أنه لما عاد عن الرحبة كتب منها كتابا إلى أهل الشام يَستغْويهم ويَسْتميلهم عن مضافرة أهل مصر ويخدعهم ، [وجعله ملطفا][(1)] ، ودسه[(2)] إلى من يُوصله إليهم[(3)] .

ذكر نُسخة الفرمان الذى سَطّره قازان من رحَبَة الشام[(4)] :

بسم الله الرحمن الرحيم

فرمان السلطان محمود غازان

ليعلم الأمير أقرم وأكابر الأمراء ، ورءاء العساكر . والأجناد ، والقضاة

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) « ودس الكتاب » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٣) انظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٤ ب — ٢٢٥ أ ، التحفة الملوكية ص ١٦٣ — ١٦٤ .

(٤) انظر نص الفرمان فى زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٥ أ وما بعدها .

والسادات ، والأئمة والصدور ، والأكابر ، والمشاهير والرؤساء ، وعوام الرعايا من أهل دمشق ، أنه حيث خصنا الله تعالى بالعناية الأزلية ، والسعادة الأبدية ، وشرح صدرنا للإسلام ، ونور قلبنا للإيمان ، وأورثنا سلطنة[(١)] الآباء والأجداد ، وأمدنا بالنُصرة المتواترة الأمداد ، تصدينا لإثابة الشكر على نعمائه حسب الإمكان ، فعاهدنا الله تعالى على ملازمة البر والإحسان ، ودفع الرزايا عن الرعايا ، وإيصال البرّ إلى البرَايا ، سيّما طوائف المسلمين ، وطبقات المؤمنين ، وأن لا نرخص في القتال ، مالم يبدأنا به الجُهال ، فكل لبيب يعلم أن البَادى أظلم ، والذى يحقق ذلك ماعرفه الدانى والقاصى ، من طريقتنا المسلوكة مع المطيع والعاصى ، وماترتب بيننا وبين أنسابنا [٢٧٣] الأصاغر والأكابر ، وتركنا المقاتلة إلا مع بَاد مُكابر .

وحيث كان أهل مصر والشام ، يحبّون ويؤدّون قوة الإسلام ، كان الواجب عليهم إظهار السرور ، وإبداء الحُبور بإسلام ذرارى جنكز خان ، وعساكرهم التى لا غاية لأواخرهم وتؤمن غلبة المتسلطين فى تلك البلاد ، وإنفاذ الرسل إلينا عن الوداد ، وإرسال التحف والهدايا ، والشكر لله ولنا على تلك المزايا ، فما أبصرنا منهم فى[(٢)] عموم الأوقات إلا ما لا يحسن من الحركات حتى أنهم عمّوا[(٣)] على ماردين وديار بكر طغيانا ، وأقدموا على القتل والنهب فيها عدوانا ، فدعتنا الحمية على الإسلام إلى الفساد بالإنتقام ، وهممنا بأن نجر إليهم العساكر ، ونبيد

(١) « سلطان » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) « من » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٣) « عملوا » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

البادى منهم والحاضر ، فصادفتهم المراحم العميمة التى لم تزل لنا خلقا وشيمة ، فتوقفنا مقتدين بقوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾(١) فأنفذنا الإيلجية(٢) مع قضاة ثقات ، لعلهم فى أمرهم يتفكرون ، وإلى الإنابة يهتدون ، فأتوهم بصرائح النصائح ، وهدوهم إلى جُدد المصالح ، فعصى سلطان مصر عُتُوا ونفُورا ، وأودعهم السجن تجبرا وغرورا ، فأفضَتْ حركاتهم الذميمة إلى أن هال عليهم الجنود ، وحل عليهم ماحل بعاد وثمود ، ولولا رفقنا المجبول بنا لأضحتَ شامُ خالية الديار .

وأما ما أصاب(٣) من لاحقه بعض العساكر من بعض الرعية فما كان أحد بذلك مأمورا ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

وجُرم جَرَّهُ سُفهاءُ قوم ... فحلَّ بغيرِ جانيه العقابُ

ولما ثنينا عنان العزيمة تَرحماً(٤) على البُراء من الجريمة ، ثنينا لتركيب الحجة الرسالة ، لعلهم ينتهون عن التمادى فى الجهالة ، فما سمعوا من الرسول قيلا ، وحبسوه زمانا طويلا .

وأما فى الإعادة ، فقد خالفوا الذاهبين فى العادة ، لأنهم لم يصحبوه واحدا من رسلهم ، ليتداركوا ما فرط من زَللهم ، و ياليت ماحملوه من الجواب ، كان

---

(١) جزء من الآية رقم ١٥ من سورة الإسراء رقم ١٧ .

(٢) إلجى ، و إيلجى : لفظ تركى الأصل ، وهو السفير أو المبعوث . Dozy: Supp. Dict-Ar

(٣) « وأما ما كان » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٤) « ترحنا » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

متضمنا لوجه من الصواب، فإن كتابهم دلّ على فساد آرائهم، وتعمقهم في متابعة أهوائهم، فقد ضمنوا مهذين المقال مطواه، وكتبوا اسم سلطانهم بالألقاب البليغة بالذهب أعلاه، واسم[1] الله [تعالى][2] ورسوله عليه [الصلاة و][3] السلام بالمداد، واسمنا بعد عدّة سطور للعناد، فحملنا ذلك على عدم معرفتهم بالرسوم والآداب، وقلة ممارستهم مراسيم الخطاب والجواب .

وحيث أردنا [أن][4] لايتأذى بذلك المسلمون، « صفحنا عنهم وتلونا »[5] : ﴿ فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ﴾[6] وعاودنا إرسال[7] الإيلجية مع أكابر القضاة، وحملنا إليهم الخلع والموهبات، ليسلكوا مسالك الموافقات، ويجتنبوا جوانب المخالفات، فوصل الخبر عقيب توجه الإيلجية أن القوم قصدوا ديار بكر، وحلوا حبى الكيد والمكر، فأمرنا بركوب العساكر وإهلاك الباغين بالسيوف البواتر، فانتهى خبر ذلك إليهم، ونزعوا من سطواتنا عليهم، فأخذوا من ديار بكر جانبا، وأصبح صحيح أملهم كاذبا، لكنهم عموا على خرت برت وملطية وسيس، وأخربوا أطرافها وحواليها بالحيلة والتلبيس، ولا شبهة لأحد إن خرت برت وملطية من ولايتنا [٢٧٤] وصاحب سيس من الداخلين في

(١) « وباسم » في الأصل، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٤) [ ] إضافه من زبدة الفكرة .

(٥) « تلونا » في زبدة الفكرة .

(٦) الآية رقم ٨٩ من سورة الزخرف رقم ٤٣ .

(٧) « إنفاد » في زبدة الفكرة .

شريعة طاعتنا ، وقد كانوا أظهروا للإيلجية الألية[(١)] ، واستلزم[(٢)] إقدامهم على ذلك كذب القضية ، وأيضا كاتبوا الأكراد والروم بخطاب الأخ مرارا ، ودعوهم إلى إثارة الشر والفتن سرا وجهارا ، وما علموا أن صحارى بلادنا مملوءة من أمثال أولئك ، ولا التفات لأحد إلى ذلك ، وكتبوا أيضا إلى ملك الكرج بارّ بن داود ، وأثبتوا البّر والعُبودية ، مع أنه عندنا خالص النية والطوية[(٣)] ، وحرضوه على العصيان ، والبغى والكفران ، وأرسلوا الرسل إلى طقطا وسائر أنسابنا بدست قفجاق ، وأغروهم على إظهار الخلاف والشقاق ، فوقفنا واطلعنا على مايمكرون ، وتوقفنا النظر بم يرجع المرسلون ، فلما أتوا وقصوا العجب بما رأوا ، وذكروا أنهم أمسكوا فى البيوت إلى حين الإعادة ، وقالوا هذه عادتنا وبئست العادة ، وقد أتوا بمكتوب مسطور ، على الوضع المذكور ، فأفصح ذلك أنهم يتكبرون ، وحيث يناسب التواضع يتجبرون ، وإلا كيف يسوغ أن تكون مكاتباتهم مع المذكورين كذلك ، والكتاب الذى أنفذ إلينا بذلك ، لاسيما إذا زعموا الألية وخلوص النية ، فما عساه أفضى إلى هذا الندا ، كما أفضى مرارا فيما مضى ، لكنه وصل الخبر حالته أنهم أنفذوا بيبرس بشبهة الحج مع جمع وافر ، وعموا على ملوك مكة — شرفها الله تعالى — وأخذوهم بأنهم دعوا لنا فى المواسم الشريفة ، والمقامات المنيفة ، وأى مسلم يقصد بيت الله الحرام ، الواجب تعظيمه على كافة الأنام ، وهو البيت المطهر للطائفين والعاكفين والركع السجود ، ويستوى فيه الأمير والمأمور ، والسلطان والجنود .

---

(١) الألى ، الإلى : النعمة — محيط المحيط .

(٢) « واستلزام » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٣) من الواضح أنه توجد ورقة ناقصة من مخطوط زبدة الفكرة تبدأ من هذا اللفظ ، وانظر نهاية هذا السقط فيما يلى .

فحيث لم يبق من وجوه الصدد شيء ، تبين أن آخر الطب الكي ، فشحذنا غرار العزم متوكلين واثقين ، بما عودنا الله من النصر العزيز والفتح المبين ، ونهضنا من قرب منا من الجنود ، ورفعنا على السماك الألوية والبنود ، عازمين على الإقامة هذه الصيفية بالشام ، منتقمين لما في الضمير من الانتقام ، والله المستعان وعليه التكلان .

وإنما المراد من تسطير هذا الفرمان الرابع : أنّا حيث نعلم أن أهل الشام من أهل الدهاء والفطنة ، فلا يشاركون المصريين في الشر والفتنة ، ولا يرون بما يؤول إلى وقوع المصريين في العذاب والمحنة ، أردنا أن ننبّههم من رقدة الغفول ، ونوضح لهم طرف الوُد والقبول ، بيّنا لهم أنهم هل وجدوا في قواعد الأصول والفروع ، وصحائف المعقول والمشروع ، وجها يقتضي أن يتبع من ليس إتباعه ضرورة ، ولا نزلت في وجوبه آية ولا سورة ، ويخالفوا من لا تُعارض شوكته ، ولا تُطاق سطوته ، فتصيبهم المحن والفناء ، وينزل بساحتهم الجهد والبلاء ، وهانحن قد وردنا بالجنود المجندة ، والجيوش المؤيدة ، وسيصل إلينا من الروم والكرج ، وتكفور والإفرنج ، عساكر لا تُحصى ، [٢٧٥] كالنجوم في موعد مقُرّر ووقت معلوم ، ويكون مصيف الجميع ببلاد الشام وحواليها ، وجبالها وصحاريها ، فكشفنا القناع وركبنا الحجة ، وقدمنا الوعيد وأظهرنا المحجة ، وعقدنا النية بأنه كل من سلك سبيل مخالفتنا ، ولم ينتهج طريق طاعتنا ، فإنا نأمر برعي فلاتهم (١) ، وسبي أزواجهم وبناتهم ، وبقطع أشجارهم ، وبقتل صغارهم وكبارهم ،

---

(١) نهاية الورقة الناقصة من مخطوط زبدة الفكرة .

ونحرق مساكنهم ، ونتبع مخافيهم ومكامنهم ، ونجعل أطلالهم ممحوة بالطمس ، وأجسادهم كأن لم تغن بالأمس .

وإن لاح لهم الاحتراز فليستدركوا فارطهم ، وليرحموا أنفسهم وأزواجهم وأولادهم وأموالهم ، وليبادروا إلى ما هو السبب للخلاص ، ويدخلوا فى طاعتنا عن صدق وإخلاص ، وليتحققوا أنا لا نريد منهم خزائن ولا أموالا ، فإن الله تعالى قد أتانا من المال (ما إن مفاتحه لتَنُوء بالعُصبة أولى القوة)(١) ، أغنانا بما أعطانا ، عما هو فى أيدى من سوانا ، وفيما مُنحنا من المملكة العريضة ، والسلطنة المُستفيضة ، والعساكر والجيوش غير المحصورة ، والألوية والأعلام المنصورة ، مُتسع وكفاية ، بل يخطبون باسمنا ، ويضربون(٢) الدينار بسكتنا حتى نقرر الجُمهور على أمورهم ، من أميرهم ومأمورهم ، زائدين فى الإقطاعات والمشاهرات ، والمرتبات والإفرارات .

ولا يخفى عليهم أن الشام كان فى الأعوام الماضية ، والأيام الخالية ، تارة مع الروم وأخرى مع العراق ، وعن مصر لازال منقطع العلاق ، إلى زمان تغلب طائفة من أهل الخروج والفتن ، فكما كانوا يتصورون أن الثغر هو العراق وديار بكر ، فليتصوروا بعد اليوم أنه غزّة وحدود الرمل ، وكما كانوا يستمدون منهم علينا ، يستمدون منا عليهم ، ولا يعتمدوا على القلاع ، فإنهم بالمحاصرة يعجزون ، ومن الاضطرار يُسلّمون ، ومهما تركوا الوساوس(٣) والخيالات ، وأطاعونا بصدق النيات ، فهم فى أمان الله الملك العلام ، وأمان الرسول عليه السلام ، وأماننا فى النفس والأهل والمال ، ولا تُصيبهم فى عساكرنا أذية فى عموم الأحوال .

(١) جزء من الآية رقم ٧٦ من سورة القصص رقم ٢٨

(٢) « ويضربوا » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٣) « الوسواس » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

وكتب فى رابع شعبان سنة اثنتين وسبعمائة .

والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين[(١)] الطاهرين أجمعين وسلم تسليما[(٢)] .

وفى نزهة الناظر : كتب ونحن بأرض[(٣)] الرحبة ، على عزم الركوب ، فى مستهل شعبان المبارك ، وقال أيضا : واتفق قبل وصول رسله حضور البطائق من حلب ، تخبر عن نائب الرحبة ما أخبره .

وكان قد وصل إلى دمشق الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير بمن معه من الأمراء المجردين ، ووقفوا على سائر الأحوال ، واتفق أمرهم على أن يكتبوا للسلطان وللنائب يعرفونهم بالحال ، ويستحثوهم على الخروج ، ثم توارد خيل حلب وحماة أولا فأولا .

وكان أهل دمشق عند حضور عسكر مصر اطمأن أمرهم ، وطابت نفوسهم ، فلما وصلت جفال حلب ، أخذ كل أحد لنفسه الخلاص ، واعتدوا للرحيل ، واشتروا الدواب للسفر ، فوقع اتفاق الأمراء مع نائب الشام أن ينادى بدمشق أن أى من خرج من بيته حل ماله ودمه ، ثم وقع اتفاق الأمراء أن يجردوا عسكرا من الشام ، ويقيمون بين حماة وحمص[٢٧٦] ، فيكون فى ذلك قوة وطمأنينة لأهل البلاد ، فجردوا الأمير سيف الدين بهادر آص ، والأمير سيف الدين قطلوبك المنصورى ، وآنص الجمدار ، وكتبوا لنائب حماة وطرابلس وحلب أن

---

(١) « الطيبين » ساقط من زبدة الفكرة .

(٢) انظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٣٥ أ — ٢٣٧ ب ، مع ملاحظة وجود ورقة ناقصة من المخطوط والترقيم موضعها فيما بين ٢٣٦ ب و ٢٣٧ أ — انظر الهوامش السابقة بهذا الخصوص .

(٣) « بأرض » مكتوبة بهامش المخطوط ، وبنفس الخط ، ومنبه على موضعها بالمتن .

يركبوا بالعسكر، ويكون الجميع مقيمين بين حماة وحمص، وركبوا إلى أن وصلوا.

وفى بكرة ذلك النهار حضرت جماعة من العربان وأخبروا أن طائفة من المغل قد طرقت نحو القريتين للغارة، فاجتمع الأمراء بنائب حلب وقالوا: ينبغى أن يركب بعض العرب على الهجن ويكشف خبر هذه الطائفة وهم فى مثل ذلك، وإذا قد حضر الأمير ثابت بن يزيد وعرفهم أن الخبر صحيح، وطائفة من المغل كبست على القريتين وأخذت وتركمانها[1] وجميع ما فيها من المواشى، ولم يدعوا فيها أحدا، وساقوا أموالا عظيمة، وأنهم عازمون العود، وبكرة النهار يكونون بالقُرب من عُرْض.

ذكر إغارة التتار على القريتين:

قال بيبرس فى تاريخه: وعند دخولنا دمشق استبشر أهلها وفرحوا، واتصل بنا اجتماع عسكر حلب صحبة الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى، نائب السلطنة بها، وعسكر حماة صحبة الأمير زين الدين كتبغا المنصورى الملقب بالعادل، وعسكر طرابلس صحبة الأمير سيف الدين أسندمر الكرجى نائب السلطنة بها، ومن كان قد جُرِّد إليهم من العساكر الدمشقية وهم: الأمير سيف الدين بهادر آص، والأمير سيف الدين آنص الجمدار وغيرهما، واتفق وصول مقدمة التتار إلى قريب القريتين[2] فأغاروا عليها فى خمسة آلاف فارس، وبها جمع كثير من التركمان الجافلين[3] بحريمهم وأولادهم وأغنامهم، فوقع التتار

(١) هكذا بالأصل، ويبدو أن هناك كلمة ساقطة قبل ذلك اللفظ.

(٢) بلدة كبيرة من أعمال حمص، وتدعى حوارين — معجم البلدان.

(٣) «الخالين» فى الأصل، والتصحيح من زبدة الفكرة.

عليهم وحَوَوهم وما فى يديهم ، فاتصل بهـؤلاء [الأمراء](١) الخبر ، فركبوا على الأثر ، وجردوا سيف الدين أسندمر ، وسيف الدين بهادرآص ، وسيف الدين آنص ، وسيف الدين تمـر الساقى ، وشجاع الدين غرلو(٢) الزينى مملوك الأمير زين الدين كتبغا ، وهو يومئذ من أمراء حمـاة ، وناصر الدين محمد ولد الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى ، فى ألف وخمسمائة فارس إلى نحو هؤلاء التتار الذين شنوا هذه الغارة ، (٣) فساقوا خلفهـم إلى مكان يسمى عُرُض(٤) ، فوجدوهم قـد نزلوا بمـا كسبوا ، واطمأنوا بمـا غنموا ، وفرحوا بمـا أوتوا ، فأشرفـوا عليهم وأقبلوا من أمامهم ، فظن هؤلاء أنهم من عسكرهم قد جاءوا فى أثرهم ، فما تحركوا من أماكنهم حتى خالطوهم واتصلوا بهم ، فتحققوا أنهم من العساكر الإسلامية والعصابة المحمدية ، فاعتزلوا ناحية وتركوا المواشى والغنائم مهملة ليتشاغل العسكر بالنهب وينهمكوا على الكسب ، فينالـوا منهـم الغَرض إذا تشاغلوا بالعَرَض ، ففطن الأمراء بمكائدهم ، وعرفوا أن المكر عادتهم ، فمـا عرجوا على الغنائم ، بل تفرقوا على القوم أربـع فرقات ، وجاؤوهم من أربـع جهات ، ورتبوا أن الفرقة الواحدة تحمل عليهم وتتقدم إليهم ، فإذا اشتغلوا بقتالهـا واستعدوا لنزالها

---

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) « أغرلو » فى زبدة الفكرة .

(٣) آخر ما وجد من هذا النص فى زبدة الفكرة ، ويبدو أن هناك أوراق ناقصة وساقطة من من الترقيم فى زبدة الفكرة فيما بين الورقة ٢٣٨ ب ، والورقة ٢٣٩ أ . أنظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٣٨ ب . وانظر التحفة الملوكية ص ١٦٤ — ١٦٥ ، حيث يوجد باقى النص ولكن مع اختلاف فى الألفاظ .

(٤) عرض : بلدة فى برية الشام بين تدمر والرصافة الهاشمية — معجم البلدان .

يحيط بهم الفرق الثلاث من سائر الجهات ، ففعلوا كذلك وأخلطوا بهم فدهكوهم [٢٧٧] بهذا التدبير ، وغلب القليل من المسلمين جمعهم الكثير ، وكسروهم ، واستنقذوا التركمان الذين كانوا أسروهم ، وخلصوا النسوان والولدان ، واقتلعوا منهم المواشي والأموال ، وأبلوا بلاء حسنا ، وفازوا بالأجر والثناء ، وتفاءلوا بهذه البداية المباركة ، وأيقنوا النصرة المتداركة ، وكانت هذه مقدمة لنتيجة الظفر ، وقضية موجبة للتأييد المنتظر ، سالبة ما استلبه فُراط التتر ، ولم يُستشهد فى الوقعة إلا الأمير سيف الدين آنص الجمدار ، وناصر الدين محمد بن باشقرد الناصرى .

وقال صاحب النزهة : كان السبب لغارة المغل على القريتين أن قطلوجا لما عدّى الفرات طلب بعض أمراء التوامين وقال له : اركب بمن معك من عسكرك ، وأغر على طريقك أى جهة رأيتها قريبة منك ، واقتل وانهب واسبْ وسُق ما تجده وما تقدر عليه من أسْرى المسلمين ، وكان قصد بذلك إيقاع هيبته فى قلوب الرعية والعساكر ، ثم أنه أول ما جاءت طريقه على القريتين رأى بها بيوت التركمان والعرب والخلق الكثير ، وقد سرحوا مواشيهم إلى أن سدت تلك تلك الأرض ، فضربوا عليهم حلقة ووضعوا فيهم السيوف ، فلما رأوهم صاحوا بالأمان ، وأقاموا ذلك اليوم وتلك الليلة ، إلى أن ساقوا جميع أموالهم ، وأخذوا مواشيهم ، وشرعوا فى أخذ الرجال والنساء والأطفال ، وربطوا الجميع أسْرى ، وساقوهم بين أيديهم ، والرجال تبكى ، والنساء يَصحْن ، والأطفال يتصاعون .

فلما جاء الخبر بذلك إلى الأمراء عينوا جماعة من الأمراء وهم الذين ذكرناهم ومعهم يزيد بن ثابت بجماعة من عربه ، وكلهم بالهجن راكبون ، وفرس كل

واحد منهم جنيبا على يده ، وساروا ذلك اليوم إلى أن دخل عليهم الليل فاستراحوا ساعة واحدة ، وجاء فى ذلك الوقت بعض العرب وأخبرهـم أن العدو يكونون فى نصف الليـل نازلين على عُرْض بمن معهـم من الكَسْب والأَسْرى ، فركبوا وساروا الليـل كله إلى أن انشـق الفجر ، وجاء فى ذلك الوقت بعض العرب أيضا وأخبروا أن العدو قد نزلوا فى الليل وإنكم قربتم منهم ، ثم أن الأمراء نزلوا واستراحوا ، وتوضؤوا لصلاة الفرض ، ثم بعـدها صلاة الموت ، وودّع بعضهم بعضا ، ثم ساقوا على نفس واحد إلى أن طلع قرص الشمس ، فتراءت مضارب العـدو ، وكانوا تحت تل من تلك الأرض ، فساق الأمراء بمن معهـم إلى أن ركبوا التـلّ ، ثم قال لهم سيف الدين بهـادر آص : إعلموا يا أمراء أن هـذه الوقعة هى وقعة الانفصال بيننا و بينهـم ، فإن كانت النصرة لنـا فهى بشارة تستمر بنا ، وإن كان غير ذلك فنعوذ بالله . وقال الأمير سيف الدين أسندمر : كل زوجة لى طالق وكل جارية ومملوك لى حرّ إن ولّيت ظهرى حتى أبلغ قصدى ، وإن مت فما يكون لى موتة أكرم منها ، ثم شرع كل واحد منهم يقول بمثل هذه المقالة ، وكانت العدو فى المقام ، وكان يحرسهـم أمير ومعه خمسمائة فارس ، وأول من حمل بمن معه الأمير سيف الدين أسندمر ، وصاح الله أكبر ، فجاوبه العسكر بصوت واحد حتى الأَسْرى : الله أكبر ، الله أكبر [٢٧٨] ، وكانت الأَسْرى نحوا من ستة آلاف نفس .

وكانت هـذه الساعة ساعة عظيمة ، وقتل المسلمون منهم خلقا كثـيرا ، وأفنوا أكثرهم على السيف ، وأسروا منهم نحو مائة وثمـانين أسيرا ، ومَن وجد مجروحًا قتلوه ، ثم كتبوا بهذا الفتوح لنائب حلب ونائب حماة ، ورفعوا بعد ذلك طالبين الأمراء .

وكانت الوقعة فى الحادى عشر من شعبان من هـذه السنة ، واستشهد فيها الأمير آنص ، وناصر الدين بن الباشـقردى الناصرى ، ونحو ستة وخمسين من الجند ومماليك الأمراء ، وجرحت[1] نحو ثمانين نفرا ، وقتلت خيول كثيرة .

ولما سبق البشير إلى الأمراء ، ركب الأمير شمس الدين قراسنقر نائب حلب ، والأمير زين الدين كتبغا نائب حماة ، وبقية الأمراء والعسكر ، والتقوهم ودعوا لهم ، وفرحوا .

ولما نزلوا الخيم اجتمع رأيهم على أن يكتبوا لنائب الشام والأمراء المصريين ويُبشّرونهم بما فتح الله من النصر على الأعداء ، وخلاص أسرى المسلمين ، فكتبوا كتابا ، وخلّقوا عنوانه ، وأول الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم «إنا فتحنا لك فتحا مبينا»[2] ، «وينصرك الله نصرا عزيزا»[3] .

ثم عرفوهم بما اتفق من لطف الله تعالى ونَصْره ، فاستبشرت الأمراء بذلك ، وضربت البشائر ، وفرح أهل دمشق وشكروا الله على ذلك ، وتيقن كل أحد منهم أنهم منصورون على عدوهم .

ثم فى ذلك الوقت وصلت جماعة من العرب وأخبروا أن قطلو شاه جَاسَ خلال الديار ، وقد سارت خيوله سيرا غير حثيث ينتظر قازان يأتى من بعده ، فاتفق رأى الأمراء على أن يكتبوا للسلطان ويستحثوه على الخروج بالعسكر ، ويعرفوه بما اتفق من النصر ، فلما وصل الكتاب إلى السلطان فرح فرحا عظيما ، وأمر بعرض العساكر والخروج سريعا .

(١) هكذا بالأصل .

(٢) الآية رقم ١ من سورة الفتح رقم ٤٨ .

(٣) الآية رقم ٣ من سورة الفتح رقم ٤٨ .

وقال ابن كثير : قدمت الأسارى دمشق يـوم الخميس منتصف شعبان ، وكان يـوم خميس النصارى ، ثم لمـا قوى خبر التتار خافت الأمراء والعسكر أن يدهمهم التتار لاقتراب مجيئهم ، فرحلوا ونزلوا المرج يوم الأحد الخامس والعشرين من شعبان ، ودخل التتار إلى حمص وبعلبك ، وعاثوا فى تلك الأرض فسادا ، وقلق الناس قلقا عظيما وخافوا خوفا شديدا ، واختبطت دمشق لتأخير قـدوم السلطان ببقية الجيش . وقال الناس : لا طاقة لجيش الشام مع هؤلاء المصريين بلقاء العدو لكثرتهم ، وتحـدث الناس بالأراجيف ، فاجتمع الأمراء يـوم الأحد المذكور بالميدان الأخضر وتحالفوا على لقاء العدو ، وشجعوا أنفسهم ، ونُودى فى البلدان لا يجفل أحد ، فسكن الناس ، وجلس القضاة بالجامع ، وحلفوا جماعة من الفقهاء والعامة على حضور الغزاة ، وتوجه الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله إلى العسكر الواصل من حماة ، فاجتمع بهـم فى القطيعة فأعلمهم بمـا تحالف عليه الأمراء والناس من لقاء العدو ، فأجابوا إلى ذلك ، وحلفوا معه .

وكان الشيخ ابن تيمية يحلف للأمراء وللناس أنكم لمنصورون فى هذه الكرة على التتار ، ثم يقول إن شـاء تحقيقا لا تعليقا ، وكان يتأول فى ذلك أشـياء [٢٧٩] منها قوله تعالى : ﴿ ذلك ومَن عاقب بمثـل ما عوقب به ثم بُغى عليـه لينصرنه الله إنّ الله لَعفو غفور ﴾ (١) .

ولمـا كان يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شعبان (٢) : خرجت العساكر الشامية فخيمت على الجسُور ومعهم القضاة .

(١) الآية رقم ٦٠ من سورة الحج رقم ٢٢ .
البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٣ .

(٢) « ولمـا كان يوم الرابع والعشرين من شعبان » فى البداية والنهاية .

ولما كان ليلة الخميس : ساروا إلى ناحية الكسوة ، وقد وصلت التتار إلى القطيعة ، فانزعج الناس لذلك ، ولم يبق حول دمشق من القرى والحواضر أحد ، وامتلأت القلعة ، وازدحم الناس فى المنازل والطرقات ، وخرج تقى الدين بن تيمية صبيحة يوم الخميس المذكور من باب النصر بمشقة كبيرة ، وفى صحبته جماعة ليشهد القتال بنفسه ومن معه ، وبقى البلد ليس فيه حاكم ، وعاثت اللصوص والحرافيش فى بساتين الناس يخربون وينهبون ، وانقطعت الطريق إلى الكسوة ، وظهرت الوحشة على البلد ، ويتعجبون من أمر الجيش مع كثرتهم أين ذهبوا ، ولا يدرون ماذا فعل الله بالناس ، فانقطعت الآمال ، وألحّ الناس فى الدعاء والابتهال (١) .

ذكر ما جرى لعسكر الشام وما فعل التتار القادمون :

ولما كان الناس فى الحيرة والدهشة من قدوم التتار وتأخر السلطان ، وعدم علمهم بأمر عسكر الشام ، جاء فخر الدين إياس — أحد أمراء دمشق — آخر نهار يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان يُبشر بوصول السلطان واجتماع العساكر المصرية والشامية ، وقد أرسل ليكشف هل طرق البلد أحد من التتار ، فوجد الذين يكشفون الخبر أن التتار قد عرجوا عن دمشق إلى ناحية العساكر ، ولم يشتغلوا بالبلد ، لأنهم كانوا يقولون : إن غَلَبْنا فالبلد لنا وإن غُلِبنا فلا حاجة لنا به ، فعند ذلك نودى فى البلد بتطييب الخواطر لأن السلطان قد وصل وإن التتار غير متوجهين إلى البلد ، فسكنت قلوب الناس ، والله المستعان (٢) .

---

(١) انظر البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٤ حيث يوجد اختلاف فى بعض الألفاظ وإضافات لا تغير المعنى .

(٢) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٤ — ٢٥ .

وقال بيبرس فى تاريخه : ولما عاد التتار الذين انهزموا من القريتين اجتمعوا مع بقية عساكرهم وتحدثوا فى مشاورهم وقالوا : إن السلطان لم يتحرك من الديار المصرية فى هذه الأيام ، وما ثم إلا بعض العسكر المصرى وعسكر الشام ، واتفقوا على المبادرة ليغتنموا الفرصة — على زعمهم — وأقبلوا مسرعين بطمّهم ورمهم ، فكثرت الأراجيف لمفاجآتهم والإنذار بمهاجمتهم ، هذا والسلطان ومن معه لم يتحقق حالهم ، ولا علم قبالهم ، فتقسمت الأفكار والظنون ، وتطلعت لقدومه العيون ، واجتمعنا للاستخارة ، واقتدحنا زناد الاستشارة ، فأجمعنا على استطلاع الحال قبل العزم على الترحال .

قال : فتوجهتُ(١) مستكشفا ، وللأخبار متعرفا ، فلما وصلنا القطيعة صادفنا عسكر حلب وحمص وحماة قد تقدموا جائين ، وأقبلوا متواترين ، وأخبروا بأن العدو سائر سير المُجِدّ فى الرواح والغدو ، وقد اقترب الإقدام من الأقوام ، ودنت الخيام من الخيام ، فرجعنا إلى مرج راهط ، وخرج الأمير ركن الدين الأستادادار ، والأمير جمال الدين أقوش الأفرم ، ومعهما الأمراء المصريون والشاميون ، فاقتضت الآراء التأخر عن المرج قليلا والنزول من دونه ولو ميلا ، ريثما يحصل التوثق من وصول السلطان واجتماع العساكر قبل أن يلتقى الجمعان ، فلما رجعوا إلى خلف شيئا [٢٨٠] يسيرا ولّت الأطلاب ، وعادت العساكر على الأعقاب حتى إن أكثرهم ترك جماله ، ورمى أثقاله ، وأهمل قماشه وماله ، ولم يتهيّأ ردّهم ولا أمكن صدّهم ، وعبروا على مدينة دمشق بهذه الصورة ، فتصدعت قلوب أهلها المكسورة ، وعجوا وضجوا واستصرخوا ولجّوا ، وحملهم مادهموه

(١) أول ما وجد من هذا النص فى نسخة مخطوط زبدة الفكرة التى بين أيدينا — انظر ما سبق ص ٢١٧ هامش رقم ٣ .

من انتقاض العزائم على أن صرحوا بالشتائم ، وبادر أكثرهم بالجفل لينجو ، وقالوا : إذا رجعت هنا العساكر فأى حياة نرجو ، فحصل بلطف الله التوقف والتثبط والتمسك بالمرج والتضبط ، فما كان إلا كلمح شرارة أو وحى إشارة حتى أتى البريد مخبرا بإقبال الملك الناصر وأطلاب العساكر ، فزال البأس وغاب الرجاء اليأس ، ثم أقبل السلطان فى جيوشه ، وأسوده الكاشرة ووحوشه ، فقويت القلوب ، وانحلت الكروب ، واجتمعت العساكر المصرية والشامية وتكتبت الكتائب المحمدية[(١)] .

وقال صاحب النزهة : وقد كان السلطان كتب إلى نائب الشام والأمراء وعرفهم بأنه خرج من مصر وصحبته الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان ، فلما وصل إليهم الخبر فرحوا واستبشروا بذلك وطابت خواطر العامة بكون العسكر مقيمين عندهم ، وكون السلطان فى الطريق وهو جاى .

وفى ثالث اليوم من ذلك : جاءت الأمراء المقيمون بمصر وهم : نائب حلب ، ونائب حماة ، ونائب طرابلس ، فلاقتهم الأمراء الذين بدمشق واجتمعوا ، فلما نزلوا للمشورة تحققوا أن قطلوبغا نائب قازان بمن معه من العسكر قد وصل إلى قرون حماة طالبا دمشق طلبا لقلعتها ، فإنه بلغه ما جرى على السرية التى غارت على أهل القريتين ، وبلغه أن نائب الشام متوجها للقائه بعسكر الشام ، فعند ذلك اجتمعت سائر الأمراء : نائب حلب قراسنقر ، ونائب حماة كتبغا العادل ، ونائب طرابلس أسندمر ، ونائب الشام الأفرم ، والأمير ركن الدين

(١) « كان قدوم السلطان فى يوم السبت مستهل شهر رمضان » — انظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٢٩ أ ، ب .

بيبرس الجاشنكير ، والأمير حسام الدين الرومى ، ومبارز الدين بن قرمان ، وكراى المنصورى ، وتغريل النوغاى ، وسائر أمراء مصر والشام ، على أنهم يخرجون إلى مرج دمشق ويلاقون العدو فيه ، ولا يدعونهم يدخلون دمشق .

فلما انتظم الحال على هذا لم يعجب هذا الرأى الحسام الأستاذ الدار ولا تحدث معهم فى هذا الرأى . فقال له بيبرس : مالك لا تتكلم مع الأمراء ؟ فهذا ليس وقت السكوت ، وأنت رجل كبير ورأيت ما لا رأيناه ، وجرت عليك التجاريب ، فلا يحل لك أن تسكت ، فإن رأيت خيرا من هذا الرأى تكلم ، حتى نوافقك على هذا إن رأيناه مصلحة ، وإلا فأنت تعلم شيئا فيه مصلحة وتسكت عنه تُطَالب به يوم القيامة . فقال يا أمراء : أنا أقول ما أعلم أنه يُخلّصنى عند الله تعالى ، ولكن ما يُعجب ذلك بعض الأمراء . قال له بيبرس : قل حتى نسمع . فقال : إعلموا أن هذا عدو ثقيل ، وهو قاصدكم وطامع فيكم لكون أنكم نواب البلاد ، ولا يعلم أن عسكر مصر مع السلطان ، قد قربوا منكم ، فمتى لاقيناهم يجرى علينا ما لا نحبه من غلبة العدو علينا ، فيتفرق شمل العسكر الذين تجمعوا ، ويحضر السلطان والعسكر على حال الفساد ، ويكون العدو خلفنا ، فيتوهم عسكر السلطان ، وتنكسر قلوب الناس ، [٢٨١] ويقع العتب علينا أيضا من السلطان حيث يقول : كنتم صبرتم حتى اجتمعنا كلنا جملة ، والحال أنكم سمعتم بقدومى ، فلا يفيد بعد ذلك الندم ، وهذا السلطان قد قرب وبقى بيننا وبينه يوم أو يومان ، والمصلحة عندى أن نرجع إليه ، ونجتمع بين يديه ، وتكون الآراء رأيا واحدا ، واللقاء جملة واحدة ، ويعطى الله النصر لمن يشاء .

فلما سمع بيبرس هذا الكلام التفت إلى الأمراء فقال : والله أنا لا أخرج من إشارة هذا ، فإن الذى قاله وأشار إليه ما عليه فيه جُناح عند الله ، ثم قال نائب الشام للحسام الأستاذ الدار : يا أمير أنت إذا خرجت الساعة يُغير العدو على دمشق من بعدك ، ويضع السيف فى أهلها ، فماذا يكون عذرك عند الله ؟ فقال له الحسام : يا أمير إن العدو إذا علم بخروج العسكر من دمشق لا يلتفت إليها ، ولا يكون عزمه إلا على اللحوق بالعسكر ويقول : إن دمشق فى يدنا ، ومع هذا يتوهم عن خروج العسكر .

فلما سمع الأمراء هذا الكلام منه أمروا ساعتئذ بقلع الخيام والركوب ، ونادى المنادى بالرحيل ، فوقع الصوت فى دمشق ، فتحير أهلها ودهشوا بحيث لا يغفل الوالد على ولده ، ولا الولد على والده ، وسَيَّبت النساء والبنات ، وغلت أسعار الجمال والحمير ، فبلغ كل حمار كان يساوى مائة بخمسمائة وستمائة ، وكل جمل كان يساوى ثلاثمائة بيع بألف وأكثر ، وفى الناس مَن نجا بنفسه وخلّى حريمه ، ومن كان ظهره ثقيلا طلع القلعة ، وما جاء الليل إلا ودمشق يبكى عليها وتَندبُها النوادب .

وأما الجند والعسكر فإن أحدا منهم لا يلتفت إلى رفيقه ولا إلى خشداشه ، ولا ينظر المملوك إلى أستاذه ، وخرجت الغلمان والحمالة على وجوهها ، والصناديق التى فيها الأكل والحلواء يرمونها لأجل الخفة ، وكان يوما عظيما ، وأما فقراء دمشق ومشايخها وصلحاؤها وفقهاؤها وقضاتها ، فقد اجتمعوا بالجامع الأموى ، ووطنوا أنفسهم على الموت ، وكشفوا رؤوسهم يتضرعون إلى الله تعالى ويبكون ، ولم يزالوا كذلك إلى أن طلع الفجر ، ولاحت للناس مواكب العدو وجحافله ،

وقد رجعوا عن دمشق وركبوا أعالى الغوطة ، ففرحت الناس لذلك وعلموا أن الله قد استجاب دعاءهم ورحمهم .

وكان سبب عدولهم عن دمشق أن جواسيس قطلوشاه قد حضروا إليه فى الليل ، وعرفوه أن النواب مع عساكرهم ، لما سمعوا بوصولك إليهم ، وتحققوا أن عسكرك عظيم ، وأنهم ليس لهم طاقة للملاقاة ، اتفقوا على أن يخلوا لك دمشق حتى تدخل إليها وتشتغل بأهلها ، وينجون هؤلاء بأنفسهم ، مع أنا سمعنا أن لهم عسكرا خرجوا من مصر وهم مقبلون ، فهؤلاء قد ذهبوا إليهم حتى يعتضدون بهم ، ثم يرجعون جملة واحدة ويعملون شيئا وأنتم مشغولون فى المدينة ، فلما سمع قطلوشاه ذلك أعلم أمراءه بذلك وأكابر عسكره ، واتفق رأيهم أن لا يدخلوا دمشق ، فإنه إن دخلوا يفسد أمرهم ويشتغل العسكر بالكسب ، فيحصل الفساد إن عاد عسكرهم علينا ، ومع هذا يمكن أن يكون هذا مكيدة من نائب الشام ، فعند ذلك ركبوا وقصدوا الطريق التى من وراء المرج حتى ينزلون من خلف دمشق على الكسوة ، ثم يتتبعون آثار [٢٨٢] عسكر الشام ، فحيثما يتلاقون بهم يحطمونهم .

فلما رأت أهل دمشق ذلك حمدوا الله تعالى . واستمروا مقيمين فى الجامع ، مشتغلين بالدعاء والقنوت فى الصلوات .

قال الراوى : وكان يوم خروج الشاميين من دمشق يوم نزول السلطان الملك الناصر بعساكره على رأس العقبة ، وكان يوم استهلال شهر رمضان المعظم .

ذكر خروج السلطان من القاهرة ووصوله إلى شقحب :

كان خروج السلطان من مصر فى الثالث من شعبان من هذه السنة ، وأسرع

فى السير إلى أن وصل إلى رأس العقبة مستهل رمضان كما ذكرنا ، والتقى الأمراء بالسلطان وترجلوا وباسوا الأرض ، وما لحقوا أن يقفوا إلا وأجناد العدو قد وصلت بوصوله ، فوقف السلطان وأمر للنقباء والحجاب أن يدوروا على الجيش ويأمروهم بلبس الأسلحة والاستعداد للملاقاة ، وبقى السلطان والأمراء راكبين فى الموكب سائرين ، واستعد العساكر باللُّبْس والتجهيز .

وفى ذلك الوقت وقع كلام فج بين الأمير شمس الدين سنقر العلائى — أحد الأمراء البُرجية — وبين الأمير حسام الدين الأستادار، وكان هذا سنقر من جمرة البرجية التى تتعد وكان مُدلا بشبابه وقوة ساعده وفروسيته ، ولما رأى الأمراء سَلَّم عليهم ، ورآهم على تلك الصورة ، أنكر عليهم ، فصار كل أحد منهم يحكى له حكاية ، ومال بعضهم فيها على حسام الدين الأستادار حيث أنه منع العسكر عن ملاقاة العدو، وترك دمشق وأخذ العسكر وأخلاها ، وأشار إليهم أن الملاقاة تكون بحضور السلطان ، وأن الأمير ركن الدين بيبرس وافقه على هذا الرأى ، فتبعته الأمراء ، فما سمع سنقر هذا الكلام إلّا وقد ركض فرسه وسط الموكب وقال للأمير بيبرس : يا أمير إش هـذا الرأى الذى فعلته بالناس حتى أفسدت حال العسكر، وكسرت قلوب أهل دمشق، ونهبت أموالهم، وسمعت من واحد قد كبر وخرف وما يشتهى الموت ، والأمير حسام الدين إلى جانب السلطان يتحدث معه ويَسمُع كلامه ، ثم التفت بيبرس إليه وقال له : اسكت ، ما هذا الكلام؟ ، ثم قال حسام الدين : يا أمير — يخاطب سُنقرا — أما أنا فإنى أشرتُ إليهم ، فالله يُطالبنى بها يوم القيامة إن كان قصدى فساد المسلمين ، وأما أنى كبرت فصحيح ، ولكنى ما خرفت ، فوقع بينهما كلام كثير ،ثم غضب بيبرس وصاح على سنقر العلائي وأخرجه من مكان كان واقفا فيه .

قال الراوى : سمعت من قال : إنى رأيتُ حسام الدين تخرجُ الدموعَ من عينيه ، وقد بَلّت شيبته ، وهو يتمثل بأبيات من شعر الطغرائى :

تقدّمنى رجال كان سوطهم		وراء خطوى إذا أمشى على مَهل

هذا جزاء امرئٍ أقرانُهُ درَجوا		من قبله فتمنى فسحة الأجل

ذكرُ وَقْعة شقحب :

قال صاحب النزهة : هذه الوقعة عرفت بين الناس بوقعة شقحب ، ثم بغباغب ، فإنها كانت مشتملة على طرف شقحب وغباغب والضمين .

قلت : هذه أسماء قرى هناك ، وهى فى أراضى وَعِرة ذات أحجار سُودٍ .

[٢٨٣]

قال بيبرس فى تاريخه : ذكر كسرة التتار على مَرْج الصُّفّر فى غُرّة الشهر الأزهر : لما انتظم شمل العسكر انتظام الجمان ، واصطفت صفوفه كأنها بنيان ، أضحوا كما قال أبو الطيب المتنبى : (١)

وإذا رأيت إلى السهول رأيتها (٢)		تحت العجاج فوارسًا وجنائبا

وإذا نظرت إلى الجبال رأيتها		فوق السهول عواسلا وقواضبا

فكأنما كُسى النهار بها دُجىً		ليل واطلعت الرماح كواكبا

أسدٌ فرائسُها الأسود يَقودهم		أسد تصيرُ له الأُسود ثعالبا (٣)

(١) « كا » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) « وإذا نظرت » فى زبدة الفكرة .

(٣) انظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٣٩ ب .

وقال النُويرى : لما وصل الملك الناصر رتب العساكر الإسلامية ميمنة ومَيسرةً وقلبا ، والتقى الفريقان بمَرج الصُّفَّر نصف النهار .

وقال صاحب النزهة : وكما قدر الله تعالى وصول السلطان والعسكر وجدوا قطلو شاه ومن معه من المغل قد وصلوا ، ووقف على أعلا النهر وقد نظروا العساكر من علُوه ، فظنوا أنها عسكر الشام ، فتباشروا ، وأخذت الحجاب فى ترتيب المواكب والأمراء والمقدّمين ، واجتمع الجميع قدام السلطان ، وحضر الخليفة أبو الربيع ، ووقفت أكابر الأمراء والدُواب ، وأجمعوا على تعيين أمراء للميمنة ، وأمراء للميسرة .

ووقف السلطان فى القلب بلوائه ، والخليفة بإزائه ، والأمير سيف الدين سلار ، والأمير ركن الدين أستادار ، والأمير عز الدين أيبك الخزندار ، والأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار ، والأمير جمال الدين أقوش نائب الشام ومن معه من عساكر الشام ، وبلرغى ، وأيبك الحموى ، وبكتمر الأبو بكرى ، وقطلو بك ، ونُوغيه السلحدار ، وأغراو الزينى .

وفى الميمنة : الأمير حسام الدين الرومى أستاذ الدار ، والأمير جمال الدين أقوش الموصلى ، والأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزورى ، والأمير مبارز الدين بن قزمان ، ومبارز الدين سوارى أمير سنجار .

وفى الميسرة : الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ، والأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب حلب ومن معه من العسكر الحلبى ، والأمير سيف الدين بتخاص المنصورى نائب صفد ، والأمير سيف الدين طغريل الإيغانى ، والأمير بكتمر السلحدار ، والأمير بيبرس الدوادار صاحب التاريخ .

وفى الجناح الأيمن : الأمير سيف الدين قفجاق نائب حماة ومعه العسكر الحموية ، وجماعة العربان فيهم مهنى وآل فضل .

وقال صاحب النزهة : وفى الجناح الأيمن شمس الدين قراسنقر نائب حلب مع مهنى وآل فضل، والأمير بهاء الدين أولياء بن قزمان ، وفى الجناح الأيسر: سيف الدين بُرلغى ، وعلم الدين الجاولى ، وشمس الدين سنقر الكمالى .

وقال صاحب النزهة : كانت الأمراء قصدوا أن يعزلوا السلطان مع جماعة بناحية عن المَصاف ، فأبى ذلك ولام الأمراء وقال : والله أنا أول من يحمل قدامكم . فقال له أسندمر كُرجى نائب طرابلس : ياخوند نحن ما نريد منك أن تحمل ، ولا للملوك عادة بالجملة ، ولكن إثبت أنت مكانك ، فإذا ثبت السلطان [٢٨٤] ثبت العسكر . فقال له : يا أمير إن اخترتم هاتوا قيدا فقيّدوا فرسى به حتى أموت وهو واقف ، فأعجب ذلك الأمراء ودعوا له .

وقال ابن كثير : ولما اصطفت العساكر والتحم القتال ثبت السلطان ثباتا عظيما ، ويقال : إنه أمر بجواده فقيد حتى لا يهرب[1] ، وبايع الله تعالى فى ذلك الموقف[2] .

وقال صاحب النزهة : ولما تكامل ما رتبوا وقف كل أحد مكانه، والخليفة إلى جانب السلطان يتلو كتاب الله ويذكر ما أعدّ الله للجاهدين من الثواب والأجر، ويقول : أيها المجاهدون لا تقاتلوا لأجل سلطانكم، فقاتلوا لأجل حريمكم ، فعند ذلك ما كنت ترى إلا أدمُعا على الخدود ترادف ، وزعقات من صميم

---

(١) « ويقال أنه » ساقط من البداية والنهاية .

(٢) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٦ .

الأكباد تتضاعف، وعاينت جماعة من الجند وقع بهم الاختلال فى عقولهم فى ذلك الوقت ووقعوا إلى الأرض، وبقى الأمير سيف الدين سلار فى حفدته ومضافيه، والأمير ركن الدين فى حفدته من البُرجية ومضافيه، يترددان بين القلب والميمنة، وكان هـؤلاء جمرة الإسلام، وعليهم العمدة فى الأحكام، وكل منهما فى نحـو أربعين طبلخاناة.

قال الراوى: وبلغنى من أحد الأمراء أنه سمع بيبرس يقول: أنا عاهدت نفسى الموت، وذلك حين قال له سلار: يا أخى أنت تعلم أن الحديث فينا كثير، وأنا نسبونى إلى التتار لكونى من جنسهم، وأنت نسبوك إلى أنك تبغض الجند، فبالله أوص لأصحابك بالثبات وإلا لايبقى لنـا وجه عند أحد بعد هـذا اليوم، وتعاهدوا، ووثق بعضهـم بكلام بعض، ثم نشروا السناجق والأعلام الخليفتية والسلطانيـة، وسيروا النقباء فداروا على الركبدارية والغلمان والجمالة، وجمعوا الجمـع، وأوقفوهم صفا واحدا خلف أستاذيهم ليكثر بهـم السواد، ونادى منادى: أى جندى خرج من المصاف بغير عذر أو جرح، فدمُه حلال، وعدته وفرسه لهم، وكذلك الجمالة والغلمان.

ذكرُ ما اعتمد عليه قطلُوشاه فى ذلك اليوم:

ولمـا تناهى ترتيب المسلمين، عاين ذلك قطلوشاه مقـدم المغل وهـو أعلى الخيل، وهو فى جيش قد سَـدّ السهل والوعر، ثم شرع فى ترتيب أمره، فقصد أن يرتب مقابل كل موكب موكبا، وجمع الأمراء على ذلك، فلم يجد فى أمرهم فسحة، ووجد مَيسرة المسلمين قد انتشرت، وبينهم وبين التتار النهر الكبير هنالك فلا يمكن الوصول إليهم، فمشوا إلى آخر النهـر إلى أن وصـلوا إلى

رأس الميمنة ، فوجدوا النهر رائجا مديدا ، ولكن وجدوا مخافا للجبل ، فتشاوروا فى أمر نزولهم ، واتفق رأيهم على أنهم لايجدون مكانا للنزول أسهل من هذه المخاضة ، وأنهم ينزلون جملة واحدة ، وأنهم إذا كسروا هذه الطائفة التى بين أيديهم يدورون خلف الذين يبقون ، فإنهم لما رأوا ميمنة المسلمين ورأوا عسكرهم أمثال هؤلاء استحقروهم .

وقال بيبرس : وفى الوقت الحاضر أقبلت كراديس التتار كقطع الليل ، لا يبين فيها الرجل من الخيل ، وقد علاهم القتام والغبار ، وفيهم من مقدميهم الكبار : قطلوشاه ، وسُوتاى [٢٨٥] أقطاجى ، وجوبان بن تُداوُن ، ومولاى ، وقرمشى بن الناق ،[(١)] [وطوغان][(٢)] ، وسبوشى بن قطلوشاه ، وطغريل ابن آجاى ، وآبشقا ، وأولا جغان ، والكان ، وطَيطق فى مائة ألف من المغول والكرج والأرمن وغيرهم[(٣)] .

ذكر كيفية الوَقْعَة :

قال صاحب النزهة : لما رأت التتار عسكر الإسلام وهم على الجبل صاحوا وضربوا الطبول ، ونزلوا وقد أحاطوا النهر ، ووقفوا عند المخاضة ، وكان مُقابلهم من ذلك الجانب الأمير حسام الدين الأستادار ، والأمير بهاء الدين أوليا بن قزمان ، ولما رآهم حسام الدين قال : بسم الله نية الغزاة ، فجذب سيفه ومشى ، وقال بعض مماليكه : ياخوند ارجع قليلا عن يمينك أو عن شمالك ، فلم يلتفت

(١) « ومولاى ، وقرمشى بن الناق » مكتوبة بهامش المخطوط ، ومنبه على موضعها بالمتن .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٣) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٠ ب .

إليهم إلى أن صدمته الخيل ، وصدمت ابن قزمان أيضا ، فكان الإثنان بينهم كالواحد فى ألف ، فإن الجميع اجتمعوا على مخاضة واحدة ، وطلعوا طلوع رجل واحد ، وكان الأمير الجاولى رديفهم ، و برلغى رديف الجاولى ، والأمراء متصلون بعضهم ببعض ، وارتفع الغبار ، ولم يشعر الناس إلا وقد اندق الجاولى وبُرلغى على الكمالى ، ورأى بيبرس وسلاّر ذلك ، فصاح سلار : هلك والله الإسلام ، وصاح على بيبرس والأمراء البرجية ، فنهض الأمراء المنهزمون وصدموا جيش المغل ، فرجّعوها قهرا ، ورموا منهم جماعة كثيرة إلى أن كشفوهم عن المسلمين .

وكان جُوبان وقرمشى ومَن معهما قد ساقوا يَعينون مُولاى وهو خلف المسلمين ، فرأوا قطلوشاه وقد انكسر ، فعادوا إليه ، ووقف فى وجه بيبرس وسلار .

وكان السلطان والأمراء قد رأوا سلاّر و بيبرس قد خلى مكانهما ، ورأوا أطلاب العدو تتواتر ، فخرج أسندمر وقطلبك وقفجق والمماليك السلطانية وردفوهما ، ولما رأى سلار السلطان والأمراء أخذ على جانب وتمكن من العدو ، وطعن فيهم وأبادهم ، ولم يبق أمير إلا وقد ألقى نفسه للموت ، فلما رأى المغل ذلك أخذوا جهةً وتمكنوا منها ، وكان الأمير سيف الدين برلغى بين أيديهم ، فصدموه ومزّقوا طلبه وفرقوه ، ثم صاروا أىّ جهة مالوا إليها فرقوها ، وتم الحرب بين سلار بمن معه من الأمراء والسلطان و بين قطلوشاه تارة تارة ، وكل من الفريقين قد ثبت .

ولم يعلم سلار والأمراء أن الجانب الذى نزلوا عليه قتَات أمراؤهم وانهزم من كان معهم ، وأن طائفة من المغل ساقت وراء المنهزمين ، وفى ذلك نُهبت

خزائن السلطان ، فإن الكسرة حيث انتهت بالمسلمين على تلك الطريق جعلت الناس بين أيديهم ، وتفرق مَن كان حول الخزائن ، ولما رأى السواد الأعظم ذلك صاروا يبركون جمال الخزائن البخاتى و يكسرون الصناديق ، و يخرجون أكياس الذهب والفضة ، فيأخذ كل أحد ما يقدر عليه .

ومازالت الحرب بينهم إلى أن مالت الشمس للغروب ، وكان الملتقى بينهم بعد الظهر ، ثم مال قطلوشاه بمن معه إلى جانب جبل [٢٨٦] إلى جانبه ، وطلع عليه وفى نفسه أنه منصور ، ورجع جماعة منهم كانوا وراء المنهزمين ،ومعهم جماعة من أمراء المسلمين وفيهم الأمير عز الدين أيدمر النقيب من المماليك السلطانية ، فلما اجتمعوا قال قطلوشاه : هذا عسكر كثير وليس الأمر كما ظننا فلابد أن نعلم خبرهم ، فاقتضى رأيهم أن يُحضروا أسيرًا من الأَسرى ويستخبروا منه خبر العسكر ، وقالوا لقطلوشاه : إن فى الأسرى رجلا وهو أمير ، وهو عز الدين أيدمر المذكور ، فأمر بإحضاره ، فأحضروه بين يديه وقال : أنت من أمراء الشام ؟ قال : لا أنا من أمراء مصر . فقال له : وما جاء بك ههنا؟ فقال : جئت مع السلطان . قال : مع الملك الناصر . قال : نعم . قال : وأين السلطان وعسكر مصر ؟ قال : الكل واقفون . قال له : وعسكر مصر جميعهم الساعة ههنا حاضرون والملك الناصر حاضر . قال له : نعم . قال : فأى وقت وصلتم إلى ههنا ، فأخذ يُعرفه ويُخبره بجميع أمور السلطان من يوم خرج من مصر إلى هذا اليوم . ومن جملة ما قال له : هذا الذى كسرتموه من الميمنة فقط ،وعسكر الملك الناصر كثير ، فلم يصدقوه حتى أحضروا غيره ، فسألوه فأخبر نحو ما أخبره عز الدين أيدمر، ثم سألوا غيره وغيره إلى أن سألوا جماعة كثيرة، فالكل أخبروا بخبر واحد ، ولما تحققوا صدق مقالهم وقعوا فى بحر زخار ، فقال لهم مُولاى :

تحققتم أن هذا هو الملك الناصر قالوا : ما بقى شك فى أمره ، فقال : ألم تعلموا أن الخان قازان قد كتب يغلق(١) ، وعاهدنا أننا إذا رأينا أو سمعنا أن الملك الناصر حاضر بعسكره أو بغير عسكره لا نضرب معه مُصافا ؟ فقال له قطلوشاه : لو علمنا من الأول أن الملك الناصر حاضر ههنا ما ضربنا معه رأسا ، ولكن اعتقادنا أنه نائب الشام مع عسكر الشام ، والآن فقد وقعنا كلنا فى فم السبع فما بقى إلّا الموت جميعا أو الحياة جميعا ، وهم فى مثل ذلك الكلام إذا بالكوسات قد دُقت والبوُقات قد زعقت ، حتى ملأت الأرض وأزعجت القلوب ، وكان ذلك برأى الأمراء حيث رأوا التتار قد تجمعوا فوق الجبل حتى تقع الهيبة فى قلوبهم ، وحتى يسمع المنهزمون فيرجعون .

ولما سمعوا حسّ الكوسات ، قال مُولاى لقطلوشاه : هذا الطبل ما يدُق إلّا للسلطان ، وأنا ما أخالف يَسَق الخان ، فضرب طبله وخرج من قدام قطلوشاه بتُومانه ، ونزل من الجبل بين العشائين ، ولم يزل إلى أن طلع من المخاضة التى نزلوا منها ، وعلم به بعض العسكر ، فلم يجسُر أحد أن يقرب به ولا أن يتبعه .

وبات الأمراء والناس فى هذه الليلة والنيران قد ملأت الأرض ، والمشاعل توقد ، وكذلك التتار قد اوقدوا النيران وباتوا محترسين على أنفسهم ، ولم يزل فى تلك الليلة النقباء والحجاب ومعهم سلار و بيبرس وأسندمر وقبجق وأكابر الأمراء دائرين على الأمراء والأجناد يُوصونهم بأن يكونوا على يقظة من أمرهم ، فعرفهم الأمير سيف الدين قفجق أن التتار لو قُتلوا عن [٢٨٧] آخرهم فى هذا المكان ما ينزل أحد منهم فى الليل ولا يُقاتل ، وإنما لابد لهم من النزول غدا .

---

(١) أى مرسوم .

ذكر هزيمة التتار :

قال الراوى : وما أصبح الصباح إلا وقد انضم شمل عساكر السلطان ، وأخذ كل أحد موضعه ، وأما قطلوشاه فإنه شاور مع بعض الأمراء الكبار الذين معه فيما يفعله ، وقد تحققوا فى أنفسهم الموت ، فوقع رأيهم على أن يقيموا على الجبل ولا ينزلوا و يقاتلوا العسكر إلى أن يفنوا ولا يسلموا أنفسهم ، ومازالوا محترسين على أنفسهم إلى أن طلعت الشمس وقوى نورها ، فنظروا إلى عسكر قد ملأ الأرض ، ولم يروا مثلهم فى أعمارهم ، وأراهم الله فى عيونهم فى كثرة لاتحصى ولا تعد .

ثم شرع المسلمون يُريدون أن يهجموا عليهم ، فمنعهم الأمراء ، وفرقوا العساكر حول الجبل على بعد .

وشرع قطلوشاه والأمراء ورتبوا عسكرهم ، فجعلوا كل مقدم إلى جهة ، ونزل منهم بعض ركاب وجماعة من الرجالة وقصدوا قتال العسكر .

ولما رأى السلطان والأمراء ذلك جعلوا قبالة كل مقدم مع طائفته أميرا من الأمراء ، وأضافوا إليه مَن كان يناسبُه ، وخرج مماليك السلطان إلى مقابل قطلوشاه وجوبان ، فشرعوا يقاتلون معهم تارة بالرمى وتارة بالهجوم عليهم ، وقد لاح للإسلام وجه النصر على الأعداء ، وصار كل مقدم من الأمراء يُقاتل بالنوبة ، يقاتل واحد ثم يذهب ويجيء غيره ، وكذلك فعل المغل ، والسلطان والأمراء واقفون ينظرون إليهم ، فإذا قتل فرس واحد منهم أحضروا غيره فى الساعة حتى أن بعضهم كان يقتل له فرس وفرسان وثلاثة من النَشاب .

ولم يزالوا فى القتال إلى أن توسطت الشمس من نهار الأحد ، وانفصل القتال بينهم ، وطلع قطلوشاه ومن معه من التتار وقد قاسوا نهارا عظيما ، وقتل منهم نحو ثمانين رجلا ، وخرجت جماعة وركبتهم الذلّة ، وقاسوا من قلة الماء أمرا عظيما لأنهم لم يحسنوا انحصارهم على الجبل ، فما أخذوا من الماء إلا قليلا ، ولما رأوا ذلك أجمعوا على النزول بكرة النهار ، فمَن مات مات ومن له أجل ماض ، وذبحوا من خيولهم وشووا وأكلوا .

ولما أصبحوا اعتمدوا على النزول ، وهرب منهم ناس من الأسرى وجاءوا إلى السلطان وأخبروه بما هم فيه من الذلة والعطش والخوف ، وأنهم اتفقوا على أن يصدموا الجيش ، وأنهم قد تحققوا الموت ، فعند ذلك تشاور أكابر الأمراء ، ووقع رأيهم على أن يفسحوا لهم طريقا ولا يتقرب إليهم أحد إلى أن ينزل الجميع قدام العسكر ، ثم يركبون ظهورهم .

ولما أرادوا النزول رأوا جماعة من المغل قد عدمت خيولهم وبقوا رجالة ، وما بقى مع أحد من الأمراء فضلة خيل ، فاتفقوا أن يأخذوا خيول الأرمن الذين معهم ، فأخذوا منهم نحو مائتى فرس وأعطوا هؤلاء ، ثم شرعوا فى تجهيز حالهم إلى الساعة الرابعة من النهار ، ثم ضربوا طبولهم ونزلوا ، وكل منهم قد أعدّ نفسه للموت وتموا سائقين إلى أن وصلوا إلى النهر ، ورموا خيولهم فيه ، فمن كان فرسه قويا طلع ، ومن كان فرسُه قليل القوة وقف فيه ، ولما طلعوا [٢٨٨] منه تبعتهم خيول المسلمين ، وأنزل الله عليهم الذلة والمسكنة ، ومُزّقت جموعهم ، وتفرقوا بحيث لم يلتفت أحد إلى أحد .

وكانت تلك الأراضى وعرةً كما ذكرنا لا يتمكن الفرس من حط رجلها إلا على حجر ، فقاست خيول المسلمين من ذلك شدة .

وأما التتار فإن راكبا منهم ما يهربُ مقدار رمية نشاب إلا وقد وقع على الأرض .

ولو عاينت ما كنت ترى غير رؤوس تُرمى بالسيوف ، ورجال يُقبض عليهم بالأيادى والكفوف ، وتمت خيل المسلمين تابعة أثرهم إلى أن صار وقت العصر ، فرجعت الأمراء واجتمعوا عند السلطان ، واتفق رأيهم على تجريد أمراء يتبعونهم ، فجردت جماعة منهم بمضافيهم من أصحاب الخيول الجياد ، فتزودوا وساروا وراءهم ، ورسم للعرب أيضا أن يتبعوا آثارهم ، فأىّ موضع أدركوا منهم جماعة يقبضون عليهم ويقتلونهم ويأسرونهم .

وقال النويرى : التقى الفريقان بمرج الصفر نصف النهار ، فاضطربت ميمنة المسلمين ، واستشهد جماعة من الأمراء ، وانهزم بعضهم إلى دمشق ، وأردف القلب الميمنة فردّت التتار عنها ، وأما الميسرة فثبتت وحملت على ميمنة التتار وكان مقدمهم مولاى ، فولى منهزما وتبعهم المسلمون ، وحجز الليل بينهم ، والتجأ التتار إلى الجبل وأحاطت العساكر الإسلامية بهم وضايقوهم أشد مضايقة إلى الصباح ، ثم أفرج لهم الأمير أسندمر فرجة من رأس الميسرة ، فخرجوا منها هاربين على أعقابهم ، وتبعتهم العساكر الإسلامية فأبادوهم قتلا وأسرا وغنموا منهم خيلا عظيمة حتى بيع الأكديش بخمسة دراهم .

وقال ابن كثير (١) : وأصبح الناس يوم الجمعة أول رمضان فى هم شديد وخوف أكيد لا يعلمون ما خبر الناس ، فبينما هم كذلك إذ جاء الأمير غرلو العادلى ، فاجتمع بنائب القلعة ، ثم عاد سريعا ولم يدر أحد ما الخبر ، ولم يفهم أحد من العامة فيم جاء غُرلو .

(١) انظر البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٥ — ٢٦ .

وأصبح الناس يوم السبت على ما كانوا عليه من شدة الحال ، فرأوا [من المآذن][1] سوادا وغبرة من ناحية العسكر والعدو ، فغلب على الظنون أن الوقعة فى هذا اليوم ، فابتهلوا إلى الله بالدعاء فى الجامع والبلد ، وطلعت النساء والصغار على الأسطحة ، وكشفوا رءوسهم وضج البلد ضجة عظيمة ، ووقع فى ذلك الوقت مطر عظيم غزير ، ثم سكن الناس .

فلما كان بعد الظهر قرئت بطاقة بالجامع تتضمن أن فى الساعة الثانية من نهار السبت هذا اجتمعت الجيوش ، ووصل الركاب السلطانى إلى مرج الصُفَّر ، وفيه طلب الدعاء من الناس ، والأمر بحفظ القلعة والتحرز على الأسوار ، فدعى الناس فى المأذنة والجامع والبلد ، وانقضى النهار ، وكان يوما مزعجا هائلا .

وأصبح الناس يوم الأحد يتحدثون بكسر التتار ، وخرج ناس إلى ناحية الكسوة ، فرجعوا ومعهم شىء من المكاسب [٢٨٩] ورءوس التتار ، وصارت أدلة الكسر تقوى قليلا قليلا ، ولكن الناس مما عندهم من شدة الخوف لا يصدقون .

فلما كان بعد الظهر قُرئ كتاب السلطان إلى متولى القلعة يخبر باجتماع الجيش ظهر السبت بشقحب وبالكسرة ، ثم جاءت بطاقة بعد العصر من النائب جمال الدين الأفرم إلى نائب الغيبة مضمونها أن الوقعة كانت من العصر يوم السبت إلى الساعة الثانية من يوم الأحد ، وأن السيف كان يعمل فى رقابهم ليلا ونهارا ، وأنهم وهنوا وركنوا إلى الفرار ، وأنه لا يسلم منهم إلا القليل ، فأمسى الناس وقد استقرت خواطرهم ودقت البشائر بالقلعة .

(١) [ ] إضافة للتوضيح من البداية والنهاية .

وفى يوم الإثنـين الرابع من رمضان : رجـع الناس من الكسوة ، ودخل ابن تيميـة وأصحابه البـلد ، ففرح الناس به ودعوا له ، وذلك لأنه ندب العسكر الشامى إلى أن يسير إلى ناحية السلطان ، وحرض السلطان وبشره وجعل يحلف له بالله الذى لا إله إلا هو إنكم منصورون عليهم فى هـذه الكرة ، ويقول : إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا ، وأفتى للناس بالفطر يومئذ ، وكان يدور على الأطلاب فيأكل من شىء معـه من يده فيأكل الناس ويتـأول فى الشاميين قوله عليـه السلام : (إنكم تلاقوا العدو غدا والفطر أقوى لكم [(١)])، يعزم عليهم فى الفطر عام الفتح ، كما فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

وأما السلطان فإنه رجع مع الأمراء إلى مكان الوقعة ، فوجدوا المجاهـدين قد مـلأوا تلك الأرض ، وهم بين تـلك الأحجار مطروحين ، وكل من رأوه وجدوه مستقبل القبلة ، وسبابته تشير بالشهادة ، ووجهه يتقد نورا ، فكأنه فى حال الحياة ، وكل من رأوا من قتلى المغـل وجدوه ملقى على وجهه ، ثم أمر السلطان بأن يروح بـدر الدين الفتاح مبشرا إلى مصر ، وكتب معـه كتاب البشارة ، وكان النائب فى مصر عز الدين البغدادى ، وكتب إلى غزة أيضا بالبشارة، وأمر النائب فيها أن لا يمكن أحدا من المنهزمين من التوجه إلى مصر ،

(١) قال أبو سعيد الخدرى : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى رمضان عام الفتح ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ونصوم ، حتى بلغ منزلا من المنازل فقال : « إنكم قد دنوتم من عدوكم ، والفطر أقوى لكم » ، فأصبحنا منا الصائم ومنا المفطر ، قال : ثم سرنا فنزلنا منزلا فقال : « إنكم تصبحون عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا » ، فكانت عزيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر سنن أبى داود جـ ٢ ص ٣٢٨ كتاب الصوم — باب الصوم فى السفر حديث رقم ٢٤٠٦ ؛ وانظر أيضا البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٤ ص ٢٥ — ٢٦ .

وكتب أيضا إلى سائر القلاع والحصون بالبشارة والتهنئة بما فتح الله على الإسلام بالنصر على الأعداء، وأقام السلطان إلى يوم الثلاثاء، ثم ركب إلى نحو دمشق .

ذكر دخول السلطان دمشق مؤيدا منصورا :

قال ابن كثير : ثم دخل السلطان إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رمضان ، وبين يديه أبو الربيع سليمان الخليفة ونزل بالقصر الأبلق ، ثم تحول إلى القلعة يوم الخميس ، وصلى بها الجمعة ، وخلع على النواب وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم ، واستقرت الخواطر ، وذهب الناس ، وطابت قلوب الناس .

ولما دخل السلطان دمشق خرجت إليه سائر الدماشقة من الصلحاء والمشايخ والحكام والكُتاب والعامة حتى لم يبق بدمشق مخلوق ، وتلقوه بالدعاء والثناء ، وازدحموا عليه حتى لم يبق لفرسه مكان يمشي عليه من كثرة العامة ، وضُربت البشائر والكوسات ، وسيقت الأسارى بين يدى موكبه مقرنين فى الأصفاد ، وسناجقهم بأيديهم منكوسة ، وطبولهم معكوسة .

وكان السلطان لما دخل دمشق ولى وعزل، وأمَر ونهى، وقطع ووصل ، [٢٩٠] وعزل ابن النحاس عن ولاية المدينة ، وعوض عنه بالأمير علاء الدين أيدغدى أمير علم ، وعزل صارم الدين إبراهيم والى الخاص عن ولاية البر ، وعوض عنه بحسام الدين لاجين الصغير رحمه الله (١) .

ذكر ما جرى للتتار بعد انهزامهم :

وقال صاحب النزهة : لما انكسرت التتار انتشروا فى الأرض ، فكان

(١) يوجد هذا النص ملخصا فى البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٦ .

الرجل منهم يقع من نفسه ، وآخر يقف فرسُه فينزل ويمشى ساعةً ، ثم يقطع من لباده الذى عليه قطعة فيلفها على رجليه ، هـذا هم الذين غفل عسكر الإسلام عنهم ، وأما الذى يصادفه أحد منهم فإما يقتله أو يأسره و يقوده مثل الكلاب ، وقد ملئت الأرض من دمائهم ومن أجسادهم ، فأوقع الله عليهم الذلة والصغار حتى يقبض على واحد منهم فلا يمـد يده ولا يقاتل ، و إذا كان فى يده قوس أو سيف يَرْميه إلى الأرض ، و إذا رأى الرجل طالبه يَمدّ رقبته إليه و يسلّم نفسه من غـير قتال ، وقتلت منهـم الغلمان والحرافيش خلقا كثيرا ، وكانت الجنـد ومماليك الأمراء يتذاكرون فى قتلاهم ، فمنهم من يقول : قتلت عشرين ، وآخر يقـول : قتلت ثلاثين ، وآخر يقـــول : قتلتُ عشرة ، ونحـو ذلك ، وأما العـرب فقـد فعلوا بهـم من النهب والقتل ما لا يحصى ، ومنهم خلق كثير ماتـوا عطشا فى البرارى ، وكذلك دوابهـم ، ومنهـم ناس التجأوا ببساتين دمشق فدخلوا فيها، فكان الرجل يجيء إلى بستانه فيجد فيها اثنين وثلاثة فيقتلهم ، ولا يقدر أحد منهم على منعه من الخوف والجوع والتعب ، ولما علم الأمراء بذلك نادوا فى دمشق إن من وجد أحدا من المغل أو الأرمن ولم يحضره إلى نائب الشام فقد حل دمه ، فصار من يظفر بواحد منهم أو أكثر يأتى به إلى النائب ، فالنائب إما يقتله وإما يستخلصه لنفسه .

وقال بيبرس فى تاريخـه[1] : لما حصل التظافر[2] على التتار أسرع[3] مولاى أحد

---

(١) النص التالى اختصره العينى من زبدة الفكرة ، ولم ينقـله نصا ــ زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤١ أ ــ ٢٤١ ب .

(٢) « وحصل التضافر » ــ فى زبدة الفكرة .

(٣) « فأسرع » . ــ فى زبدة الفكرة ، ويبدو أن العينى عدل بعض الحروف ليتسق الكلام .

مقـدميهم فى الفرار ، وفر معـه منهم زهـاء عشرين ألفا ، ثم افـترق التتار ثلاث فرق : الأولى فرقة فيها جوبان فى زهاء ثلاثين ألفا ، والثانية فرقـة فيها قطلوشاه ومعه تقدير ثلاثين ألفا ، والفرقة الثالثة كانت مع طيطاق تقدير عشرين ألفا ، فحملت العساكر عليهـم فصيروهم رميما ، وركبوا أكتافهم فغادروهم هشيما .

ولمـا كان من غد يوم الوقعة يوم الإثنين ثالث رمضان : جرد خيل الطلب فى الآثار ، فكان فيها الأمير سيف الدين سلار، والأمير عز الدين أيبك الخزندار وتتابعت العساكر تقفو قفى التتار، وتأخذ من حماتهم وكماتهم الثأر بالبَتّار ، فامتلات من قتلاهم القفار ، وأمسوا حديثا فى الأمصار ، وعبرة لأولى الأبصار :

مضوا متسابقى(١) الأعضاء فيهـم لأرجلهم بأرؤسهـم(٢) عثار
إذا فاتوا(٣) السيوف تناولتهـم بأسياف من العطش القفار(٤)

وسرح السلطان واحدا من أسراهم ليخبرهم بماتم ، وأرسـل على يده كتابا تحدث فيه بنعمة ربه وما منحه من نُصرة حزبه .

---

(١) « تتسابق » فى التحفة الملوكية .

(٢) « لأرؤسهم بأرجلهم » فى التحفه الملوكية .

(٣) « فات » فى التحفة الملوكية .

(٤) انظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤١ أ ، ب ، وانظر التحفة الملوكية ص ١٦٧ حيث يوجد بيتان آخران .

ذكر نسخة الكتاب الصادر [٢٩١] من السلطان من مرج الصفر إلى قازان في رابع شهر رمضان[1] :

الحمدُ لله على ما جدّد لنا من النعمة التامة، وسمح به من الكرامة العامة حين أعاد النعيم إلى كماله، والسرور إلى أتم حاله، فاستأنست النفوس إلى استمرار عوائدها، وارتاحت القلوب إلى مُعجز فوائدها، وأضاءت شمسُ المعالى، وطلعت بدورُها بالسعدْ المتوالى، إذْ كانت غلطة من الدهر فاستدركها، وسقطة بدت عنه فما تركها، فقرت بذلك العُيون، وتحققت فى بلُوغ الآمال الظنون، فلله الشكر الجزيل ما أومض فى الجو بارق، وسرى فى الآفاق نجم طارق.

وبعد : فليعلم الملكُ الجليل محمود، جامع الجيوش وحاشدُ الجنود، أنه تظاهر بدين الإسلام، وأشهر ذلك بين الأنام، وأبطن خلاف ما ظهر، وتظاهر بالباطل والحقّ ستَر، ثم فعَل ما قدره الله عز وجل وما حكم به القدَر، فحملنا ذلك على أنه تقدير، وأن ليس يجدى فيما أراد الله عز وجل تدبير، فما لبث الملك إلا أيسرَمُدّة، وأرسلَ رسله إلينا مجدُّه، وهو يطلبُ الصلحَ ويُحرضُ عليه، ويذكر الإسلام ويَندُبُ إليه، وزعم أنه ليس يختار الفساد فى الأرض، فإن الواجب علينا وعليه إصلاح ذوى الدين وأنّ ذلك فرض، فعلمنا مقصده فى مقاله، وتستر منا بستر يلوح وجه القدر من خلاله، فأكرمنا رُسُله كرامة تليق بفعالنا، وسمعنا رسالتهم وجاوبناهم على مقتضى حالهم لا مقتضى حالنا، وأعدناهم إليه بما هم مُصروّن عليه، فعاد رسوله يطلب رسولا يُسمع

(١) انظر نص الخطاب فى كنز الدرر جـ ٩ ص ١١٩ أ — ١٢٢ أ، حيث يوجد اختلاف فى بعض الألفاظ ولكنها لا تغير من المعنى.

كلامه ، وليس يخفى عنا مقصده ومرامه ، فأرسلنا إليه ما طلب ، وركبناه فرس البغى فيا بئس ماركب .

فما كان إلا عند وُصول رسلنا إليه ، بجهز عسكره وأظهر من الغدر مالم يكن يخفى عليه ، وأمرهم بما عاد وباله عليهم ، وحرضهم على ما وجدوه حاضرا لديهم ، ثم تقدّم معهم وعدى بهم ماء الفرات ، وجهزهم ورجع ، وعلم أن الغلبة من قراه ، فما كان إلا أن دخلوا البلاد ، وعملوا بما أمرهم من الفساد ، وتفرقت خُيولهم فى الأطراف والأوقاف ، وقطعوا أيدى الأشجار وأرجل الزُروع من خلاف ، ونزلوا بالقُرب من حلب ، وشنوا الغارات وجدوا فى الطلب ، وجيوشنا الشامية لهم بالمرصاد ، قد أخلصوا لله تعالى نيّة الجهاد ، وهم يتقدمون إليهم كل وقت ويظهرون لهم الضعف والتأخير ليتوسطوا البلاد ويحصل هناك التدبير ، فعاد منهم تُومان إلى القريتين ، بجهز من جيوشنا إليهم ألفان ، فوجدوهم قد أخذوا أغنام التركمان ، فوافَوهْم بالقرب من عُرْض فكانا كفرسى رهان ، فلم يلبث الباغون (ساعةً من النهار)[(1)] ، حتى عجل الله بأرواحهم إلى النار ، وبقيت أجسادهم ملقاة بأرض عُرض إلى يوم العَرْض ، ولم يفلت منهم إلا من يفعل الخير إنهم قد صاروا أخيارا ، ثم أُخذ منهم جماعة أسارى : كرج ، وأرمن ، ومغل ، ونصارى .

فما أقنعهم ذلك ، ولا اكتفى بأرواحهم مالك ، [٢٩٢] وهموا طالبين الغُوطة ، ولم يعلموا أن من دونها رماحا مَشْرُوعَة وجيادا مَرْبُوطة ، وعساكر يتأخرون عنهم قليلا بعد قليل ، وجيوشنا ترصدهم بالغداة والأصيل ، فلما عاينوا دمشق المحروسة ظنوا أنهم بدخولها يستبشرون ، وما علموا أنهم من حولها إلى

(١) جزء من الآية ٣٥ من سورة الأحقاف رقم ٤٦ .

جهنم يُحشرون ، فعبروا عليها وطلعوا إلى جبل يُعرف بالمانع ، فأخذ الرعب من قلوبهم بالمجامع ، وتحققوا أن نتيجة الغدر الهلاك ، وأن مصرع البغي ليس لهم منه فكاك ، فمالوا إلى جانب البرية للفرار ، وطلبوا أطراف الميمنة للذلة والانكسار ، فضربت عليهم جيوشنا حَلَقا ، وسلبوهم أثواب الحياة والبقاء ، ودارت بهم الخيول وبثت سنابكها سماء من العجاج نجومها الأسِنَّة ، فطارت إليهم عُقبان من الجياد قوادمها القوادم وخوافيها الأَعِنَّة ، وتصوبت عيون السُّمْرِ إلى قلوبهم كأنها تطلب سُوَيْداها ، وقصدت أنهار السيوف أكبادهم فكأنها أرادت تُروى صداها ، فشربوا كأس المنون لما تبلجت صفحات الصِفاح ، وعانتهم عيون الرماح ، وأنشأت لهم الحوافرُ غمامةً من الغُبار ، ونزلت عليهم أمطار من السهام كقطار الشرار ، وأخذتهم رعود من الصَّهيل ، وأبرقت في جوانبها بُروق من كل سيف صقيل ، ولم تغب الشمس حتى افترشوا أديم الأرض والوَعر والسَّهْل ، والتجأ من بقي منهم إلى جبل يعصمهم من القتل ، وباتوا عليه ليلة الأحد ، وأيقنوا أن ليس ينجو منهم أحد ، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة ، وأيِسُوا من الخلاص وقنطوا من السّلامة ، وضاقت عليهم الأرض بما رَحُبت ، وظنوا أن أرواحهم من أجسادهم قد ذهبت ، ونادوا بلسان حالهم ، وقد قربت مدّة آجالهم ، اعتقنا أيُّها الملك الرحيم ، واعْفُ عنا أيها الملك العظيم ، فإننا جميعنا مُسْلمون ولا تُؤاخذنا بما جناه كُفارنا المسرفون ، فإننا منهم بريئون ، فأردنا أن يطاب النصر من حيث عوّدنا من العفو ، فأمرنا جيوشنا أن تفتح لهم طريقا ليذهبوا ، وتركناهم من فعالنا يتعجبوا ، ففروا فرار الشاة من الأسد ، ولم يلتفت منهم والد إلى ولد

فلو رأيت أيها الملكُ ذلك اليوم ، لبقيت زمانا يروعك رؤياه فى النوم ، وما كنت ترى من جيشك إلا قتيلا أو أسيرا ﴿وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾[1] فلله دره من يوم تصاحب فيه الذئب والنمر ، والقيدُ والأَسر ، وهلك الذين هم ديوية الفرسان ، قد قادهم الذل والصغار ورماة العربان ، والكرج قد لحقت بقية آثارهم ، وعجل الله بدمارهم ، والأرمن وقد سِيق من سلم منهم فى القيود إلى خزانة البنود[2] .

ولو نظرت عيناك ما جرى من أرض حوران إلى الفرات ، لراعك وأرعبك من الهول ما كنت تراه ، ولو رأيت أصحابك كيف بقوا طعم الرخم والذباب ، لقالت من هول ما شاهدت : ﴿ يا ليتنى كنت ترابا ﴾[3] ، وكيف لك بالتراب ؟ ولكن روعك من السماع أسهل عليك من العيان ، [٢٩٣] فنظرك إلى من عاد إليك من أصحابك يكفيك فى البيان ، وإنما لو حضرت لرأيت ذلك المقام مشهود ، الذى فيه الملائكة شهود .

ولقد نصحنا لك أيها الملك فما ارعويتَ ، وبذلنا من القول فما رعيت ، وركبت من خيل البغى أجرى كُميت ، وقلنا لك إن مَنْ جرد سيف البغى كان به المقتول ، فلم تعِ القول ولم تُصغ لمن يقول ، فاستيقظ لنفسك ، وتلق هذه المصيبة التى تدخل بها إلى رمسك ، ولا يغرك بالله الغرور ، واعلم أن ذلك فى

(١) جزء من الآية ٢٦ من سورة الفرقان رقم ٢٥ .

(٢) خزانة البنود ، أنشأها الخليفة الظاهر الفاطمى بالقاهرة فيما بين قصر الشوق وباب العيد لخزن وصنع أنواع البنود من الرايات والأعلام ، ثم احترقت سنة ٤٦١ هـ ، وجعلت بعد ذلك حبسا للأمراء والوزراء والأعيان ، وفى العصر الأيوبى أصبحت منازل للأسرى من الفرنج وغيرهم — صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٥٤ ، المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٢٣ .

(٣) جزء من الآية رقم ٤٠ من سورة النبأ رقم ٧٨ .

الكتاب مسطور ، واندك المين بالإيمان ، ودع عنك ما يُسوله الشيطان ، فإنه ما يأمرك إلا بما جنيت ثماره ، ولا تحصد إلا مازرعت بذاره .

وأنت تزعم أن الإسلام شريعتك وبه تدين ، فنجتمع نحن وأنت على كلمة الإيمان ، ﴿ ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾[1] ونخرج عن بغداد والعراق ونعيدها إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى شرق به ظلام الآفاق ، ونتبع نحن وأنت أمره ونؤيد به هذا الدين ، ومن فعل غير هذا فعليه اللعنة إلى يوم الدين ، لتعلم أنك كما تزعم متمسك بشريعة المسلمين ، وإن أنت سولت لك نفسك خلاف ذلك ، فأنت لا محالة هالك ، وعن قليل تخلو منك العراق والعجم ، ويصير وجودك إلى العدم ، وقد أوضحنا لك القول لكيلا تميل ، وهديناك إلى أقوم سَبيل ، ثم تتقدم بإرسال رسلنا المُسيّرة إليك فى أتم الكرامة ، وتُسيّر معهم من يوصلهم إلينا فى حرز الأمن والسلامة ، وترتحل بمن بقى من جيشك إلى طبرستان ، وتخلى لمالكها هذه الأوطان .

وبلغنا أنك قلت إن خيلك ورَجلك تدخل الديار المصرية ، فقد صدقت أنت لكن المُنجمين غلطوا فى القضية ، أما الخيل فإنها دخلت مجنوبة ، وأما الرجال فكان فى حلوقهم الطبول وبأيديهم الصناجق مقلوبة ، فقد صدقت منهم المقال ، وتباركت بهذا الفأل ، وعن قليل نأتيك برجال تميد من تحتها الأرض وترجف ، وترى ما يهولك حتى تتمنى أن تنجو ولو على بطنك تزحف ، فتيقظ من رقدة المنام ، وبادر الرحيل ، والسلام .

(١) جزء من الآية رقم ٦٠ من سورة البقرة رقم ٢ .

ذكر من استشهد من أمراء المسلمين :

الأمير حسام الدين الأستادار ، والامير مبارز الدين أوليا بن قرمان ، والأمير شمس الدين سنقر الكافرى ، والأمير عز الدين أيدمر الشمسى القشاش ، والأمير جمال الدين أقوش الشمسى الحاجب ، وعز الدين أيدمر الرفا المنصورى ، وعز الدين أيدمر النقيب ، وعلاء الدين على [بن] (١) دُدًا التركمانى ، وحسام الدين على بن باخل ، واستشهد من أجناد الأمراء وغيرهم تقدير ألف فارس (٢) .

وقال صاحب النزهة : وكان ولد الأمير حسام الدين الأستادار قد حمل والده فى تابوت وأحضره إلى دمشق على أنه يدفنه بها ، فشاور الأمراء ، فأنكر عليه الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير والأمير سيف الدين سلار وقالا : إحضره ، فأحضره ، وكشفوا التابوت ورأوا تلك الشيبة الحسنة وقد تخضبت بالدما [٢٩٤] وفى وجهه أثر ضرب السيوف وقد أصاب نحره النُشّاب ، وقد ملىء سلاحه دمًا ، فلما رأوا ذلك تباكوا ، وتمنى كل منهم أن يموت هذه الموتة ، وأشاروا لبعض أمراء دمشق ووالى البر أن يركبوا ويذهبوا إلى موضع الوقعة ويجمعوا من يجدونه من الموتى من الأمراء وغيرهم ، ويدفنون الجميع — من غير أن يغسلوهم — فى مكان واحد ، ثم تبنى عليهم قبة ، وأمروا أن يدفنوا الجند والمماليك الذين قتلوا مع أستاذهم خارج القبة .

وقال الراوى : أخبرنى مَن حضر دفنهم أنه شاهد الأمير أوليا بن قرمان وعليه من الأنوار والجلالة والمهابة ما لا رآه على أحد غيره ، وأخبر عن بعض

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) انظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٠ ب .

العسكر الذين أسروا من عدة جُوبان أنهم لما قصدوا للقتال كان ابن قزمان هذا راكبا حصانا أشهب، وأنه كان يعرف أستاذهم جُوبان، فما جعل دأبه إلا هذا، وكان يحمل إلى أن يكاد يقرب منه، فتردّه جماعته، فينعطف، فيأتى من مكان آخر، وعلم جوبان أيضا قصده إياه، قصده فى جماعته ولم يبق بينهما إلا القليل، فرماه سلحدار جوبان بَياسَج فى خاصرته، فمال عن فرسه، ثم استوى، ثم قصده ثانيا، فقتل فرسه بسهمين متواليين ووقع إلى الأرض، ونهض ابن قزمان قائما، فرماه ذلك السلحدار فى وجهه وفى صدره إلى أن وقع واستشهد. فقال جوبان: هذا أمير كبير، عرفه بلبسه وفرسه.

وأما الأمير حسام الدين الأستادار فإنه من حين وقع بينه وبين سنقر العلائى قدام الأمراء والسلطان لم يسمع أحد عنه كلاما غير وصيته لولده على بناته ومماليكه، ثم قال: كنتُ أنتظر هذا اليوم، والله لاعشتُ بعد هذا اليوم، وقد عشنا سُعداء، ونرجو أن نلقى الله ونحن شهداء، ثم إنه من حيث جذب سيفه وتقدم لم يلتفت إلى أحد بوجهه، ولا سمعوا منه غير الله أكبر، فقاتل حتى قُتل.

ذكر رحيل السلطان من دمشق ودخوله القاهرة:

أقام السلطان بدمشق مع العسكر إلى يوم عيد الفطر، وقد ذكرنا أنه قد دخلها فى الخامس من رمضان(١)، وكان عيدا عظيما لما اتفق فيه من نصرة أهل الإسلام واجتماع شملهم بالأمن والطمأنينة، ثم رحل السلطان من دمشق فى الثالث من شوال، فوصل فى ذلك اليوم شمردل الركاب، وأخبر السلطان والعسكر أن القاهرة قد صنعوا فيها زينة عظيمة وقلاعا، والناس فى أرغد عيش وأطيبه.

(١) انظر ما سبق ص ٢٤٤.

وقال ابن كثير : عاد السلطان إلى مصر مع العسكر فى يوم الثلاثاء(١) الثالث من شوال ، ودخل القاهرة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شوال مؤيدا منصورا ، وزُين له البلد ، وكان يوما مشهودا(٢) ، و يوم دخوله القاهرة كانت الأسارى بين يديه مقرنين فى الأصفاد ، وسناجق بأيديهم منكوسة ، وطبولهم معكوسة ، وشق المدينة ، ولما وصل السلطان إلى تربة والده الشهيد الملك المنصور قلاون ترجل ودخل إلى ضريحه وزاره ثم [٢٩٥] ركب والأمراء فى ركابه يَمشون إلى أن طلع القلعة ، وتحت حوافر فرسه شقق حرير مبسوطة .

وقال بيبرس فى تاريخه : وكانت مدة هذه السفرة السافرة عن وجه النجاح ، المشرقة إشراق الصباح منذ استقلال ركابه وإلى حين إيابه ثمانين يوما ، وصل فيها إلى الشام وكسر عدوّ الإسلام ، ورتب أحوال البلاد وأعاد النازحين بين الرُبَى والوهاد(٣) .

وقال صاحب النزهة : لما قدم السلطان إلى القاهرة خرج إليه سائر من كان فى مصر من الجند والعامة وسائر المتعيشين والحرافيش ، ولم يبق فى البيوت من النساء والأطفال أحد ، و بلغت بيوت الأرباع التى على طريقه كل بيت منها بمائة درهم وأكثر ، وأقلها خمسون درهما(٤) ، وكان عُبوره من باب النصر

(١) إذا كان الثلاثاء ٢٣ شوال حسب ما ورد فى المصادر ، فيكون رحيل السلطان يوم الأربعاء ثالث شوال .

(٢) إلى هنا ينتهى الخبر الوارد فى البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٦ ــ ٢٧ .

(٣) لا يوجد هذا النص فى مخطوط زبدة الفكرة الذى بين أيدينا لوجود نقص فى أوراق المخطوط

(٤) المقصود : « وبلغ كراء البيت الذى يمر عليه السلطان من خمسين درهما إلى مائة درهم » انظر النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٦٦

لأجل ما اتفق من نصب القلاع التى صنعها الأمراء وتباهوا فيها لما حضر الأمير بدر الدين الفتاح بالبشارة بنصرة المسلمين وهزيمة العدو كما ذكرنا .

وكانوا قد قرأوا كتاب البشارة بحضور نائب الغيبة الأمير أيبك البغدادى ، وكان من إنشاء القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾[1] ، خصه الله من البشائر بأحسنها وأجملها ، ومن التهانى بأتمها وأكملها ، ومن المسرات بأوفرها وأجزلها .

نعلمه أن التتار المخذولين كانوا قد امتدوا إلى البلاد المحروسة ووصلوا إلى حمص ، وتعدوا جهة دمشق ، وكانت العساكر المنصورة بحلب وحمص قد انضموا إلى دمشق ، وعند وصولنا إلى مرج شقحب ساق التتار المخذولون ، ووصلوا إلى المنزلة التى نحن بها ، وكانوا فى العدد الذى لا يحصى ، وذكر عدتهم عن مائة ألف أو يزيدون ، وللوقت قابلناهم بالعزائم الصادقة ، والنيات الخالصة وركبنا بالجيوش المؤيدة ، وصدمناهم بالعساكر المنصورة الصدمة العظمى ، ومازال الحرب إلى أن نصر الله تعالى عليهم ، وقتل منهم ما لا يحصى عددهم إلا الله ، ثم بعد ذلك استند من بقى منهم إلى جبل واجتمعوا به ، فأحاطت عساكرنا المنصورة بهم ، ومازلنا راكبين بأنفسنا وخيولنا ، مجاهدين فى الليل والنهار ، والحرب قائمة على أوزارها ، وفى كل وقت يتناقص عددهم حتى امتلأت من قتلاهم الأرض ، وانهزموا من بين أيدينا ، وكسبت العساكر المنصورة من أموالهم وخيولهم مافتح الله ، و بقينا يومين وليلة فى مضايقتهم فى الجبال التى تحصنوا بها

(١) جزء من الآية رقم ١٣ من سورة الصف رقم ٦١ .

إلى ظهورهم ثانى شهر رمضان ، فنزلوا على حمية وساقت عساكرنا المنصورة فى إثرهم إلى أن قتلوهم عن آخرهم بقوة الله تعالى .

وسطرت هذه المكاتبة ، ونحن نحمد الله تعالى طيبون سالمون ، نحن وأمراؤنا وعساكرنا المنصورة ، وقد رحلنا إلى دمشق ، وكتبنا للجناب أن يشيع خبر هذه البشارة ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾[1] .

ولما وقف عليها ، وفرحت قلوب الناس ، واطمأنت أهل البلاد ، واتفق رأيه مع الأمير بدر الدين الفتاح أن يصنعوا زينة مفتخرة ، يراها السلطان والعسكر ، وذكروا زينة السلطان الملك الأشرف عند أخذ عكا ، وطلب سائر مباشرى الأمراء [٢٩٦] وعرفهم أن مرسوم السلطان برز : يعمل كل أمير قلعة وتزيينها بالفخر ملبوس ، ويكون من باب النصر[2] إلى باب السلسلة[3] ، وعرفهم أنه متى فرغ شهر رمضان وتأخر عمل ذلك كانت روحه وماله للسلطان ، وكتب مراسيم لسائر الأقاليم أنهم لايدعون فى بلاد الأمراء من مغانى العرب ولا من أرباب الملاهى أحد إلا ويرسلوه إلى المدينة ، وكل أمير فى بلده مغانى تأتى وتكون فى قلعة ذلك الأمير ، وطلب ناصر الدين الشيخى متولى المدينة وعرفه أن يأخذ أستادرية الأمراء ويرتب لكل أحد مكانا ويُسلمه إليه ، ثم شرع المباشرون فى طلب الصناع بحيث أنه نُودى على أرباب الصنائع أن أحدا منهم لايعمل عند أحد وأن أحدا لا يستعمل أحدا منهم حتى يفرغ العمل الذى عينوه ، ثم وقع الاهتمام فى أمر

(١) جزء من الآية رقم ٢٨ من سورة الرعد رقم ١٣ .

(٢) باب النصر : أحد أبواب القاهرة فى سورها الشمالى — المواعظ والاعتبار .

(٣) باب السلسلة ، أحد أبواب قلعة الجبل — المواعظ والاعتبار .

العمل ، وتحسنت معيشة التجار سيما تجارة الخشب والقصب وآلة النجارة ، واستعملت الحرافيش بالأجرة ، وشرعَ كل أحد يفتخر بصُنعه على غيره من أرباب جنسه ، وعملوا قلاعا حسنة عظيمة ، ووضعوا فيها آلات الحرب والحصار وجعلوا فيها من الصور المضحكة والوحوش والخيالة والفرسان ، وزين كل أحد قلعته بأفخر مايقدر عليه من الفصوص واللآلى والحرير والزركش والأشياء المفتخرة .

ومافرغ شهر رمضان إلّا وجميع القلاع قد تكامل عملها وزينتها .

وكان أول القلاع على باب النصر ، صنعه متولى المدينة ، ودخل على النائب بهذا السبب ، وصنع فيها من كل شيء من الهزل والجدّ ، وعمل حيضانا (١) بريم السكر والليمون ، وعين هنالك مماليك بأيديهم كاسات يسقون الجند والأمراء .

وعند وصول السلطان إلى باب النصر ترجلت أرباب الوظائف ، وأول من ترجل على كبر سنه كان الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ، وأخذ السلاح (٢) ، فطلبه السلطان وسأله أن يركب ويحمل السلاح وهو راكب ، فأبى ذلك ، وحمل الأمير مبارز الدين الرومى أمير شكار القبة والطير (٣) ، والأمير سيف الدين بكتمر أمير جندار العصاة (٤) ، والأمير سيف الدين سنجر الجمقدار الدَّبُوسَ ، ومَشت سائر الأمراء فى منازلها ، وكان كل أمير من أصحاب القلاع بَسط شققا

(١) حيضان = أحواض = حياض : جمع حوض — لسان العرب ، وانظر أيضا المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية ص ٣٨ .

(٢) « وأخذ سلاح السلطان » — فى السلوك — ١ ص ٩٣٩ .

(٣) يبدو أن المقصود بهما المظلة — انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٧ وما بعدها .

(٤) المقصود الصولجان .

أطلس كل واحد من حد قلعته إلى قلعة صاحبه ، وكان السلطان يمشى هُوَينا والأسراء بين يديه مقيدين ، والأرقاب المضروبة معلقة فى أرقابهم ، ونحو ألف رأس على الأرماح مُشتالة ، ونحو ألف ومئتائة أسير وطبولهم مخرقة فى حلوقهم .

وكانت الثانية من القلاع للأمير علاء الدين مغلطاى أمير مجلس(١) ، وبعده لابن أيتمش السعدى ، ثم للأمير علم الدين الجاولى ، ثم للأمير سيف الدين تغريل الأيغانى ، ثم للأمير سيف الدين بهادر اليوسفى ، ثم للأمير سيف الدين سودى ، ثم للأمير بدر الدين بيليك الخطيرى ، [ثم برلغى](٢) ، ثم للأمير مبارز الدين أميرشكار ، ثم للأمير عز الدين أيبك الخزندار ، ثم للأمير شمس الدين سنقر الأعسر ، ثم للأمير ركن الدين بيبرس الدوادار ، ثم للأمير شمس الدين سنقر الكمالى(٣) ، ثم للأمير مظهر الدين موسى بن الملك الصالح ، [٢٩٧] ثم للأمير سيف الدين آل ملك ، ثم للأمير علم الدين الصوابى ، ثم للأمير جمال الدين الطُشْلاقى ، ثم للأمير سيف الدين آدم ، ثم للأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة ، ثم للأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، ثم للأمير بدر الدين أمير سلاح ، ثم للطواشى شهاب الدين مرشد الخزندار على باب المنصورية وبعده للأمير سيف الدين بكتمر أمير جندار ، ثم للأمير عز الدين أيبك البغدادى ، ثم لابن الأمير سيف الدين أمير سلاح ، ثم للأمير بكتوت الفتاح ، [ثم تباكز التغريلى](٤) ، ثم للأمير قلى

(١) « ابن أمير مجلس » — فى الأصل ، والتصحيح من النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٦٧ .

(٢) [ ] إضافة من السلوك جـ ١ ص ٩٤٠ .

(٣) « الكاملى » — فى النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٦٧ .

(٤) [ ] إضافة من السلوك جـ ١ ص ٩٤٠ ، « قاكز الطغريلى » — فى النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٦٨ .

السلحدار ، ثم لبكتمر السلحدار[1] ، ثم للاجين زيرباج[2] الجاشنكير ، ثم لطيبرس الخردارى[3] نقيب الجيش ، ثم لبلان طُرنا ، ثم لُسنقر العلائى ، ثم لبهاء الدين يعقوبا ، ثم للأمير الأبوبكرى ، ثم لبهادر العزى ، [وكوكاى بعده][4] ، ثم لقرا لاجين ، ثم لكراى المنصورى ، ثم للأمير جمال الدين الموصلى قُتال السبع على باب زويلة ، ومنه اتصل القلاع إلى باب السلسلة ، وأولها من باب النصر كما ذكرنا ، وكانت عدة القلاع سبعين قلعة .

ذكر ما استُجِدَّ فى هذه السنة من الولايات :

وفيها استعفى الأمير سيف الدين بُتخاص من نيابة صفد ، وتولاها الأمير شمس الدين سنقرجاه المنصورى ، وأقام بتخاص بمصر ، ورسم بنقل الأمير سيف الدين قفجق من مدينة الشوبك إلى نيابة حماة بحكم وفاة نائبها ، ورُسم للأمير سيف الدين بلبان الجوكندار بنيابة حمص بحكم وفاة نائبها الأمير سيف ألبكى ، وكان بلبان المذكور نائب قلعة دمشق تولاها عوضا عن الأمير سنجر المعروف بأرجواش بحكم وفاته ، ثم تولى نيابة قلعة دمشق عوضا عن بلبان المذكور الأمير ركن الدين بيبرس التلادى ، ثم استعفى الأمير بلبان المذكور عن نيابة حمص ، وتولاها الأمير عز الدين الحموى الظاهرى .

وفُوض قضاء القضاة الشافعية بالشام للقاضى نجم الدين أبى العباس أحمد ابن صصرى الشافعى ، عوضا عن بدر الدين بن جماعة ، وطُلب بدر الدين

(١) « ثم لبكتمر السلحدار » — لم ترد فى السلوك والنجوم الزاهرة .

(٢) « زبرباج » فى ، السلوك .

(٣) « الخازندارى » فى السلوك ، النجوم الزاهرة .

(٤) [ ] إضافة من السلوك .

للقاهرة ، فتولى قضاءها ، عوضا عن تقى الدين ابن دقيق العيد بحكم وفاته ، وفُوضت خطابة جامع بنى أمية لزين الدين عبد الله بن مروان الشافعى الفارقى (١) ، وفُوضت مشيخة الشيوخ بالشميساطية للقاضى جمال الدين الزُّرعى (٢) ، ثم عزل ، وفوضت للشيخ أبى عز الدين بن عبد السلام ، ثم عزل ، وفوضت للشيخ صفى الدين (٣) محمد الأرموى (٤) المعروف بالهندى بسؤال من الصوفية ، وباشر الشيخ شرف الدين الفزارى مشيخة دار الحديث الظاهرية ، عوضا عن الشيخ شرف الدين الناسخ (٥) .

ذكر الزَلزَلة الكائنة بالبلاد المصرية :

قال بيبرس فى تاريخه (٦) : وفيها فى يوم الخميس الثالث والعشرين من ذى الحجة : حدثت زلزلة عظيمة بكرة النهار بالقاهرة ومصر وسائر أعمال الديار المصرية ، وخاصة فى ثغر الإسكندرية ، وكانت عظيمة حتى أن الجدُر (٧) تساقطت ، والجبال

(١) هو : عبد الله بن مروان عبد الله بن الحسن الفارقى ، شيخ الشافعية ، توفى سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م - انظر ما يلى فى وفيات ٧٠٣ هـ .

(٢) هو : سليمان بن عمر بن سالم ، قاضى القضاة جمال الدين ، أبو الربيع الأذرعى ، والزرعى ، الشافعى ، توفى سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م - المنهل الصافى جـ ٦ ص ٤٦-٤٨ رقم ١٠٩٤ .

(٣) هو : محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموى ، الهندى ، الشافعى ، شيخ الشيوخ صفى الدين أبو عبد الله ، المتوفى سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م - شذرات الذهب جـ ٧ ص ٣٧ .

(٤) « الأموى » فى الأصل ، والتصحيح من شذرات الذهب .

(٥) هو : عمر بن محمد بن عمر بن حسن بن خواجا إمام الفارسى ، شرف الدين ، المعروف بالناسخ ، المتوفى سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م - انظر ما يلى فى وفيات ٧٠٢ هـ .

(٦) لا يوجد النص التالى فى مخطوط زبدة الفكرة الذى بين أيدينا لوجود نقص فى أوراق المخطوط ، وانظر ما ورد فى التحفة الملوكية ص ١٧٣ .

(٧) جدار ، جدر وجدران : والجدار هو الحائط ، ويطلق على الحوائط الداخلية للغرف ، أو الحوائط الخارجية التى بين الديار - المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية ص ٢٨ ، ٣٢ .

تشققت ، والمباني تهـدمت ، والصخور تقطعت ، والمياه من خلال الأرضين تفجرت ، ومادت الأرض بمن عليها ، وماجت المساكن بساكنيها ، وتشعثت الأسـوار والأركان ، وثار الصراخ بكل مكان ، وخرجت النساء حاسرات إلى الطرقات ، وظن الناس أنها إماتة الأحياء وقيامـة الأموات ، وابتهلوا إلى رب السموات لما عراهم من المخافات ، فأدركتهم رأفتـه ، وأنقذتهم رحمتـه بأن سكّن [٢٩٨] زلزالها ، وخفّف أهوالهـا ، ولو دامت ثُلث ساعة من النهار لم يبق على الأرض دار ولا ثبت بهـا جدار ، فكان تقصير مسافتها وتخفيف آفتها لطفا من الله بعباده ، ومنّة على ساكني بلاده ، وأثرت فى البحرين العذب والأجاج ، وأثارت فيهما الأمـواج ، وارتج كل منهما غاية الارتجاج ، وكان تأثيرها قويا جدا بالإسكندرية والنواحى الغربية ، وهدمت بالثغر أكثر الأبراج والأسوار ، ورمّت جانبا وافرا من المنار ، وفاض البحر المالح وطمىَ ، وتعطمط المـاء وأغرق قماش القصارين ، وكسر قوارب البحارين ، وقطع مراسي المراكب الفرنجيـة وطرح أكثرها إلى الأسوار والشعاب .

ولما عاين أهل الثغر هيجان البحار ، وانهدام المنار ، وتساقط المآذن والأسوار وتناثر الأحجار من الجدران ، وتداعى الأركان المشيدة البنيان ، بادروا مسرعين وخرجوا من باب السدرة هاربين ، ولما سكّن الله حركتها ، وأذهب رجفتها ، تراجعوا إلى أماكنهم ، وعادوا إلى مساكنهم .

وتواترت الأخبار ، فإن الزلزلة المذكورة كانت قوية الأثر فى البلاد الغربية والجزائر البحرية ، وجهات الفرنجية ، وأنها أيضا حدثت فى تلك الساعة وذلك النهار ببلاد الكرك والشوبك والسواد وتلك الأقطار .

وحكى أن شخصا من الباعة يبيع اللبن فى بعض الحوانيت بالقاهرة سقط فى الزلزلة حانوته عليه، وظنه الناس قد مات وأقام ثلاثة أيام ولياليها تحت الردم، ثم نُظف التراب ووُجد الرجل سالما وأخرج حيًّا سويا ، لأنه تشبكت عليه الأخشاب ، وحملت عنه الطوب والتراب ، وسلمت له من حانوته جرة لبن ، فكان يقتات منها إلى أن نظف عنه الردم .

وفيها : سقط جانب من قلعة صفد وأسوارها ، وبرج الباب ، عند حدوث هذه الزلزلة ، فرممت فى السنة القابلة .

وفيها : تهدّم جانب من جامع بنى أمية وأعيد ترميمه ، وأقام الناس أياما وهم خائفون وجِلون ، ومن مكان إلى مكان ينتقلون ، ولمعاودة الزلزلة متوقعون وكان ذلك فى الصيف فتوالت بعدها سموم تلفح فتشوى الوجوه حين تنفخ ، ولم يمت مع ذلك إلاّ نفر قليل بالقاهرة ومصر وثغر الإسكندرية .

وقال النويرى : وجَزر البحر باسكندرية ، ثم رجع فأتلف أموالا عظيمة للتجار ، وغرق جماعة كثيرة ، وانكشف البحر بساحل عكا ، فظهر فى قاعه شىء كثير مما ألقاه أهل عكا فى مدّة حصارها ، فتبادر الناس لأخذه ، فرجع البحر عليهم فغرّقهم عن آخرهم .

وقال صاحب النزهة : قد تقدم ذكر الاهتمام بعمل القلاع والتفاخر فى زينتها ، وكان ابتداء ذلك خامس رمضان وانتهاؤه فى العشر الأخير ، وتهتكت الخلائق على التفرج عليها ، ولم يخشوا الله تعالى ، واستمروا على ذلك إلى [أن][1] استهل شوال ، ومشى فيهم المنكر والأمور القبيحة ، وصار لكل قامة أهل يحمل إليها من

(١) [ ] إضافة تتفق وسياق الكلام .

المحرمات ، ويتجاهرون بالمعاصي ، وتهتكت بسبب ذلك مخدرات النساء ، وافتضح من كان يخشى الفضيحة من كل مستور ، ولم يبق في المدينة من أكابر البيوت من الأمراء وغيرهم من الأعيان إلا من خرج من بيته مع غلمان أو خُدام أو قهرمانات[(1)] ، وكان يرى ما يذهله ويروع به عقله ، حتى كان يطرح الحشمة ويستحسن الفضيحة .

وطمس الله على قلوبهم ، لقضائه السابق وأمره اللاحق ، حتى أرسل الله عليهم زلزلة [٢٩٩] عظيمة يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة عند صلاة الصبح ، فتزلزلت الأرض بأركانها ، وسمعت للحيطان قعقعة ورعدة ، وكذلك السقوف ، ومالت الأرض بالماشي وأخرجته عن طريقه ، وأرمت الراكب ، وقيل للخلق إن السماء انطبقت على الأرض ، فكان الماشي يهرب من الخوف إلى زقاق آخر فيجد فيه من الرعد والقعقعة أكثر مما هرب منه ، وخرجت النساء مستّبيات حاسرات ، فما قدرت من الخوف أن تأخذ شيئا تستتر به ، وكذلك البنات والأطفال ، وخرجت الفقراء من المساجد والزوايا ، وأسقطت كثير من النساء الحبالى حملها ، وورد على البحر ريح بموج عاصف متلاطم ، ففاض البحر فيضا حتى طلع بالمراكب التي على ساحل البحر وحدفهم من البحر مع الريح مقدار رمية نشاب ، ثم لما عاد الماء إلى حاله بقيت المراكب على اليبس ، فتقطعت مراسيها ، وكذلك مراكب المسافرين اقتلعها الريح من وسط البحر إلى ساحل البر .

وقد ضرب كثير من الأمراء خياما في الفضاء وأخرجوا حريمهم إليهم ، وكذلك خرجت خلق كثير نحو بولاق والجزيرة والروضة وغير ذلك ،

---

(١) القهرمان : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج ـ المنجد .

وأصبحت المدينة إذا نظر إليها إنسان لا يجد فيها بيتا صحيحا ، إما هدم منه حائط أو وقع منه جانب ، أو انشق بناؤه ، وهدمت الأزربة[(١)] التى على البيوت ، وبقيت الأتربة والطوب أكواما أمام البيوت ، وقنتوا فى صبح الجمعة وفى ليلتها فى سائر الجوامع والمساجد ، وأقاموا ليلتهم ويومهم إلى حين صلاة الجمعة واقفين يبتهلون إلى الله تعالى ويتضرعون .

ثم جاءت الأخبار من إقليم الغربية أن بعض بلادها وهى تعرف بسخا هدم جميعه حتى لم يبق فيه حائط ، فصار كوما ، وكذا جرى على قريتين أخريين وكذا وقع بإقليم الشرقية .

ثم شرع الأمراء والسلطان فى اعتماد الأعمال الضرورية التى لابد منها ومن إصلاحها .

وقد أفلح الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة ما هدم من الجامع العمرى بمصر ، وأصرف عليه مالا جزيلا .

وتصدى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير لعمارة جامع الحاكم بأمر الله ، وقد كان هدم منه حائط كبير ووقعت مأذنته ، ولما نزل إليه ومعه المهندسون والمباشرون قال لهم : اجعلوا بالكم فى هدم ما يستحق الهدم ، فإنى سمعت أن فى ركن من أركان هذه المأذنة ذهبا كثيرا ادخره الحاكم بأمر الله ، وربما أحاط بحكمته أن يعرض على هذا الجامع عارض من أمر الله يكون ذلك الذهب برسمه وعمارته ، فإنه كان رجلا حكيما ، ثم إنه عمّره كما ينبغى وزاد فيه زيادة واسعة

(١) أزربة ، زروب : جمع زرب ، وهى المزراب أو الميزاب ، قناة توضع فى أرضية الأسطح وتبرز من حائط المبنى لإزالة مياه الأمطار وغيره خارج هذه الأسطح — انظر المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية ص ٥٩ .

للمصلين ، وجَددَّ المأذنة وعمر فيها زيادة ، وأوقف عليه أوقافا حسنة ، ووضع فيه مدرسا ، وحديثا ، وصدقة ، ومؤذنين ، وقراء ، وفقهاء ، ورتب لهم الرواتب والصدقات ، وأوقف وقفا يكفي ذلك كله(١) ، وعند هدم المأذنة وجدوا في ركن منها كفا بزنده ملفوفا في قطن ، وعليه أسطر مكتوبة لم يعلم أحد ما هي ، والكف طرية ، وعجزوا عن قراءة الكتابة .

وتصدى الأمير سيف الدين سلار لعمارة الجامع الأزهر وإصلاحه ، وإصلاح مأذنتـه ، وإصلاح الواجهة التي وقعت ، وجدد فيـه جميع أماكنه ، وبلطـه وبيضه ، وأنفق عليـه نفقات كثيرة ، وكان للأمير شمس الدين سنقر الأعسر مشاركة له في الجامع الأزهر .

وعُمر جامع الصالح الذي خارج باب الزويلة من مال بيت المـال ، وكان الأمير علم الدين سـنجر مُشده ، وأرصـدوا لعمارة مأذنة [٣٠٠] المنصورية الأمـير سـيف الدين كهُرواس الزراق ، وأصرف على عمارتها من مال الوقف ، ورسم للأمير ركن الدين بيـبرس بالسفر لثغر إسكنـدرية ليكشف(٢) ما هـدم من المنار وغيره ، وأن يرم جميع ما يحتاج إلى الترميم ، وكان نائب إسكنـدرية كتب إلى السلطان أن الذي هُدم من المنار ستاً وأربعين بدنة(٣) ، ومن السُور خمس عشرة بدنة ، ورسم السلطان أن يُعمر جميع ذلك من مال السلطان .

(١) انظر وثائق وقف السلطان بيـبرس الجاشنكير — فهرست وثائق القاهرة ص ٨ — ٩ مسلسل ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) « ليشكف » في الأصل .

(٣) البدنة : في العمارة المملوكية هي الدعامة القائمة بذاتها ، أى حامـلة ، وتكون مادة من الطوب أو الحجر ، وقـد تكون مربعة أو مستطيلة المسـقط — المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ص ٢٠ .

ذكر ظهور دابة عجيبة من النيل :

بتاريخ يوم الخميس الرابع من جمادى الآخرة : ظهرت دابة عجيبة الخلق[1] من بحر النيل إلى أرض المنوفية ، وهذه صفتها : لونها لون الجاموس بلا شعر ، وآذانها كآذان الجمل ، وعيناها وفرجها مثل الناقة ، يغطى فرجها ذنَبٌ طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك ، ورقبتها مثل غلظ الكيس[2] المحشو تبنا ، وفمها وشفتاها مثل الكربال ، ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طولها دون شبر وعرض أصبعين ، وفى فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل بنادق الشطرنج ، وطول يديها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ، ومن ركبتها إلى حافرها مثل أظافير الجمل ، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف ، وطولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما[3] ، وفى بطنها ثلاثة كروش ، ولحمها أحمر ، وزفرته مثل السمك ، وطعمه كلحم الجمل ، وغلظ جلدها أربع أصابع ما تعمل فيه السيوف ، وحُمِل جلدُها على خمسة جمال[4] فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل ، وأحضروه إلى القلعة المعمورة بحضرة السلطان ، وحشوه تبنا ، وأقاموه بين يديه ، ذكر هذا الشيخ علم الدين البرزالى فى تاريخه .

وقال النويرى : وهى التى تسمى فرس البحر ، كانت تطلع ترعى فى البرّ ، ثم تعود إلى البحر ، فرصدها الصيادون وصادوها بالمنوفية ، وهى سوداء قدر

(١) « تعرف بفرس البحر » — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٨٠ .

(٢) « التيس » فى السلوك ، و « التليس » فى النجوم الزاهرة ، و « التيس » فى البداية والنهاية .

(٣) هكذا بالأصل .

(٤) « أجمال » فى الأصل .

البغل ، بأظلاف كأظلاف البقر ، وذنب قصير ، وسلخت وحمل جلدها إلى القاهرة وحُشّى تبنا ، وتعجب الناس منه .

قال صاحب النزهة : وكانت هذه الدابة تأتى من نحو جزيرة مقابل شُبرا ، وتنتقل فى الأماكن ، وتؤذى كثيرا من الزرع والمواشى ، ولا يجسر أحد على أن يقربها ، وبلغ ذلك الأمراء ، وطلبوا متولى الجزيرة وأمروه أن يجمع عليها أهل البلاد ويتحيلون على مسكها ، فجمعوا خلقا كثيرا ، وتتبعوا آثارها أياما ، وهى كلما رأت الرجال تحيد عنهم ، وإذا غُلبت تنزل إلى البحر ، إلى أن أرموها فى مكان وَحل وتكاثروا عليها إلى أن قتلوها .

ذكر ما أبطله الأمير بيبرس — رحمه الله — من الأمور المنكرة :

منها : كتب إلى مكة أن لا يمكنوا الزيدية من الآذان الذى كانوا يجهرون فيه بقولهم : حىّ على خير العمل ، وأن لا يقتدوا بإمام منهم ، ولا يَدَعوا أهل السنة أن يصلوا معهم .

ومنها : ما كانت أهل مكة تربط الحاج بالصعود إلى التمسك بالعروة الوثقى ، فكان الحاج يقاسى من الصعود إليها أمراً عظيما حتى يصل إليها ، [٣٠١] وكان أكثر الشدة على النساء ، وربما كان ينكشف عوراتهم(١) ، وكان كثير من الحرامية يقفون ويعاينون الناس عند انكشاف ما عليهم من نفقة مربوطة على وسطه من ذهب أو فضة فيتحيلون على أخذها .

ومنها : أن النصارى كانوا يزعمون أن كبراءهم من علمائهم كانوا يزعمون أن إصبعا من أصابع أحد الحواريين موضوعا فى تابوت ، فإذا جاء أوان

(١) هكذا بالأصل .

احتياجهم إلى زيادة النيل يرمون ذلك الأصبع فى البحر فيزداد ، ومتى لم يرموه لم يزد شيئا ، وكان يجتمع فى ذلك اليوم الذى يُرمى الأصبع فيه خلق من سائر الأقاليم من أهل الملة النصرانية و يركبون الخيل فى ذلك اليوم و يلعبون عليها ، وكان أهل مصر والقاهرة يَرحلون إليهم فى المراكب والخيل ، ويضربون الخيام على جانبى البحر وفى وسط الجزائر ، ولا يبقى شىء من الملاهى وأرباب الطرب إلاّ ويكون هناك فى ذلك اليوم ، ويجتمع هناك نساء خواطى ، وربما يقتل فيه قتيل ، وتقوم فيه فتن ، وتباع فيه الخمور بنحو مائة ألف درهم .

قال صاحب التاريخ : حكى لى بعض النصارى أنه باع فى ذلك اليوم خمورا باثنى عشر ألف درهم ، ولما جاء أوان عيده سيّر الأمير ركن الدين بيبرس متولى المدينة وجماعة من الحجاب ومنعوهم عن ذلك ، وكتب للولاة أن ينادوا فى النصارى أن لا يخرج أحد فى ذلك اليوم ، ولما بلغ ذلك النصارى اجتمعوا بالتاج بن سعد الدولة ودخلوا عليه على أن يتحدث مع الأمير بيبرس ، لما كانوا يعلمون من منزلته عنده ، فشرع فى الحديث معه من طريق الأموال ، وأن هذا يحصل منه مال عظيم ، والعادة جارية به ، فلم يلتفت إلى كلامهم وقال : إن كان النيل ما يزيد إلا بهذا الأصبع لا يزيد ولا يطلع ، وإن كان الله عز وجل يتصرف فيه كيف يشاء فهؤلاء يفشرون ، فأبطله (١) .

ومنها : أن القمامة (٢) التى بالقدس الشريف كان فى وسطها قنديل كبير ، صنعته أكابر النصارى ، وفى كل سنة يوم معلوم عندهم يجتمع إليه النصارى من

---

(١) المقصود : إبطال عيد الشهيد ، انظر السلوك جـ ١ ص (٩٤٠ — ٩٤٢) ، وعن عيد الشهيد انظر المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٦٨ وما بعدها (؟)

(٢) هى كنيسة القمامة أو القيامة .

سائر الأجناس ، ولا يوقد ذلك القنديل فى كل السنة إلا فى ذلك اليوم ، ولا يظهر نوره إلا فى الرابعة من ذلك اليوم ، ومتى أبطأ فى ذلك الوقت يقولون : إن نيل مصر فى هذه السنة شحيح ، وكانت عادة السلطان يبعث إليها قرب هذا اليوم من يثق بأمانته ، فيحُصّل شيئا كثيرا من الذهب والفضة وسائر التحف ، ثم يُحضره إلى السلطان ، وينقل من زيت ذلك القنديل إلى سائر نصارى البلاد من الملوك وغيرهم على سبيل التبرك عندهم ، وكان هذا القنديل يشتعل من ذاته ، وهو أمر عظيم عندهم ، فهو الذى يكون سببا لضلال النصارى وثباتهم على دينهم الباطل ، واتفق أن نجم الدين بن الحباب سافر إليه فى الدولة المنصورية حتى يحقق أمر هذا القنديل ، فلما حضر فحص عن ذلك واجتهد فيه إلى أن انكشف له أنه مصنوع من أدوية بحكمة مذكورة عندهم ، وأن الشمس فى الرابعة من النهار يقوى جرمها فيقع شعاعها من طاقة قريبة من القنديل المذكور ، فإذا وقع يطلقون موضع وقوع جرم الشمس شيئا من القلفونية المصنوعة بالحكمة فتتصل قوتها إلى فتيلة ذلك [٣٠٢] القنديل فيشتعل ، فلما ظهر له ذلك كتب إلى الوزير والسلطان فى ذلك فتهاونوا فى أمره ، فأمر الأمير بيبرس بمنعه وتبطيله ، فأنكروا عليه من حيث أنه يحصل من ذلك كل سنة جملة من المال لبيت المال ، ولم يزل يسعى فيه إلى أن كتب السلطان بإبطال ذلك القنديل ، وكان آخر ذلك فى صحيفته .

وفيها : كان صاحب سيس جهّز مركبا من مراكب الإفرنج وفيه أصناف كثيرة مقدارها يُساوى قيمتها مائة ألف دينار ، على أنه يدخل بلاد قبرس والجزائر ، فاتفق أن الله عز وجل أراد أن يجعلها غنيمة لأهل الإسلام[(١)] ، فأرسل

(١) « السلام » فى الأصل .

ريحا عاصفا أتى[1] به إلى ميناء دمياط ، فأخذه المسلمون وغنموه .

وفيها : كان الجدب والقحط والغلاء ببلاد الشمال — بلاد طقطاى — لأنهم زرعوا ثلاث سنين فلم ينبت لهم شىء ، فهلك الخف والحافر ، وبلغت حالهم من القحط إلى أن صاروا يبيعون أولادهم ونسوانهم فى الأسواق ، فاشتراهم الفرنج والتجار وجلبوهم إلى سائر البلاد خصوصا إلى مصر .

ذكر القصائد التى مُدح بها السُلطان فى هذه الغزوة :

وأول من نظم فى ذلك القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر ، نظم فيها مجلدا صغيرا وسماه : الروض الزاهر فى غزوة السلطان الملك الناصر[2] ، وتوصل إلى أن قرأه عليه ، وأنعم عليه بمائة دينار ، من غير أن يعلم بها بيبرس وسلار .

ومن نظمه قوله :

هم زعموا بأنك ليس تأتى ... ركبت إلى لقائهم البُرَيدا
ولاذوا بالفرار فلم تدعهم ... وأعددت السلاسل والقيودا[3]

ومنها : قصيدة من نظم الشيخ شهاب الدين أحمد[4] بن عبد الملك العزازى الشاعر :

(١) « إلى آتى » فى الأصل .

(٢) أورد النويرى نص هذا الكتاب — انظر نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٠ ورقة ٢٣٧ ب وما بعدها .

وقد نشر هذا النص فى ملاحق كتاب السلوك — ملحق رقم ١٦ — انظر السلوك جـ ١ ص ١٠٢٧ — ١٠٣٩ .

(٣) هذه الأبيات غير واردة فى المنشور بالسلوك من هذا الكتاب .

(٤) هو : أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم ، الأديب الشاعر شهاب الدين أبو العباس العزازى ، المتوفى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م — المنهل الصافى جـ ١ ص ٢٦٢ رقم ١٩٦ .

لقد تمت النُعمى وضوعفت البشرى　　وأظهر هذا الفتح في الأوجه البشرا
فمن كان ذا نذر فهذا أوانه　　ومن كان ذا وتر فقد أدرك الوترا
هناء هناء أيها الناس فالهدى　　علا الشرك والإيمان قد غلب الكفرا
ولما غزا غازان عقر ديارنا　　وأعطاه من يعطى ومن يمنع النصرا
تمرد طغياناً وتاه تجبراً　　ولم يستبن نصحا ولم يستفق سكرا
وظن بأن لا غالباً لجنوده　　ولا قاهراً حتى فتكنا بهم قهرا
وراسلنا في الصلح مكرا وخدعة　　وأى امرئ يرضى الخديعة والمكرا
فسار له منا رسول مذكر　　يحذره العقبى فلم تنفع الذكرى
وعاودنا بغيا وللبغى مصرع　　فشاهد من إقدامنا الآية الكبرى
وأنصفت الأيام في الحكم بيننا　　وكانت له الأولى وكانت لنا الأخرى
هو الدهر لا يبقى على فرد حالة　　فطوراً يُرى حلوا وطوراً يُرى مرا
رعى الله يوم المرج للترك أنفسا　　تدرعت الإقدام والبأس والصبرا

[٣٠٣]

غداة يرون القتل في الله طاعة　　صياماً يودون الحمام لهم فطرا
إذا ذكروا أحداً تمنوا بأنهم　　رأوا أحدا أو شاهدوا قبله بدرا
تنادوا وقالوا في الثبات حياتنا　　ومن ههنا نأتى النجاة أو الخسرا
وجاءت جيوش المغل كالرمل كثرة　　وقد ملأت سهل البسيطة والوعرا
وأقبل سلطان الزمان محمد　　يقود العتاق(١) الجرد والعسكر المجرا
فطارت قلوب المارقين مخافة　　وذعرا ويا ما أقبل الخوف والذعرا

(١) « القباق » في النحفة الملوكية ، وهو تحريف .

رأت سُيُفا شهبا و بيضًا قواضبًا — وخَطيــة سُمْـرا وألوية صُفْرا
وحزبًا من الأتراك شُوسًا ضراغما — يَذُودون عن مصر وعن ساكني مصْرَا
وكان نهار السَّبْت بالنصر شاهدًا — صدوقا وكان الوقتُ قد زاحم العصرا (١)
فكرّت وكرّ المسلمون فلا تَسَل — لدى الرَّوْع عن بحْرٍ غدا صادماً بحرا (٢)
ومدّ سواد النَقْعُ ليــلا فأطلَعَتْ — ذُبال القنى فى كل داجيــة فجرا
ولله دَرُّ التُرك كم سفكت دَمــاً (٣) — وكم فلقت رأساً وكم طعنَتْ نحرا
وكم طعنت بالسُمر حتى تقصّفت — وكم ضاربت بالبيض حتى انثَنَتْ حُمرا (٤)
أمالوا عروش الكافرين وكافحوا — عن الدين يَرجُون المثوبة والأَجْرَا
فذلّت وكان العز ملء رؤوسهـا — وقد أوطأتها التُركُ من بأسها جمرا
وولّت ولاذت بالجبــال تحصّنا — ولولا تخافُ القتلَ لاختارت الأَسْرا
وجافت رحابُ الأرض من قتلائها — ولكنها طابت لَنَـا شقها نشرا
ولمّــا أتى الفتّاح بالفتــح نحونا — شكرْنا الذى يستوجب الحمد والشكرا
فحمــدا لمن أعلى منار نبيّه — وشكرا لسُلطان أبادَ العدَى قسرًا
أجلِّ الملوك النّــاصر بن قلاون — وأبركهم وجْهًا وأرحبهم صَدْرا
لقد خلّف المنصورُ هديًا وهيبةً — ومَنْقبةً طُــولى ومنقبة بكسرا
فلا زالت الأقدار طــوع مُراده (٥) — ولا زال يَعلُو فوق هَام السُهَى قدرا (٦)

---

(١) « قد أرحم » فى التحفة الملوكية ، وهو تحريف .

(٢) « صازما » فى التحفة الملوكية .

(٣) « فلله » فى التحفة الملوكية .

(٤) « حمرى » فى التحفة الملوكية .

(٥) « ولازالت » فى التحفة الملوكية .

(٦) يوجد عشرون بيتا من هذه القصيدة فى التحفة الملوكية ص ١٧٠ـ١٧١ .

وقال الفقيه عبد الواحد التبريزى - الخطيب[(١)] بعجلون - قصيدة منها :

اللهُ أكبر : جاء النَّصْرُ والظفرُ ... والحمدُ لله ، هذا كنتُ أنتظرُ

وأبرزَ القــدرَ المحتومَ بارئُه ... سبحانه بيديه النفْــع والضَرَرُ

وهَوَّن الصعبَ بالفتح المبُين لكم ... رَبٌّ يهــونُ عليه المقفَل العَسِرُ

أين النجوم وتأثيرُ القِران وما ... تخرَّصوا فيه من إفكٍ وما زَجروا

قــد دبّر الله أمْرًا غـير أمرهم ... وخاب ما زَخرفوا فينا وما هجروا

[٣٠٤]

وأَقبَــل العسكرُ المنصورُ يَقْدُمه ... منَ الملائِك جُنــدٌ ليس تَنْحصرُ

كِنانةُ الله مصر جُندهـا ثبتت ... لا ريب فيه وجُنــدُ الله تنتصر

ثاروا سِراعًا إلى إدراك ثأرهم ... وهجّروا فى طلاب المجد وابتكروا

وأسهَروا أعينًا فى الله ما رقــدوا[(٢)] ... أكرِم بقوم إذا نام الورى سهروا

وأَوْجفوا نفرا بالخيــل مُلجمةً ... وبالركاب وما ملّوا ولا فــتروا

حتى أتوا جِلّقًا[(٣)] فى يوم ملحمــة ... فيه الأسود أسود الغاب تهتصر

والجــو أغبر والتتــار راجفــة ... مثل الجراد على الدنيا قد انتشروا[(٤)]

حتّى إذا عبَّ مثل البحر جحفلنا ... ومدّ قبضًا على أعــدائنا جُزِرُوا

لاذوا بشمّ شماريــخ الجبال فما ... حتهــم قُلَلٌ منهـا ولا مَفــرُ[(٥)]

وُمزِّقوا شذرا بين الزحام فكمْ ... شِــلْوٍ تنازعَ فيه الذئب والنمــرُ

(١) « القاضى جمال الدين أبو بكر قاضى عجلون » - فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٩٣.

(٢) « ما رقدت » - فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٩٤ .

(٣) جلق = دمشق . (٤) لم يرد هذا البيت فى كنز الدرر .

(٥) « ولا صور » فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٩٥ .

أين المفرُّ وقد حام الحِمَام بهم هيهات لا ملجأ يُرجى ولا وَزَرُ
جاءوا وقد حفروا من مكرهم قُلُبا ألقاهمُ اللهُ قسراً فى الذى حفروا
أتوا أُراة[(1)] وقد راموا النجاة فكم حلّت بهم عِبَرٌ فيها وما اعتبروا
جميعهم قُتلوا صبرا وقد جُعلت عظامهم[(2)] بنواحى جِلّق صُبَرُ
لم يُقبَرُوا فى نواويس ولا جُدُثٍ وإنما فى بُطون الوحش قد قُبِروا
والطيرُ تَرعى نهارا لحمهم فإذا ما الليل جَنّ ففى إلحافهم تكرُ
ملك أُعيدَ به عَصْر الشباب لكم مسترغدا صافيا واستوقف العمرُ[(3)]
إنا انرجُوه من بغداد يَنهلها بماء دجلة ريّا ثم تصطدرُ[(4)]
نؤمّها[(5)] وإمامُ المسلمين معا ثقوا بقولى فهذا منه مُنتظر
فدام للدّين والدُنيا يَسُوسُهما فكرٌ له[(6)] فيه سِرُّ الله مُستتر
وعُمْره الجمّ أعيادًا مُجدّدة وأشهرا[(7)] بعزيز النّصر تُشتهرُ

وقال الشيخ بدر الدين محمد[(8)] بن عمر البزار ، المعروف بالمنبجى ، الشاعر فى ذلك أيضا قصيدة :

(١) «أموا القراة» فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٩٦ .

(٢) «وأعظمهم جميعها» فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٩٦ .

(٣) جاءت هذه الشطرة «مستوردا صافيا واستوفى العمر» — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٩٩ .

(٤) جاءت هذه الشطرة «بماء دجلة يرويها لتصطدروا» — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٩٩ .

(٥) «يؤمها» فى كنز الدرر جـ ٩ ص ١٠٠ .

(٦) جاءت هذه الشطرة «فكن فيه له حرز ومستتر» — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ١٠٥ .

(٧) انظر كنز الدرر جـ ٩ ص ٩٢ — ١٠٠ حيث أورد ابن أيبك ١١٤ بيتا من هذه القصيدة .

(٨) توفى سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م — المنهل الصافى ، الوافى جـ ٤ ص ٢٨٦ رقم ١٨٠٦ .

وافى على قَـدْرٍ ما تختارُه القَـدَر (١) … وجاء عمّـا جَناه الدهرُ يعتـذر (٢)
وإن أساءت لياليـه التى سلفت … ظلما فقـد أحسنت أيامُه الأُخَرُ
وبعد إدراكك الثارات منتصرا … فكل ذَنْبٍ جنـاه قبل مغتفـرُ
بشـائرٌ طارَ بالإقبـال طائرُها … لمثلهـا كانت الآمالُ (٣) تنتظـرُ
فتـحٌ على جبهة الأيّام أسـعدُه … بالجَـدّ والسعد والتأييد مُستطِر (٤)
ما شاهـد الناسُ فتحا مثله أبدا … إلاّ فتُـوحا تولّى أمرَه (٥) عُمَـرُ
سارت بأخبارها الركبان واقعـة … لم تحوِ أمثالهـا الأخبارُ والسِـيَرُ

[٣٠٥]

وفى الليـالى إذا عُدّت محاسِـنها … السمّارُ (٦) فى كل نادٍ ذكرها سَمَـرِ
عم السرور بها كُل النفوس فمـا … للنـاس فى لذة من بعـدِها وطرُ
إن البُغـاة بنى خاقان (٧) أقدمهـم … على هلاكهم الطغيان والأشَـرُ (٨)
راموا وقد حشدوا غُلْبًا فما غلبوا … وحاولوا النصر تضليلا فما نُصروا
أتوا وقـد مكر الله الخبيرُ بهـم … فـردّ كُفارهم (٩) بالغيظ إذ مكروا

(١) « ما تختاره » فى التحفة الملوكية .
(٢) « معتذر » فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٩١ .
(٣) « الأيام » — فى كنز الدرر .
(٤) « منتظر » — فى كنز الدرر .
(٥) « أمرها » — فى كنز الدرر ، والتحفة الملوكية .
(٦) « أسمار » — فى كنز الدرر .
(٧) « بنى قاقان » فى التحفة الملوكية .
(٨) « والأسر » فى التحفة الملوكية .
(٩) « فرد طغيانهم » فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٩٢ .

وطبّقوا الأرض من سُهل ومن جبل كأنما هُم جراد فيـه منتشرُ
داسُو بلادك لا يثنى أعنّتهُم عن قَصدها جهلهم والتيهُ والبطرُ
غرتُهم فلتة فى الدهر عن غلطٍ منـه فحلّت بهم من بعـدها الغِيَر (١)
وأمّلوا أنّها مثـل التى ذهبت فغودروا ودماهم فى الفَـلا هَدَر (٢)
قابلتَهم بجيوش ما لهم قِبَـلٌ ببأسها فلقد قلّوا وإن كثروا
قاموا وأفئدتهم عن قصدهم بشبا البيض الرقاق فقد غابوا وإن حضروا (٣)
أفنيتَهم بليوث منـك باسلة وهل تُقاوم آساد الشرى الحمـرُ
فكم قتيلٍ لهم من بعـد صولته (٤) تحت السنابك أمسى وهو منعفرُ
عصابةٌ لم تزل بالحـق ظاهرةً فى الحَرْب بالله والأملاك تنتصر
من سيد الرسل بالتأييد قد وُعدت فالنصرُ يخدمها ما زال والظفـرُ
يا وقعة المرج مرج الصُفر افتخرتْ بك الوقائع فى الآفاق والعصُرُ
رفعت بالنصْر أعلام الهُدى ولقد جرّدتَ للشرك كَسرًا ليس ينجبرُ
يومُ تدارك جمـعُ المُسلمين به مَن لم يزَلْ فى يَديْه النفع والضررُ
يا مَن أوامره والله يعضُـدُه بها الليالى مع الأيام تأتمـرُ
لولا يُثبّتك الله العـزيزُ بعدة (٥) لم يبـق للدين لا سمعٌ ولا بصرُ (٦)

(١) « منها » — فى كنز الدرر.
(٢) « فعودرا » — فى كنز الدرر.
(٣) لم يرد هذا البيت فى كنز الدرر.
(٤) « له » — فى كنز الدرر.
(٥) « به » — فى كنز الدرر.
(٦) « للناس » — فى كنز الدرر.

قرّت به أعينُ الإسلام وابتهجت　　　به القلوبُ وكادت فيه تنفطرُ
نامت عيون الرعايا فى ذرى ملك　　　فى رعيهم طرْفُه عاداته السهر (١)
المخجل السيف (٢) عزْماً وهو منصلت　　　والمُرْعب الليث بأساً وهو مُنتصر
والثابت الجأش والإقدام فى دحض　　　فيه التثبت إلاّ عنده عسر (٣)
يا ناصَر الدين يا من حُسْن دولته　　　أمسَت على دول الماضين تفتخرُ
فأوقدت (٤) نيران حرب أصبحوا حطباً　　　للجمر منها لها شوكَ القنى شررُ
دارت عليهم رَحَى الحَرْب الزبون فما　　　لجمعهم بعدها عين ولا أثر (٥)
وضاقت الأرضُ مذ ولّوا بما رَحُبت　　　عليهم فهم بالخوف قد حُصِروا
وألبسوا الذُّلّ حتى أن أشجعهم　　　يأتى إليك بألف منهم نفر (٦)

[٣٠٦]

وأصبحوا بعد ذاك الكبر يحسُدُ　　　قتلاهُمُ من الذُّلّ والتقْريع من أُسِروا (٧)
وبعد قد أمنا من كل حادثة　　　فما لنائبةٍ منه نابٌ ولا ظفر (٨)

---

(١) لم يرد هذا البيت فى كنز الدرر .　　　(٢) « يا مخجل السيف » — فى كنز الدرر .

(٣) « إلا أنه عسر » — فى كنز الدرر .

(٤) « أوقدت » — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ٩٣ .

(٥) ورد هذا البيت فى كنز الدرر هكذا :

« دارت عليهم رحاه الموت فانهزموا　　　فما لهم بعدها عين ولا أثر »

(٦) « نفروا » — فى كنز الدرر .

(٧) لم يرد هذا البيت فى كنز الدرر .

(٨) ورد هذا البيت فى كنز الدرر هكذا :

« وبعدها قد أمنا كل حادثة　　　فما لنائبة ناب ولا ظفر » .

بالسيد[1] الناصر المنصور جحفله زهت برونقها[2] الآصال والبكر
هزت معاطفها الدنيا به فرحا وطاب[3] بالأمن فى أيامه العمر
أزال عنا مخافات النفوس فما يدور بالخوف أوهام ولا فكر
يا من به راقت الأوقات وابتسمت بعد العبوس فما فى صفوها كدر
لازال ملكك ملكا لا نفاذ له ما شق شقة جلباب الدجى سحر[4]

وقال الشيخ تقى الدين عبد الله بن تمام الحنبلى قصيدة طويلة، منها قوله :

كتر على ليالى بعدها وطر بشارة كنت أرجوها وأنتظر
هبت علينا بنصر الله هاتفة لم تروَ أخبارها الأخبار والسير
نتلو أحاديثها دأبا وندرسها كأنها بيننا الآيات والسور

وقال صاحب نزهة الناظر :

لمثل ذا اليوم كان الدهر ينتظر فليهنك اليوم هذا النصر والظفر
يا يوم شقحب لو عاش الألى سلفوا من الملوك لهذا اليوم ما ذكروا
لله درك والأعداء قد بسطت خيولهم سربا فى الأرض تنتشر
صدمتهم بخيول لو صدمت بها صرف الزمان اولى وهو منذعر
يأتوا بليل تمقوا أنه لهم ليل الضرير وصبح لهس ينتظر

(١) « السيد » — كنز الدرر .

(٢) « برونقه » — فى كنز الدرر .

(٣) « فطاب » — فى التحفة الملوكية .

(٤) انظر كنز الدرر ج ٩ ص ٩١ — ٩٣ حيث أورد ابن أيبك ٤٠ بيتا من هذه القصيدة ، كما أورده بيبرس الدوادار ١٦ بيتا من هذه القصيدة فى التحفة الملوكية ص ١٧١ — ١٧٣ .

وجاوزوا النهر خوضاً من دمائهم محمراً وصفاه منهم كدر
ولوا ظهورهم والسيف حاكمها كأنهم حمر استنفروا نفروا
وأصبح الدين منصوراً بناصره والكفر يخذل والإسلام منتصر
وشتت الله شملاً كان مجتمعاً وضرب الله أرقاب الألى كفروا
فإن تكن زلة للدهر واحدة فقد أتاك « ... »[1] وهو يعتذر
فليهنك اليوم هذا الفتح يا ملكاً وافى لك الفتح ما وافى به عمر
وافت لغازان أخبار معنعنة فصدق الخبر لما عاين الخبر
وأصبح النوح تترى فى منازلهم بالحزن والويل والتعديد والفكر
كل يؤمل أن يأتى لصاحبه حتى يراه فلا عين ولا أثر

وأحسن ما قيل فى هذه الوقعة قصيدة شمس الدين الطيبى[2] ، وهى هذه :

برق الصوارم للأبصار[3] تختطف والنقع يحكى سحاباً بالدما تكف

[٣٠٧]

أحلا وأفلا وأعلا قيمة وسنا من ريق ثغر الغوانى حين يرتشف
وفى قدود القنى معنى شغفت به لا بالقدود التى قد زانها الهيف
ومن غدا بالخدود الحمر ذا كلف فإننى بخدود البيض لى كلف

---

(١) « ... ... » بياض فى الأصل .

(٢) هو : أحمد بن يعقوب بن إبراهيم بن أبى نصر الطيبى ، الشيخ الأديب شمس الدين ، أبو الفضل ، المتوفى سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م — المنهل الصافى جـ ٢ ص ٢٦٧ رقم ٣٤٦ .

كما ورد اسمه : أحمد بن يوسف بن يعقوب ، القاضى شمس الدين ، المعروف بالطيبى — انظر المنهل الصافى جـ ٢ ص ٢٨٠ رقم ٣٤٨ .

(٣) « والأبصار » فى تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٥١ .

ولامة الحرب فى عينى أحسن من لام العذار الذى فى الخد منعطف (١)
كلاهما زرد هذا يفيد وذا يردى فشأنهما فى الفعل مختلف
والخيل فى طلب الأوتار صاهلة ألذ لحنا من الأوتار تختلف (٢)
ما مجلس الشرب والأقداح دائرة كموقف الحرب والأبطال تزدلف
والعز من تحت ظل الرمح مقترن بالعز والذل يأباه الفتى الصلف
لا عيش إلا لفتيان إذا انتدبوا ثاروا وإن بذلوا (٣) فى غمة كشفوا
يقى بهم ملة الإسلام ناصرها كما يقى الدرة المكنونة الصدف
قاموا لقوة دين الله ما وهنوا لما أصابهم فيه ولا ضعفوا
وجاهدوا فى سبيل الله فانتصروا من بعد ظلم ومما ساءهم أنفوا
لما أتتهم جيوش الكفر يقدمهم رأس الضلال الذى فى عقله جنف
جاءوا وكل مقام ظل مضطربا منهم وكل مقام بات يرتجف
فشاهدوا علم الإسلام مرتفعا بالعدل فاستيقنوا أن ليس ينصرف
لاقاهم الفيلق الجرار فانكسروا خوف العوامل بالتأنيث فانصرفوا
يا مرج صفر بيضت الوجوه كما فعلت من قبل فالإسلام يؤتلف
أزهر روضك أزهى عند لفحته أم يانعات رءوس فيك تقتطف
غدران أرضك قد أضحت اواردها ممزوجة بدماء المغل تغترف
زلت على كتف المصرى أرجلهم فليس يدرون أنى يؤكل الكتف

(١) « ينعطف » فى تذكرة النبيه .

(٢) « تأتلف » فى تذكرة النبيه .

(٣) « وإن نهضوا » فى تذكرة النبيه .

آووا إلى جبل لو كان يعصمهم		من موج فوح المنايا حين يختطف
دارَتْ عليهم من الشُجْعان دائرةٌ		فما نجا سالمٌ منهم وقد زَحَفوا
ونكّسُوا منهم الأعلام فانهزموا		ونكصوهم على الأعْقاب فانتصفوا
ففى جماجمهم بيض الطلا ز بروا		وفى كلا كلهم سمر القنا قصفوا
فرّوا من السيف ملعونين حيث سروا		وقُتّلوا فى البرارى حيث ما ثقفوا
فما استقام لهم فى أعْوج ﺑﻬﺞ		ولا أجارَهم من مانع كنف
وملت الأرض قتلاهم بما قذفت		منهم وقد ضاق منها المُهمَه القذَفُ
والطيرُ والوَحُش قد عافت لحـ		ـومهم ففى مراح الضوارى منهم قَذَفُ

[٣٠٨]

ردوا[(1)] فكُلّ طريق نحو أرضهم		يدل جاهلها الأشلاءُ والجيفُ
وأدبروا فتولىّ قطعَ دابرهم		والحمد لله قومٌ للوفى ألفوا
ساقوهُم فسقوا شط الفُراة		وما وطمهم بعباب السيف فانجرفوا
وأصبحوا بعد لا عينٌ ولا إثر		غير القلاع عليها منهم شعف
يا برقُ بلغ إلى غازان قصتهم		وصْف فقصتهم من فوق ما تصف
بشْر بهلكهم ملك العراق لكى		يُعطيك حلوانها حلوان والنجف
وإن يَسَلْ عنهمُ قل تركتهم		كالنحل صرعى فلا تمر ولا سعفُ
ما أنت كفؤ عروس الشام تخطبها		جهلا وأنتَ إليها الهائم الدنفُ
قد ماتَ قبلك آباءٌ بحسرتها		وكلهم مُغْرَمٌ مغرمٌ بها كلفُ
إنّ الذى فى جحيم النار مسكنهُ		لا يُستَباح له الجنانُ والغُرَفُ

(1) « فروا » فى درة الأسلاك ص ١٥٩ .

وإنْ تعودوا تَعُـــد أسيافُنا لكمُ ضربًا إذا قابلتها رضب الحجَفُ
ذُوقوا وَبَالَ تعـديكمُ وبغيكمُ فى أمركم ولكأس الخزى فارتشفوا
فالحمـــد لله مُعطى النصر ناصره وكاشف الضُّرحيث الحال منكشف (١)

ذكرُ ما اتّفق لقُطلوشاه ومن معه من التتار :

قد ذكرنا عند نزولهم من الجبل اتبعهم العسكر وجردوا خلفهم الأمراء وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وكذلك العرب قتلوا منهم ، ومات أكثرهم من العطش والجوع ، والذى سـلم منهم أو خرج قُتل فى الطـريق ، وقتلت أهل المدن والضياع منهم خلقا عظيما ، وما وصل قطلوشاه إلى الفرات إلا فى نفر يَسير ، ولم يعد الفرات سالما إلا مُولاى فإنه ما عدم له إلا نفر يسير من الذين انقطعوا منـه فإنه خرج أولا وذهب كما ذكرنا ، ولم يقابل العسكر ، وبلغ الخبر إلى غازان ، وإلى همدان ، ووقعت الضجات ، واستقبلهم أهل البلاد بالبكاء والعويل ، وخرجت أهل تبريز وغيرها ، وركبت النساء والخواتين لسماع أخبارهم ، لينظرن مَنْ قتل ومَن بقى ، ونظر الخلائق إلى عسكر مُبدّد ما بين ماش وراكب ، ومحمول ومجروح ، ونادب على ولده وعلى أخيه .

قال الراوى : وحكى لى من حضرهم من تجار تبريز أنه أقام مـدة شهرين لم يَسمع غير بكاء ونياحة وتعـديد بلسان المغـل ، ولمـا وُصف لقازان كيفيّـة انكسارهم ، وما جرى عليهم ، خرج من منخريه دم كثـير إلى أن كاد يقتله ،

---

(١) انظر أيضا تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٥١ — ٢٥٢ ؛ درة الأسلاك ص ١٥٩ حيث توجد أبيات أخرى من هذه القصيدة .

ودخل إلى خركاته (١)، ولم يجتمع بأحد من الأمراء، ولا من الخواتين إلى أن أخبروا له أن مُولاى وصـل ، وحكى له طرفا من أمره ، وأقام إلى أن وصل قطلوشاه وعسكره ، وملك مسامعه من البكاء والتعديد ، وخرجت نساء المغل وأهل العسكر لتلقى رجالهم وأولادهم فلم يجدوا من كل عشرة واحدا ، فركب الأُرْدُو عن بكرة أبيهم ، فهنّى بعضُهم باللقاء . وقيل لبعضهم : خلّفناه في ماردين أو غيرها . وقيل لبعضهم : [٣٠٩] جُرِح . وقيل لبعضهم : أُسِر ، ومثل هذا الكلام .

فلمـا علم غازان بذلك خرج وجلس على التخت (٢) ، وطلب أمراء التـوامين الذين كانوا قد تأخروا عنده ، والخواتين ، فأجلسهم على العادة ، ورسم بحضور قطلوشاه وجُوبان وسُـوتاى ، ومن كان معهـم من الأمراء ، وأوقفهم بين يديه مَوقف الذلّ ، وقال للحاجب : قـل لهم كيف خالفتم يسـق (٣) السلطان حتى كسرتم عسكره ؟ فقـالت الأمراء : نحن كنـا مع نائبـك ويَسَقك أن لا نخالفـه فيما يفعـله . فقـال لقطلوشاه : كيف خالفت يَسَـق ولاقيت الملك النـاصر صاحب مصر وعسكره . فردّ عليه الجـواب بمـا اتفق له من سـوقه خلف عسكر الشام وكيف أدركهم وكَسَرهم ، وأن سلطان مصر وصل في ذلك الوقت على غفلة منه ، فلم يقبل له عذرا ، ورسم أن يقيد بالكلاليب ، فقامت الأمراء والخواتين وشفعوا فيـه ، وقالوا له : إن له على الخان خدمةً كثيرةً ،

(١) خركاة : كلمة فارسية ، ويقصد بها هنا في المتن ، الخيمة الكبيرة أو المرادق — انظر المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية — ص ٤٤ .

(٢) التخت : كرسي المملكة الذى يجلس عليه الملك لإدارة المملكة انظر : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٣٢ — ١٣٣ .

(٣) اليسق : كلمة مغولية بمعـني القانون أو الأمر — انظر صبح الأعشى جـ ٤ ص ٣١٠ — ٣١١ .

وأنه اجتهد غاية الاجتهاد . ولكن أتاه الأمر بغير ما حسبه ، وما زالوا به وهم واقفون بين يديه ، والخواتين قد كشفن رءوسهن إلى أن عفى عنه ، ورسم أن يُوقفوه على بعد من بين يديه وهو ممسوك بين الحُجاب ، ويقوم كل مَن حضر بين يدى الخان فيخرج إليه ويتفل فى وجهه ، وهذه حدّ الإهانة عندهم للكبير إذا لم يقتلوه ، ثم رسم أن يخرج مع جماعته وعسكر آخر إلى كيلان ولا يُوريه وجهَه إلى أن يملكها ، وكان من أمره ما سنذكره إن شاء الله ، وطلب بعدها مُولاى ورماه وضربه تسع عصا وقال : كنت مُتّ معهم . وأهانه الإهانة البالغة .

وفيها . كان النيل أوفى على ستة عشر ذراعا ، وكان كسر الخليج خامس المحرّم .

وقال صاحب النزهة : الصحيح أن النيل غلّق ثمانية عشر ذراعا .

وفيها : حج بالناس سيف الدين برُلغى .

ذكر من تُوفى فيها من الأَعْيان

الشيخ الإمام شيخ الإسلام بقية المجتهدين قاضى القضاة تقى الدين محمد (١) بن الشيخ [ال (٢)] صالح بقية السلف مجد الدين أبى الحسن على بن وهب بن مطيع ابن أبى الطاعة القشيرى المصرى، المعروف بابن دقيق العيد.

ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة بساحل مدينة ينبع من أرض الحجاز، وتوفى يوم الجمعة الحادى عشر من صفر بِبُستان عند باب اللُوق، وصُلّى عليه تحت القلمة، وحضر جنازته: نائب السلطان، والأمراء، وأعيان الدولة، وخلق كثير من الناس، ودفن بالقرافة.

وكان أجل مَن بقى من علماء المسلمين علما وديانه وعملا، وكان من علماء الحديث، وكان إماما متقنا، متفننا، أصوليا، فقيها، أديبا، نحويا، شاعرا، ناثرا، مجتهدا، وافر العقل، كثير السكينة، تام الورع، شديد التدّين، مُديم السهر، مكبا على المطالعة والجمع، قَلَّ أن ترى العيون مثله.

وكان قد قهره الوسواس فى أمر المياه والنجاسات، وله فى ذلك حكايات عجيبة، وكان كثير التسرى والتمتع، وكان مهوسا بعلم الكيمياء، معتقدا صحتها،

---

(١) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، درة الأسلاك ص ١٦٢، الوافى جـ ٤ ص ١٩٣ رقم ١٨٤١، فوات الوفيات جـ ٣ ص ٤٤٢ رقم ٤٨٦، الدرر جـ ٤ ص ٢١٠ رقم ٤١٢٠، طبقات الشافعية جـ ٦ ص ٢، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٥، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٥٤، السلوك جـ ١ ص ٩٤٧ — ٩٤٨، الطالع السعيد ص ٥٦٧ رقم ٤٦٣، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٧، البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٢٩، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٠٦ — ٢٠٧.

(٢) إضافة تتفق والسياق — انظر مصادر الترجمة.

وكان له عدة أولاد بأسماء الصحابة العشرة، تفقه بأبيه وبالشيخ عزّ الدين بن عبد السلام وغيرهما، واشتهر اسمه فى حياة مشايخه، وتخرج به أئمة، وكان عارفا بمذهبي مالك والشافعى، كان مالكيا أولا، ثم صار شافعيا.

وقال [٣١٠] ابن كثير: سمع الحديث الكثير، ورحل وخرّج، وصنّف فيه إسنادا ومتنا بمصنفات[(١)] عديدة مفيدة فريدة: وانتهت إليه رئاسة العلم فى زمانه، وفاق جميع أقرانه، ودرس فى أماكن كبار كثيرة، ثم ولى قضاء مصر سنة خمس وتسعين وستمائة، ومشيخة دار الحديث الكاملية[(٢)].

وقال بيبرس: وكانت مدة ولايته ست سنين وسبعة أشهر وأياما.

وقال النويرى: وكان نشوه بمدينة قوص، وتفقه على أبيه، وعزل نفسه عن القضاء، وسُئل فى العَود: فامتنع، فألحّ عليه، فعاد، وهو الذى نقل خِلَع القضاة من الحرير إلى الصُوف، وكان يخلع على القضاة قبله الحرير الكنجى، وتولى بعده القضاء بدر الدين بن جماعة.

وقال صاحب النزهة: وصَلّى عليه السلطان وسائر الأمراء والأكابر. وهو آخر من ولى القضاء من المجتهدين الذين لم يُر فى دولة الترك مَن ولى منصب القضاء مثله.

قال: ويذكر له نكتة غريبة، وهى: أنه اتفق أن شخصا أحضر إليه فُتيا فكتب عليها، فلما فارقه تذكر أنه كتب فيها ما لا يجوز، فقلق لذلك قلقا عظيما ولم يحكم ذلك النهار. فلما كان بكرة اليوم الثانى حضر الرجل ومعه الفتوى، وسأل الشيخ أن يكتب له عليها بخط مُقَسّر وذكر أنه من حين خرج من عند

(١) من مصنفات صاحب الترجمة، انظر هدية العارفين ج ٢ ص ١٤٠.

(٢) ملخصا من البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٧.

الشيخ بالفتوى عرضها على النـاس ، فكل من أخذها لم يُحسن قـراءتها لكون حروفها مخبطة ولم يظهر منهـا شيء ولا حرف واحد . فأخذها فكتب عليها بمـا يجـــوز .

وروى عنــه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس شيئا كثيرا من لطافته وكرمه واحتمال نفسه ، ومن أشعاره الرائقة ، ومن ذلك قوله :

أُفكّر فى حالى وقُـــرب منيّتى وسَيْرى حثيثا فى مَصيرى إلى القبر
فيُنشِيء لى فكرى سحائبَ للأسَى تَسِحّ هموماً دونها وابلُ القطـر
إلى الله أشكو من وجودى فإننى تعبتُ به مُذ كنتُ فى مَبْدءِ العمُر
تروح وتغـــدو للمنايا فجائعٌ تكدّره والمـوتُ خاتمةُ الأمرْ

وله :

سحابَ فكرى لا يزال هامياً وليـــلُ همىّ لا أراه راحلا
قـــد أتعبتنى فكرتى وهمـــتى (١) فليتـــنى كنتُ مهيناً جاهـــلا (٢)

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن نباتة ، أنشدنى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد لنفسه :

أتعبتَ نفسك بين ذلّة كادح طلب الحياة وبين حرص مؤمل
وأضعتَ عُمرك لاخلاعة ما جنٍ حصلت فيـــه ولا وقار مبجّل
وتركتَ حظ النفس فى الدنيـا وفى الأخرى ورحت عن الجميع بمعزل

---

(١) « همتى وفطنتى » فى النجوم الزاهرة ، الوافى .

(٢) انظر النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٠٧ .

وله دُوبيت :

الجسمُ تذَيبُـه حقوقُ الخدْمة والقلبُ عـذابُه[1] علو الهمّة
والعمُر بذاك ينقضى فى تعب والراحة ماتت فعليهـا الرحمة

ومن العجب أن هذين البيتين حفظهما الشيخ تاج الدين أحمـد أخو الشيخ تق الدين ، فاتفق له أنه قال : بينا أنا وقت الهاجرة بمسجد الجوارى بالحُسَيْنية، إذ غلبتنى عيناى فنمت و رأيت والدى الشيخ مجـد الدين ، فسلم علىّ وسألنى عن حالى فقلتُ ياسيدى بخير . فقال : كيف محمد أخـوك ؟ [٣١١] — يعنى الشيخ تقى الدين — فقلت : بخـير ، الساعة كنتُ عنده وأنشدنى دوبيت ، وأنشدته البيتين المذكورين . فقال : سلم عليه وقل :

الروُح إلى محلّها قـد تاقَتْ والنفسُ لها مع جسمها قد عاقت
والقلبُ معـذّب على جمعهـم والصبرُ فضى وحيلتى قد ضاقت

فانتبه تاج الدين ، وقد حفظ الدوبيت المذكور .

وله أيضا :

يا مُعرضا عنى ولست بمعـرض[2] يا ناقضًا عهدى ولست بناقِضِ[3]
أتعبْتَنى بخـلائق لك لم تفـد[4] فيها وقد جمحت — رياضة رائض
أرضيتَ أن تختارَ رفضى مذهبا فيشيعُ[5] للأعداء أنك رافضى

(١) « والنفس هلاكها » — فى الوافى .

(٢) ، (٣) « وليس » — فى فوات الوفيات .

(٤) « لم يفد » فى الوافى ، وفوات الوفيات .

(٥) « فتشنع » فى الطالع السعيد ، و « فيشنع » فى الوافى .

وقال شهاب الدين بن الكُويك التاجر الكارمى : اجتمعت به مرة فرأيته فى ضرورة شديدة . فقلت له : ياسيدى ما تكتب ورقة لصاحب اليمن وأنا أقضى فيها الشغل . فكتب ورقة لطيفة فيها :

تجادل أربابُ الفَضائل إذ رأوا بضاعتَهم موكُوسة الحَظّ فى الثَمَنْ
وقالوا[1] عرضناها فلم نُلف طالبا ولا مَن له فى مثلها نظرٌ حسَنْ
ولم يبق إلاّ رفضها وإطراحُها فقلت لهم لاتعجلوا السوق باليَمَنْ

وأرسلها إليه . فأرسل له مائتى دينار ، واستمرّ يرسلها له فى كل سنة إلى أن مات صاحب اليمن ، رحمه الله .

الشيخ برهان الدين إبراهيم[2] بن فلاح بن محمد بن حاتم السكندرى .

سمع الكثير وتفقه ، ودرس بالقوصية ، وأعاد وأفتى ، وناب فى الخطابة مدة ، وفى الحكم عن ابن جماعة ، وكان دينا فاضلا ، ولد سنة ست وثلاثين وستمائة ، ومات يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شوال ، عن خمس وستين سنة ، ودفن بالقرب من الصَنْدلاوى بباب الصغير .

الشيخ المحدث شرف الدين[3] عمر بن محمد بن عمر بن الحسن بن خواجا إمام الفارسىّ ، شيخ الحديث بدار الحديث الظاهرية .

مات بها وقدناهز التسعين سنة ، ودفن عند مسجد القدم ، وكان قد أوصى به ، وأوصى أيضا أن يشترى بخمسمائة درهم حلاوة صابونية وتفرق على قبره بعد

(١) « فقالوا » فى الطالع السعيد .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : الدرر ج ١ ص ٥٤ رقم ١٣٨ ، البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٧ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : الدرر ج ٣ ص ٢٦٦ رقم ٣٠٧٤ .

دفنه على من يشيع جنازته ، ففعلوا ذلك ، فأكل الناس وترحموا عليه ، وكان مشكور السيرة ، حسن المخالطة .

الشيخ محيى الدين عثمان[(١)] بن الشيخ أحمد بن عثمان ابن إمام الكلاّسة ، إمام مشهد عروة .

مات فى هذه السنة فى عاشر شوال[(٢)] ، ودفن بقاسيون ، وكان من القراء الصيّتين .

الشيخ الإمام شمس الدين محمد[(٣)] بن إبراهيم بن يحيى الصنهاجى ، إمام المالكية بجامع دمشق .

مات بالمارستان النورى ودفن بباب الصغير ، وكان فقيها فاضلا من أهل العلم والصلاح ، وتولى مكانه أبو الوليد بن الحاج الإشبيلى .

الصدر الكبير العالم الفاضل كمال الدين أبو العباس أحمد[(٤)] بن أبى الفتح محمود ابن أبى الوحش أسد بن سلامة بن سلمان بن فُتيان الشَّيْبانى ، المعروف بابن العطار ، كاتب الدرج الشريف منذ أربعين سنة .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٣ ص ٤٩ رقم ٢٥٦٧ .

(٢) « مات فى شعبان » — فى الدرر .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٣ ص ٣٨٦ رقم ٣٣٢٠ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٢ ص ٢١٠ رقم ٣١٠ ، درة الأسلاك ص ١٦٣ ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٣٠ ق أورقة ٦٦ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ٢٥ رقم ٣٦ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٧ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٥٦ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٠٣ ، الوافى جـ ٨ ص ١٩٧ رقم ٣٥٩٠ .

مات بباب البريد ، وحمل إلى قاسيون فدفن فى تربة له فى نواحى الكهف ، وكان فيه تلاوة قرآن ، وذكر ، وملازمة للصلوات مع الجماعة . واقتنى كتبا كثيرة جليلة ، [٣١٢] وله ترسّل ونظم ، فمن نظمه :

قل يانسيم فإن رجعت مخبرا		برضاهم ومبشرا بقبول
فلك الهناء لأمنحنك رقتى		ولأخلعنّ عليك ثوب نحول

الأمير فارس الدين ألبكى(١) الساقى المنصورى نائب حمص .

كان أميرا كبيرا مقدما . مات فى هذه السنة يوم الثلاثاء الثامن من ذى القعدة ، وهو الذى توجه إلى قازان ملك التتار وعاد إلى الشام . وولى مكانه عز الدين أيبك(٢) الحموى ، وكان نائبا بصرخد ، فنقل إلى حمص ، كذا قال النُويرى .

وقال بيبرس : تولى عوضه الأمير بلبان(٣) الجوكندار المنصورى ، وكان نائبا بقلعة دمشق .

الأمير شمس الدين سنقر العيلتابى . توفى فى هذه السنة بدمشق ، وكان من أمرائها .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ٣٧ رقم ٥٢٤ ، الوافى جـ ٩ ص ٣٥١ رقم ٤٢٨٠ ، الدرر جـ ١ ص ٤٣٢ رقم ١٠٤٠ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٠٤ .

(٢) توفى سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ١٣٢ رقم ٥٧٦ .

(٣) توفى سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ٤٢٠ رقم ٦٩٧ .
ويبدو مما ورد فى المنهل أن كلا من أيبك الحموى ، وبلبان الجوكندار تولى نيابة حمص ، فقد وليها — بعد وفاة كتبغا — أيبك الحموى ، ثم وليها بلبان بعد وفاة أيبك — المنهل الصافى جـ ٣ ص ١٣٢ ، ص ٤٢١ ، وانظر أيضا السلوك جـ ١ ص ٩٤٩ .

الأمير سيف الدين بكش رأس النوبة الجمدارية ، توفى فى هذه السنة .

الأمير ناصر الدين بن باشقرد (١) [الناصرى الأيوبى] (٢) .

تقنطر به فرسه فى سوق الخيل ، فوقع ميتا ، ودفن بجبل قاسيون عند والده . وكان شابا حسنا جميلا .

الأمير حسام الدين (٣) الأستادار ، استشهد فى الوقعة المذكورة وكان يعرف بالرومى .

وكان مملوك السلطان الملك المنصور قلاون ، اشتراه من تاجر ، وذكر أنه رومى ولقبه بلاجين ، وكبّره عنده ، وترقى إلى أن عمله أستاذالدار ، وحكى عنه أنه قال : ما أنا من الروم ، وإنما جنسى وبيتى (٤) من التركمان ؛ وكان أبى وأمى مُسلمين ، وكان اسمى خليلا واتفق أن زُوقنا كبست وأُغير عليها ، فأسر كل من فيها ، وباعونى فى بلاد الروم ، ثم اشترانى تاجر وجابنى إلى مصر ، وكان له تلاوة وسماع حديث .

الأمير أوليا بن قرمان (٥) ، وقد ذكرناه من المستشهدين فى الوقعة المذكورة .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ١٦٣ ، الدرر جـ ٢ ص ٣ رقم ١٢٦٨ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٥٦ .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح من تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٥٦ .

(٣) هو لاجين الرومى ، الأمير حسام الدين . وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٣ ص ٣٥٧ رقم ٣٢٢٤ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٠٦ .

(٤) هكذا بالأصل . ولعله اسم القرية التى كان يعيش بها .

(٥) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ١ ص ٤٤٨ رقم ١٠٩١ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٠٥ .

وكان قد وفد إلى مصر فى الدولة الظاهرية، وكان يقال ابن قرمان ، ولم يكن كذلك وإنما كان ابن أخت قرمان .

الأمير عز الدين أيدمر الرفا ، ذكرناه فى المستشهدين .

وكان من الأمراء المنصورية المشهورين بالفروسية والشجاعة ، وحكى من أكابر مماليكه أنه أخذه التركمان . ثم وصل إلى بيت الملك الناصر صاحب حماة .

الأمير عز الدين أيدمر[1] الفشاش[2] . قد ذكرناه فى المستشهدين أيضا .

وكان له تقدم وسمعة فى الولايات ، وحرمة كبيرة ، وآخر ولايته ولاية الغربية ، وأضيفت له ولاية الشرقية ، وكان يتحدث فى الإقليمين ، وكانت له اختراعات فى الأعمال من جملتها : كان يضرب فى الأرض خوازيق ويضع على علوها صارى ببكرة ، فإذا علق عليه أحد من المفسدين يجذبونه[3] إلى فوق جدا ، ثم يرخونه إلى أن يقع على خازوق من تلك الخوازيق ، فيخرج من جسده حيث يقع منه ، وكانت له مهابة فى النفوس ولم يجسر أحد فى أيام ولايته أن يلبس مئزرا أسودا ، ولا يتقلد بسيف ، ولا يحمل عصىً ، ولا يركب فرسا . ورُئى فى المنام بعد موته راكبا حصانا أشهب . وعليه عدة الحرب ، وبيده رمحه ، وعليه مهابة عظيمة ، فقيل له : بم نلت هذه ؟ فقال : غفر الله لى بعمارتى جسر السقفى ،

(١) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ١ ص ٤٠٧ رقم ١١٢٥ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٠٥ .

(٢) « الخشاش » — فى الدرر .

(٣) « يجيدونه » فى الأصل .

وهو جسر كان أنشأه بين ملفة صَنَدْفا وبين أرض سمّنود . وكان فى آخر عمره عرض له وجع المفاصل ، فدخل على الأمراء أن يعفوه عن الولايات ، فأُعفى وأقام فى بيته إلى أن خرج السلطان إلى لقاء العدو ، فتجهّز للسفر . فقيل له : إنك ما تحمل على الركوب على الخيل ، فلم يسمع كلامهم [٣١٣] ومازال راكب المحَفة إلى أن قامت الحرب، فركب فرسه وهو فى غاية ما يكون من الألم ورجلاه متورمتان . فقيل له : أنت ترمى نفسك للموت . فقال . ويلكم لمثل هذا اليوم كنت انتظر، وإلا كيف يخلّص القشاش نفسه من ربة . فرفص فرسَه وحمل عليهم ورمحه فى يده . ووصل إلى صدر العدو وكأنه ليس به ألم ، فلم يزل يقُاتل حتى قتل ، ووجد فيه نحو من ست جراحات ، رحمه الله .

الشيخ نجم الدين أيوب(١) الكردى ، قتل فى هذه الوقعة .

وكان قد ورد من البلاد فى سنة سبع وثمانين وستمائة ، ومعه جماعة من الأكراد ، وأقام بدمشق مدة سنتين، ونال من أمرائها حظا كبيرا . وظهرت له أمور من المكاشفات والصلاحية . وكان لايدخل إليه أمير إلاّ ويطالبه بالهدية، ولابد أن يحمل له شيئا من الدنيا، واتبعوا أمره فى ما يأخذه ، فوجدوه يتصدق به ولا يدخره . ثم رحل إلى مصر ويوم عبوره حصلت له معرفة مع ابن قرمان المذكور . فأخذه إلى بيته . ثم بنى له زاوية بجوار بيته . وأقام فيها إلى أن خرج السلطان للقاء العدو، فخرج معهم . ولما التقوا بالعدو كان راكبا بآلة الحرب، واقفا إلى جانب ابن قرمان ، فقُتل معه ، ثم دفنا جملة واحدة ،

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ١ ص ٤٦٤ رقم ١١٤٥ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٠٦ .

الأمير عثمان بن يغمراسن بن عبد الواد صاحب تلمسان .

توفى فى هذه السنة على فراشه . وجلس بعده ولده محمد بن عثمان بن يغمراس .

قال بيبرس فى تاريخه : وقد أمضهم الحصار وعمهم الجهد . فأقام أربع سنين والمحاصرة مستمرة والمضايقة متضاعفة، وعدمت الأقوات وغلت الأسعار، فبلغ الحمل من الملح إلى مائة دينار، والحمل من القمح إلى ستين دينارا كبارا، ولحم الفرس الواحد إلى مائة دينار، والشاة إلى عشرة دنانير، والثور إلى ستين دينارا . والدجاجة إلى ثلاثة دنانير . وورد على المحاصرين خبر من بلاد العدو فأوجب رحيلهم .

الملك العادل زين الدين كتبغا[1] . توفى بحماة نائبا عليها بعد صرخد كما ذكرناه .

وكانت وفاته يوم عيد الأضحى ونقل إلى تربته بسفح قاسيون غربى الرباط الناصرى، وله عليها أوقاف داره على وظائف قراءات وغيرها، وكان من كبار المنصورية، وقد تملك بعد مقتل الأشرف خليل بن المنصور قلاون، ثم عزله عنها لاجين وحوله إلى صرخد، فكان بها حتى قتل لاجين وعاد الملك إلى الملك الناصر محمد بن قلاون فاستنيب بحماة، وكانت وفاته بها .

وكان من خيار الملوك وأعدلهم، وأكثرهم برا .

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ١٦٢ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ١٣١ رقم ٢٠٨ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٥٥ — ٧٠ ، ص ٢٠٦ ، الدرر جـ ٣ ص ٣٤٨ رقم ٣٣٠١ ، السلوك جـ ١ ص ٦ ٨ ، ٩٤٧ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٥٤ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٧ .

ورتب بحماة عوضه الأمير قفجق ، فتوجه إليها وولى النيابة فيها ، وكان نائبا بالشوبك .

وقد تقدم فى ترجمته أنه أُخذ فى نوبة حمص هو وبيدرا عقيب كسرة المغل على عين جالوت ، وحكى أنه لما فتح هلاون الشام أحضر منجما حاذقا يقال له : نصير الطوسى ، فقال : أبصر من يملك مصر من مقدمى عسكرى فقد قيل إنى لا أملكها . فنظر فلم يجد من الأسماء من يملكها إلا كتبغا ، وكان صهر هلاون يسمى كتبغا نُوين ، فظنه هلاون إياه ، فأنفذه على العسكر الذى خذله الله على عين جالوت على يد الملك المظفر قطز ، وكان بين ذلك وبين ملك كتبغا هذا مصر خمسة وثلاثين سنة ، وملك صاحب هذا الاسم لكنه ليس من أصحاب هلاون . والذى اتفق لهذا ما اتفق لأحد من الملوك فى دولة الترك ، فإنه خرج من السلطنة إلى نيابة بلد [٣١٤] ، ثم حضر إلى مصر وجلس مع الأمراء ، وصار يُرقل على ما يكتبه نائب السلطان ، ويمشى فى خدمته ، ويخاطب بالأمير ، وهذا لم يتفق لأحد أصلا والله أعلم .

فصل فيما وقع من الحوادث
في السنة الثالثة بعد السبعمائة (*)

استهلت هذه السنة ، وخليفة الوقت : المستكفى بالله بن الحاكم العباسي .

وسلطان البلاد : الملك الناصر محمد بن قلاون ، ونائبه بمصر الأمير سلار ، وقاضى الشافعية بدر الدين بن جماعة ، ونائب الشام جمال الدين أقوش الأفرم ، وقاضى الشافعية بدمشق نجم الدين بن الصصرى .

ذكر المدرسة الناصرية التى بين القصرين :

قال ابن كثير (١) : وفي هذه السنة كمل عمارة المدرسة الناصرية (٢) ببين القصرين . وكان الملك العادل زين الدين كتبغا قد شرع فى عمارتها وابتدأ فى إنشائها ، فلم تطل مدته لتمام بنائها ، فعند عود الملك الناصر إلى مملكته ثانيا أمر بتكميلها ، ورسم بترتيبها ، ورتب الدروس على المذاهب الأربع ، فللحنفية شمس الدين السروجى (٣) ، وللمالكية زين الدين على (٤) ، وللحنابلة شرف الدين عبد الغنى (٥) الحرانى ،

(*) يوافق أولها يوم الخميس ١٥ أغسطس ١٣٠٣ م .

(١) لم يرد الخبر التالى فى المطبوع من البداية والنهاية الذى بين أيدينا .

(٢) المدرسة الناصرية بالقاهرة : بجوار القبة المنصورية من الجهة البحرية — المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢٨٢ .

(٣) هو : أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى ، شمس الدين السروجى ، المتوفى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م — المنهل الصافى جـ ١ ص ٢٠١ رقم ١٠٢ .

(٤) هو : على بن مخلوف بن ناهض ، المالكى ، قاضى قضاة مصر ، المتوفى سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م — المنهل الصافى .

(٥) هو : عبد الغنى بن يحيى بن محمد ، قاضى القضاة شرف الدين أبو محمد الحرانى ، الحنبلى ، المتوفى سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م — المنهل الصافى .

وللشافعية الشيخ الفاضل صدر الدين محمد[1] بن المرحل المعروف بابن الوكيل ، ونقل الملك الناصر والدته من التربة المجاورة لمشهد السيدة نفيسة إلى قبة المدرسة المذكورة ، ودفنت بها ، وعيّن لها أوقافا جارية[2] .

وفى النزهة : وكانت هذه المدرسة دارًا تعرف بدار الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى ، ولما تسلطن الأمير زين الدين كتبغا وتلقب بالملك العادل اختار أن يجعل له مدرسة ومكانا يدفن فيه ، فسعى له جماعة ودلّوه على هذا المكان لأنه مجاور لمدرسة[3] السلطان قلاون أستاذه ، وفى وسط المدارس ، ففرح بذلك واشتراه من ورثته ، وشرع فى عمارته ، وجاب إليه سائر الصناع ، وعمل لها بابا عجيبا ، وهو رخام أبيض قطعة واحدة ، وكذلك واجهة الباب وأعتابه[4] ، وأصل ذلك أن الملك الأشرف خليل بن قلاون لما أخذ حصن عكا[5] وجد فيها بناء عظيما من أيام السنين من العمائر العجيبة جدا[6] ، وكان هذا الباب فى هذا البناء ، وكان الأشرف قد رتب علم الدين الدوادار الصالحى على تخريب سور عكا وسور

---

(١) هو « محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد ، صدر الدين بن المرحل ، ويعرف أيضا بابن الوكيل ، المتوفى سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م » — المنهل الصافى .

(٢) انظر المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٨٢ .

(٣) « المدرسة » فى الأصل .

(٤) عتب الباب : هو الحجر الذى يعلو الباب أو الذى يوطأ — المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية ص ٨٠ .

(٥) فى سابع عشر جمادى الأولى سنة ٦٩٠ هـ — انظر ما سبق بالجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٥٨ وما بعدها .

(٦) « أقام الأمير علم الدين سنجر الشجاعى لهدم أسوارها وتخريب كنائسها فوجد هذه البوابة على باب كنيسة من كنائس عكا ، وهى من رخام قواعدها وأعضادها وعمدها كل ذلك متصل بعضه ببعض ، فحمل الجميع إلى القاهرة » — المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٨٢ ، وانظر ما سبق بالجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٦٣ .

عثليث وغيرهما من القلاع التى فتحها الله على يديه ، ولما سمع الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بهذا الباب أرسل إلى الأمير علم الدين المذكور وطلب منه هذا الباب ، وسأله أن يحمله إلى مصر ، ويكون ذلك إحسانا منه إليه ، ولما انتهى شغل الأمير علم الدين حمل هـذا الباب إلى مصر ، وقدمه له ، وكان عند بَيْدرا إلى أن جرى عليـه ما جرى فى قضية الأشرف ، وقُتل كلاهما وتسلطن كتبغا ، وشرع فى عمل هذه المدرسة ، فأخبره من كان يعرف هـذا الباب أنه عند ورثة بيدرا وأنه معدوم المثل ، فسأل كتبغا ورثة بيدرا عن ذلك . فأحضروه إليه وأمر بوضعه بابا للمدرسة ، ولما اتفق لكتبغا ما اتفق ، وقدم [الناصر محمد](١) إلى مصر اشتراها القاضى زين الدين المالكى بطريق الوكالة عن السلطان الناصر ، وشرع فى استكمال عمارتها [٣١٥] ، وشرع فى شراء أملاك ليوقفها عليها : فمن جملتها قيسارية أمير على بالشرابشيين . والربع المعروف بالدهشة(٢) ، وحوانيت بباب الزهومة ، والحمام المعروف بالصخرية بجوار السيفية ، ودار والدة السلطان قلاون ، والحمامان اللذان تعرفان بالشيخ خضر ، وخان الطعم بظاهر دمشق(٣) .

ذكر الإفراج عن الشريفين أسد الدين رُمَيثة وعز الدين حَميضة ولدى الشريف نجم الدين بن نُمَى :

ولما اتفق وصول الأمير سيف الدين بُرلغى الأشرفى من الحجاز الشريف ،

(١) [ ] إضافة للتوضيح .

(٢) الدهشة أو الدهيشة — النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٠ .

(٣) انظر ملخص كتاب الوقف الخاص بالمدرسة الناصرية فى نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٣٠ ورقة ٣٤١ ب وما بعدها ، والمنشور بالملحق رقم ١٧ بالجزء الأول من كتاب السلوك ص ١٠٤٠ — ١٠٥٠ .

أخبر عن أميرى مكة أبى الغيث وأخيه عُطيفة بأنهما عاجزان وليست لهما حرمة، وأن عبيدهما يشوشون على الحاج وأن الحال تقطع من مكة، اتفق رأى الأمراء بين يدى السلطان على إخراج الشريفين رميثة وحميضة من الاعتقال فى الإسكندرية، وكان قد سبق سؤالهما فى الإفراج عند حضور الأمراء والسلطان من الغزاة، وأن يقيما بمصر فى خدمة السلطان، ولما ذكر سيف الدين براغى ما ذكره أمر السلطان بإخراجهما، وسيّروا أمير جندار إليهما، فأحضرهما، ولما قدما اقتضى رأى الأمير بيبرس والأمير سلار أن يخلع عليهما وأن يلبسا الكلوتات الزركش، فامتنع حُميضة من ذلك، وقالوا له: متى خالفت ذلك رجعت إلى السجن، فعند ذلك لبس، وأجلسوهما فوق الأمراء اشرف نسبهما، ثم أرسل إليهما سائر الأمراء ما يحتاجان إليه من سائر الأشياء، وخصوصا — أحسن إليهما غاية الإحسان — سلار و بيبرس، وكانا يركبان مع السلطان فى الميدان، وألزموا حميضة أن يلعب الأكرة مع السلطان والأمراء تلعب، واتصل بهم اتصالا حسنا.

وقال بيبرس فى تاريخه: وأُنعم عليهما وأعيدا إلى منصبهما، وعُزل أخواهما عُطيفة وأبو الغيث، وسيّر صحبتهما الأمير عز الدين أيدمر الكُوندكى، فرتبهما فى الإمرة[(١)].

ذكر تجريد العساكر إلى سيس:

قال ابن كثير: وفى هذه السنة أمر السلطان بتجريد العساكر إلى سيس، وسبقه أن طائفة من العسكر الحلبى دخلت بلاد الأرمن غارة، فكبستهم التتار

(١) انظر غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام جـ٢ صفحات: ٥٤ — ٥٥، ٨٠ — ٨١، ١١٢، التحفة الملوكية ص ١٧٤.

ببلاد سيس وسلموا ، بجرد السلطان الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى ومعه عدة من العسكر المصرى ثلاثة آلاف ، فتوجهوا إلى دمشق ، ووصلوها ثانى عشر رمضان[(١)] ، وأضيف إليهم ألفان من دمشق صحبة الأمير بهادر آص ، وساروا ، فأخذوا معهم نائب حمص الأمير بلبان الجوكندار ، ووصلوا إلى حماة ، فصحبهم الأمير قفجق نائب حماة ، وجاء إليهم الأمير أسندمر[(٢)] نائب طرابلس ، وانضاف إليهم الأمير قراسنقر[(٣)] نائب حلب ، وانفصلوا كلهم عنها ، فافترقوا فرقتين : فرقة سارت صحبة قفجق إلى ناحية ملطية وقلعة الروم ، والفرقة الأخرى صحبة قراسنقر ودخلوا الدربندات[(٤)] ، وحاصروا تلّ حمدون ، فتسلموه عنوةً فى الثالث عشر من[(٥)] ذى القعدة ، بعد حصار طويل ، ووقع الاتفاق مع صاحب سيس على أن تكون للمسلمين من نهر جهان إلى حلب ، وللأرمن من النهر إلى ناحيتهم ، وأن يعجلوا حمل سنتين ، ووقعت الهدنة على ذلك بعد [٣١٦] ما قتل خلق كثير من أمراء الأرمن ورؤسائهم[(٦)] .

---

(١) يذكر ابن أيبك أن الخروج من مصر كان فى « العشرين من شهر رمضان المعظم » — كنز الدرر جـ ٩ ص ١١٠ .

(٢) هو « أسندمر بن عبد الله الكرجى ، نائب طرابلس ، ثم حلب » ، والمتوفى سنة ٧١١ هـ / ١٣١١ م — المنهل الصافى جـ ٢ ص ٤٤٣ رقم ٤٦٥ .

(٣) هو « قراسنقر بن عبد الله المنصورى » المتوفى سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م — المنهل الصافى .

(٤) الدربند ـ الدربندات : لفظ فارسى من معانيه : المضايق والطرقات ، والمعابر الضيقة — Dozy .

(٥) « ثالث وعشرين » — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ١١١ .

« فى ثالث ذى القعدة » — فى البداية والنهاية .

(٦) ورد هذا الخبر ملخصا فى المطبوع من البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٨ — ٢٩ .

وقال النُويرى : وتأخر بدر الدين بكتاش[1] فى حلب عن هـذه الغزوة لمرض عرض له . وإن تلّ حمدون لمـا فتحوها كان بها جماعة من نُواب القلاع المجاورة لهـا لقبض مال ، فلما أطلقهم المسلمون وصـل رسول صاحب سيس يقول : إن هؤلاء الذين بتّل حمدون هم ملوك القلاع ، وكلما أردت بذل الطاعة وإرسال الحمـول للسلطان خالفونى وعصونى ، فإن أنتم مسكتموهم سـلموا إليكم القلاع والأموال . فأرسل الأمراء مَن أدركهم قبل وصولهم الى مأمنهم وكانوا ثمـانية[2] ، فقتلوهم[3] إلا واحدا اسمه السَرْماق صاحب قلعة نُجمية ، فإنه لمـا شاهد الموت أسلم وقال : أنا لى أخ فى خدمة السلطان الملك الناصر ، وأنا أُسلّم قلاعى إلى السلطان ، والتزم له فتـح سيس بألفى فرس ، فعادت العساكر إلى مصر ووصلوها فى المحرم سنة أربع وسبعمائة .

وقال صاحب النزهة : ولمـا تأخر بدر الدين أمير سلاح فى حلب لمرض عاقه عن الذهاب مع العسكر أرسل طُلْبه صحبة ولده ، ودخلت العساكر إلى بلاد سيس وأخربوا الضياع ، وأحرقوا جميـع المزارع ، وأسروا أهلها ؛ وبلغهم أن قلعـة تلّ حمدون قـد تجمع فيها جماعة كثيرة من الأرمن ، فـنزلوا عليها وأقاموا أياما فى حصارها إلى أن فتح الله عز وجل وتسلموها بالأمان ، وكان فيها ثمـانية من ملوك الأرمن أصحاب القلاع ، وكانوا قـد أتوها على سبيل زيارة كنيسة فيها ، فبلغهم وصول العسكر ، فخافوا النزول منها واستأمنوا ، فأعطاهم الأمراء أمانا وأمهلوهم يومين ، فبلغ ذلك صاحب سيس ، فصعب عليـه ذلك لكون مثل هذا الحصن

(١) « بغزة » — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ١١٠ .

(٢) « ستة ملوك » فى السلوك جـ ١ ص ٩٤٩ .

(٣) « فضربت رقاب الملوك الخمسة » فى السلوك جـ ١ ص ٩٤٩ .

يخرج من يده بمكيدة فعلها الأرمن ، فأرسل قاصده إلى نائب حلب ، وجرى ما ذكرناه آنفا .

ذكرُ وفود جَنكلى بن البابا أحد مقدمي التتار إلى السلطان :

قال ابن كثير: وفي هذه السنة ورد إلى الأبواب الشريفة الأمير سيف الدين جنكلى بن شمس الدين[1] المعروف بابن البابا ، أحد مُقدّمي التتار ومعه حريمه والزامه عدتهم أحد عشر نفرا[2] منهم أخوه نيروز ، فأقبل عليه السلطان وأمّره طبلخاناة ، ثم نقله إلى أمير مائة ، وكان مقام المذكور ببلاد آمد ، وكان يُكاتب السلطان بالنصيحة ، فلهذا عظم شأنه[3] .

قال صاحب النُزهة : وفيها ورد مملوك نائب حلب وعرف السلطان أن جنكلى ابن البابا نائب رأس العين سيّر إليه وكاتبه في الدخول إلى مصر ، فكتب السلطان إلى نائب حلب بالركوب إليه وتلقيه والإكرام إليه ، وكذلك كتب لنائب دمشق وأن يجهز له الإقامات .

وفي ثالث ذي الحجة منها : قدم جنكلى المذكور، وكان قد جهز حاله وهو في بلاده إلى أن اتفق موت قازان وبلغه ذلك ، فوجد الفرصة فركب بمن معه من ألزامه وأقاربه ، وأخذ كلّ ما عز عليه ، وركب على نية انقياد ما حوله

---

(١) « بدر الدين جنقلى » في السلوك جـ ١ ص ٩٥٠ ، وتوفى الأمير جنكلى سنة ٧٤٦ هـ/ ١٣٤٥ م — المنهل الصافي جـ ٥ ص ٢٢ رقم ٨٦٤ .

(٢) « وفي صحبته نحو من عشرة » — البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٩ .

(٣) « وأعطاه مائة فارس » — التحفة الملوكية ص ١٧٥ .

من البلاد التي يتولاها وقصد الفرات وعدّى ، وبلغ ذلك نائب حلب ، فكتب إلى بهسنى ونكتا وسائر النُواب بالركوب إليه وإكرامه ، وعند وصوله إلَى حلب تلقّاه نائبها وأكرمه ، وكذلك نائب دمشق إلى أن [٣١٧] وصـل إلى مصر ، وركب الأمـير ركن الدين بيبرس إلى لقائه ومعـه سائر الأمراء إلى قبة النصر ، وأحضروه بين يدى السلطان ، وباس الأرض ثم يده ، فقرّبه وتحـدّث معه ، ووعـده بكل خير ، ورسم له أن يسكن فى القلعة ، وعنـد استقراره رسم للأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى أن يذهب ثانيا إلى صـفد ورسم بإقطاعه لجنكلى المذكور ، وكتب له زيادةً على ذلك مائة ألف درهم ، ورسم لأمـير على أخـو قطلوبك بعشرة ، ولفيروز الذى جاء معه تقدمة .

قال ابن كثير : وفيها وصل أيضا الأمير بدر الدين بأهله من آمد ومعه جماعة إلى مصر ، فأقبل عليهم السلطان وأحسن إليهم[١] .

ذكر وصول الرسَول من جهة البَرْشُونى الفرنجى :

قال ابن كثير[٢] : وفيها وصل رسـول من جهة الريداكون البرشونى[٣] ، أحد ملوك الفرنج ، برسالة تتضمن الشفاعة فى النصارى الذين بمصر ليجروا على عوائدهم ، وينعم عليهم بفتح كنائسهم ، فقبـل شفاعته وفتحت لهم كنيستان بالقـاهرة : كنيسة لليعاقبة بحارة زويلة ، وكنيسة بالبندقانيين للملكية ، وعاد الرسـول إلى بلاده ، وسُيّر صحبته فخر الدين عثمان الأقرمى ، فلما وصلا إلى إسكندرية وركبا

(١) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٩ .

(٢) لم يرد هذا الخبر فى المطبوع من البداية والنهاية الذى بين أيدينا .

(٣) المقصود ملك أرجونة ، وكانت عاصمته برشلونة .

منها فى البحر تفاوضا مفاوضةً أدّت إلى أن رسول البَرشونى طرح عثمان من المركب إلى القارب الذى خرج من الميناء ، فشيعهم هو وغلمانه ، فأقلع من فوره ، فرجع فخر الدين عثمان إلى مصر .

وفى النزهة : وصل رسول البرشونى وصحبته هدية حسنة خارجة عن عادته ، فإن تناهى فى التحف والأشياء المفتخرة من المصاغ والبلور والذهب للسلطان وأرباب الوظائف من الأمراء وغيرهم ، فأعجب السلطان والأمراء ذلك ، وكان فى كتابه سأل أن يحضر إليه رسول من جهة السلطان فإنه اختار أن يشافهه ، فرسم بتجهيز فخر الدين عثمان استادار الأمير عز الدين الأفرم ، وكان قد تأمر وولى ولاية القاهرة أياما وعزل ، فتجهز وأولع فى الطمع حتى اقترض على ذمته نحو ستين ألف درهم غير ما كان فى حاصله ، واشترى أصنافا كثيرة من أصناف صالحة لتلك البلاد ، ولما فرغ الرسل من التجهيز تمثلوا بين يدى السلطان و باسوا الأرض ، وأخرجوا فى ذلك الوقت مُلطفا صغيرا وقالوا للترجمان : إن الملك كان أوصى إليهم أن السلطان إذا قضى حاجته فى الكنائس نُخرج هذا الملطف ونُعطيه ، وإن لم يجب إلى ذلك فلا تعطوه ، فلما قُرئ على السلطان وجد فى ضمنه أنه طلب بعض الأسْرى المحبوسين فى مصر ، وذكر أن أباه وأمّه قد توفيا ولم يبق غير أخته ، وأنها قد دخلت على زوجته أن تسأل صدقات السلطان أن يجمع بينها وبين أخيها ، فرسم السلطان أن يفك قيد هذا الأسير المطلوب ويُسلم إليهم ، ثم كتب لمتولى الإسكندرية بإكرامهم وتسفيرهم ، ولما وصلوا إلى إسكندرية باتوا تلك الليلة على نية السفر ، وعند طلوع الشمس تغيّر الهواء وأعاقهم عن الخروج من الميناء ، وعندما تضاحى النهار وقعت بطاقة : إن كانت الرسل قد سافروا تحيلوا

على ردهم [٣١٨] إلى إسكندرية إن أمكن ذلك ، وإن كانوا ما سافروا عوقوهم وخذوا منهم ذلك الأسير الذى فكّ قيدهُ وسُلم إليهم، وأَحضروه إلى مصر ، ويأذن السلطان بعد ذلك للسفر .

وكان الموجب لذلك أن هـذا الأسير لما طلب من بين الأُمراء كان قـد حصل بينه وبين أحد منهم كلام أوجبَ التباغُض بينهما ، اجتمع بمُشدّ الأمراء وعرّفه أن له نصيحة يريد أن يُبـديها للسلطان ، فعـرّف المشد بذلك للأمراء وبلغوا السلطان فطلبه ، فلما حضر قال : إن هذا الأسير الذى شفع فيه صاحب برشُونة وأجاب إليه السلطان ابن ملك كبير فى البلاد ، وله مال عظيم ، ولو طلب السلطان منه ملءَ مركب ذهبا أعطاه وأعطى أضعافه . فقيل له : كيف أصل أَسْر هذا وما جرى عليه ؟ فقال : هذا كان قد حضر بمركب تجارة إلى مدينة طرابلس وأخذ منها متجرا عظيما ، وتردد إليها مرات ، وكان يتردّد أيضا إلى جزيرة أَرْواد لما كانت عامرة ، وجعـل له فيها حواصل(1) كثيرة ، ولما أُخذت جزيرة أرواد واستولى عليها المسلمون كان هـو مقيما فيها ، وأُخذ مع جمـلة الأسراء وقال : أنا أعرف بلده وأعرف أباه وأمه وما هو عليـه من الدنيا الواسـعة وأنا أُسرت معه ، وتم الأمر علينا إلى هـذه الأيام ، ولما بلـغ والده أن ابنه فى قيد الحياة وأنه أسير عندكم ، فتحيل ودخل على صاحب برشـونة وقدم له هدية عظيمة ، وهو الذى أقام بجميع ما جهزه إلى السلطان من عنده ما قيمته أربعون ألف دينار ، وكتب صاحب برشونة إلى السلطان بسبب الكنائس وما كان قصده إلا خلاص هذا الأسير ، وإنمـا جعل ذكر الكنائس حجّة وسُلّما إلى وصول قصدهم .

(1) الحاصل : فى العمارة المملوكية تدل على معنى : مخزن أو حانوت — انظر : المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية ص ٣١ .

فعند ذلك كتب بطائق إلى متولى الإسكندرية ، وسيروا بعدها البريد ، فسبقت البطاقة ، وأراد الله عز وجل أن لا يبلغهم آمالهم ، وفسدت الريح إلى أن أدركهم الأمر ، فركب متولى إسكندرية فى الحال وأخذ الأسير منهم وأعاده للقيد ، وسيره صحبة البريد إلى مصر ، وعرف رسول صاحب برشونة أن السلطان علم خبر هذا الأسير ورسم أن يرجع إلى مكانه ، وسافروا أنتم ؛ فلم يمكنهم الكلام بعد ذلك ، وعلموا أن الذى جاءوا بسببه لم يتم لهم ، وخشيوا عاقبة أمرهم ، فأقلعوا من وقتهم وسافروا .

ولما بعدوا عن إسكندرية تشاوروا فيما بينهم فى أمر الرسول الذى معهم من جهة السلطان ، فاتفقوا على أن يأخذوا جميع ما معه من جهة السلطان ، ثم يقتلوه ويسافروا ، فتصدى شخص من عقلائهم فقال : قتل الرسول ليس بجيد وأيضا إذا قتلناه نخشى عاقبة ذلك ، وربما يصعب ذلك على الملك أيضا ، وصاحب مصر لا يعانَد ، فعند ذلك اقتضى رأيهم أن يأخذوا جميع ما معه ويردوه إلى إسكندرية ، ولما انتظم الأمر بينهم على ذلك قاموا إليه وأخذوه وحده ووضعوه فى قارب ، وكان رجلا ضخما وقالوا له : رُح إلى مكان جئتَ منه ، فلو كان قتل الرسول جائزا لقتلناك ورميناك فى البحر ، فسألهم أن يردوا عليه شيئا من ماله فإنه أخذه بالدين ، فأبوا أن يردوا عليه شيئا ، وقالوا : هذا بعض ماجبناه إلى ملككم ، وأقلعوا ، ورجع هو بالقارب إلى [٣١٩] الإسكندرية وليس معه سوى ما عليه من القماش ، فجهزه متولى الإسكندرية إلى القاهرة ، وكتب إلى السلطان وعرفه بخبره ، ولما وصل إلى مصر دخل إلى الأمراء وشكى حاله فقال : إنى تداينت أموالا كثيرة على ذمتى وأُخذ جميعها ، وبكى بين أيديهم ، فكان جواب سلار : نحن سيرنا رسولا ما سيرنا تاجرا ، وأرسلوا إلى متولى

الإسكندرية وأمروا له بأن يحتاط على من عنده من الإفرنج التجار وغيرهم من برشونة ، وإن لم يكن عنده أحد منهم يترقب حضورهم ، فإذا حضر أحد منهم يعرف الأبواب الشريفة بذلك .

ذكر بقيّة الحوادث فى هذه السّنة :

منها : أنه ولد للملك الناصر ولد من زوجته أُردكين خاتون بنت الأمير سيف الدين نُوكَيه السلحدار الظاهرى ، وسماه عليًا ولقبّه علاء الدين ، ثم لُقِّبَ بعد ذلك بالملك المنصور ، وكانت هى زوجة أخيه الملك الأشرف رحمه الله .

وقال صاحب النزهة : وعملت له الأمراء مهما كبيرا وفرحوا به ، وقصد السلطان أن يقيم عنده المغانى سبعة أيام فلم يوافقه الأمراء على ذلك وعملوه يوما واحدا .

ومنها : أنه ارتفع سعر الغلال بالديار المصرية فبلغ الأردب من القمح إلى أربعين درهما فما فوقها ، ثم أخذ فى الانحطاط .

ومنها : أنه وقع الموتان فى الحيوان بحلب والشام وأعمالها، فقيل : إن الذى نفق منها يناهز ثمانين ألف رأس .

قال بيبرس : ووصلت ريح الوباء التى أصابتها إلى الديار المصرية ، فنفق من خيول العسكر شىء عظيم .

ومنها : أنه وقع ببلاد قاقون وغزة والساحل وما حولها جراد لا يحصى كثرة فجمع الفلاحون منه شيئا كثيرا ، ولم يؤذ الزروع وغيرها .

ومنها ما قال بيبرس فى تاريخه : وفى هـذا العام شملنى الإنعام بأن رُشحتُ بحمل الحترْ السلطانى فى المواكب (١) ، وهى وظيفة معزوقة بذوى المراتب ، فشكرت الله تعالى على ذلك (٢) .

ومنها : أن القاضى صدر الدين بن المرحل قـدم من دمشق إلى القاهـرة ، ومعه كتاب نائب الشام إلى الأمير ركن الدين بيبرس ، والأمير سيف الدين سلار نائب السلطان ، بسبب وظائف كانت بيده وخرجت عنه ، وكان هذا الرجل مشهورا بالفضيلة ، والشـعر الحسن ، والمنادمة الحسـنة ، وله شهرة بشـغفه الشراب ، ومنـادمة الأكابر ، وبهذه الأشـياء اتصل بنائب الشام حتى كتب معه فى حقه ، ولمـا اجتمع بالأمير بيبرس اتفق مبيته عنده تلك الليلة .

قال الراوى : فحكى لى شمس الدين الباخى المؤذن شيئا من بعض لطائفه ، أنه لمـا بات عند الأمير بيبرس تلك الليلة أحضر إليـه الأمير بيبرس بعد العشاء سلطانية كبيرة ملآنة بالسكر وماء الليمون مع بعض السقاة ، وكان ذلك الساقى تركيا صاحب وجه حسن ، ولكنـه كان أجرودا كبيرا فى العمر ، فلما ناوله المشروب أخذه منه وبهت فى وجهه زمانا ، ثم التفت إلىَّ وقال : يا شمس الدين إن هذا شاب مليح . قال : فقلت له : يا مولانا لا يغرك نظر الشمع ، هذا كبير ولكنـه أجرود ، ومع ذلك يا مولانا هو رجل مأبون ما منـه خلاف ، فقال : وإلى الآن ، قلت له : نعم ، فشرب منه ، فأنشأ يقول :

شاب قلبي بشابٍ من سَنَى البدر أوجَهْ

كلما شاب يخنى بيّض الله وجهَـــه

---

(١) عزق الخبر : حبسه ، والمقصود أن هذه الوظيفة لا يتولاها إلا ذو المراتب .

(٢) انظر التحفة الملوكية ص ١٧٥ .

[٣٢٠] ثم أنه حصل له ما طالع به نائب الشام ، فكتب له توقيع بالعدراوية ، ودار الحديث ، وخطابة الجامع الأموى والإمامة ، ثم سافر إلى دمشق ، وأوقف نائب الشام على توقيعه ، فعلّم عليه ، وكان الخطيب إذ ذاك الشيخ شرف الدين الفزارى ، وكان قد تولى الخطابة بحكم وفاة الشيخ زين الدين الفارقى .

وكان الناس فرحوا بتولية الشيخ شرف الدين الخطابة لكونه من أهل الصلاح والدين والعلم ، فلما بلغ أهل دمشق أن صدر الدين المذكور قد تولى هذه الوظائف المذكورة تعصبوا عليه ، واتفقوا أنه إذا حضر وأراد أن يخطب لا يصلون وراءه ، وكان حضوره من القاهرة يوم الأربعاء ، فصبروا عليه إلى أن كان يوم الجمعة ، اجتمعت أكابر دمشق مثل : كمال الدين ابن الزملكانى ، وإمام الدين القزوينى ، وعلاء الدين بن العطار ، والشيخ على الكردى ، والشيخ تقى الدين بن التيمية ، وأصحابه ، وقاضى الشافعية ، وقاضى الحنفية ، ومنعوا الناس عن سماع خطبته والصلاة خلفه ، وكان نائب الشام ركب إلى الجامع للصلاة ، فرأى المدينة قد انقلبت إلى أن دخل الجامع ،وخرج الشيخ صدر الدين وهو لابس حلة الخطابة ، وما لحق أن يصعد المنبر حتى صاحت الناس فى وجهه ، وخرجت جماعة ، فخرجوا من الجامع وهم يصيحون ويقولون : أين الإسلام ؟ كيف يجوز أن يكون هذا الرجل خطيب المسلمين وإمامهم ، وصدر الدين لم يعلم ما يقال من قوة غلبة الناس والصياح ، وما صدّق نائب الشام فراغه من الصلاة وسكون الحال حتى خرج وركب إلى دار السعادة ، فحضرت إليه القضاة وابن تيمية والمشايخ ، وقد نظموا محضرا على صدر الدين ، وشهدوا عليه فيه أنه رجل فاسق يشرب الخمر ، وأن الصلاة خلفه لا تجوز ، وقرئ المحضر بحضرته .

ورأى نائب الشام أنه لا يقــدر على دفع هؤلاء ، وعرف أن هــذا الأمر لا يتم لصــدر الدين ، فمشى فى طوعهــم ، وقال : أنا ما وليت هــذا الرجل ، وإنمــا جاب توقيعا سلطانيا ، وأنا امتثلت ما رُسم به ، وعلّمت على توقيعــه ، وأنا أطالع السلطان فيه ، فمهما رسم به اتبعناه ، وكتب من وقته وعرّف للسلطان وللأمراء ما وقع من الأمر ، وبقى صــدر الدين[1] يصــلى بالجامع ، ولكن أكثر الناس لا يصــلون وراءه ، ويصلون فى الكلاســة وغيرها إلى أن ورد الجواب أن يتبع ما يقوله القضاة وأهل الشرع ، فإذا لم يختاروا صدر الدين يستقر مَن كان قبله ، فطلب نائب الشام أكابر دمشق والقضاة ، واستقر بشرف الدين الفزارى فى الإمامة والخطابة ، وهرعت الناس إليــه ، وكان حسن الصوت ، فخطب خطبة فى العزل والولاية ، وكان يوما مشهودا .

ذكر ما اتفق لناصر الدين الشيخى مع الدواوين وتوليته الوزارة :

كان ناصر الدين هــذا متولى القاهرة ، ثم انتقل إلى ولاية الجيزية ، ففى ولايته على الجيزية تعاظم على الوزير وعلى المباشرين لقوة حرمته ، وما كان أحد منهم يجسر عليه ، وقلّ متحصل أرباب الأقلام فى أعمال الجيزة ، فاتفق رأيهم مع الوزير [٣٢١] أن يثبتوا فى حقــه وفى حق مماليكه أموالا سلطانية ، فسعى الوزير عند نائب السلطان سلّار فى أمره ، لأنه كان يعلم أن سلار يكره ناصر الدين الشيخى ، فقرر معه أن يحضر الأمراء عند النائب ، ويحضر المباشرون ، ويطلبون[2] ناصر الدين وينظرون[3] فى أمره ، فلما أصبحوا طلبوا ناصر الدين وسائر الدواوين

(١) « صدر الناس » — فى الأصل ، وهو تحريف .

(٢) « ويطلبوا » فى الأصل .

(٣) « وينظروا » فى الأصل .

والنظار ، وشرعوا فى المحاققة ، وكان التاج الطويل مستوفى الدولة حاققى معه كثيرا ، وكلما سألوه فصلا من الأموال أجاب عنه ناصر الدين ، وإذا أنكروا المصروف أخرج لهم خصمه بالشواهد ، فأبطل كلامهم وأدحض حجتهم ، فتزايد الكلام بينهم إلى أن قال التاج الطويل : يا ناصر الدين مال السلطان ما يؤخذ بالفجور ، فقال ناصر الدين : ويلك أنتم أكلتم مال السلطان ، وأنتم تقاسمتموه ، ثم نهض واقفا ، ثم قال للأمراء : وحق نعمة السلطان هؤلاء هم الذين أكلوا مال السلطان ، فسلمونى إياهم آخذ منهم ثلاثمائة ألف دينار للسلطان ، وأكتب خط يدى بذلك ، فقال له التاج الطويل : يا ناصر الدين بقيت تأمر وتنهى ؛ لو طلعت رأسك إلى السماء أنت عندى ضامن(١) بتقارير مكتوبة عليك مثل سائر الضُمان ، فلما سمع بيبرس بذلك غضب فقال : والك ما كفى كذبكم حتى تجعل أميرا من أمراء السلطان مثل الضامن الذى يأكل المفارع ؟ ، والله ما يأكل مال السلطان غيركم يا مناحيس يا كلوب ، فنهره وأشار بقيامه من المجلس .

وكان فى المجلس من الأمراء : الأمير سيف الدين سلاّر ، والأمير برُلغى ، والبغدادى ، وأَيبك الخزندار ، وبكتمر الخزندار ، وغيرهم ، فلما رأوا أن بيبرس مال عليه ، وشدّ من ناصر الدين ، مالوا معه عليه ، وشدوا من ناصر الدين ، ثم التفت إلى ناصر الدين وقال له : اعلم ما تقول إنك تحمل من جهتهم المبلغ الذى ذكرته . قال : نعم يا خوند وأكثر مما قلت ، ثم قال الأمير بيبرس للوزير

(١) الضامن : الملتزم الذى يتولى لحسابه جمع ضريبة أو مكس ، ويضمن فى مقابل توليه ذلك مبلغا من المال يدفعه إلى الجهة المختصة فى أوقات محددة كل سنة — المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٧٩ ؛

والحجاب : اجمعوا جميع الدراوين وسلموهم له يفعل فيهم ما يختاره ، ويُطالبهم بالحساب والمال ، وإذا لم يقم بالذى قاله أخذته من أجنابه .

وما بقى مستوفى ولا كاتب ولا متصرف ولا معين ولا مشد حتى سُلّم إليه ، غير القاضى تاج الدين بن السنهورى ، والقاضى شهاب الدين بن الواسطى ، فإنهما كانا ناظرين فى ذلك الوقت ، وكانا محترمين لأمانتهما .

ولما جمعهم ناصر الدين عنده طلب منهم حساب ثلاث سنين ، ورمّم عليهم ، وضيق عليهم ، وخصوصا على التاج الطويل فإنه أهانه ونكل به ، فما مضى عليهم أيام يسيرة حتى أظهر فى حقهم أموالا كثيرة من حاصل الأهراء والفنود والدواليب وغيرها ، وعرف الأمراء بذلك ، وقام معه ابن سعيد الدولة وعرّف الأمير بيبرس فى الباطن أن ناصر الدين ظهر عليهم ، وكان كلامه عند بيبرس مقبولا ، فتحدث بيبرس مع سلار والأمراء ، وشكر من فعل ناصر الدين ، فرسموا له باستخراج الأموال منهم وعقوبتهم ، فعند ذلك شدّ عليهم ناصر الدين ، فشرعوا فى تحصيل الأموال وتبع موجودهم ، ثم سعوا عند أكابر الأمراء حتى دخلوا على ناصر الدين [٣٢٢] بأن يلطف فى أمرهم ، وحذّره بعض الناس أيضا عاقبة أمرهم ، وعرف ناصر الدين للأمير بيبرس أنه حمل من جهتهم لبيت المال ثلاثمائة ألف درهم ، وهى التى وجد لهم .

فحاصل الأمر لما كثر عليه الشفاعات رسم بالإفراج عنهم ، وأعيدوا إلى مباشراتهم ووظائفهم ، وكان الوزير هو الأمير عز الدين البغدادى ، وكان بينه وبين ناصر الدين وقعة كبيرة بسبب المباشرين وما جرى عليهم ، وأراد أن يعزل نفسه عن الوزارة ، ولم يجد سبيلا لذلك ، غير أنه سأل أن يحج فى خدمة

الأمير سيف الدين سلار، وكان سلار فى تجهيز الحج ، فأجيب إليه ، فعلم ناصر الدين بذلك فسعى بواسطة الأمير سيف الدين بكتمر أمير جندار ، وسيف الدين برلغى، وسيف الدين بينجار، وبالأمراء الذين يُسمع كلامهم عند سلاّر ، وأهدى إلى كل واحد من هؤلاء ما يناسبه ، وحصل لهم بلاد فى الجيزيَّة بالإجارة من ديوان السلطان ، وعمل لهم سواقى وغير ذلك ، حتى ملأ أعينهم ، ثم استعمل الأكواز الفضة والذهب ، والسلاسل الذهب والفضة ، وما يناسب سفر الحاج لمثل سلاّر نائب السلطان، وحصل « ... ... »[1]، وكان فى ذلك الوقت لا يوجد، وغير ذلك من الأشياء الحسنة وقدّم الجميع لسلار .

وكان سلار يكرهه لقربه من بيبرس وتعرضه للأمراء، ومع ذلك لما نظر إلى ما قدّمه أعجبه ذلك ، وأراه البشاشة والقبول ، وشكره على ذلك ، ثم بعد أيام خاطبه الأمير سيف الدين برلغى، والأمير سيف الدين بكتمر أمير جندار، وغيرهما، وقالوا : يا خوند من تعملون وزيرا وأنتم تسافرون بخير وسلامة . فقال : النُظّار يتحدثون إلى حين نعود من الحج . فقال بكتمر الجوكندار : أنا أعرف واحدا يصلح للوزارة . فقال : مَنْ ؟ قال : ناصر الدين الشيخى، فلما سمعه أحمرّ وجهه وظهر فيه الغضب . وقال : يا أمير ما يكفى ما سمعنا فى حقه حتى نعمله وزيرا .

وبقى الأمير على ذلك إلى أن خرج الحاج ، وتأخر الأمير سلاّر خلف الحجاج قليلا ، ففى يوم خروجه جاء إليه الأمير برلغى ، وبكتمر الجوكندار ، وطغلق ،

---

(١) « ... ... » موضع كلمة غير مقروءة « وعمل للأمير سلار من آلات السفر شيئا كثيرا» فى السلوك جـ١ ص ٩٥٤ .

وتبـاكز ، وجماعة آخرون من الأمراء ، وسألوه أن يقبل شفاعتهـم ، وتولى ناصر الدين الوزارة إلى أن يحضر الأمـير من الحجاز ، فإذا حضر ـير وسلامة ووجده قـد حصل من الأموال ما يُرْضيه يُبقيه وإلا فعل فيـه ما يختاره ، فقام برلغى وباس يده ، وكذلك الجوكندار ، وساعدتهما الأمراء الحاضرون ممن كان يتعصب لناصر الدين ، فعلم الأمير سلّار أنه لا يمكن ردّ كلامهم، ولا يفُيد التعلل بعد وقوف هؤلاء ، فأجاب إلى سؤالهـم ورسم بكتابة توقيعه ، وأحضروه ، وباس يده، وما جاء آخر النهـار حتى كُتب التوقيع[(1)] ، وفُصّلت له الخلعة ، ولمـا أحضروا توقيعه قام الأمير سـيف الدين برلغى وأخذ الدواة ، [٢٢٣] وأخذ الأمير بكتمر الجوكندار المرملة ، والأمير سلار ينظر إليهم وهم معتنون بأمره ، ولكن قلبه يكره ذلك ، فعـلم على توقيعه وألبسوه الخلعة ، وحضر ليبوس يده ، فالتفت إليه والأمراء حاضرون وقال له : اسمع يا ناصر الدين أنا أقول لك قدام هؤلاء الأمراء : تعرف آش كنت وأين وصلتَ ؟ وما أوصلك إلى هذه المنزلة سيفك ولا رمحك ولا فروسيتك ؟ وإنمـا أوصلك شطارتك ومعرفتك وأمانتك ، وأنا ما يمكنني أن أخالف هـؤلاء ، وإياك إذا حضرتُ من الحجاز أسمع عنك أنك ظلمت أحدا من الرعيّة ، أو جددت ظلما ، أو أحدثت حادثا ، أو خنت في مال السلطان ، فأسلخ جسد جنبك بالمقارع . فقال : يا خوند : ما يكون إلا ما يُبيّض وجهى عندك ، وباس يده وخرج من عنـده ، وهـو طائر من فرحه بمـا نال ، وما علم أن ليس لارتقاء هـذه الدرجة بقاء ، ويصير ذلك التنعم إلى شقاء ، وكل من تعدى درجته سقط ، ومن استعلى على أبناء جنسه هبط .

(1) « يوم الإثنين سابع عشر شوال » — في كنز الدرر جـ ٩ ص ١١٣ .

وقال الشاعر :

ومَن طلب العلياء ولم يك أهلها ... تُرَجِّلُه الأيامُ لو كان راكبا

قال الراوى : ولما خرج ناصر الدين من عند سلار نظر إليه من ورائه نظر المغضب ، ومسك لحيته بيده وقال : يا قواد إن عشت وجعت إن لم أقتلك تحت المقارع فلا يكون اسمى سلّار .

ثم إن ناصر الدين جلس فى دست الوزارة وحكم ، وركب فى اليوم الثانى فى موكب عظيم ، ثم طلب سائر المباشرين والولاة ، فعزل ناسا وولى آخرين ، ومدحته الشعراء مثل شهاب الدين الأعزازى ، وشرف الدين القدسى ، وغيرهما ، فأحسن إليهم ، وكان فيه كرم وأريحيّة ، وسكن فى دار الحاج بهادر آص المجاورة لمشهد الحسين رضى الله عنه ، لأنه كان تزوج بزوجته ، وكان إذا نزل من القلعة ينزل فى حفدة[(1)] كثيرة ، وجميع أرباب الوظائف فى خدمته إلى أن يصل إلى داره ، وكانوا يترجلون له من بعيد حتى عزّ الدين الأشقر مشد الدواوين ، والأمير بدر الدين المحسنى متولى القاهرة ، وكل منهما يعضده ويُنزله ، ولا يلتفت إلى أحد منهم ، وكان يفعل فعل من لا يفتكر فى عاقبته ، ومَن غرّ بدنياه وسلامته ، وسنذكر ما جرى عليه إن شاء الله تعالى .

ذكر وفاة قازان بن أرغون بن أبغا بن هلاون بن طولو بن جنكزخان فى الثالث عشر من شوال منها :

قال بيبرس فى تاريخه : وفيها ، أى فى سنة ثلاث وسبعمائة ، اتفقت وفاة

(1) حفدة = خدام ــ لسان العرب .

قازان(١) ملك التتار بمقام جبل من نواحى الرَىّ ، وذلك أنه لما بلغه انكسار جيوشه ، واقتناص وحوشه ، فاعتورته الهموم ، واستولت عليه الغموم ، ثم وصلت إليه صُبابات(٢) عسكره المغلول ، مشمولة بالذلة والخمول ، فسقط فى يده ، وفتّ ذلك فى عضده ، فمرض بحمّى حادّة ، كان بها الحِمَام موصولا ، والحتف مقرونا ، فمات مكمودا ، وما نال مقصودا ، وأدركه الرّدى ، وكفى الله شر العادى والعِدَى ، وكانت مدة مملكته ثمان سنين وعشرة أشهر .

[٣٢٤] وقال ابن كثير : توفى قازان بالقرب من همدان ونقل إلى تُرْبته بتبريز ، بمكان يُسمى بالشّام ، ويقال : إنه مات مسموما ، والله أعلم .

وفى نزهة الناظر : لما حصل من كسر عسكر قازان ما حصل ، وما عدم من أمرائه وأكابر المغل لم يتق ينظر إلى وجه بقية أمرائه ولا يتحدث معهم ، وعزل نفسه عن النوم مع أزواجه ، وصار كلما ركب يجد فى أىّ مكان يجوز(٣) عليه أو ينزلُ عزاء وبكاء وتعديدا على من عدم من أهله ، واشتاع بين نساء المغل أن قازان هو الذى قتل هؤلاء لأنه ما كانت عادة المغل أن يدخلون الشام بغير ملك ، ومتى كان للمغل عادة بالدخول إلى بلاد الإسلام .

---

(١) قازان ، أو غازان ، وقيل محمود ، بن أرغون .

وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ١٢٢ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٩ ، الدرر جـ ٣ ص ٢٩٢ رقم ٣١٢٣ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٢ ، السلوك جـ ١ ص ٩٥٦ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٥٧ ، نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٤١٦ ، التحفة الملوكية ص ١٧٤ .

(٢) صبابات : جمع صبة : وهى الجماعة من الناس ، أو القطعة من الخيل — لسان العرب .

(٣) جاز المكان : سار فيه — لسان العرب مادة جاز .

واتفق فى هذه الأيام وصول خبر من كيلان أن نائبه قطلوشاه قتل هو وامراء معه من أمراء المغل وجماعة من الذين كانوا معـه ، فازداد نارا على نار وحرقة على حرقة ، ولا سيما اشتاع الخبر بين نساء المغل وبقية العسكر أن أحدا من ملوك المغل لم يظفر بأخذ هذا المكان ، وكانت عادة الملوك من المغل إذا أرادوا هلاك أحد من أمرائهم أرسلوه إلى هـذا المكان ، فلابد وأن قازان سير قطلوشاه إلى هذا المكان ليُقتل هناك والجماعة الذين معـه ، ولمـا سمع بذلك قازان ازداد غيظا فى نفسه وانطلقت نيران فى كبده بسبب ما اتفق لعساكره ، وبقى متحيرا لا يدرى أى جهة يقصـد إلى أن قوى عزمه على جمـع العساكر ليغزو بلاد الإسـلام ، ثم يتوجه إلى بلاد كيـلان ، وطلب وزراءه وأمرهم أن يحصـلوا أموالا لأجل النفقات .

ولمـا سمع الأمراء بذلك أرادوا أن يسألوه أن يؤخر الغزاة فى هـذه السنة ، ولم يَجسُر أحد على الكلام معه .

ووجد قازان فى نفسه من الانحصار وضيق الصدر ، فطلب حكيما له وعرّفه بحاله . فقـال له : إنه يصلح للملك الركوبُ والتنزّه ، وأمر بالتجهز إلى الرَىّ ، وما وصل إليها إلّا وقد أحسّ فى جسمه بالألم .

فمن الناس من أخبر أنه مات من دُبلة(١) على قلبه .

ومنهم مَن أخبر أن أمراء المغـل اتفقوا مع امرأة غازان على إهلاكه وقالوا لهـا : إن الملك يُريد إفناء المغلْ ، ثم يدخل عسكر مصر وسلطانها إلى هذه البلاد ويخربوها ، وإن القُصاد حضروا من مصر وعرفوهم بذلك ، وإن سلطان مصر عزم

(١) الدبل : القمم من الثريد — لسان العرب « د ب ل »

على أن يفعل بهـذه البلاد ما فعله قازان ببلادهم ، وجهّزوا لهـا فصوصا مثمنة وجواهر مقومة على أن تسقيه شيئا يمرُض به ، ليشتغل بنفسه عن الركوب ، ولم يزالوا بها إلى أن وافقتهم على ما اختاروا ، وكان قازان يحب زوجته محبة عظيمة ، واسمها بلغان خاتون (١) ، فصنعت له شيئا من السموم فى مشروب وسقته .

ومنهم من يقول : إنّها سمته فى منديل الجماع ، فسقطت محاشمه بعد أيام . وحُمل إلى تربة كان صنعها على مرحلة من تبريز ، فسّماها دمشق الصغيرة ، وعمّر فيها عمارات عظيمة ، وأوقف عليها أوقافا كثيرة .

ذكر جلوس خَرْبَندا أخ قازان [٣٢٥] فى السلطنة بعده :

قال بيبرس فى تاريخه : جلس خربندا (٢) أخـو قازان فى السلطنة ، ولقُب غياث الدين محمد ، وله من الأولاد : أبو يزيد وبسطام .

وقال ابن كثير : وكان جلوسه على سرير المملكة بتاريخ الثالث والعشرين من ذى الحجة ، ولُقب أولجاتو سلطان ، ولقب أيضا غياث الدين محمد ، وخُطب له على منابر العراق ، وخراسان وتلك النواحى (٣) .

وقال صاحب النزهة : وكان خربندا فى جهة الروم ، وكان قازان أرسل إليه ليحضر عنده ، فحضر قبل وفاة أخيه ، ولما توفّى رسم لعسكره الذى جمعه قازان

(١) « هميا خاتون » — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ١١٢ .

(٢) ويعرف أيضا باسم : خدابنده ، ومعناه بالعربية : عبد الله ، توفى سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م .
وردت ترجمته بالمنهل الصافى تحت اسم : محمد بن أرغون بن أبغا ، وانظر أيضا الدرر جـ ٣ ص ٦٨ ، رقم ٣٥٢٢ ، درة الأسلاك ص ١٦٤ ، ٢٠٩ ، نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٤٠٩ .

(٣) ورد الخبر ملخصا فى البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٩ .

أن يذهب كل أحد منهم إلى مكانه، ثم طلب رسل السلطان الملك الناصر الذين عوقهم قازان عنده من يوم أرسلهم الناصر فأكرمهم وأنعم عليهم، ورسم بتجهيزهم، وتجهيز رسول من جهته صحبتهم، ليسعى بينه وبين السلطان بالودّ والمحبة ورد الجواب .

ذكر خروج السُّلطان إلى الصيد والتنزه :

وفيها : قصد السلطان الصيد والفُرْجة، وطلب الأمير ركن الدين بيبرس وعرفه أن صدره ضيق وأنه يختار أن يتصيد نحو البُحَيْرة، فأجاب إليه، وسيَّر وراء ناصر الدين الشيخي الوزير وعرّفه أن السلطان يقصدُ الخروج إلى الصيد نحو البحيرة، وأمره أن يُجهّز الإقامات، فقال له الوزير : ياخوند ما لهذا الأمر إلا أن يخرج المملوك بنفسه بهذا السبب، وأيضا أريد أن أكشف أحوال الإسكندرية وما يتحصل منها، وللسلطان فيها مصالح، فرسم له بذلك، وكتب لسائر الولاة بتجهيز الإقامات، ثم خرج الوزير والمباشرون معه قبل خروج السلطان، ووصل إلى الإسكندرية، وخرج إليه الأمير بدر الدين أمير شكار وتلقاه، فلم يكرمه الوزير، ولم يُرَوْ له وجهاً، وكان الأمير بدر الدين هذا له حرمةٌ عند سائر الأمراء وتقدم فى الدولة، وله وُصلةٌ بالأمير سَلّار والأمير بيبرس، فلما رآه تكبّر عليه لم يلتفت إليه، ورجع إلى الإسكندرية، وشرع ناصر الدين فى طلب الدواوين والحُسّاب، وطلب التجار وقصد العَسْف بأهلها، فلم يُمكنه أمير شكار من ذلك، وأرسل إليه ناصر الدين يقول له إن أموال السلطان ضائعة وأنت تمنعنى من استخراجها، وأرسل إليه أمير شكار يقول له : إن قصدك

أن تخرب الإسكندرية وترميها فى رقبتى ، فاصبر إلى أن يجئ نائب السلطان وهو الذى تسلمتُ منه هذا الثغر فيتسلمه منى .

وفى أثناء هـذه المفاوضة وصل مركب من تجار الإفرنج فيـه بضائع كثيرة وتجارة عظيمة فيها الموجب للسلطان أربعون ألف دينار، فتحدث فيها ولم يعارضه أمير شكار فيها .

واتفق وصول السلطان على تَروْجة ، فطلب ابن عُبادة وهو وكيل السلطان ، فقال له : أبصرلى دراهم ترسلها إلى الإسكندرية يُشترى بها هدية ، فقال يا خوند : ما ثم الآن حاصل ، فقال له : اقترض من أحد من التجار ونحن نُوفيه .

فركب ابن عبادة إلى أن وصـل قريب إسـكندرية ، فوجد الوزير نازلا بخيمة فمـا أمكنه أن يتعـداه ، فنزل وسلم عليـه ، فرحب به وأكرمه ، وسأله إش قصده ؟ وعرفه ما سأله السلطان ، وما هو فيـه من قلّة النفقـة ، وحاله ضعيف ، [٣٢٦] وأن الأمراء ما يَدعُون له تصرفا ولا له خزانة .

وكان ناصر الدين ناظرا إلى حال السلطان مُلتفتا إلى القرب منه ، لأنه لمـا كان والى مصر ، كان الأمراء رسّموا له أن يكبس بيوت المنجمين ، ويأخذ كتبهم وأوراقهم ، لأنه بلغهم أنهم أخبروا أن الملك النـاصر تطول أيامه وأنه يَقتلُ الأمراء ، ولمـا وقف ناصر الدين على كتبهم وأوراقهم وجد فيها أن الناصر يَصلُح شأنه جدا فى آخر دولتـه وتطول أيامهُ ، فلذلك كان ناصر الدين يتقرب إليه حتى تكون له منزلة عنده ، ولمـا سمع كلام ابن عُبادة قال يا مولانا : ملك مصر لا يجد لنفسه شيئا حتى يقترض ، ثم قال له : ارجع إليه وعرّفه أن عندى ألفى دينار حاصلة ، فإن كان السلطان يأذن لى أجى إليه وأحضرها له ، وقل له :

إنى أحق بجميع ما يختاره السلطان ، فركبَ ابن عبادة وجاء إلى السلطان وأخبره بمـا جرى ، ففرح بذلك فرحا كثيرا .

وفى اليوم الثانى حضر ناصر الدين ، ودخل على السلطان ، وباسَ الأرض ، وأجلسه بين يديه ، ورحب به ، وشرع السلطان يقول له ما هو فيه مع الأمراء من قلة نفاذ الكلمة وقصَر اليد ، فقال ناصر الدين : يا مولانا السلطان مهما تحتاج إليه عرفنى به أَحملُ إليك ، ولا تتكل على الطلب من الأمراء ، وطَول روحَك يا خوند فإن الأمور مصيرها إليك ، وجَسّر السلطان على الأمراء ، وهوّن[1] أمرهم عليه ، ثم نهض من عنده .

وكان هناك أصحاب النّوبة والجمدارية ، فسمعوا ما جرى بينه وبين السلطان ، ثم إن السلطان أقام هناك أياما ، ثم رجع إلى المدينـة ، وكذلك ناصر الدين رجع إلى المدينة ، بعد أن حصّل مالا جزيلا ، وذهبا كثيرا ، وكساوى هائلة ، وبلغ الأمير ركن الدين بيبرس جميع ما جرى له مع السلطان ، وأضمر فى نفسه ، ثم إن ناصر الدين عَرّف بيبرس أن أمير شكار قد غلب على إسكندرية ، وحصّل منها أموالا عظيمة ، وكانت إسكندرية فى ذلك الوقت ليس فيها للسلطان إلا شىء قليل ، وكان فيها مَتجرُ وبَيْع وشراء لسائر الأمراء مثل سلار وبيبرس والجوكندار وبُرلغى وغيرهم .

وفيها : بلغ النيل المبارك بعد وفائه إلى ستة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا ، وكان قد توقف فى أوائل الأمر ، وتحسن فيه سعر الغلّة .

وفيها توجه سلار إلى الحجاز الشريف بعد رحيل الركب المصرى بأيام قلائل ، وحج صحبته من الأمراء :

---

(1) « ويهون » فى الأصل .

الأمير عز الدين أيبك البغدادى .

والأمير شمس الدين سنقر الكمالى الحاجب .

والأمير علم الدين سنجر الجاولى الأستادار .

والأمير سنقر الأعسر .

والأمير سيف الدين كورى الصالحى السلحدار .

والأمير سيف الدين سُودى .

والأمير سيف الدين الملك الجوكندار .

والأمير بدر الدين بكتوت الشجاعى .

والأمير بدر الدين بكتوت القرمانى .

والأمير نظام الدين آدم .

والأمير علاء الدين على .

والأمير سيف الدين تَمُوك .

والأمير سيف الدين أدكاون الحسامى .

والطواشى شهاب الدين بن مرشد الخزندار .

وآخرون من الأمراء جملتهم خمسة وعشرون أميرا ، وحجوا وتوجهوا من المدينة النبوية [٣٢٧] إلى القدس الشريف ، فقدّسوا حجهم ، والتحقوا بالركب ، ودخلوا المدينة صحبة سلار .

وكان الذى حج بالركب المصرى فيها سيف الدين الناق الحُسَامى ، وجهز سلار فى البحر عشرة آلاف أردب قمح برسم الصدقة ، وجهز سنقر الأعسر ألف أردب ، وكل أمير منهم سيَّر على قدره لأجل الصدقة ، وتصدقوا ، وانتفع أهل الحرمين والمجاورين بها نفعا كثيرا .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الشيخ القدوة الورع أبو إسحاق إبراهيم(١) بن أحمد بن محمد بن معالى بن محمد ابن عبد الكريم الرقى الحنبلى .

ومولده بالرقة فى سنة سبع وأربعين وستمائة ، اشتغل وحصل وسمع شيئا من الحديث ، وقدم دمشق فسكن بالمأذنة الشرقية فى أسفلها ، بأهله ، إلى جانب الطهارة [بالجامع(٢)] وكان معظما عند الخاص والعام ، فصيح العبارة ، كثير العبادة ، خشن العيش ، حسن المجالسة ، لطيف المفاكهة ، كثير التلاوة ، عارفا بالتفسير والحديث والفقه والأصلين ، وله مصنفات وخُطب وشعر حسن ، وفى عمره ما أكل شيئا من الوقف ، وكان يعرض عليه المناصب فلا يتولى شيئا ، وكانت له رياضات ومجاهدات ، وكانت وفاته بمنزله ليلة الجمعة الخامس عشر من المحرم ، وصلّى عليه نائب السلطان وأكثر أهل البلد ، ودفن بسفح قاسيون بتربة الشيخ أبى عمر ، رحمهما الله .

الخطيب ضياء الدين أبو محمد عبد الرحمن(٣) بن الخطيب جمال الدين أبى الفرج عبد الوهاب بن على بن أحمد بن عقيل العقيلى السُلمى .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ١ ص ٣٤ رقم ٥ ، درة الأسلاك ص ١٦٦ ، الوافى جـ ٥ ص ٣١٣ رقم ٢٣٨٧ ، مرآة الجنان جـ ٤ ص ٢٢٨ ، الدرر جـ ١ ص ١٥ رقم ٢٢ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٧ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٦٠ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٩ — ٣٠ .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح من البداية والنهاية .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ١٦٦ ، الدرر جـ ٢ ص ٤٤٣ رقم ٢٣٢٠ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٩ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٦١ . وورد اسمه « عبد الرحيم » فى درة الأسلاك ، وهو تحريف .

خطيب بعلبك نحوا من ستين سنة ، بعد والده ، وكان مولده فى سنة أربع عشرة وستمائة ، سمع الكثير ، وتفرد عن القزوينى ، وكان رجلا جيدا حسن القراءة ، من كبار العدول ، توفى ليلة الإثنين ثالث صفر ، ودفن بباب سَطْحا.

الشيخ زين الدين أبو محمد عبد الله[1] بن مروان بن عبد الله بن الحسن الفارقى ، شيخ الشافعية .

ولد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث الكثير ، واشتغل ، ودَرّس فى عدّة مدارس ، وأفتى مدة طويلة ، وهو الذى عمر دار الحديث[2] بعد خرابها من زمن قازان حين احترقت ، وقد باشرها سبعا وعشرين سنة ، من بعد النووى إلى حين وفاته ، وكانت معه الشامية البرانية[3] ، والخطابة ، وإنما باشر الخطابة تسعة أشهر قبل وفاته ، وقد انتقل إلى دار الخطابة ، وكانت وفاته بها يوم الجمعة بعد العصر ، وصَلّى عليه ضحى يوم السبت القاضى ابن صصرى عند باب الخطابة ، وبسوق الخيل قاضى الحنفية ابن الحريرى ، وعند الجامع بالصالحية قاضى الحنابلة تقى الدين سليمان ، ودفن بتربة أهله شمالى تربة الشيخ أبى عمر ، رحمه الله .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : نهاية الأرب جـ ٣٢ ق ١ ورقة ٩٦ ، الدرر جـ ٢ ص ٤١١ رقم ٢٢٣٧ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٠ ، مرآة الجنان جـ ٤ ص ٢٣٩ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ٩ رقم ١١ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٨ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٥٨ ، الدارس جـ ١ ص ٢٦ .

(٢) المقصود دار الحديث الأشرفية بدمشق ، وتنسب إلى الأشرف موسى بن الملك العادل المتوفى سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧ م — الدارس جـ ١ ص ١٩ وما بعدها .

(٣) المدرسة الشامية البرانية بدمشق ، أنشأتها ست الشام ابنة نجم الدين أيوب بن شادى ، أخت السلطان صلاح الدين — الدارس جـ ١ ص ٢٧٧ ، ص ٢٨١ .

الشيخ حسن بن السراج الحلبي — من قرية باب الله — المقرىء ، وكان هو الملقن بالكلاسة[1] ، وكان مجتهدا على التلاوة ، وعمر حتى انحنى كثيرا زائدا عن حد الركوع ، مات فى هذه السنة ودفن بمقبرة باب الصغير .

الصدر كمال الدين موسى بن قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان .

مات فيها بقاسيون ، ودفن عند والده ، ومولده سنة خمسين وستمائة ، وكان عاقلا ذكيا ذا مروءة .

الشيخ الصالح [٣٢٨] الزاهد بدر الدين على[2] بن محمد السمرقندى الحنفى .

شيخ خانقاة خاتون[3] ، وشيخ الخانقاة الشبلية[4] ، مات فى هـذه السنة ودفن بقاسيون ، وكان دينا ، متنعما ، يلبس الرفيع من الثياب الحسان ، وعنده تجمل ومكارم أخلاق .

---

(١) المدرسة الكلاسة بدمشق : لصق الجامع الأموى من شمال ، ولها باب إليه ، أنشأها العادل نور الدين محمود سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ، وسميت بهذا الاسم لأنها كانت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع ، ثم جعلت زيادة بالجامع لما ضاق الجامع بالناس — الدارس جـ ١ ص ٤٤٧ — ٤٤٨ .

الملقن : المحفظ ، والمقصود محفظ القرآن بالمدرسة .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٣ ص ١٧١ رقم ٢٨٥٢ .

(٣) الخانقاة الخاتونية بدمشق ، تنسب الى خاتون بنت معين الدين أنر ، وزوجة نور الدين محمود — والمتوفاه سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م — الدارس جـ ١ ص ٥٠٧ ، جـ ٢ ص ١٤٤ وما بعدها .

(٤) الخانقاة الشبلية بدمشق : تنسب إلى شبل الدولة كافور الحسامى طواشى حسام الدين محمد ابن لاجين ولد ست الشام ، والمتوفى سـنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م — وقد أنشأ هذه الخانقاة بسفح قاسيون — الدارس جـ ١ ص ٥٠٣ ، جـ ٢ ص ١٦٣ .

الصاحب الوزير الصدر الكبير فتح الدين أبو محمد عبد الله(١) بن محمد بن أحمد ابن خالد بن محمد بن نصر القرشي المخزومي ، المعروف بابن القيسراني الحلبي .

كان شيخا جليلا ، دينا فاضلا ، شاعرا مجيدا ، من بيت الرئاسة والوزارة ، وولى وزارة دمشق مدة ، ثم أقام بمصر موقعا مدة ، وكان له اعتناء بعلوم الحديث وسماعه وإسماعه ، وله مصنف فى أسماء الصحابة الذين خرج لهم فى الصحيحين ، وأورد شيئا من أحاديثهم فى مجلدين(٢) موقوفين بالمدرسة الناصرية بدمشق ، وقد خرج عنه الحافظ الدمياطى ، وهو آخر من توفى من شيوخه ، وتوفى بالقاهرة يوم الجمعة الحادى والعشرين من ربيع الآخر ، وأصلهم من قيسارية الشام ، وكان جده موفق الدين أبو البقاء خالد وزيرا لنور الدين الشهيد ، وكان والده عز الدين وزير الملك الناصر صاحب دمشق ، وكان من الكُتّاب المجيدين ، توفى فى الأيام الصلاحية سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وأبوه محمد بن نصر ، ولد بعكا قبل أن يأخذها الفرنج سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، فلما أخذت بعد التسعين وأربعمائة انتقل أهلهم إلى حلب ، فكانوا بها .

وكان شاعرا مطيعا ، وله ديوان مشهور ، ومعرفة جيدة بالنجوم والهيئة ، وغير ذلك ، ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ودفن بتربته بجوار مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها .

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، نهاية الأرب جـ ٣٠ ق ١ ورقة ١٠٩ ، درة الأسلاك ص ١٦٥ ، الدرر جـ ٢ ص ٣٨٩ رقم ٢٢٠٠ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣١ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٩ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ٢٢ رقم ٣٢ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٦١ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٣ .

(٢) هو كتاب « معرفة الصحابة » — كشف الظنون جـ ٢ ص ١٧٣٩ . هدية العارفين جـ ١ ص ٤٦٤ .

ومن نظمه :

بوجه مُعــذبي آيات حسن[1] فقل ما شئت فيه ولا تُحاشى
ونسخةُ حسنه قُرئت وصحت[2] وها خَطٌّ الكمال على الحواشي

وله في مليح بوجهه أثر :

قالوا بوجه الذى أَحْببتَــه أثرْ يَشينُه فأنشد في الوصف والقصر[3]
فقلت قد جاء بالآيات ظاهرة في حُســنه وهي تُغنينا عن الأثر
فكان كالشمس لكن خاف يوصف بالتأنيث يوما لها كى صورة القمر

القاضي الإمام شمس الدين سَلمان[4] بن إبراهيم بن إسماعيل الحنفي الملطى .

كان نائبا في الحكم مــدة طويلة بدمشق عن قاضي القضــاة حسام الدين الرازى الحنفي ، وناب أيضا بالقاهرة عن السُرُوجى ، وكان رجلا مباركا ديّنا صالحا ، مات بدمشق فيها ، ودفن بقاسيون .

القاضي علاء الدين على[5] بن عبد الرحيم بن مراجل الكاتب .

---

(١) « آثار » في شذرات الذهب .

(٢) « نصحت » في النجوم الزاهرة .

(٣) « واقتصر » — في تذكرة النبيه .

(٤) وله أيضا ترجمة في : الدرر جـ ٢ ص ٢٢٣ رقم ١٨٢٤ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٢ ، وفيهما : « سليمان بن إبراهيم » .

(٥) وله أيضا ترجمــة في : درة الأسلاك ص ١٦٧ ، الدرر جـ ٣ ص ١٣١ رقم ٢٧٧٢ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ١٠٨ رقم ١٦٤ ، السلوك جـ ١ ص ٩٥٦ ، تذكرة النبيــه جـ ١ ص ٢٦٢ .

كان ماهرا فى صناعة الكتابة والحساب ، ويعرف بلسان التركى ، وعنده فضيلة تامة ، وأدب حسن ، وهو والد الصاحب تقى الدين سليمان (١) بن مراجل ، مات فى السادس عشر من ذى القعدة .

ومن نظمه :

أأحبابنا شوقى إليكمْ مضاعف وذكركمُ عندى مع البُعْد وافرُ
وقلبى لما غبتُم طَار نحوكم وأعجبُ شيءٍ واقعٍ وَهْوَ طائرُ

[٢٢٩] وله :

هـذا كتابُ محبّ رقّ حاسده من فرط وَجدٍ بكم أضحى يكابده
غرامه فيكم أضحى يحاكمه وشوقه نحوكم والله قائده
وشوقه حاصلٌ والقلبُ عندكم باق وخاطرهُ فيكم يُراوده
والدمع مصروفُهُ قد صح شاهدهُ يودّ ناظركم لو كان شاهده
والليل يُحييه كى يَرعى فراقده ومَن يموتُ به وجدا فراقده
عاهدتموه على حفظ الوداد لكمُ وهو المِلىّ بما قد كان عاهده
قد مَسّه الضرّ من طول السَّقام فما يضر طيفكم لو كان عائده

وقال وهو بمصر لما دخل إليها فى سنة إحدى وسبعمائة :

أقولُ فى مصر إذ طال المقامُ بها وسَاء من سوء خلق أهلها خُلُقى (٢)

(١) هو : سليمان بن على بن عبد الرحيم بن مراجل ، الصاحب تقى الدين ، وزير دمشق ، توفى سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م — المنهل الصافى جـ ٦ ص ٤٥ رقم ١٠٩٣ .

(٢) « وساء من ملق ملقى على حلق » — فى الدرر جـ ٢ ص ١٣١ .

يا أهل مصر أجيبوني السؤال عسى　　يُسكن اللهُ ما أَلقاه من قلق
هل فيكم مَن يُرَجّى للنوال ومَنْ　　يلقى لوفدٍ بوجهٍ ضاحكٍ طلِق
أم عندكم لغريبٍ في دياركمُ　　بقية من يدٍ أو عارض غدق
فقيل لى ذاك (١) مما ليس نعرفهُ　　وإنما سُقْتُنا فيها على الملق (٢)

الصدر شرف الدين محمد (٣) بن شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد، المعروف بابن الأثير، كاتب الإنشاء بدمشق.

مات في سابع ربيع الأول، ودفن بسفح قاسيون، وكان شابا حسنا، عاقلا وقورا، خلّصه الله من أسْر التتار ورجع إلى أهله.

الشيخ الصالح العارف المحقق السيد الشريف أبو فارس عبد العزيز (٤) بن عبد الغنى ابن سُرور بن سلامة، المعروف بالمنوفى.

مات بمنزله بمصر ليلة الإثنين خامس عشر ذى الحجة، ودفن بالقرافة، وكان من الصلحاء الأخيار المعمرين، وله ديوان شعر، فمنه قوله:

خيامٌ بنجد كل قلب ثوى بها　　وكل محبّ قد غدا فى طِلابها
وثمّ لليلى العامرية مضربٌ　　إذا جئت تلقاه قريبٌ قبابها
تجلّت على عشاقها من خبائها　　وقد لاح بدرُ التم تحت نقابها

---

(١) «ذلك» — فى الدرر.

(٢) «وإنما سفتنا يجرى على الملق» — فى الدرر.

(٣) وله أيضا ترجمة فى: الدرر جـ ٤ ص ٦٦ رقم ٣٧١٦.

(٤) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، نهاية الأرب جـ ٣٠ ق ١ ورقة ١٠٠، درة الأسلاك ص ١٦٦، الدرر جـ ٢ ص ٤٨٣ رقم ٢٤٣٥، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٥٨.

على رغم عُـذّالى وصلتُ لحبّهـا وطفْتُ سـبُوعا كاملا بخبائها
وقبلتُ أعتابا لهـا ومواطنـا ومَرغتُ خدى فى التُراب ببابها
ولى شرفٌ إن صحّ لى ما ذكرتُه إذا فُزتُ فى الدنيـا بلثم ترابها
ولمـا رأتنى خاطبتنى بلطفهـا وقـد أسكرتنى من لذيذ شرابها
ودارت كؤوس العَتبَ بينى وبينها وما العيش إلا ساعة من عتابها
نعم جُودُها عدل نعم سُخطها رضًى نعم كل عـــذب فى أليم عذابها
لقد كملت حُسْنا وفاقت ملاحة وقـد ملكت منها تمـام نِصابها
وفى حبّها كم ماتَ من مغرم بهـا فلو جاوبته عاش عنـد جوابها
وكم فى رُبى نجـد قتيل صبابة وكم طائح قـد ظل بين شِـعابها
[٣٣٠]
وكم عاشـــقٍ بين الخيـام مُوَله يَهيم بهـا فى بُعـــدها واقـترابها
صبت قلبه والعجب ما ارتفعت له فمـا حاله عنـــد ارتفاع حِجابها

وله يُعارض بانت سُعاد :

قلبى وإن أطْنبَ العذّال مشغُول عن المـــلام فمهما شئتمُ قُولُوا
ما يكتم السِرّ إلاّ كيّسٌ فطِنٌ ويُظهـر الصبرَ إلاّ ماجدٌ قيـلُ
ويُودع السِرّ إلاّ عنـــد من تثبُت له العدالة لا زيغٌ ولا ميلُ
ما كلُ علمٍ إذا الغيبــة انسعت له العقُـولُ ولا ماء الحسَا نيـلُ
أيضا ولا كلُ مديح بالقريض إذا نظمته حَسُنت فيـه الأقاويلُ
يا مدّعى مَدح مَنْ أسرَى الإلهُ به ليـلا فلم يدر إلا وَهْـــو محمولُ

ماذا تقول إذا ما رُمْت تمدحه وقد أتاه بوحى الله جبريلُ
هذا ومركبُه متن البراق وقد جاءت ببُشراه توريةٌ وإنجيلُ
وأنزلت فيه من حب الآله طه وشُورى ويس وتنزيلُ
فمن يرى أنه وفىّ المديحَ له فعقله وجلال الله مخبولُ
هذا هو الحقُّ عندى والدليلُ على ما قلتُه أنه بالعلم منقولُ
ما يمدحُ المُصطفى إلا الإلهُ وقد جاءت بذلك آيات وتأويلُ
إن النبىَّ لمولى يُستجارُ به عبد بسيفِ الهوى والحظ مقتول
يرجو شفاعته يوم المعاد إذا قال الآلهُ له قُلْ أنتَ مقبول
صلى عليه إلآه العرش ما طلعت شمس وما لاحَ فى الظلماء إكليلُ
وازنت مَن قال قبلى وهو مرتجلٌ بانت سُعادُ فقلبى اليومَ متبولُ

النَّصير[1] — بفتح النون — ابن أحمد بن على المناوى الحمامى، الأديب المشهور.

مولده بمنية خصيب فى سنة تسع وستمائة .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : أخبرنى الحافظ العلّامة أثير الدين أبو حيان من لفظه قال : كان المذكور بمصر أديبا كيّس الأخلاق ، يحترف باكتراء الحمامات[2]، ثم طعن فى السنّ وضعف عن ذلك، وكان يستجدى بالشعر، وكتبتُ عنه قديما وحديثا . قال : وأنشدنى أثير الدين من لفظه، قال: أنشدنى النّصير المذكور لنفسه قوله :

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، فوات الوفيات جـ ٤ ص ٢٠٥ رقم ٥٥١ ، الدرر جـ ٥ ص ١٦٦ رقم ٤٩٤١ .

(٢) « وكان يرتزق بضمان الحمامات » — الدرر .

لا تَفُـه ما حَييتَ إلا بخـير ليكون الجـوابُ خيرا لَدَيْكا
قدسمعت الصَّدى وذاكِ جماد كل شئٍ تقـولُ ردَّ عليـكا

قال الصفدى : وأنشدنى له أثير الدين أيضا :

[٣٣١]

أقول للـكأسِ إذ تبـدَّت فى كفِّ أحوى أغنَّ أحْوَرُ
خربتَ بيْـتى و بيت غـيرى وأصـل ذا كعبـك المُـدوَّرُ

قال : وانشدنى له أيضا :

إن الغـزال الّذى هامَ الفُؤاد به استأنس اليوم عندى بعدما نفرا
أظهرتها ظاهريات وقد ربضت فيها[(١)] الأسود رآها الظبى فانكسرا

قال : وأنشدنى له أيضا :

قالـوا افتضحت بحبِّـه فأجبتُ لى فى ذا اعتـذارُ
من لى بكتمان الهـوى وَبخـدّه نَـمَّ العِـذارُ

قال : وانشدنى له أيضا :

مازال يَسقينى زلالَ رُضابه لمـا خفيت ضئ وذُبتُ توقّدا
ويطيننى[(٢)] حيّا رَويتُ بريقـه فإذا دعا قلبى يُجاوبهُ الصَّدا

قال : وأنشدنى له أيضا :

ماذا يضرك لـو سمحتَ بزَوْرةٍ وشفعتهـا بمـكارم الأَخْلاق
وردعتَ نفسك حين تمنعك اللقا وتقـولُ هـذا آخر العُشاق

---

(١) « بها » — فى الدرر .

(٢) المقصود : يميتنى ، مأخوذ من طن فلان ، أى مات ، والطن ، هو بقية الروح — لسان العرب .

قال وأنشدنى له أيضا :

إنّى لأكره فى الأنام ثلاثة　　ما إن لها فى عدّها من زائد
قربُ البخيل وجاهلا متعاقلا　　لا يستحى وتودّدا من حاسد
ومن البليّة والرزيّة أن ترى　　هذى الثلاثة جُمعت فى واحد

وقال الصّفدى : أنشدنى القاضى جمال الدين إبراهيم بن شيخنا الشهاب محمود قال : أنشدنى النّصير لنفسه بقلعة الجبل قوله :

رأيت فتى يقول بشط مصر　　على درج بدت والبعض غارق
متى غطّى لنا الدرجُ استقمنا　　فقلتُ نعم وتنصلح الدقائقُ

وله أيضا :

ومُذ لزمتُ الحمّام صرتُ فتىً(1)　　خلّا يُدارى من لا يُداريه
أعرِفُ حرّ الأشياء وباردَها　　وآخذُ الماءَ من مجاريه

وقال الصفدى : أنشدنى الشيخ العلامة فتح الدين محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس قال : أنشدنى النّصير الحمامى لنفسه :

رأيتُ شخصًا آكلا كرشةً　　وهو أخو ذوقٍ وفيه فِطَنْ
وقال مازلتُ محبّا لها　　قلتُ مِنَ الإيمان حبُّ الوطنْ

وكتب النّصير إلى السراج الورّاق :

أتى نصلُ الحريف علىّ جدّا　　بأمراضٍ لواعجُها شِدادُ
واعذر عائدى إن لم يعُدنى　　ورُبَّ مريض قومٍ لا يُعادُ

---

(1) « فى » — فى الدرر .

فأجاب الوراق عن ذلك :

خلائقك الربيعُ فليس يَخشى ... خريفاً فى الجُسـومُ له اعتيادُ
ولا والله لم أَعلمك إلا صحيحًا ... والصَّـحِيحُ فما يُعـادُ

[٣٣٢] وكتب إليه يستدعيه إلى حمامه :

من الرأى عندى أن تُواصل خلوة ... لها كبدٌ حَرّى وفيض عيونى
تراعى نجوماً فيك من حرّ قلبها ... وتبـكى بدمـع فارح وحزين
غدا قلبها صبّاً عليك وأنت إن ... تأخرتَ أضحى فى حياض منُون

وله دو بيت :

فى وَجهك للجمال والحُسن فنون ... فى طرفك للسحر فتورٌ وفتونٌ
أنّى يَسـلو هَواك يامن باتت ... عيناه تقول للهوى كن فيكونْ

ولـه :

إن عجّـل النورُوزُ قبـل الوَفا ... عجّـل للعالِم صَفْعَ القَفـا
فقد كفى من دَمعهم ما جَرى ... وما جَرى مِنْ نيلهم ما كفَى

الخطيبُ شهاب الدين أبو حفص عمر (١) بن كثير بن ضـوء بن كثير بن ضوء ابن درع القرشى .

من بنى حصلة ، وهم منسوبون إلى الشرف ، وبأيديهم نسب . وهو والد الشيخ الإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير صاحب التاريخ المشهور (٢) .

(١) وله أيضا ترجمـة فى : المنهل الصافى ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣١ — ٣٢ ، الدرر جـ ٣ ص ٦١ رقم ٣٠٥٨ .

(٢) هو كتاب « البداية والنهاية » .

ولد عمر المذكور فى قرية يقال لهـا الشركوين غربى بصُرى ، بينها وبين أذرعات ، فى حدود سنة أربعين وستمائة ، واشتغل بالعلم عند أخواله بنى عقبة ببُصرى ، فقرأ البـداية (١) فى مذهب أبى حنيفة ، وحُمل الزجاجى ، وعُـنى بالنحو والعربية واللغة ، وحفظ أشعار العرب حتى كان يقول الشعر الجيد الرائق الفائق فى المديح والمراثى ، وقليل من الهجاء ، ونزل بمدارس بصرى ، وأم بمبرك الناقة شمالى البلد ، ثم انتقـل إلى خطابة القـرية شرقى بصرى ، وتمذهب للشافعى ، وأخذ عن النووى وعز الدين الفزازى ، فأقام نحوا من ثنتى عشرة سنة ، ثم تحول إلى خطابة مجيدل القرية التى منها والدة الشيخ عماد الدين إسماعيل ولده ، فأقام بها مدة طويلة ، وقد ولد له عدّة أولاد من والدة الشيخ عماد الدين ومن أخرى قبلها ، فأكبرهم إسماعيل ، ثم يونس ، وإدريس ، ومن والدة الشيخ عماد الدين عبد الوهاب ، وعبد العزيز ، ومحمد ، وأخوات عدّة .

قال ابن كثير فى تاريخه : ثم أنا أصغرهم وسُمّيت باسم الأخ إسماعيل لأنه كان قد [قدم دمشق فـ] (٢) ما اشتغل بالعـلم ، وسقط من سطح الشامية البرانية ، فمـات بعد أيام ، ووجد عليه والده وجدا كثيرا ، ورثاه بأبيات ، قال : فلما وُلدت أنا له بعده سمّانى باسمه ، فأكبر أولاده إسماعيل وأصغرهم إسماعيل . ثم قال : وكانت وفاة الوالد فى جمادى الأولى سـنة ثلاث وسبعمائة بقرية مجيدل ، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتونة ، وكنتُ إذ ذاك صغيرا ابن ثلاث أو نحوها ، لا أدركه إلا كالحلُم ، ثم تحولنا بعده فى سنة سبع وسبعمائة إلى دمشق صحبة الأخ

(١) هكذا بالأصل ، وفى البداية والنهاية ، ولعلها « الهداية » .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح من البداية والنهاية .

كمال الدين عبد الوهاب ، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين ، فاشتغلت على يديه بالعلم .

ومن أشعار عمر بن كثير والد الشيخ عماد الدين إسماعيل :

نأى النومُ عن جَفني فبتُّ مُسَهدا (١) أخا كلفٍ حِلفَ الصَّبابة مُكْمَدا

[٣٣٣]

سمير الثُّريا والنجوم مدلها فمن ولَهي خلتُ الكواكب رُكَّدا

طريحا على فرش الصبابة والأسى فما ضركم لو كنتم لى عُوَّدا

تُقلبني أيدى الغرام بلوعة أرى النار من تلقائها لى أبردا

ومزقني (٢) صبرى بعد جيران حاجز سعيدُ غرام بات فى القلب مُوقدا

فأمطرته دمعى لعل زفيره يقل فزادته الدموع توقدا

فبتّ بليل آسى ولم أر على النأى من بعد الأحبّة مُسْعدا (٣)

فيالك من ليل تباعد فجرُه علىَّ إلى أن خلتُه أن يُخلَّدا (٤)

غراما ووَجْدًا لا يُحد أقله بأهيف معسول المراشف أغيدا

له طلعة كالبدر زان جمالها بطُرّة شعر حالك اللون أسودا

يهز من القد الرشيق مُثقفًا ويُشهر من جفنيه سيف مهندا

(١) « موجدا » فى البداية والنهاية .

(٢) « ومزق » — فى البداية والنهاية .

(٣) ورد هذا البيت فى البداية والنهاية هكذا :

فبت بليل نابغى ولا أرى على النأى من بعد الأحبة صعدا

(٤) « لله » فى البداية والنهاية ؟

إلى وَرْدِ خدّيه وآس عـــذاره (١) وضوء ثناياه فنيت تجـــلدا

فـدا كل حُسن دونه متقاصرا وأضحى له رب الجمـال موحّدا

أيا كعبة الحسن التى طاف حولها فؤادى أما للصّدّ عنك (٢) من فدا

قنعتُ بطيفٍ من خيالك طارقا وقد كنت لا أرضى بوصلك سَرْمدا

وقد شفـــنى شوق تجاوز حدُّه وحسبك من شوق تجاوز واعتدا

سألتـــك إلا ما مررت بجفنـا بفضلك ياربّ المـلاحة والنّـدا

فلطت بهجرانى ولو كنت صائبا لمـا صدّك الواشون عنى ولا العِدا (٣)

الشيخ شهـاب الدين أحمـد (٤) بن سامة بن كوكب الطائى الحنفى ، إمام المدرسة الفارقانية التى بحارة الوزيرية .

سمع من جماعة ، وكتب وروى ، توفى فى هذه السنة ، وكان عدلا يشهد على القضاة ، ويكتب الشروط والإسجالات .

الأمير زين الدين قراجا (٥) أستادار الأفرم .

توفى فى المحرم منها ، ودفن بتربته بميدان الحصى عند النهر .

---

(١) « رق ورد » فى البداية والنهاية .

(٢) « عندك » فى البداية والنهاية .

(٣) انظر البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٢ — ٣٣ حيث توجد أبيات أخرى من هــذه القصيدة التى عدتها ثلاثة وعشرون بيتا .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ١ ص ١٤٤ رقم ٣٧٦ .

(٥) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٠ .

الأمير الكبير عز الدين أيبك الحموى[(١)] .

ناب بدمشق مدة ، ثم عزل عنها إلى صرخد ، ثم نقل قبل موته بستة أشهر إلى نيابة حمص ، فكانت وفاته بها يوم الأحد عشرين ربيع الآخر ، ونقل إلى تربته بالسفح ، غربىّ زاوية ابن قوام ، وإليه يُنسب الحمام بمسجد القصب الذى يقال له حمام الحموى ، عمّره فى أيام ولايته ، وكان أميرا عاقلا ، شجاعا مقداما ، كثير التلاوة ، وكان من مماليك المنصور صاحب حماة هو والأمير علم الدين أبو خرص ، وكان ضنينا بهما ، فأرسل الملك الظاهر وطلبهما منه ، فاعتذر بمرضهما ، فأرسل من يحضرهما فى محفات ، فأرسلهما إليه ، وعند وصولهما أمّرهما ، وصار لهما صورة فى الدولة الظاهرية وغيرها ، وولاه الملك الأشرف [٣٣٤] نيابة دمشق ، عوضا عن الشجاعى فى سنة إحدى وتسعين ، فاستمر فى النيابة إلى سنة خمس وتسعين ، ولما تملك كتبغا العادل عزله وولى غرلوا العادلى عوضه ، وأرسله إلى صرخد ، فأقام بها إلى هذه السنة ، ثم أعطى نيابة حمص فأقام بها قليلا ، ومات فى التاريخ المذكور .

الأمير ركن الدين بيبرس[(٢)] التلاوى ، مشد الدواوين بالشام .

توفى يوم الإثنين تاسع رجب ودفن بقاسيون ، وكان ظالما عسوفا جبارا ، وكانت مدة ولايته سنة واحدة وستة وأربعين يوما ، أقام منها مريضا تسعة

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ١٣٢ رقم ٥٧٦ ، درة الأسلاك ص ١٦٥ ، الدرر جـ ١ ص ٤٥١ رقم ١١٠٧ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ١٦ رقم ٢٥ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٢ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٠ ، الوافى جـ ٩ ص ٤٧٩ رقم ٤٤٤٠ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٥٨ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٢ ، الدرر جـ ٢ ص ٤١ رقم ١٣٧٥ .

أشهر وأياما ، وولى الشدّ مكانه شرف الدين قيران الدوادارى ، وكان مشدا بطرابلس ، فنقل إلى دمشق .

الأمير سيف الدين بكتمر[(١)] السلحدار الظاهرى .

توفى فيها ، وهو أحد من كان توجه إلى قازان وعاد ، وكان من أكابر الأمراء الشجعان الفرسان المقاديم فى الحروب ، وخدم الدولة الظاهرية والمنصورية ، وكان يرمى على ستة وخمسين رطلا بالدمشقى مع خفة ولطافة ، وكان يحبّ الطرب ويتولع بالسماع والرقص فيه ، ويلبس الكامليات ، ويتعانى الطرافة فى ملبسه ، وفى الأكل المفتخر من الطعامات ، وله مكارم كثيرة على الناس .

الملك قازان بن أرغون بن أبغا بن هلاون بن طلو بن جنكزخان .

مات فى هذه السنة ، وقد ذكرناه[(٢)] ، وقازان — بالقاف ، ويقال بالغين المعجمة ، وبعد الألف زاى معجمة ، وفى آخره نون — وكان تسمّى بمحمود لما أظهر الإسلام ، كما أن أخاه خربندا تسمى بمحمد .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ٤٠١ رقم ٦٨١ ، الدرر جـ ٢ ص ١٦ رقم ١٣٠٥ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ١١٣ .

(٢) انظر ما سبق ص ٣١٦ .

فصل فى ما وقع من الحوادث
فى السّنة الرابعة بعد السّبعمائة (*)

استهلت هذه السنة : والسلطان : الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون ، وقد عاد من صيده وتنزهه فى بلاد البُحَيرة ، وقد ذكرنا خروجه من القاهرة فى السنة الماضية وما اتفق لناصر الدين الشيخى الوزير معه (١) .

وذكر بيبرس فى تاريخه : خروج السلطان إلى الصيد فى هذه السنة .

وقال : وفى سنة أربع وسبعمائة توجه الركاب الشريف إلى الإسكندرية والجهات الغربية متصيدا فى الحمامات ومتفرجا فى تلك الجهات ، ولما قضى وطره عادَ إلى دياره ، وكان عوده فى جمادى الأولى .

قلت : التوفيق بين الكلامين أن سفره كان فى أواخر السنة الماضية وعوده فى هذه السنة ، والله أعلم .

ذكر مَجىء نَاس إلى خدْمة السُلطان من بلاده ومَجىء رُسُل من ملوك بلاد غيره :

منهم ما قال بيبرس فى تاريخه : وفد إلى الأبواب الشريفة من الشرق أعيان العربان منهم : الأمير قَطَايا (٢) بن سيف أمير بنى كلاب وجماعة من شيوخهم ،

(*) يوافق أولها يوم الثلاثاء ٤ أغسطس ١٣٠٤ م .

(١) انظر ما سبق ص ٣١١ .

(٢) « سيفر » فى السلوك جـ ٢ ص ٣ .

فأكرم مثواهم ، وأصغى لنجواهم ، وشملتهم الصدقات بالإقطاعات ، وعادوا إلى حلب وقد نال كلٌّ فوق ما طلب .

وقال صاحب النزهة : وفى مستهل المحرم تواترت الأخبار بوصول الأمير سيف الدين قطايا بن الأمير سيف أمير بنى كلاب ، وكان هذا الرجل قد خرج عن طاعة السلطان وأفسد فى نواحى حلب وقطع الطريق ، فطلبته السلطنة ، فدخل هو وجماعته إلى بلاد الشرق ، وأقاموا مع المغُل وأكرموهم إكراما كثيرا ، فلما اتفق موت غازان كاتب نائب حلب ، ورجع إلى الطاعة ، وورد إلى مصر ، وأقبل عليه السلطان والأمراء وأكرموه ، وكتبوا لنائب حلب بردّ أخبازهم وإكرامهم ، وهؤلاء قوم معروفون بالفروسية والشجاعة ، وكانوا يركبون [٣٣٥] ويغيرون على المغل كل وقت ، وكان يتفق لهم معهم وقائع غريبة ، وما كانوا يخرجون من بلاد المغل إلا بالكسب والغنيمة .

ومنهم ما ذكره بيبرس وغيره : أنه قدم إلى مصر الأمراء الذين توجهوا إلى بلد سيس فى السنة الحالية وهم : الأمير بدر الدين أمير سلاح ، والأمير علم الدين سنجر الصوابى ، والأمير سُنقرجاه المنصورى ، ومن معهم من العسكر المنصور بعد ارتجاع القلاع التى كان الأرمن قد عدوا عليها وتطرقوا إليها وخربوا تل حمدون .

ومنهم : رسل السلطان الذين كانوا قد توجهوا إلى قازان وعوقهم قازان عنده كما ذكرنا ، وهما الأمير حسام الدين [أزدمر](١) المُجيرى ، والقاضى عماد الدين [على بن عبد العزيز](٢) ابن السكّرى ، وقد عادوا إلى الديار المصرية فى رمضان ،

(١) [ ] إضافة للتوضيح — السلوك جـ ٢ ص ٦ .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح — السلوك جـ ٢ ص ٦ .

وحضر صحبتهما رُسل خَرْبندا برسالة مشتملة على طلب الصلح وكف الغارات من الجهتين ، فأحسن السلطان إلى رسل خربندا وأعادهم ، وأرسل صحبتهم علاء الدين على بن سيف الدين بلبان القلنجى (١) ، أحد مقدمى الحلقة ، والقاضى صدر الدين سليمان المالكى الشُبْراَمْرِيقى ، وشُبرا مَرِيق (٢) : قرية من قرى الغربية من أعمال مصر ، وتوجهوا فى ذى القعدة وعادوا فى رمضان سنة خمس ، ومعهم رسول خربندا .

وفى نزهة الناظر : وعند تملك خربندا بلاد قازان وجلوسه على التخت جَهَّز رسل السلطان : حسام الدين المجيرى ومَن معه بعد أن أنعم عليهم ، وكتب معهم كتابا خاطب فيه السلطان بالأخوة ، وسأل إخماد الفتن والصلح بين المسلمين ، وآخر كلامه فى كتابه : وعفَا الله عما سلف ، ومَن عاد فينتقم الله منه . وسَيَّر صحبتهم قليلا من الهدية ، ولما وردوا أكرمهم السلطان أيضا وأجاب إلى سؤالهم ، وأرسل معهم هدية تليق به .

ومنهم : رسل الملك طقطاى صاحب سراى و بر القفجاق (٣) ، وصلوا إلى الأبواب الشريفة .

قال بيبرس فى تاريخه : وفى هذه السنة وصل رسول من جهة الملك طقطا اسمه قرلجى ، فأكرم غاية الإكرام ، وأُنزل بمنظرة الكبش فى خير مقام ، وتفرج فى الجيزة والأهرام ، ثم أعيد جوابه ، وجُهِّز إلى مُرْسله بأنواع التحف والهدايا ، وسُفِّر الأمير سيف الدين بلبان الصَرْخدى صحبته رسولا من الباب العزيز .

---

(١) « القلنجق » — فى السلوك جـ ٢ ص ٦ .

(٢) « المرتق » — فى السلوك جـ ٢ ص ٦ .

(٣) « القبجاق » فى السلوك جـ ٢ ص ٧ .

وقال صاحب النزهة : وصل رسول طقطاى ومعه هدية وتحف ، وكان قد حمل مماليك وجوارياً كثيرة ، فمات أكثرهم فى البحر وبقى منهم قليل ، ولما حضر قدّم بعضهم وباع بعضهم ، ومن جملة مضمون كتابه : أن السلطان يركب بعسكره وهو أيضاً يركب بعسكره ويأخذون بلاد قازان وعسكره بينهم ، ويكون لكل منهما مكان يصل إليه خيله ، وكتب السلطان فى جوابه : أن الله عز وجل كفاهم أمر غازان ، وأن أخاه قد سيّر إليه رسولا فسأله الصلح ، وأنه أسلم واتبع الدين المحمدى والشريعة الإسلامية .

ومنهم : جماعة وصلوا من جهة أبى يعقوب المرينى صاحب الغرب[1] ، وفيهم رسول سمى علاء الدين أَيدغدى الشَهرزُورى ، أصله من أولاد الشهرزورية الذين نُفيوا إلى المغرب فى الدولة الظاهرية ، وحضر بصحبته من جهة صاحب المغرب المذكور هدايا جليلة ، وتحف كثيرة ، وخيل عربية ، وبغال مغربية ، وجمال وقماش ، وجملة كثيرة من الذهب العين على سبيل الإمداد والهدية ، ووصل معه ركب كبير فيه من المغاربة خلق كثير لقصد الحجاز الشريف . ولما كان أوان الحج حج الرسول المذكور ، وحجوا معه جميعا ، وعادوا إلى مرسله فى سنة خمس وسبعمائة .

[٣٣٦] وفى النزهة : وكان علاء الدين أيدغدى المذكور من أصحاب الأمير بهاء الدين يَعقوبا أمير الأكراد الشهرزورية ، ولما حصل له العبور إلى مصر مُسك يعقوبا فى الدولة الظاهرية هو وجماعة من أكابرهم ، فهرب هذا الرجل مع جماعة من الأكراد إلى بلاد البحُيرة ، ثم دخلوا إلى الإسكندرية ، وكان معه شىء من المال ، واجتمع بجماعة من المغاربة وعاشرهم إلى أن أخذوا له بضائعا

(١) الغرب : المقصود بلاد المغرب الأقصى — انظر ما يلى .

تصلح للغرب، وركب معهم فى مركب هو وأصحابه، ولما وصلوا إلى أبى يعقوب المرينى عرفوه بحاله، فأكرمه وقربه، فوجده كافيا للأمور، فتعاظم عنده فى تلك المدة إلى أن مكّنه فى التحدث فى الوزارة، وسار فيها سيرة حسنة، وعرف أخلاق المغاربة لطول مدته عندهم، وكان وقت دخوله إليهم شابا، ثم سأل المرينىَّ أن يحج ويقضى فرضه، فأنعم له بذلك، وجهّز أيضا صحبته جماعة من أهله وأقاربه، وتبعتهم جماعة كثيرة، وسيّر صحبته خيلا وبغالا، وتحفا سنية تصلح للملوك، وأخذ الوزير أيضا صحبته ما يليق به، ولما دخل على السلطان أكرمه وقرّبه وأمر بإنزالهم فى الميدان، ورتّب لهم كل ما يحتاجون إليه، ورسم للوزير والمباشرين أن يجهزوهم بكل ما أمكن.

ومنهم متملك دُنْقُلة وبلاد النوبة واسمه أَيَاىْ، وصل إلى مصر وأحضر معه هدية من الرقيق والهجن والجمال والأبقار والشبّ والسُّنْبَاذج، وأُنزل بدار الضيافة، وقُبلت هداياه، وشُرِّف بالخلع الملوكية والتشاريف السلطانية، وسأل أن يجرد معه عسكرا لينهض به على إعداده[1]، فجرّد معه جماعة من أجناد الأمراء وجند الولايات وعربان الصعيد، وجعل سيف الدين طُقصُبا الذى كان والى قوص مقدما عليهم.

وقال صاحب النزهة: وجردّوا من مصر نحوا من ثلاثمائة فارس من جند الحلقة والأمراء، فخرجوا إلى أن وصلوا فى المركب والبر أيضا إلى قوص، وأقاموا إلى أن أكتمل الجند والعرب، ورحل طقصبا بالعسكر جميعه وصحبتهم ملك دنقلة، فبلغه خبرُ بهروب صاحب دنقلة صحبته جماعة كثيرة من السودان، وعلم أنه لا ينال طائلا، واتفق مع الملك، ورجع بالعسكر إلى مصر.

(١) هكذا بالأصل، ولعل المقصود «على أعدائه».

ومنهم: جماعة من الترنحو مائتى فارس وصلوا فى جمادى الأولى منها بنسائهم وأولادهم وأموالهم ، ودخلوا دمشق تاسع الشهر ، وقيل : إن فيهم أربعة من السلاحدارية للملك قازان .

وقال صاحب النزهة : ورد مملوك نائب حلب يخبر أن جماعة من المغل قصدوا بلاد الإسلام ، وفيهم جماعة من ألزام قازان ، وفيهم بعض أولاد سنقر الأشقر[1] ، وعند وصولهم إلى مصر تلقوهم ملتقى حسنا ، وأكرموهم ، وأعطوا بعضهم الأخباز ، وأطلقوا لبعضهم الرواتب ، وفرق منهم جماعة على الأمراء ، وكان فيهم ناس من ألزام الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا ، فأخذهم إليه ، وكان السبب لحضورهم أن الأمير سيف الدين سلاّر كان سيّر جماعة من القُصّاد بسبب حضور والدته وبقية إخوته ، ووقع التحيل فى أمرهم ، فلم يجدوا التمكّن من ذلك ، واتفق موت غازان وتفرق عسكره بحيث لم يلتفت أحد على أحد ، فتحيلوا وخرجوا بهم ، ووصلوا إلى قريب حلب ، ووجس فى خاطرهم الدخول إلى مصر والاجتهاد [٣٣٧] فى الرغبة فى الإسلام ، ولما وصلوا إلى مصر حصل لهم الخير ، وعند حضور والدة الأمير سيف الدين سلاّر وإخوته : فخر الدين داود وسيف الدين جَبَا ، عمّر لوالدته فى الميدان الذى أنشأه الملك العادل ، وكان اصطبل الجوق فى الدولة المنصورية ، ثم آل أمرها إلى أن يُعرف بحكر الخازن .

(١) « الأشرف » فى الأصل ، والتصحيح من السلوك جـ ٢ ص ٥ . وعن سنقر الأشقر انظر المنهل الصافى جـ ٦ ص ٨٧ رقم ١١٢٣ .

وقال الراوي : أخبرني شخص من جهتهم أن هذين الاثنين افترقا من أخيهما[(١)] سلار في وقعة أبلستين للملك الظاهر مع تداون ، وبعد ذلك لم يكن أحد يعرف حال صاحبه ولا مكانه إلى أن أراد الله باجتماعهم في هذه المدة .

ذكر بقية الحوادث في هذه السنة :

منها : أن الأمير سيف الدين سلار قدم من الحجاز في رجب المحرم ، وذكر عنه أنه أنفق في هذه السفرة [ما][(٢)] لم ينفق أحد من الأمراء مثله ، ولما أراد أن يحج طلب مباشريه وقال لهم : جهزوا لي أشياء لأعمل خيرا ما سبقني أحد إليه ، واعملوا أضعاف ما عمله الأمير سيف الدين بكتمر أمير جندار لما حج ، وقد ذكرنا ما فعله فيما مضى[(٣)] ، وقال لهم أيضا : خذوا معكم شيئا كثيرا من الذهب والفضة ، واحملوا من الغلال في المراكب ، فإن سلمت فيها ونعمت ، وإلا يكون معنا شئ نعوض عنها ، فأوسقوا ثماني مراكب ما بين غلة ودقيق وسكر وغير ذلك ، وجهزوا المال في صناديق صحبته .

وعند وصوله إلى مكة شرفها الله جلس وسير أستاداره بدر الدين أبا فدة وجماعة ممن يثق بهم إلى المجاورين بالحرم ، واستعلم من كل منهم ما عليه من الدين وكم مؤنته في السنة ، وما يحتاج إليه ، فداروا على الجميع وكتبوا أسماءهم وأسماء أصحاب الديون ، فطلب الجميع وأوفى ما على المجاورين وغيرهم من الديون ، ثم أعطى لكل واحد منهم مؤنة سنة ، وفي ذلك الوقت وصل قاصده من جدة

(١) « من أخيه » — في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق .

(٢) [ ] إضافة يقتضيها السياق .

(٣) انظر ما سبق في أحداث سنة ٧٠٢ هـ .

وأخبره بوصول المراكب سالمة إلى جُدة ، فرسم بحمل ما فيها ، ثم سيّر إلى بيوت أهل مكة وطلب الجمع ، الجليل منهم والفقير ، وأعطى لهم من الذهب والفضة والغلة مؤنة سنة حتى لم يبق فى مكة لا كبير ولا صغير ، ولا شيخ ولا شاب ، ولا فقير ولا غنى ، ولا شريف ولا عبد إلّا وقد حصل له من ذلك شيء ، ولما فرغ من ذلك طلب الحاج من الزيلع وفرق عليهم من الذهب والفضة والغلة والسكر والحلواء شيئا كثيرا ، وكان الزيلع تطوف بالبيت ويقولون فى طوافهم : ياسلاّر كفاك الله همّ النار ، ثم سيّرَ المباشرين الى جدة وفعلوا بأهلها كما فعل هو بأهل مكة .

ولما أتم سلاّرُ حجة ركب إلى المدينة ، وعند وصوله وادى بنى سالم وقفت العرب التى بالجبال التى هناك ، وعبثوا على الحاجّ ، وأخذوا أطرافهم ، ونهبوا جمالا كثيرة ، فركبت الأمراء عليهم وقاتلوهم بالحجارة ساعة ، فانهزموا ، فتبعوهم إلى الجبال ، وأخذوا منهم خمسين نفرا ، وجرحوا منهم جماعة ، وأحضرهم الأمير سيف الدين سلاّر إلى المدينة واستفتى العلماء فيهم ، فأفتى الجميع بقوله تعالى : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾ (١) . الآية ، فأمر عند ذلك بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف .

قال الراوى : وبلغنى ممن حضر هذه القضية ، أنه من الخمسين ، صبيٌّ ما دون البلوغ ، فرحمه الأمراء ، وسألوا سلاّرا بإطلاقه ، فأمر بإطلاقه ، فقال : لا والله لست أكون سالما دون أبى وأخى وأصحابى ولى أسوة بهم [٣٣٨] ، فأمر عند ذلك بقطعه ، فتعجبت الناس من قوة نفس هذا الصبىّ .

(١) الآية رقم ٣٣ من سورة المائدة رقم ٥ .

ولما وصل سلّار إلى مصر أراد مُباشروه أن يرفعوا حساب ما نُفقَ فى هذه السفرة فلم يَرْض بذلك ، وقال : مال أنفقناه فى سبيل الله من وجه حل ، فنرجو قبوله ، ولا ينبغى أن نُحاسب فيه .

ومنها أن الأمير سيف الدين أسندمر نائب طرابلس كتب إلى السلطان والأمراء أن أميرا من أمراء طرابلس يقال له سيف الدين بَاأوُج الحسامى — من مماليك لاجين — أساء عليه الأدب فى دار السلطنة بحضور الأمراء كلهم ، وأخرق حرمة السلطنة ، فالمسؤول تأديبه ، فكتب السلطان بأن يطلبه قدام الأمراء ويأخذ سيفه ويحبسه ، فلما وصل إليه الكتاب طلبه وأخذ سيفه وأهانه وحبسه .

وكان السبب فى ذلك أن شخصا من السمَرة[1] كان يتحدث فى ديوان النائب ويتجر له فى سائر الأصناف ، فطغى بسبب ذلك حتى صار يركب الجورة العربية بالسُروج المحلاة بالذهب والفضة ، ولم يدَع كلاما لأحد فى طرابلس حتى صار يحكم فى الجيش ، وحصّل أموالا عظيمة له وللنائب ، وتألم منه أهل طرابلس ألما عظيما ، ولم يخلّوا أحدا من الأمراء حتى شكوه إليه ، ولم يكن أحد منهم يجترئ أن يبلغ ما يفعله للنائب إلى أن تزايد أمره وفشى طغيانه ، ثم إن باأوج المذكور اتفق مع الأمراء على أنه يتحدث مع النائب بسبب ذلك بشرط أن يُساعدوه عند فتح الكلام ، فاتفقوا على ذلك ، ولما حضروا يوم الموكب للخدمة شرع الأمير باأوج وفتح الكلام ، وقال : يا خوند أهل طرابلس جميعهم يشكون من هذا السامرى ، وعندهم ألم كثير وضرر عظيم بسببه . فالتفت إليه النائب

(١) السمرة أو السامرة : طائفة من اليهود ، وهم أتباع السامرى الذى أخبر الله تعالى عنه بقوله فى سورة طه آية ٨٥ (وأضلهم السامرى) — صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٦٨ وما بعدها .

كالمُغضب وقال: يكذب أهل طرابلس فإنهم مراجفون مناجيس، وأنت أيضا بقيت مثلهم ، وكان بالوج شرس الأخلاق ، فقال يا أمير أقول لك إن هؤلاء ناس مسلمون يشتكون من هذا الخنزير الكافر وتقول لى أنت منهم، يعنى تقول لى تكذب . قال : نعم ، فلما سمع بالوج هـذا الكلام نهض قائمـا ، وقال : والله لأضربن عنق هذا السامرىّ حيث وجدته، فالسلطان ما يَشْنقُنى لأجل سامرىّ خبيث، ثم اتفق ما ذكرناه من النائب فى حقه ، فتزايد السامرىّ على الناس إلى أن وقع منـه كلام فى يوم من الأيام يُوجب قتـله ، فشهدت جماعة بذلك من العـدول وغيرهم ، وكتبوا بذلك محضرا وأرسلوه إلى قاضى المـالكية بدمشق ، فأثبته القاضى ، ثم اجتمع بالقاضى الشافعى والحنفى ، وتوجهوا إلى ملك الأمراء جمال الدين الأفرم وعرّفوه بالقضية ، فكتب إلى الأمراء بمصر وعرّفهم بجميع ما وقع ، وعرّف أيضا أن هـذا الرجل خصيص بنائب طرابلس ، فقام الأمير ركن الدين فى ذلك وكتب إلى أسندمر نائب طرابلس أن يرسل هذا السامرى إلى دمشق ليتولى أمره القاضى المـالكى ، ويفعل فيـه ما يجب عليـه بالشرع ، ويُطلق سـيف الدين بالوج عن الحبس ، فلمـا وصل الكتاب إلى أسندمر ، وفيه الإنكار عليـه بسبب ما بلغ الأمراء من أمر السامرىّ ، وعلم أنه لا دافع عنـه ، وتصورّ أن السامرىّ إذا [٣٣٩] وصـل إلى دمشق يُحدّثُ بمـا كان يفعله هو ، أراد به أسندمر نفسه ، فيقع بسبب ذلك فى أمر أعظم ممـا كان، فطلب سيف الدين بالوج ، واعتذر إليـه وقال : ما كنت أعرف حال هـذا الملعون وما كان يفعله حتى ظهر لى فى هذا الوقت ، وخلع عليه وطيب خاطره، ثم طلب السامرىّ بين يديه وأهانه وقيده، وجعله فى زنجير، وسلّمه إلى البريدىّ، وسيّر معه بعض مماليكه ووصّى بهم بأنكم إذا وصلتم إلى حمص وركبتم منها فى الليل

اضربوا رقبة السامرى ، وخذوا معكم رأسه، فإذا وصلتم إلى الشام عرفوا نائب الشام بأنا لما نزلنا فى حمص جاءت علينا جماعة فى الليل وضربوا رقبته ، وهم من أهل طرابلس ، فإنهم اتبعونا من طرابلس لما خرجنا منها ، فما وقعت لهم فرصة فى قتله إلا فى حمص، وكانوا أرادوا أن يفعلوا هذا وهم فى طرابلس ولكن ما اتفق لهم ذلك ، وذلك أن الأمير سيف الدين بالوج لما كان فى الحبس ، وأخذ بعض الناس هذا السامرى إلى ان ركب فى ليلة من مكان كان يتنزه فيه ، فوقفوا له فى طريقه ، فضربه بعضهم بالسيف على أن يُطيّر رقبته ، فلم تجىء الضربة إلاّ على شاشه فأرمته من رأسه ، ووقع السامرىّ على الأرض مذعورا ، فهرب أولئك القوم ونجا السامرى ، ولما بلغ ذلك نائب طرابلس قال : هذا شغل بالوج ، سلّط عليه هؤلاء القوم، ولما سمع نائب الشام بذلك طلب القضاة وأخبرهم بما جرى على السامرى فى الطريق وأراهم رأسه، فقالوا : قد قتله الله وكفى المسلمين شرّه .

ومنها : أنه حضرت جماعة من الكارم من جهة اليمن فى هذه السنة ، وأخبروا أن الملك المؤيد صاحب اليمن (١) تعرض لهم ، ولم يُجزهم على عادتهم ، وقال لهم : إن السلطان صغير، وقطع أيضا الهدية التى كانت ملوك اليمن تُرسلها إلى صاحب مصر، خارجا عما كان مقررا عليهم فى كل سنة فى الأيام الظاهرية، فإن الملك المظفر (٢) ولى اليمن نحو أربعين سنة ، ولم يقطع ما كان عليه من المقرر

(١) هو : داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول ، الملك المؤيد هزبر الدين المتوفى سنة ٧٢١ هـ/ ١٣٢١ م — المنهل الصافى جـ ٥ ص ٣٠٧، رقم ١٠٢٣ .

(٢) هو : يوسف بن عمر بن على بن رسول ، الملك المظفر أبو منصور ، المتوفى سنة ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٤ م — المنهل الصافى ، العبر جـ ٥ ص ٣٨٤ .

وهو ستة آلاف دينار فى كل سنة ، كان يشترى بها أصناف المتجر، ويسيرها إلى قلعة الإسماعيلية فكانت تُرصد هناك ، وهذا كانت عادتهم من تقادم السنين مع هدية يختص بها السلطان ، فلما ولى ولده الأشرف أياما قليلة وخرج عليه هُزبر الدين ملك اليمن قطع الجهتين ، وتجاهر للتجار بصغر السلطان ، ولما سمع الأمراء بذلك اقتضى رأيهم أن يُسيّروا إليه رسولا وكتابا وينتظرون ما يجئ جوابه ، فعينوا لذلك مقدما من مقدمى الحلقة يُقال له ناصر الدين الطوُرى[1] ، ومعه القاضى شمس الدين [محمد][2] بن عَدْلان ، وكتبوا كتابا ، وأغلظوا عليه فى الكلام ، وهدّدوه وقالوا له : لاتُحوج نفسك إلى مجئ عسكر إليك ، فيكون دماء أهل اليمن فى ذمتك .

وكتب الكتابَ القاضى ناصر الدين بن عبد الظاهر، ومن محاسن كتابه : أنه غيرُ خافٍ عليك ما كان والدك عليه وما صار إليه، وكان عندنا بالاستعفاء والجنوح إلى سبيل الوفاء ، وسلكَ فيه من التلطف أبهج المسالك ، واجتنب أن يوقع نفسه فى المهالك ، وحَسمَ تلك المادّة أن ترعى ، وربما أوصى بها أصلا وفرعا ، ووافاه الموتُ فقصم عُروة عتابها ، وحال بين المسألة [٣٤٠] وبين أعتابها وأفضت نوبةُ الملك إلينا فدانَتْ لنا الرقاب وتباطت لنا الهضاب ، وكاتبنا الملوكَ شرقا وغربا ، ووصلت إلينا هداياهم ، وكان اعتقادنا أنه أول ملك تصل إلينا كُتبه ، فكان أوحدهم عقوقا وأوعرهم طريقا ، فكما علمت أن عدونا المقهور ، وسلطاننا الناصر المنصور ، وعلمتَ أمرَ التتار ، وما لها من المنازلة فى طول المدد ، وقوة الجأش ، واقتياتهم بما على الأرض من خَشاش ، فما

(١) « مبارز الدين » فى العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٦٧ .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح — السلوك جـ ٢ ص ٧ .

لبث ملكهم أن سلّم جيشه وولّى، بعدما قال أنا ربكم الأعلى (١)، وكانوا مائة ألف أو يزيدون، هذا وهـم العدو الأكبر، والخصمُ الأقدر، فما ظنك بمن هـو أضعف ناصرا، وأقلّ عددا، ممن قد ألف الوساد، وأوصل النـوم، وجفى المُهاد، وجعل دأبه قَينةً، زاعما بعدم الوصول إليه من بُعد المسافة، وهي أقرب إلينا من حبـل الوريد (٢)، ولا مانع عنه في اقتحام الأهوال، وما ذلك على جُندنا ببعيد، والطريق التي استولى عليها الملك المسعود ابن مولانا السلطان الملك الكامل معروفة، ومَسالكها مألوفة، ونحن نحمد الله ما ثارت إلينا سحابة إلا وجنّت بحمد الله ثمراتها من حيث حلّت، ولا أتيحت سفينة إلا ألقت ما فيها وتخلّت، فيقف عند حدّه ويستدرك هزلة بجدّة، فما بعد العتاب من ألم، ويقتفى سنن المهُادنة، فمَن أشبه أباه فما ظلم، ويقدّم ما في ذمتـه لبيْتْ مال المسـلمين من الحقوق، ويتجنب طريق العقُوق، فمن النهج أن لا تكون عقُوق.

وقُرئت هـذه النسخة على السـلطان والأمراء، فطلبوا الطوري والقاضي شمس الدين وعرفوهما ما يقولانه، واتفق رأيهـم أن يكتب الخليفة أيضا إليه كتابا وينهـاه، فكتب من جهته كتابا وأغلظ على الملك المؤيد فيه، وأمَره ونهـاه.

---

(١) اقتباس قرآني، مأخوذ من الآية «فقال أنا ربكم الأعلى» — الآية رقم ٢٤ من سورة النازعات رقم ٧٩.

(٢) اقتباس قرآني مأخوذ من الآية «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» — جزء من الآية رقم ١٦ من سورة ق رقم ٥٠.

ومنها : أن قاضى القضاة المالكى بدمشق حكم بإراقة دم شمس الدين[(١)] ابن الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الباجَربق بمقتضى ما ثبت عنده ما يوجب ذلك ، فهرب المذكور واختفى ، ثم حكم تقى الدين سليمان الحنبلى بحقن دمه بثبوت عداوة الشهود الشاهدين عليه ، فأنكر المالكى عليه ذلك وأشهد على نفسه أنه باق على ما حكم به من إراقة دمه ، فاستمر هروب الباجربق لذلك .

ومنها : أن نجم الدين أبا بكر بن بهاء الدين بن خلكان ادعى بدمشق أنه حكيم الزمان ، وأنه يخاطب بكلام يشبه الوحى من جملته : يا أيّها الحكيم افعل كذا ، يا أيها الحكيم افعل كذا ، وادعى أنه قد اطلع على علوم كثيرة وطلسمات عظيمة منها : طبل إذا ضُرب به انكسر العدو وانهزم ، وغير ذلك ، وادعى أنه أرسل إلى الملك الناصر بمصر أنه إذا اجتمع به عمل له طلسمات عظيمة فى فنون شتى ، فعُقد مجلس بدمشق بحضرة النائب جمال الدين أقوش الأفرم وطُولب بإقامة البرهان على صحة دعواه ، فلم ينهض ، فاستتيب وأطلق على أنه لا يعود ، فأقام مدة ، ثم عاد إلى دعواه فأمسك واستتيب وأطلق ، فأقام مدة ، ثم عاد إلى دعواه فاودع المارستان وأقام مدة ، ثم خرج منه ، فتوجّه إلى القاهرة وعاد إلى دعواه ، فأمسكه الأمير سيف الدين ألجاى الدوادار [٣٤١] واستتابه وأطلقه ، فأقام مدة ، ثم عاد إلى دعواه ولم يزل مُصرّا عليها ، وكان هذا الرجل قبل هذه الدعوى

(١) هو : محمد بن عبد الرحيم بن عبد المنعم بن عمر بن عثمان الباجربقى .

وكان قد هرب بعد الحكم عليه ، وأقام بمصر بالجامع الأزهر ، ثم تسحب إلى دمشق ونزل إلى القابون قرب دمشق ، وأقام به إلى أن مات سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م — درة الأسلاك ص ١٦٩ ، الدرر جـ ٤ ص ١٢٠ رقم ٣٨٩٣ ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٤٤٤ رقم ٤٢١ ، الوافى جـ ٢ ص ٢٤٩ رقم ١٢٦٩ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٦٤ .

ينُوب عن الحكام بالشام، فلما غلب عليه هذا الحال ترك الولايات الحكمّية وأخذ فى هذه الحال .

ومنها : أن الشيخ تقى الدين ابن تيمية[1] توجه ومعه جماعة إلى مسجد النارنج[2] بدمشق ، فأحضر جماعة من الحجارين وقطع صخرة هنالك كان الناس يزورونها وينذرون لها ، وكان لهم فيها أقاويل كثيرة فأزالها[3] .

وقال صاحب النزهة : وفيها وصل كتاب نائب الشام يذكر فيه عن الشيخ تقى الدين بن تيمية أنه جرى بينه وبين أهل دمشق منازعة بسبب الصخرة التى كانت بمسجد النارنج ، وكان كثير من الدماشقة يترددون إليها يدّعون أن فيها أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتغالون فى أمرها ، ففسدت بذلك حال جماعة كثيرة من الرجال والنساء ، واتفق أن الشيخ تقى الدين أنكر ذلك ، وأنكر على جماعة كثيرة ، فوقع بينهم تنازع ، فبلغ ذلك إلى نائب الشام ، وبلغ أنه يُريد قطعها ، وأكابر الشام والقضاة لا يمكنونه ، وآخر الأمر قام الشيخ فيه قياما عظيما ، وركب بنفسه ، وأخذ جماعة من الحجارين ودخل المسجد، وأخذ الفأس بيده ، وقطع الحجارون بعده ، ولم يَبْقَ لها أثر ، وكيف يكون العمل فى هذا الرجل ؟ فإنه يقول : إن هذه بدعة ، وإنه لم يصح عنده شيء فيها ، فكُتب الجواب من كتاب نائب الشام : أن الأمر إن كان على مازعمه ابن التيمية فقد

(١) هو : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس ـــ المعروف بابن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧م ـــ المنهل الصافى جـ ١ ص ٣٥٨ رقم ١٩٥ .

(٢) « بجوار مصلى دمشق » فى السلوك جـ ٢ ص ٨ .

(٣) « وأن الأثر الذى بها ليس هو قدم النبى صلى الله عليه وسلم » ـــ السلوك جـ ٢ ص ٨ .

فعل الخير وأزال بدعة فى الإسلام ، وإن كان أمره غير صحيح فبينوا عليه عدم صحة ما فعله وتعديه ، ثم قابلوه على ما فعله .

ومنها : ما كان دخول الأمير مُظفرَ الدين موُسى بن الملك الصالح علاء الدين على بن الملك المنصور على بنت الأمير سلاّر نائب السلطان .

وقال صاحب النزهة : وكان سلّار مملوك الملك الصالح ، وهو الذى ربى أمير موسى المذكور ، وأحسن تربيته ، ورأى أن ابن أستاذه أحق وأولى من غريب يأتى ، فعرف السلطان والأمراء بذلك ، وشرعوا فى أمر التهادى والتقادم للعُرْس ، فقدموا شيئا كثيرا ، ويقال : إن سلار أقام ثلاث سنين يعمل جهاز بنته من سائر الأصناف ، وعُمل من كل شىء حتى عُمل برسم بيت الخلاء[1] بكلة من الفضة والنحاس المكفت[2] ، وكان جملة ما صنعه من الجهاز — على ما نقله مَن يوثق به — مبلغ مائة ألف وستين ألف دينار ، وكان المهم فى القلعة ، ولم يبق أحد من الأمراء إلّا وقد مشى فى خدمته ، وكان الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير هو الذى تولى أمر ذلك المهم ، وجميع الأمراء ، وحُمل له من الشمع ثلاثمائة وثلاثون قنطارا .

ومنها : أن نيابة صفد فُوضت لسيف الدين سنقرجاه المنصورى ، عوضا عن الأمير بتخاص ، وحضر بتخاص إلى مصر وأقام بها ، وفوضت الجوبية بدمشق للأمير بكتمر الحسامى .

(١) بيت الخلاء : المرحاض ، وهو موضع قضاء الحاجة والاغتسال — المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية — ص ١٠٤ .

(٢) مكفت : مطعم بمعدن آخر ثمين بأشكال أو رسومات أو كتابات — المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية ص ١١٥ .

ومنها : أنه ظهر فى معدن الزمرد بمصر قطعة كبيرة لم تكن ظهرت فى المعدن من أول ظهوره إلى ذلك الوقت مثل ذلك ، وكان وزنها مائة وخمسة وسبعين مثقالا ، فسرقها الضامن وحملها إلى ملك اليمن ، فدفع له فيها مائة ألف وعشرين ألف ، فما رضى ببيعها ورجع بها ، فأُخذت منه وحملت إلى الملك الناصر [٣٤٢] ، فانفطرت مرارة الضامن ومات ، وهذا المعدن لا يوجد فى الدنيا إلا بالديار المصرية فقط ، والله أعلم .

ومنها : أنه أجدب الشام من الغور إلى مصر جدبا عميا ، وقلت المياه حتى ارتحل بعض أهلها من عدم الماء واختلاف أنواء السماء .

ذكر الإيقاع بناصر الدين الشَّيْخى الوزير :

قال بيبرس فى تاريخه : وفيها أُوقع بناصر الدين الشيخى الوزير(1) إيقاعا شديدا ، وعُزل عن الوزارة عزلا مُبيدا ، وخُلع من الإمارة خلعا عنيفا عتيدا ، وطولب بالمال ، وجنح سَعده فمال(2) وآل إلى شر مآل ، وبُسط عليه العقاب ، وعُذِّب أمر العذاب ، فأدركه حتفه ، وفارقه إلفه ، ومات شرَّ ميتة ، فكثر الشامت بوفاته ، والناعت لسوء صفاته ، والذاكر لظلماته ومحدثاته التى كان بها يتوصل إلى أرباب الدول ، ويتوسل بأحداثها فى تولية العمل ، ولا يفكر فى جانب الله عز وجل ، ولا يعلم أن الدعاء لابد من تأثيره وإن طال الأجل ، فأسخط الله عليه

(1) هو : محمد — ويقال ديباى — الشيخى ، الأمير الوزير ناصر الدين . وله أيضا ترجمة فى : السلوك جـ ٢ ص ١٤ .

(2) بداية ما يوجد فى مخطوط زبدة الفكرة — الذى بين أيدينا — بعد السقط فيما بين الورقة ٢٤١ ب ، ٢٤٢ أ ، والمفروض أن بهذا السقط باقى أحداث سنة ٧٠٢ هـ من أثناء الكلام عن وقعة شقحب ، وأحداث سنة ٧٠٣ هـ ، وأحداث سنة ٧٠٤ هـ حتى هذا الموضع .

الذين أرضاهم بظلم عباده ، وعجل له عذاب الدنيا قبل عذاب معاده ، فلله در القائل(١) :

وابغ رضى الله فأغنى الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد

قلت : وناصر الدين المذكور كان من أولاد القاهرة فقيرا(٢) ، وكان يتكسب بخياطة الكوافى والاقباع ، ثم امتدت به أسباب الأطماع ، فسافر مع الفقراء المجردين ، ووصل إلى بلد ماردين ، واتفق إلمامه بابن الصاحب ، وهو الأمير شمس الدين محمد المعروف بابن التيتى(٣) ، وحضر معه إلى الديار المصرية عند تردده فى الرسلية من جهة أحمد(٤) سلطان بن هلاون فى الدولة المنصورية ، ولما أقام شمس الدين المذكور بالأبواب السلطانية أقام المذكور وتظاهر بالجندية ، وأعطى مباغا مرتبا على ساحل الغلة بالقاهرة ومصر ، فما لبث أن تحدث فى المعاملة حديثا كثيرا ، وأظهر فصولا وأبدى فضولا ، وألزم بها لمقطعها ضمانا ، وجدد فيها رسوما ظلما وعدوانا ، ثم توصل حتى أنه باشر شد الدواوين ، وانتقل منه إلى ولاية القاهرة ، ومنها إلى ولاية الخاص بالجيزية ، ثم طمحت نفسه إلى الإمارة ، وسولت له طلب الوزارة ، فبذل بذولا قررها ، ووعد أرباب الدولة وعوداً كررها وكثرها ، فتولى الوزارة كما ذكرنا ، وآثر فيها ما شرحنا ، ولم يخل من تفتيق مظلمة وتجديد حادثة مؤلمة ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، وأولاه

---

(١) « فلله القائل » — فى زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٢ أ .

(٢) « أصله من بلاد ماردين » — السلوك جـ ٢ ص ١٤ .

(٣) هو : محمد بن محمد بن عقيل بن سالم بن عقيل بن التيتى ، المتوفى سنة ٦٩٢ هـ/١٢٩٣ م — انظر الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٤٨ .

(٤) هو : أحمد سلطان تكدار بن هولاكو ، الذى ولى أمر السلطنة ببلاد التتار سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م وتوفى سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م — المنهل الصافى جـ ٢ ص ٢٥٤ رقم ٢٣٤ .

ما كان به من الهوان أولى ، وأنجز للظالم وعيده ، وللمظلوم وعده ، إن وعده كان مفعولا(١) ، فليحذر الغافل إذا نزلت به الأيام إلى المعاقل ، فإن لها بعد الرفع [وضعا(٢)] ، وبعد التمكين صرعا ، وليأخذ بالرفق ويتجنب الجور والخرق .
قال الشاعر(٣) :

فإن المظالم يوم المعاد لمن قد تزودها شر زاد(٤)

وقال صاحب نزهة الناظر : وكان السبب للإيقاع به أنه لما حضر الأمير سلار من الحجاز بلغه من خواصه ما فعله ناصر الدين المذكور عند سفر السلطان إلى بلاد البحيرة للتصيد ، [٣٤٣] وما تحدث للملك الناصر من السر وحمله إليه ألفى دينار كما ذكرنا ، وأنه جسره على أمور كثيرة لم تكن فى ذهنه ، وأن السلطان ملتفت إليه التفاتا كبيرا ، وكل ما كان يحتاج إليه طلبه منه فيحمله إليه ، ولما سمع سلار بذلك خرج عليه نقما كان فى نفسه منه ، فكتم ذلك فى باطنه إلى أن جهز الأمير ركن الدين بيبرس لأجل سفر الحجاز ، وعلم أنه متى أوقع به فى غيبة بيبرس كان يتوهم أنه كياد فى حقه حيث ما فعله وهو حاضر، فاستشار الأمير علم الدين الجاولى فى أمره واتفق الحال على أن يقيموا شخصا من القبط يرافع عليه ويظهر فى جهته أموالا كثيرة أخذها هو ومماليكه ، فأحضروا شخصا من القبط وأمروه بذلك ، فكتب أوراقا عليه بجملة مستكثرة ، ولما

(١) « إنه كان وعده مفعولا » — فى زبدة الفكرة ؛
وهو اقتباس قرآنى مأخوذ من بعض الآيات ، ولكنه ليس آية فى القرآن .
(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .
(٣) « قال الشاعر » — ساقط من زبدة الفكرة .
(٤) انظر زبدة الفكرة (مخطوط) ج ٩ ورقة ٢٤٢ أ ، ب .

حضر الأمراء فى دست المملكة شرع الأمير سلار وتحدث فيه بأنه فعل كذا وأخذ[1] ، فقالت الأمراء : إذا ظهر أنه حاق قطع جلده بالمقارع ، فعند ذلك ، رسم بطلبه وطلب مماليكه ، كبك وبكتوت وغيرهما ، وكان قد أرصد هؤلاء يتحدثون فى أعمال الجيزة ، فلما حضر قال له سلّار : اسمع إش يقول هذا الرجل فيك بأنك أخذت من مال السلطان كذا وكذا ، وإنك خُنْت ، وقد عرفت كيف شرطت على نفسك ، ثم قال للرافع : تكلم معه وقل له على هذه الفصول التى ذكرتها عنه ، فأخذ ناصر الدين يتكلم بعزة نفس وقال : إش هذا النجس حتى أتكلم معه أو يسمع منه فى حق ، فما هو أتم كلامه حتى قال سلار : وأنت أيضا يا قواد يا نجس ما كنت بين الخلق حتى تكبر نفسك وتتكلم بنفس وعزة ، وإذا عرف أحد خيانتك تخرق به قدامنا ، فما لنا عندك حرمة ، ثم التفت إلى الحاجب وقال له : انزل على رأسه ، فضرب به على رأسه إلى أن أخرب شاشه ، ثم طلب مشد الدواوين وقال له : خذ هذا ومماليكه واستخلص منهم مال السلطان ، ولم يتكلم أحد من الأمراء كلمة واحدة ، وخرج به مشد الدواوين مُنَكَّلا به وقد أخذ سيفه[2] .

وفى اليوم الثانى : شاور عليه مشد الدواوين الأمير عز الدين الاشقر فقال له : اطلبه قدامك وطالبه بالمال وإلا أسلخ جلده بالمقارع ، فخرج عز الدين وطلبه إليه ، وعرّفه ما رسم به نائب السلطان ، فقال : السمع والطاعة ، وشرع فى تحصيل المال وفى بيع خيله وعدته وجميع حواصله أولا فأولا ، وصار مشد

---

(١) « وأخذا » فى الأصل .

(٢) « فى آخر يوم من شعبان » ـ السلوك جـ ٢ ص ١٥ .

الدواوين كل يوم يخرجه وينكل به ، وكان فى نفسه منه شىء كثير لما سبق له من إهانته إياه وتكبره عليه ، وجلس يوم الثلاثاء فى الصناعة ، وسيّر وراءه من أحضره من القاهرة ، وهو راكب حمار وعليه أربع رسل ، ودخلوا به إلى سوق مصر ونواحى أسواق الصناعة ، فقامت إليه أهل مصر وصاحوا عليه وسبوه ولعنوه وأرادوا أن يرجموه ، فمنعهم من ذلك مماليكه ، فبلغ ذلك سلارا وكان يعلم أن الأمير بيبرس ممن يعينه ويساعده ، وبقى ينتظر أن بيبرس يفتح معه كلاما فى حقه فلم يتكلم بشىء فى حقه .

ثم أقاموا أياما إلى العشر الأول من شهر رمضان [٣٤٤] يتشاورون فيمن يُوَلّوه وزيرا يدبّر أمر الدولة ، فاقتضى رأيهم وزارة القاضى سعد الدين بن عطايا ، وسنذكر توليته[(١)] ، وقد ذكرنا أن ناصر الدين هذا كان قد تزوج بامرأة الأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة ، وسكن فى بيتها المجاور لمشهد الحسين رضى الله عنه ، وكانت أولادها جركتمر وأمير على وخليل أولاد بهادر خصيصين بخدمة الأمير بيبرس ، وكانوا يسعون لناصر الدين عند بيبرس ، وبيبرس تارة يجيبهم ، وتارة ما يردّ عليهم كلاما ، ومع هذا كان لبيبرس عناية لناصر الدين فى الباطن ، ولكن كان يعلم أن سلارا يكرهه ، ولا يريد أن يعارضه فى أمر يفعله هو .

وبقى الأمر على هذا إلى ليلة عيد الفطر ، وطلعت زوجته إلى بيت بيبرس ، ودخلت على أهله فى أمر زوجها ناصر الدين ، وتكلمت امرأة الأمير بيبرس معه فى أمره ، فوعد لها بأن يتكلم فى خلاصه ، ولما جلست الأمراء فى الشباك ، وهنّوا نائب السلطان سلارا ، فتح الأمير بيبرس معه الكلام فى أمره وقال :

---

(١) انظر ما يلى ص ٣٦٥ .

هذه ليلة العيد ، تصدّق على هذا المسكين وارسم بخلاصه . فقال له سلار : يا أى أنت غافل عما فعل هذا ، والله والله أنت تعلم محلك عندى ، لو كان هو إلى اليوم باقيا فى الوزارة ما كنت أنا ولا أنت فى الحياة ، وأنا أعرفك به ، فإن كان ذهبه[1] يسيرا وأمرتَ لى بخلاصه أخلّصه ، ثم شرع يحدثه ما فعله فى غيبته ، وكيف راح إلى الإسكندرية ، وكيف اجتمع مع السلطان وتكلم معه شيئا كثيرا ، ومن جملة ما قال : أَشْ هم هؤلاء وأرادَ به إيانا ، فأى وقت اشتهيت مَسَكْتَهم مثل الكلاب ، واتفق معه على أمور كثيرة فى الفساد والإيقاع بنا ، وجسّر السلطان على أمور ما كانت فى نفسه ، وهذا الرجل قد قصد فتنة كبيرة بين المسلمين ، والله عز وجل يقول : ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾[2] . فإن كنت تختار أن نُطالقه ، نفرج عنه ، قد عرفتك ذنبه ، فلما سمع بيبرس ذلك منه تحقق أن سلار ما يفعل كذبا . فقال له : من يرمى فتنة بين المسلمين يستحق هذا وأنحس منه ، ثم قام من عنده وشرع فى تجهيزه إلى الحجاز الشريف .

ولما استهل شهر ذى القعدة : ركب الأمير بيبرس والأمراء صحبته ، وأمر لمشد الدواوين بعقوبة ناصر الدين المذكور وضربه بالمقارع ، فأقام يعاقبه سبعة أيام ، وتوفى بعدما من ألم الضرب ، وكان فيه عصبية ومروءة وأريحية ، وكان ينبعث للخير ، وله كتابة حسنة ، ومعرفة بالحساب .

قال صاحب النزهة : وكان أصله من بلاد ماردين ، وكان قدم إلى الديار المصرية مع رسل السلطان أحمد وقاصد صاحب ماردين ، وكان ماشيا طول

---

(١) هكذا بالأصل ، ولعلها « ذنبه » — انظر ما يلى .

(٢) جزء من الآية رقم ١٩١ من سورة البقرة رقم ٢ .

الطريق فقيرا ، ثم عمل صنعة الأقباع فى مصر فى دكان أشهراً ، ثم عمل جنديا شادا فى موضع ، وصار يكثر التردّد إلى خدمة الحسام يَرْتاق[1] مُشـدّ الكيالة مدة طويلة إلى أن [عرف][2] الدخل والخرج[3]، ثم ضمن ساحل الغلة وفاض معه جملة ، ثم خدم الصاحب ابن الخليـلى وبعض الأمراء ، وقـدم لهم الهـدايا والتقادم ، وأرغب حكام الدولة إلى أن تولى مشد الدواوين ، ومنه تنقل إلى شدّ الأعمال الجيزية ، ثم إلى الطبلخاناة ، وعمل ولاية [٣٤٥] القاهرة مضافا للجيزة ، ثم انتقل إلى الوزارة ، ومنها كان هلاكه .

ذِكْر تولية ابن عطايا الوزارة :

قـد ذكرنا أن سـلارا شاور الأمراء فى منصب الوزير ، واتفق رأيهم على تولية القاضى سعد الدين محمد بن عطايا ، وكان ناظرا بديوان البيوت السلطانية ، وله إلمـام بالأمير علم الدين الجاولى من جهة أسـتادرية الدار ، ففُوضت إليـه الوزارة ، وخُلع عليها[4] ، وحُملت إليـه دَواتها وبغلتهـا ، وكانت مباشرته لهـا فى الثانى عشر من شهر رمضان .

وقال ابن كثير : وتولى ابن عطايا الوزارة بعناية علم الدين سنجر الجاولى ، وجلس يوم الأربعاء الثانى عشر من شهر رمضان[5] .

(١) « برناق » — فى السلوك ج ٢ ص ٤١ .

(٢) [ ] إضافة يقتضيها السياق .

(٣) « حتى عرف دخل المباشرة وخرجها » — فى السلوك ج ٢ ص ١٤ .

(٤) هكذا بالأصل « يقتضيها عليه خلعها » فى زبدة الفكرة (مخطوط) ج ٩ ورقة ٢٤٢ ب .

(٥) يوجد هذا الخبر ملخصا فى البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٤ .

وقال النُويرىّ : رأيت الصاحب شمس الدين بن عطايا قبل وزارته بثلاثة أيام قائما بين يدى علم الدين سنجر يقرأ عليه ورقة حساب ، ورأيته يوم جلس فى الوزارة والأمير سنجر الجاولى جالس بين يديه ، وقد وقع الصاحب وكتب علم الدين بالامتثال وذيل على خطه ، وكان علم الدين المذكور استاذ الدار .

ذكر حج الأمير بيبَرس :

حج الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى وصحبته جماعة من الأمراء وهم : الأمير ركن الدين[1] بيبرس الدوادار ، والأمير يعقوبا ، وآخرون من الأمراء ، وأولاد الأمراء ، وتسامعت الناس بحج الأمير ركن الدين بيبرس وكثروا ، فاجتمع عالم كثير إلى أن خرج المحمل إلى البركة ، ورأى أمير الركب خلقا كثيرا لم يعهد الناس مثلهم ، واجتمع رأى الأمراء على أن يكون الحج ثلاث[2] ركوب : ركبٌ صحبة الأمير بيبرس الدوادار ، وركب صحبة الأمير بهاء الدين يعقوبا ، وركبٌ صحبة أمير الركب الأمير عز الدين أيبك الخزندار ، وتأخر الأمير ركن الدين بيبرس إلى العشر الأخير من شوال ، ثم قصد أن يسافر مع الحاج وعرض له أمر أخره إلى أن سافر مستهل ذى القعدة على الهجن مخففا .

وحصل للحاج فى هذه النوبة أمر لم يعهد بمثله ، لأنهم كانوا ثلاث ركوب ، ومن حين خرجوا من مصر لم يجد أحدٌ ماء يُروِى دوابّهُ إلى العقبة ، وعند نزولهم إلى العقبة قَلّ الواصل ، وتحسّن الشعير ، وبيع الأردبّ من الشعير بخمسين درهما ، وتم الأمر على ذلك وهم يرجون وصول المراكب إلى ينبع من مراكب الأمراء

(١) « ركن الدين » مكتوبة بهامش المخطوط ، ومنبه على موضعها بالمتن .

(٢) « ثلاث » مكررة فى الأصل .

والتجار ، فلم يصل شيء ، وغرقت مراكب كثيرة ، فتخبطت أحوال الناس ، وغلت الأسعار ، ثم عند رحيلهم إلى وادى النار لفح الناس هواء بسموم ، فهلك خلق كثير ، ونشفت قربهم حتى صارت كالقِدّ من اليُبْس ، ولم يجدوا فى الوجه ماء إلا قليلا ، ولفح الناس هواء أيضا ، فكان الركاب يقعون من الجمال موتى ، وأما المشاة فإن أكثرهم ماتوا ، وبعضهم أنقطعوا ، وهرب المقومون ، وقاست الناس شدة عظيمة ، وتاه ركْب الأمير يعقوب بدليله ، فانقطعت منه جماعة كثيرة وماتوا ، واشتد الغلاء إلى أن بيعت الويبةَ من الشعير بأربعين درهما ، والويبة من الدقيق بستين درهما ، والبقساطة بإثنى عشر درهما ، وكانت سنة شديدة ، وسمت الناس تلك السنة سنة رأعم (١) ، وبلغ الخبر مع المبشرين إلى الأمير سيف الدين سلار وبقية الأمراء ، فجهزوا للحاج من الأمراء ولغيرهم الإقامات والجمال [٣٤٦] بالأحمال ، واستقبلوا الحاج بالشعير إلى قريب ينبع بجمال العرب ، وبالدقيق وغيره الى عيون القصب وعقبة ، وأرسلوا إلى نائب غزة أن يجلب للناس الزيت والعسل وغير ذلك ، فألزم نائب غزة تجارا كثيرين بذلك ، وحضرت أيضا جماعة إلى العقبة من الكرك والشوبك ومعهم أصناف كثيرة ، وحصل للناس بذلك رفق عظيم .

وفيها : كان وفاء النيل على سبعة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا .

وفيها : حج بالناس عز الدين أيبك الخزندار المنصورى أمير الركب المصرى كما ذكرناه ، وحج بالركب الشامى الأمير ركن الدين بيبرس المعروف بجالق ، ومعه سيف الدين جوبان المنصورى .

---

(١) رعم — رعاما ، وأرعمت الشاة : اشتد هزالها فسال رعامها ، والرعام : المخاط ، والمقصود : سنة الهزال — لسان العرب .

ذكر من تَوفى فيها من الأعيان

الشيخ شرف الدين عبد المؤمن (١) بن خلف بن الحسن بن شرف بن الخضر ابن موسى الدمياطى، شيخ الحديث بمدرستى الظاهر (٢) والمنصور (٣) بَيْنَ القصرين.

وكان إماما فى وقته، صدرا فى طبقته، مات فيها (٤) بالقاهرة، ودفن بباب النصر.

وقال ابن كثير: ولم يزل فى إسماع الحديث دائما إلى أن أدركته وفاته وهو صائم فى مجلس الإملاء، فغشى عليه وحمل إلى منزله، فمات من ساعته يوم الأحد الخامس عشر من ذى القعدة، وكان مولده فى سنة ثلاث عشرة وستمائة، وكان جمع معجما لمشايخه الذين لقيهم بالحجاز والشام والجزيرة والفرات

(١) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، درة الأسلاك ص ١٧٠ أ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٣٠ ورقة ٣٨، زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٤ أ، الدرر جـ ٣ ص ٣٠ رقم ٢٥٢٥، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٤٠٩ رقم ٣٠٨، شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٢، مرآة الجنان جـ ٤ ص ٢٤١، طبقات الشافعية جـ ٦ ص ١٣٢ أ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٧٢، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٨.

(٢) المدرسة الظاهرية بالقاهرة: تنسب إلى الملك الظاهر بيبرس، وانتهى من عمارتها سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م — المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٧٨.

(٣) المدرسة المنصورية بالقاهرة: داخل باب المارستان المنصورى — المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٧٩.

(٤) ورد ذكر وفاته سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م — انظر مصادر الترجمة.

ومصر يزيدون على ألف وثلاثين شيخا ، وهو عندى بخطه رحمه الله .[١]

وذكر بعضهم[٢] وفاته فى السنة الآتية ، وكان تخرج بالحافظ زكى الدين المنذرى ، وروى عنه المُزىّ والذهبي وخلق ، وكان مولده بتُونه[٣] ، قرية من أعمال تَنيس ، ونشأ بدمياط ، ومات وله اثنان وتسعون سنة .

الشيخ المحدث الصالح نور الدين على بن[٤] مسعود بن نفيس الموصلى ، ثم الحلبى ، مات بالمارستان الصغير بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان رجلا صالحا من المشهورين بطلب الحديث وكتابته وقراءته عن نحو خمسين سنة ، روى عن ابن رواحة ، وأصحاب البُوصيرى ، وأصحاب الخشوعى ، وغيرهم .

الشيخ الإمام علم الدين عبد الكريم[٥] بن على بن عمر ، المعروف بالعراقى .

كان عالما كثير الفضائل ، شافعى المذهب ، جاوز الثمانين ، مات فى هذه السنة ، وولى مكانه بالقبة المنصورية الشيخ[٦] عز الدين النمراوى .

الشيخ الكبير المعمّر ركن الدين أحمد بن عبد المنعم بن أبى الغنائم المقرئ ، القزوينى ، الصوفى ، الطاوسى .

---

(١) انظر البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٠ حيث يوجد اختلاف فى بعض الألفاظ ، وفى ترتيب العبارات.

(٢) منهم ابن كثير فى البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٠ ، وشذرات الذهب ، والنجوم الزاهرة .

(٣) تونة : جزيرة فى بحيرة تنيس ، وتعرف حاليا بكوم سيدى عبد الله بن سلام الواقع فى بحيرة المنزلة — القاموس الجغرافى .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، الدرر جـ ٣ ص ٢٠٣ رقم ٢٩١٦ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٠.

(٥) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٣ ص ١٣ رقم ٢٤٨٦ .

(٦) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ١ ص ٣٧٣ رقم ١٩٧ ، الوافى جـ ٧ ص ١٥٨ رقم ٣٠٨٤ ، الدرر جـ ١ ص ٢٠٦ رقم ٤٩٨ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٠ .

مات بالشُّمَيساطية، ودفن بمقابر الصوفية، وكان يذكر أن مولده في شعبان سنة إحدى وستمائة، وكانت وفاته في سابع جمادى الأولى منها.

الشيخ أمين الدين محمد[1] بن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد القسطلاني.

مات بمكة في الحرم منها، وكان شيخا صالحا من بيت الصلاح والحديث، أسمعه أبوه بمكة على مشايخها والواردين إليها شيئا كثيرا، وكان عنده فضيلة في علم الحديث، وكان شيخ الحديث بمكة، روى عن ابن الجُمَّيزي[2] وغيره.

الشيخ العالم نجم الدين عمر[3] بن أبي القاسم بن أبي الطيب.

مات بداره داخل باب الفرج، ودفن بمقبرة باب الصغير، وكان رجلا جيدا، مشكورا في ولاياته، باشر نظر المارستان النوري، ونظر ديوان [٣٤٧] الخزندار، وصاحب حماة، ونظر الخزانة، ووكالة بيت المال، وكان مدرّسا بالكروسية نحو أربعين سنة، وسمع الحديث من الجمال العسقلاني، وغيره.

الشيخ بهاء الدين عبد المحسن[4] بن الصاحب محيي الدين محمد بن أحمد ابن هبة الله بن أبي جرادة.

---

(١) وله أيضا ترجمة في: درة الأسلاك ص ١٦٨ — ١٦٩، الدرر جـ ٤ ص ٢٨٧، السلوك جـ ٢ ص ١٣، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٦٤.

(٢) هو: على بن هبة الله بن سلامة اللخمي، المصري، الشافعي، بهاء الدين أبو الحسن ابن الجميزي، المتوفى سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م — المنهل الصافي، عقد الجمان جـ ١ ص ٥٧.

(٣) وله أيضا ترجمة في: الدرر جـ ٣ ص ٢٦١ رقم ٣٠٥٧، السلوك جـ ٢ ص ١٣.

(٤) وله أيضا ترجمة في: درة الأسلاك ص ١٦٨، الدرر جـ ٢ ص ٢٦ رقم ٢٥١٢، أعلام النبلاء جـ ٤ ص ٥٣٨، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٦٧، السلوك جـ ٢ ص ١٣.

مات بالديار المصرية، ودفن بمقابر باب النصر ، روى عن يوسف[1] بن خليل وغيره ، وكان شيخا جليلا فاضلا .

الشيخ[2] الحكيم الفاضل الأديب النحوى شهاب الدين أبو بكر بن يعقوب ابن سالم الدَّيْرى الرحبى ، المعروف بالشاعور .

مات فى أوائل هذه السنة ببلاد اليمن بقلعة تعز[3] ، كان قد حصل مالاً كثيرا ، وحصل له إقبال من أهل اليمن ، ومن صاحبها الملك المؤيد ، وله التصانيف المفيدة .

الشيخ الإمام الزاهد أبو القاسم خلف[4] بن عبد العزيز بن محمد القَبْتورى الإشبيلى .

مات بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم فى أوائل السنة ، ومولده فى سنة خمسة عشر وستمائة ، وله نظم ونثر ، وفضائل كثيرة ، فمن شعره .

ماذا جَنيتُ على نفسى بمـا كتبت كفى فياوَيح نفسى من أذى كَفّى
ولـو يشاء الذى أجرى علىّ بـذا قضاءه الكف[5] عنى كنتُ ذا كفى

---

(١) هو : يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله ، محدث الشام الدمشقى ، المتوفى سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م — عقد الجمان جـ ١ ص ٤٥ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ١ ص ٥٠١ رقم ١٢٠٨ .

(٣) « مات بقلعة مصر » — فى الدرر .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٢ ص ١٧٤ رقم ١٦٥٢ .

(٥) « لكف » — فى الدرر .

وله :

واحسرتا لأمـــور ليس يبلغها		مالى وهن مُنَى نفسى وآمالى
أصبحتُ كالآل لاجدوى لدىّ		وما ألوتَ جَداولكن جَدَىَ الآل

الصاحب زين الدين أحمد (١) بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب الكبير بهاء الدين على بن محمد بن سليم ، المعروف بابن حنا .

كان رئيسا كبيرا، فقيها شافعيا ، ذا حرمة وافرة، ودين متين ، وله فضيلة تامة فى العلوم الشرعية ، روى الحديث عن سبط السلفى وغيره ، مات فى صفر منها (٢) ودفن فى قبر كان قد حفره لنفسه تحت رجلى الشيخ ابن أبى حمزة بالقرافة قبلى الحوش الظاهرىّ .

الصدر شرف الدين محمد (٣) بن على بن محمد بن سعيد التميمى ، المعروف بابن القلانسى .

مات بداره بقاسيون ، ودفن به ، وكان من بيت كبير ، وورث أموالا كثيرة ، وهو صاحب حمام الزُهُور بجبل الصالحية بدمشق ، سمع فى صغره من السخاوى ، والقرطبى ، والعزّ بن عساكر ، وابن مسلمة ، وغيرهم ، وهو خال المولى عز الدين بن القلانسى .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ١٦٨ ، الدرر جـ ١ ص ٢٠٢ رقم ٧٢٧ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٥ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٦٥ ، السلوك جـ ٢ ص ١٢ .

(٢) « ليلة الخميس ثامن صفر » — السلوك جـ ٢ ص ١٢ أ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٤ ص ٥٠ رقم ٤٠٩٢ .

شمس الدين محمد[1] بن الصاحب شرف الدين إسماعيل بن أبي سعد الآمدي، عرف بابن التيتي.

مات بالقاهرة، جفلت به الفرس فوقع وتعلقت رجله بالركاب فتكسرت أعضاؤه، وحمل إلى منزله، فبقي قليلا ومات، وكان رجلا فاضلا، عارفا خبيرا، خالط الملوك والدول، وباشر المناصب الجليلة، وكان نائب دار العدل بالقاهرة، يقعد مع القضاة، وله سماع كثير من ابن المقير، وابن الجميزي، والكفرطابي، وغيرهم، ومات وله من العمر خمس وستون سنة.

شمس الدين محمد[2] بن الخطيب شمخ[3] بن ثابت العرضي، خطيب داريا.

مات بمدرسة سيف الدين السامري بدمشق، سمع من والده، وغيره.

الشريف الأمير عز الدين جماز[4] بن شيحة الحسيني، صاحب المدينة النبوية.

مات فيها، وكان شيخا كبيرا، أضر في آخر عمره، وقام بالأمر بعده ولده [٣٤٨] الشريف ناصر الدين منصور[5].

(١) وله أيضا ترجمة في: درة الأسلاك ص ١٦٨، الدرر جـ ٤ ص ٦ رقم ٣٥٤٠، الوافي جـ ٢ ص ٢٢٧ رقم ٦١٩، تالي كتاب وفيات الأعيان ص ١٥٥ رقم ٢٥٣، شذرات الذهب جـ ٦ ص ١١، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٦٦، السلوك جـ ٢ ص ١٣.

(٢) وله أيضا ترجمة في: الدرر جـ ٤ ص ٩٦ رقم ٣٧٤٣، وفيه أن صاحب الترجمة توفي «في رجب سنة ٧٣٤ هـ».

(٣) «شيخ» في الدرر، وورد «شمخ» في فهرس الدرر.

(٤) وله أيضا ترجمة في: درة الأسلاك ص ١٦٨، زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٤ أ، المنهل الصافي جـ ٥ ص ١٨ رقم ٨٦١، مرآة الجنان جـ ٤ ص ٢٣٩، الدرر جـ ٢ ص ٧٥ رقم ١٤٥٧، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٧، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٩، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٦٥، السلوك جـ ٢ ص ١٣، كنز الدرر جـ ٩ ص ١٣٠.

(٥) توفي منصور بن جماز سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م — المنهل الصافي.

الأمير ركن الدين بيبرس[١] الموفقي المنصوري، مات فيها[٢] بدمشق، وظهر بعد موته بقليل أن مماليكه خنقوه وهو سكران[٣]، وجرى في ذلك فصول كثيرة، وادعى أولاد سنقر الأشقر أنه مملوكهم باق على ملكهم، فلم يثبت لهم ذلك.

الأمير سيف الدين بهادر سمز[٤] المنصوري.

مات بأرض المرج، كان مع نائب السلطنة والأمراء في الصيد، فدهمهم في الليل طائفة من العرب فقاتلوهم، فقتل من العرب أكثر من نصفهم، ودخل سمز بينهم ولم يرجع عنهم، فضربه واحد منهم برمح فقتله، وحمل إلى قبر البيت فدفن هناك.

وقال ابن كثير: لما دهمهم العرب كان يرميهم بالنشاب ويقول: أنا بهادر دمشق، فرماه بعض العرب بحربة وقال: خذها، وأنا عصفور بن عصفور[٥]، فقتله.

الأمير مبارز الدين سوارى بن بركى[٦] الجاشنكير الرومي، أمير شكار، توفي في هذه السنة.

(١) وله أيضا ترجمة في: الدرر جـ ٢ ص ٤٣ رقم ١٣٨٥، السلوك جـ ٢ ص ١٣.

(٢) « في يوم الأربعاء ثالث عشرى جمادى الآخرة » — السلوك جـ ٢ ص ١٣.

(٣) « وهو سكران » بهامش المخطوط، وموضح موضعها بالمتن.

(٤) وله أيضا ترجمة في: الدرر جـ ٢ ص ٣١ رقم ١٣٥٩، السلوك جـ ٢ ص ١٤؛ النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٧، وورد اسمه « بهادر تمر » في البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٤، « بهادر سمر » في الدرر.

(٥) لم يرد هذا النص في المطبوع الذي بين أيدينا من البداية والنهاية.

(٦) وله أيضا ترجمة في: زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٣ ب، السلوك جـ ٢ ص ١٤، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٧، الدرر جـ ٢ ص ٢٧٥ رقم ١٩٠٨.

الشيخ تاج الدين بن الرفاعى، شيخ الأحمدية بأم عبيدة من مدة مديدة . وكان يكتب عنه إجازات الفقراء، توفى فى هذه السنة ، ودفن هناك عند سلفه بالبطائح .

فصلَ فيما وقع من الحوادث
فى السّنة الخـامسة بعد السبعمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والسلطان ، الملك النـاصر محمد بن قلاون .

والخليفة : المستكفى بالله العباسى .

ونائب الشام : جمال الدين الأفرم ، ونائب حلب : شمس الدين قراسنقر المنصورى .

ذكر مَن قَدِم منَ الرسُلِ ومنْ غيرهم :

وفيها : وصل رسول الملك المؤيد صاحب اليمن ، ومعه الهـدية الثمينة من البهار والقنا والشاشات والتحف ، فقومت هديته فكانت أقل قيمة من الهدايا الجارى بهـا عادة أبيه ، فصدرت إليـه الكتب الشريفة بالإنكار والتهـديد والإغلاظ والوعيد ، وأرسلت على يد بدر الدين (١) محمد الطورى أحد مقدمى الحلقة ، فلم يصادف منه لمـا اجتمع به قبولا ، ولا أعادَ معه رسولا ، فرجع بعد مدة (٢) .

وفيها : وصـل من بلاد التتار اثنان من أخوة المقر السيفى سلار ، أحدهما بعد الآخر بُبرهة (٣) يسيرة ، وهما الأمير سيف الدين جَبا ، والأمير فخر الدين داود ، ووصلت والدته صحبة الأول ، فقرت عينه بجمع شمله ، وحضور أهله بعد طول

(*) يوافق أولها يوم السبت ٢٤ يولية ١٣٠٥ م .

(١) « ناصر الدين » — فيما سبق — انظر ص ٣٥٤ .

(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٤ أ .

(٣) انظر التحفة الملوكية ص ١٧٨ .

الافتراق والإياس من التلاق ، فإن له منذ فارقه أهله وانصدع شمله ، من نوبة الأبلستين فى الدولة الظاهرية فى سنة خمس وسبعين وستمائة ، ثلاثين سنة معدودة إلى هذه المدة المحدودة ، فأتوه من شاسع البلاد ، وبلغ بقُربهم المراد ، كما صنع الله ليوسف بن يعقوب ، وابتهجت بجمعهم القلوب (١) .

قـد يجمعُ اللهُ الشتيتينَ بعـــدما يظنان كل الظن أن لا تـلاقيا

وأُمِّرَ كلٌّ منهم بطبلخاناة ، وانتظم عِقدهم جميعا ، وعادَ خبائهم مَنِيعا (٢) .

وفى كتاب اللطائف : كان وصـول سيف الدين ووالدته وأولاده أولا فى العشر الأوسط من صفر، وبعدهم وصل داود فى العشر الأول من جمادى الأولى .

وفيها : وصلت رسل من جهة ملك الكرج إلى القُسطنطينية لقصد الأبواب الشريفة ، فجهز الأشكرى [٣٤٩] معهم رسولا من عنده وأرسلهـم ، فوصلوا فى البحر إلى ثغر الإسكندرية ، ومنها إلى الأبواب الشريفة (٣) برسالة يسألون فيها أن تعاد إليهم كنيسة معروفة بهم بالقدس الشريف تسمى المُصلّبة ، كانت قد أخذت منهم منـذ مدة ، وبنى فيهـا مسجد بمئذنة ، فأعيدت إليهم ، ورُدّت ضالّتهم عليهم (٤) .

وقال ابن كثير : وكان الشيـخ خضر انتزعها منهم فى الدولة الظاهرية ، وجعلها زاوية فأعيدت عليهم بمقتضى فتاوى العلماء ، وأذن لهم فى الاستواء فى

(١) انظر ما سبق ص ٢٤٨ .

(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٥ ب ، ٢٤٦ أ .

(٣) « السلطانية » فى زبدة الفكرة .

(٤) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٦ أ ، ب .

الركوب ، وكانوا قبل ذلك يركبون عرضا من ناحية واحدة (١) .

وفيها : كان عود رسول البَرْشُونى الواصل من جهته ، وفخر الدين عثمان الأفرى المجّهز فى صحبته ، فلما خرجا من الأبواب الشريفة ، ووصلا إلى الإسكندرية ركبا المركب ، وعزما على الإقلاع ، فتفاوضا مفاوضة أفضت إلى الخصام ، فاستشاط الفرنجى غضبا ، وطرح فخر الدين من المراكب إلى قارب الخيمة التى خرج من الميناء مُشيعا للمركب على العادة ، هو وغلمانه ، ولم يعطهم شيئا مما كان معهم ، وأقلع من فوره ، فعاد المذكور إلى الثغر ، وحضر إلى الباب العزيز خائبا مسُعاه ، مجدُبا مرعاه (٢) .

وفيها عاد علاء الدين [أيدغدى] (٣) الشهرزورى رسول المرينى من الحجاز ، وجهّز إلى بلاد المغرب ، وجُهز صحبته الأمير علاء الدين أيدغدى التُلَيلى ، وعلاء الدين أيدغدى الخوارزمى ، وصحبتهم ما يليق من الهدايا النفيسة والتحف الثمينة ، وسيّر صحبتهم خمسة عشر تتريًّا من المأخوذين فى وقعة مرج الصُّفّر ، وخمس مماليك أتراك ، وغير ذلك (٤) .

وفيها : وصل إلى دمشق رَسل خربندا ، ومعهم صدر الدين المالكى الخطيب رسول المسلمين ، فأقاموا بدمشق يومين وتوجهوا إلى الديار المصرية .

---

(١) لايوجد هذا النص فى حوادث سنة ٧٠٥ هـ فى البداية والنهاية (المطبوع) الذى بين أيدينا .

(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٦ أ .

(٣) [ ] إضافة للتوضيح من زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٤ أ .

(٤) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٤ أ .

ذكر من أنعم عليه بوظيفة أو إمرة أو أفرج عنه :

وفى أول المحرم : باشر القاضى جلال الدين[1] القزوينى الحكم [بدمشق][2] نيابة عن القاضى نجم الدين بن صَصْرَى[3] .

وفيها : رسم للأمير سيف الدين بكتمر الحاجب أن يباشر شدّ دمشق ، فامتنع من الدخول فى ذلك إلا بشروط ، وكتب مطالعة ، فعاد الجواب بما اشترطه ، وأجيب إلى سؤاله .

وقال ابن كثير : تولى سيف الدين بكتمر الحسامى الحاجب بدمشق وشد الدواوين بالشام ، عوضا عن شرف الدين قيران ، واحتيط على قيران المذكور[4] .

وفيها : رُسم للقاضى شمس الدين محمد[5] بن إبراهيم بن سليمان الأذرعى بقضاء الحنفية بالشام ، عوضا عن شمس الدين الحريرى .

وفى شهر جمادى الآخرة : أُمِّرَت جماعة بدمشق وأقطعوهم جبال الجرذيين والكسْروانيين وهم : علاء الدين بن معبد البعلبكى ، وسيف الدين بكتمر عتيق بدر الدين بكتاش أستادار حسام الدين لاجين ، وعز الدين خطاب العراقى ،

---

(١) هو : محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزوينى ، قاضى القضاة جلال الدين ، أبو عبد الله ، القزوينى الشافعى ، قاضى قضاة دمشق ، ثم الديار المصرية ، المتوفى سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م - المنهل الصافى .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح من السلوك جـ ١ ص ١٤ .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن سالم ، قاضى القضاة نجم الدين أبو العباس الدمشقى الشافعى ، الشهير بابن صصرى ، المتوفى سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م — المنهل الصافى جـ ٢ ص ٩٧ رقم ٢٦٤ .

(٤) لا يوجد هذا النص فى البداية والنهاية (المطبوع) الذى بين أيدينا .

(٥) توفى سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م — المنهل الصافى .

وركبوا بالشرابيش (١)، ثم بعد ذلك توجهوا لأجل عمارة الجبال وحفظ ميناء البحر من جهة بيروت وتلك النواحى .

وفيها : قصوُر الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح الصالحى من الكبر وعجز القـدرة ، وسأل الإعفاء من الخدمة ، فأجيب إلى سؤاله ، وارتجع إقطاعه إلى الخاص السلطانى ، وأضيفت أجناده الى الحلقة المنصورة .

وفيها : أفرج عن الأمير سـيف الدين الحاج بهادر (٢) السلاحدار ، وأعطى إمرة بدمشق ، فسافر إليها .

ذكر غزوة سيس :

وفيها : جرّد الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب حلب عسكرا إلى بلد سيس ليُغيروا عليها ، وذلك أن صاحبها أخّر حمل المـال المقرّر عليـه ، وقطع القطيعة ، فتوجه العسكر المذكور صحبة سيف الدين قشتمر الشمسى (٣) ، ومعه من أمراء حلب : شمس الدين آقسنقر الفارسى ، وفتح الدين بن صُبْرة المهمندار (٤) ، وسيف الدين [٣٥٠] قَشْتُمر النجيبى ، وسيف الدين قشتمر المُظّفـرى ، ومن معه من الحلقة والأجناد ، فدوّخوا تلك البلاد ، وشنّوا الغارة على الأرمن .

(١) الشربوش : قلنسوة طويلة أعجمية ، تلبس بـدل العمامة ، وكانت شارة للأفراد ، وكان الشربوش يلبس عادة مع الخلع السلطانية — المواعظ والأعتبار جـ ٢ ص ٩٩ .

(٢) هو : بهادر بن عبد الله المنصورى ، الأمير سيف الدين ، المعروف بالحاج بهادر ، المتوفى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ٤٣٦ رقم ٧١٢ .

(٣) « أحد مقدمى حلب » — السلوك جـ ٢ ص ١٦ .

(٤) المهمندار : لفظ فارسى مركب معناه « القائم على أمر الضيف وكان صاحب هذه الوظيفة يقوم بلقاء الرسل الواردين على السلطان ، وينزلهم فى دار الضيافة ، ويتحدث فى القيام بأمرهم — صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٩ .

وكان التتار المجردون ببلد سيس قد علموا بهم ، وكمنوا لهم في موضع مخرجهم ، فلما رجعوا ونزلوا بأثناء الطريق خرجوا إليهم وصالوا عليهم ، ودهموهم بغتة : ولما اقتتلوا قُتل من المسلمين جماعة ، وأُسر الأمراء الأربعة المذكورين[(١)] ، وجماعة من الجند وأرسلوهم إلى الأُردُو .

فلما جرت هذه الواقعة استشعر صاحب سيس الخور ، وتحقق وقوعه في الغرر ، رأيقن أنه من السطوات الشريفة على خطر ، فأرسل إلى الأمير شمس الدين قراسنقر رسلا يبدى الطاعة ، ويذكر الإنابة ، والقيام بما عليه من القطيعة ، ويسأل الصفح والإغضاء والمسامحة والإعفاء ، فوردت كتب المشار إليه إلى الأبواب العالية يعرض ذلك على الآراء الشريفة ويذكر ما التمسه المذكور ويستأذن في هذه الأمور ، فاقتضى الحال أن يُجرّد عسكرا إلى حلب ، ويكتب لصاحب سيس بأنه أجيب إلى ما طلب ، فإن حقق قوله بفعله وحَمَل ما جرت عادته بحمله أعفى من الإغارة وكفى من الاستثارة ، وإن سوف وتوقف كانت الجيوش قريبة من إرهاقه متمكنة من خناقه .

قال الراوى : فجُرِّد أربعة آلاف فارس وجماعة من الأمراء والمقدمين وأصحاب الطبلخانات والمئين صحبة الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح .

قال بيبرس فى تاريخه : وكنت فى المجردين ، فرسم لى بالحديث معه فى تقدمة العسكر ، وتدبير أحوال التجريد ، وتلقى الوارد والصادر من البريد[(٢)] ، لأن

(١) « وخلص قشتمر مقدم العسكر ، وآقسنقر الفارسى » ؛ فى السلوك جـ ٢ ص ١٦ .
« وأسر هؤلاء الأمراء الثلاثة وأرسلوا الى الأردوا ، وعاد قشتمر مملوك قراسنقر ومن معه الى حلب » — التحفة الملوكية ص ١٧٧ .

(٢) «وأنا معه متحدثا فى التجريد مخاطبا للبريد » — التحفة الملوكية ص ١٧٨ .

المشار إليه[1] كان قد مكن منه الكبر وخانه الثقبان ، السمع والبصر ، فلم يكن يستبين شخصا ، ولا يُسمع لمخاطب نصاً ، فتحدثتُ فى التقدمة وأسبابها ، وحملت عنه جميع أتعابها ، ولم أقطع أمرا دون عرضه عليه ، وتوصيله إليه ، رعاية لقدمته ، وحفظا لسابقته . وكان فى التجريد من مقدمى الألف : الأمير جمال الدين الموصلى قتال السبع ، والأمير شمس الدين الدكز السلحدار ، وجماعة من الحلقة . وكان الخروج من القاهرة فى منتصف شعبان من هذه السنة . ولما وصلنا غزّة أقمنا بها ، وصدرت الكتب إلى الأمير شمس الدين قراسنقر معلمة له بذلك ، فكاتب صاحب سيس يخبره بالصورة ، ويَنذره بحركة العساكر المنصورة ويُعرفه أنه إن بذل الطاعة والإنابة ، وعجّل القطيعة قرين الإجابة ، فإنه يوفر من المغزى الصائر ، ويغنى من الغزو الثائر ، وإلا فالعساكر تطأ بلاده وتستأصل طَريفه وتلاده ، فعند ورود هذه الرسائل عليه ، أرسل يبذل الإذعان ، ويَلتمسَ تحقيق الأَمان بالأَيمان ، ووصلت رسله إلى الأمير شمس الدين ، فأرسلهم إلى الأبواب العالية ، ونحن بظاهر غزّة نازلون ، فاقتضى الحال عودَنا ، إذ قد حصل الغِنى عن العَنا ، فعادت العساكر . وكان الرحيل من غزة آخر شوال ، والوصول إلى الباب الشريف أول ذى الحجة ، ولما وصل الأمير بدر الدين أمير سلاح إلى الأبواب العالية استعفى من الخدمة لأجل كبره [٣٥١] فأجيب إلى سؤاله ، وقد ذكرناه عن قريب[2] .

---

(١) المقصود الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى .

(٢) انظر ماسبق ص ٣٨١ .

وقال ابن كثير: لما جرّد هؤلاء الأمراء المذكورون إلى غزوة سيس (١)، كان ولد قطلوشاه بأطراف بلاد الروم فى ثلاثة آلاف فارس، فأرسل إليهم صاحب سيس، وبذل لهم مالا جزيلا، وكان عنده جمع من الفرنج فاجتمعوا هم والتتار فى ستة آلاف فارس، فلما بلغ العسكر الحلبي اجتماعهم أشاروا على مقدمهم قشتمر بالرحيل بالغنائم قبل أن يدركهم العدو، فلم يرجع إلى رأيهم وقال: أنا وحدى ألقى هذا الجمع، ففارقه بعض الأمراء فى نحو ربع العسكر، وساقوا تلك الليلة كلها فنجوا، وبقى بقية العسكر، فأدركهم التتار ومن انضم إليهم من الفرنج والأرمن، فانهزم العسكر الحلبي من غير قتال، وأسر التتار منهم الأمراء الأربعة المذكورين وجماعة من الجند، وأرسلوهم إلى الأردو، وسلم قشتمر فى جماعة ووصل إلى حلب، ثم إن صاحب سيس ندم وخاف العاقبة وكتب إلى نائب حلب يبذل له الطاعة والأموال ويسأل العفو، فكاتب النائب الملك الناصر فى ذلك، فأجيب إلى سؤاله، ثم جرى ما ذكرناه الآن.

ذكر قضية جبال الكسروان:

قال ابن كثير (٢): وفيها توجهت العساكر الشامية إلى جبال الكسروان، وكان أهلها قد طغوا واشتدت أذيتهم، وتطرقوا إلى أذى العسكر عند انهزامه فى سنة تسع وتسعين وستمائة، وتراخى الأمر وحصل الإغفال، فزاد طغيانهم وخرجوا عن الطاعة، فتوجه إليهم الشريف زين الدين بن عدنان، ثم توجه بعده تقى الدين بن تيمية، وقراقوش الظاهرى، ووعظوهم فلم يفد فيهم،

(١) لم يرد هذا الخبر فى المطبوع الذى بين أيدينا من البداية والنهاية.

(٢) لم يرد هذا الخبر فى المطبوع الذى بين أيدينا من البداية والنهاية.

فعند ذلك رسم بتجريد العساكر إليهم من كل مملكة من الممالك الشمالية ، فتوجه أقوش الأفرم من دمشق يوم الإثنين ثانى المحرم بالعساكر الشامية ، وصحبته من الرجالة نحو خمسين ألفا على ماقيل ، وتوجهوا إلى جبال الكَسروانيينَ والجُرديِّين ، وطلع إليهم سيف الدين أسندمر النائب بطرابلس من أصعب المسالك ، واجتمعت عليهم العساكر من الرجال والتراكمين الأبطال ، فأبادوهم قتلا وتشتيتا فى البلاد ، وسُبيت نساؤهم ، وبيعت أولادهم ، واستخدم أسندمر المذكور منهم جماعة بطرابلس ، وانقطع أثرهم من الجبال ، وعاد العسكر إلى دمشق ، وقُتل فى هذه الوقعة الأوحد ابن الملك الزاهر ، أحد أمراء دمشق ، وعاد الناس إلى دمشق فى رابع صفر .

ذكر مَهلك قُطلُوشاه نائب خربندا ملك التتار :

قال بيبرس فى تاريخه : وفيها هلك قطلوشاه نائب قازان ، وكان قد استقر به خربندا على قاعدته ، وجرّده إلى بلاد كيلان لقتال الأكراد والغارة على تلك البلاد ، فسار إليهم ، وقد حشدوا واستعدوا ، فخرجوا للقائه ، واقتتلوا معه ، فكانت لهم النصرة وعليه الكسْرة ، فعلت كلمتهم لأنها كلمة التوحيد ، وتبدّد التتار أى تبديد ، وقُتل قطلوشاه فى الوقعة[(١)] .

قلتُ : وكان السبب فى تجريد خربندا نائبه قطلوشاه إلى بلاد كيلان مابلغه عنهم أنهم على مَذهب يُخالف مذهب المسلمين ، فقال : لابد لى أن أبعث إلى

(١) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٦ ب ، التحفة الملوكية ص ١٧٨ ، وانظر أيضا نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٤١٧ .

كيلان وأطلب أكابرهم وأجمع بينهم وبين فقهاء تبريز، فيبحثون معهم فى عقيدتهم، فإن لم يظهر لها صحة ضربت أعناقهم ، فكتب [٣٥٢] إلى مـلوك كيلان ، وكانوا سبعة عشر ملكا ، وكبيرهم الذى يرجعـون إليه يُقال له : نُو بَرْشاه ، فلما وصل إليه رسول خربندا وناوله الكتاب وقرأه . قال : من أين لخربندا معرفة بهـذا الأمر ؟ فسألوا الرسول عن ذلك . فقال : قد بلـغ الملك من الشيخ بَراق(١)، وهو شيخ يعتقد فيه الملك اعتقادا عظيما بأنكم على مذهب شخص من أهل دمشق يقال له : ابن تيمية ، وقد وقـع عليه الانكار من المسلمين ، وقد ذُكر عنـكم أنكم مُجَسّمون ، وأن مذهبكم بطال ، وما أنتم على شىء من الدين .

ولمـا سمعوا بذلك جمعوا فقهاءهم وأخبروهم بهـذا الخبر . فقالوا : أىّ من راح منا أو منكم إلى خربندا يُقتل بلا خلاف لأن فقهاءهم لا يرجعون إلينا ، فأىّ شىء يذكر لهم يردّونه ، ثم يفتون فى إباحة أرواحنا وأموالنـا . فقال نو برشاه : ما الحيلة فى ذلك ؟ فقالوا : نحن نكتب عقيدتنا ونُسَيّرها إليهم ونقول : هذه عقيدتنا ما نعتقد بشىء غيرها . فقال لهم نو بَرشاه : افعلوا ذلك .

فخرجوا من عنده وكتبوا بعد البسملة : اعلم أيها الملك العظيم الشأن ، صاحب الأقاليم والبلدان ، أنا نحن قوم منقطعون فى هذه البلاد ، وقد نقـل عنا بأنا مجسمون ، فنعوذ بالله من ذلك ، ونحن نرى بأن من يُجسّم ماله توبة عنـدنا ، وليس حده إلا القتـل ، وأما ما ذكره المـلك من أمر حضورنا وتمثلنا بين يديه لنبحث مع الفقهاء ، فالملك لا يخفى عليه أن ضد كل أحد من جنسه ، ونحن فى هذه البلاد نَتَسبَّبُ(٢) ولا نتناول شيئا فى الجوامك ، وجميع فقهاء بلادكم أصحاب

(١) « من الرسول » — فى الأصل .

(٢) المقصود : أن لهم أعمال يتكسبون منها ، وليست لهم رواتب .

الجوامك ، وأكثرهم يتناولونها بغير استحقاق ، فنحن نرى بحرمة هذا ، بل فيهم أناس بلغنا أنهم يتناولون من المكس ومن المظالم ، فمن هـذا الوجه بيننا وبينهم نزاع ، فإذا بحثنا معهم لا يُنصفوننا ، وأما عقيدتنا فهذه ، وكانوا كتبوا عقيدة على طريقة أهل السنة والجماعة كما هى المذكورة فى الكتب .

فعاد رسول خربندا بذلك ، فلما وقف عليـه ازداد غضبا فقال : لابد من إحضارهم ، فأرسل رسولا آخر ، فلما حضر قال له نُوبَرشاه : ارجع من حيث أتيت ، فـا عندنا أحد يروح ، وأنتم قوم تتار ، فإش تعرفون من أمور الدين ، فإن كان قصدكم خراب البلاد فافعلوا . فقال الرسول : إن لم تسمعوا كلام الملك يأتى إليكم بنفسه بعساكر المغـل جميعها ، فيخرب البـلاد ، ويسفـك الدماء ، ويسبي الحريم والأولاد . فقال له نُوبَرشاه : افعلوا ما شئتم .

فرجع الرسول وأخبر خربندا بذلك ، فغضب غضبا شديدا ، وطلب نائبه قطلوشاه وأخبره بالخبر ، ثم جمع أمراءه وأمرهم بالتجهيز ، وكان قد سَيَّر جُوبان إلى ناحية باب الحديد ، ولمـا جُمعت عساكره ولم يبق إلا الرحيل تقدم إليه وزيره رشيد الدولة وقال : أيدّ الله القان ، هذا الأمر الذى عَوّلت عليه لم يعول عليه أحد من القانات ، فهذا الذى تفعله يُخرّب بلادك ، ويضعف أجنادك ، ويجعل لك عدوّا فى وَسط بلادك ، والصواب أن تبطل هذا الرأى ، فإن كان قصدك أهل كيلان فأنا أحضرهم إليك ، فقال : لابدّ لى من الدخول إلى بلادهم على كل حال ، فسكت رشيد الدولة وركب عدو الله فى عساكره ، ومعه أمراء التوامين والألوف ، وكان أشدّ المغل حَنَقا على أهل كيلان قطلوشاه .

ولما نزلوا على مكان ، كان بُنى به مدينة ، فأقاموا هناك ثلاثه أيام ، وجرد عساكره [٣٥٣] فكانوا سبعين ألفا ، ثم أرسل إلى جوبان وهو فى ناحية باب الحديد وأمره أن يجوز إلى كيلان ، ويضع فيهم السيف ولا يرفعه عنهم حتى يفنيهم ، ثم هم أن يركب من هذه المنزلة تقدم إليه أمراء الأاوف وقطلوشاه معهم . فقالوا له : ياخونداش هؤلاء ؟ أوباش العجم ، حتى تذهب إليهم بنفسك وتقلّ حرمة المغل بذلك — فقال : مَن يشفيني فيهم فى هذه النوبة ؟ فقال قطلوشاه : أنا أذهب إليهم وأخرب ديارهم ، وأقتل رجالهم ، وأسوق إليك نساءهم وأولادهم ، فلما سمع بذلك خربندا قال : أخاف عليكم أن يُجرى مثل نوبة مرج الصُّفَّر . فقالوا : ياخوند ليس هذا مثل ذلك، فإن هؤلاء ناس أعجام[1] أوباش ، لاقدر لهم ولا قدرة ، ولا لهم عسكر ، فعند ذلك أمر قطلوشاه أن يأخذ أمراء التوامين ويَسير ، وأوصاه أن لا يُبق على كبير ولا على صغير ، فسار قطلوشاه طالبا بلاد كيلان .

وبلغ ذلك أهل كيلان ، فوقع فيهم صائح بذلك ، وبلادهم كلها جبال وأودية ودَرْبندات وعرة ما يقدر أحد أن يسلكها إلا بمشقة عظيمة ،واجتمع أهلها مع ملوكهم وحصّنوا الدربندات ، واجتمعوا كلهم فى مكان واحد ، وكان أمر ملوكهم وغيرهم يرجع إلى ثلاثة أنفس ، وهم : نُوبَرشاه ودُوباج وزكايزن ، فتشاوروا فيما بينهم ، واتفقوا على أن يُسيّروا جواسيس ، وقالوا : إن قصدونا من رأس الدربند نزلنا إليهم ، وربما يقع الصلح بيننا وبينهم لأنه لا قدرة لنا معهم ، فسارت الجواسيس وغابوا أربعة أيام ، ثم حضروا وأخبروا أن المغل وصلت إلى رأس الدربند وهم فى جمع عظيم قد سدّوا تلك الأراضى ،

(١) هكذا بالأصل .

فحصل لهم فزع وخوف ، فقال لهم دوباج : يا قوم أنتم تعلمون أن بيني و بين قطلوشاه صحبة عظيمة ، وله عندى لبـاس فتوة ، فإن رأيتم أن أسيّر إليه ولدى ومعه شيء من الهدية ، ويدخل عليه ، فلعله أن يردّ هذا العسكر عنا ، ومهما أرادوا نحمل إليهم ، فاستصوبوا ذلك منه ، ثم جهز ابنه ومعه عشرة من أكابر كيلان ، ومعهم هدية سنية ، ولمـا وصلوا إلى رأس الدربند لاقاهم طوالع قطلوشاه ، فقالوا لهم : نحن رُسُل ملوك كيلان فحملوهم إلى قطلوشاه ، فتقدم ابن دوباج وقبّل الأرض ، وقدم ما معه من الهدية ، ثم قال : إن والد المملوك يقبل الأرض بين يدى النوين ، ويذكر أن بينكم و بينه صداقة ومودة ، ويسألكم أن تكونوا سببا للصلح نظرا فى حال المساكين أهل كيلان ، وهؤلاء أكابرهم ، وقد أحضرتهم بين يديك ، فافعل فيهم ما شئت . فقام هؤلاء ودعوا له وانحربندا وتحدثوا ، فقال لهم : ما الذى تريدون؟ فقالوا : نريد أمان القان على حريمنا وأولادنا ، وكل ما يطلبه القان والنُوين نحمله ، وندخل تحت ما يرسم به ، فعند ذلك ضحك قطلوشاه اللعين وقال : هيهات هيهات ، فأمر بضرب رقبـة ابن دُوباج ، فضربوا رقبته ، ثم علقوا رأسه فى رقبـة واحد من هـؤلاء العشرة ، وكان من فقهائهم ، وقال لهم : رُوحوا فى أسرع وقت وقولوا لهم : يحضر الجميع بأولادهم ونسائهم وملوكهم حتى نحضرهم بين يدى القان ، فمن شاء قتـله ومن شاء أبقاه وأخذ كل ما كان معهم ، ثم سيّرهم ، فخرجوا ولا يصدقون بالنجاة .

ولمـا وصلوا قصوا بقصّتهم ، ولمـا عاين دوباج إلى رأس ابنه قامت عليـه القيامة ، وحزن على ولده حزنا عظيما [٣٥٤] ووبّخ نفسه على إرساله ولده ، ثم أقسم بالله و بالنبى صلى الله عليه وسلم أنه إن مكّنه الله منهم لأنزل بهم ما يتحدث به الركبان فى كل زمان ومكان .

وكان له أخ يسمى جُوان يغير مايشاء على بلاد العجم، أشد بأسا منه والأكثر شجاعة . وكان مغرما بتواتر الغارات على بلاد الكرج ، وكان له مدة شهر غائبا فى بلاد الكرج ، وكان دو باج متعلقا بسبب غيبته ، وكان يتمنى أن يكون عنده ليلاقى به التتار .

وأما باقى ملوك كيلان فقد ضعفت قلوبهم ، وتشاوروا فيما بينهم ، وقالوا ما لنا قدرة بهؤلاء العدو ، وقد عجز عنهم سلطان مصر وجيشه ، فاتفقوا كلهم على النزول إلى قطلو شاه إلا اثنان منهم عارضا بذلك ، هما : دو باج وزكايون ، فإنهما قالا : لا سمع ولا طاعة ، ولا نبدل إيماننا بكفر ونحن قط ما رأينا ولا سمعنا بعبور التتار إلى بلادنا ، وعندنا سناجق الخليفة ، ونحن على إيمانه وعهوده ، ومن قال غير هذا ما نسمع منه ، فمال إليهما أكثر أهل كيلان . وشجعان الرجال ، ومن فى رأسه نخوة الإسلام ، والفقهاء ، والعلماء .

ولما مضى ذلك النهار وأقبل الليل ركب نوبر شاه ، وأخذ أصحابه ، وسار بهم يطلب قطلو شاه . ولما أصبح دو باج لم يجد إلا زكايون لا غير ، والبقية راحوا إلى التتار ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، راحت واقه البلاد منا ، وصعدت أكثر الناس إلى الجبال والمواضع المنيعة ، وتحصنوا فيها .

وركب دو باج وزكايون ، وأخذا معهما الفقهاء وأهل بلادهما ، وكان هؤلاء أصحاب البلاد الجوانية من كيلان على جانب البحر ، فتشاوروا فيما بينهم . وكانوا جماعة كثيرة . وقالوا إذا كان هؤلاء قد وطنوا أنفسهم إلى الذلة فنحن ما نقدر على ذلك ، وكانت لهم فى ساحل البحر مائة مركب . فنقلوا إليها أولادهم ونساءهم وما يعز عليهم من أموالهم ، وأوسقوا بها المراكب . وقالوا ، إذا رأينا

التتار تدخل إلى بلادنا وتَمَلَّكُوها ركبنا فى المراكب . فاتفقوا على ذلك ، ولكن فى قلب دوباج نار بسبب غيبة أخيه .

ثم سيروا كشافة إلى رؤوس الجبال ، وهم فى ذلك ، فإذا أخو دوباج قد وصل ، ومعه أصحابه — ورفقته ، ومعهم غنائم كثيرة ، فلاقى أخاه ، وهو يبكى وينوح لأجل ولده ، وأظلمت الدنيا فى وجهه بسبب ذلك ، وغضب على أخيه على تسييره ولده إلى قطلوشاه الكافر الظالم ،وقال : وإش هذه المراكب الموسوقة ، فأخبروه بحكايتهم ، فلما سمع بذلك ، قال : والله العظيم لقد كان فى قلبي من هؤلاء الكلاب من سنة عبر قازان إلى بلاد الشام ، وقال لأخيه : وكم مرة أردت الغارة على بلادهم ، وتمضى أنت ! ويلك إذا هربنا من أعداء الله ورسوله ، فأين الإيمان ؟ وأين الإسلام ؟ ثم إنه جمع رجاله ، وكانوا سبعمائة فارس مجردين لحوض البلاد ، وكان قد جعل عليهم مقدما يسمى توكل ، رجل طويل ، عريض الهامة ، معجر الوجه [1] ، مكسر الأبدان ، عريض القلال ، وافى النبيال ، صاحب زنود عريضة ، وأعضاد قوية ، فقال له : ياتوكل خذ أصحابك وسيرهم إلى رأس الدربند ، فاكشفوا لنا خبر هؤلاء الكلاب ، ولا تنزل من مكانك وإن جاء قطلوشاه ، ثم أرسل وأعلمنى بذلك ، فقال له : السمع والطاعة ، فسار من ساعته ، وثبت قلوب الناس من الغم ، وقال : كونوا مكانكم فوحدى ألتق أعداء الله ، وسوف ترون منى [٣٥٥] ومنهم العجب .

وسمعت أهل تلك البلاد بقدوم جوان شير ، فأتت الناس من جميع الجهات ثم كتب كتبا إلى جبال اللكزية والقَيْدية ، وكان بينه وبينهم هدنة ومصاحبة ،

---

(١) معجر الوجه : أى ممتلىء الوجه — أنظر مادة عجر — لسان العرب .
والمقصود بالصفات المذكورة بالمتن : أن هذا الرجل ضخم الجثة .

وقال لهم : هؤلاء العدو قاصدون إلينا ، وأنتم تعرفون أن آباءنا وأسلافنا قط ما أطاعوا التتار ، فإن هؤلاء قوم مايحبون إلاّ الفساد وهتك حريم الناس ، فإن تخليتم عنا أخذونا ، ثم عبروا إليكم ، ولما وقفوا على كتبه وكان مقدمهم يومئذ شخص يقال : أمير حاج ابن ناجى . قال : والله ما نقعد عن نصرة جوان شير ، فإن له علينا أيادى كثيرة .

فتجهزوا وساروا إليه فى جمع كثير ، فلاقاهم دوباج ، وأنزلوهم فى أعز مكان ، وحملوا إليهم مايحتاجون إليه من سائر الأشياء ، ثم تشاوروا فيا بينهم فى أمر العدو . فقال جوان شير : قد رأيت رأيا فلا تخالفونى فيه . فقالوا : ماهو؟ فقال : يأخذ أمير حاج رجاله ويسير بهم ، ويُمسك لنا رأس الدربند ، فإذا رآهم وقد دخلوا الدربند يُعلمنا بذلك ، فنقوم وندور من خلفهم ونقطع الطريق عليهم ، فإذا رآنا وقد التقينا ، وكان النصر لنا ، لا يمكن أحدا من الخروج . فقال دوباج : أنت تعلم إنك تكسر هؤلاء الجيش العظيم . فقال له : إما أكسرهم أو أموت ، فلا أبالى بما يكون بعدى . فقال أمير حاج : ياجوان شير إعلم أنى ماجئت إليك بهؤلاء الرجال إلا ونحن قد بايعنا الله على أنفسنا ، فمُرْنا بما تريد . فدعى لهم جوان شير ، ثم ركب أميرها من وقته وسار بجيشه إلى الدربند ، وكان جوان شير قد أوصى له بأنه إذا رأى أنا نحن كَسَرْنا التتار لا يمكن أحدا من الخروج ، وإن رأى أنهم كسرونا يذهب هو بمن معه إلى رءوس الجبال ، ثم يذهبُ إلى بلاده .

وفى ذلك النهار وصلت إلى جوان شير أخبار من عند توكل : بأن أول العدو قد وصلوا إلى رأس الدربند ، وهم معولون على العبور ، وقد منعناهم ، فألحقوا

بنا سريعاً ، أو ترحل إلينا وتعلمنا ماذا نَفعل لأنهم خلق كثير . فلما سمع جُوان شير بذلك طلب أخاه دوباج وزكايون وقال لهما : إنى قد عولت على أمر . فقالا : ماهو ؟ فقال : أسير إلى رأس الدربند بمن معى ، وكان معه أربعمائة رجل ، ومع التوكل ستمائة ، فأضرب مع العدوّ رأسا فى الدربند فى آخر النهار ، ثم أظهر لهم الإنهزام ، فيتحققون منا الإنكسار ولايتبعوننا من وجهين :

أحدهما : إقبال الليل وهجوم الظلام وهم لا يعرفون حال تلك الأرض .

والآخر : يستخفون بنا لقلتنا ويستحقرون شأننا ، ثم آخذ أنا بقية الجيش الذين عند توكل ونطلب موضع مقدمهم ، ويكون رجاله قد تفرقوا لأجل طلب الكسب ، فآخذهم بعون الله تعالى . فقالوا له : أفعل مابدالك . فأخذ أربعمائة فارس ، وسار بهم تحت الظلام فى تلك الليلة وصبيحة الغد ، وأما توكل فإنه لما أصبح ثار عليه غبار حتى سدّ الدربند وملا على عنان السماء ، ثم انكشف عن خيل قد سدّت الأرض بكثرتها وأظلمت الدنيا من غبرتها .

ولما رأت المغل رجال العجم تقدمت كالعقبان ، وصاح توكل على رجاله فكبروا ، وذكروا النبىّ صلى الله وسلم ، ثم حملوا ، ورشّت المغل السهام عليهم كالمطر ، واختلطت الخيل بالخيل ، فصار النهار كالليل ، وكان مقدم هؤلاء المغل شخص يقال له : دَمَنْدار ، فلما رأى ماحل بهم من العجم نبه رجاله ، وصرخ [٣٥٦] فى أبطاله ، فحملت المغل حملة رجل واحد ، فبينما هم فى الحرب الشديدة ، إذ وصل من المغل تومان مع شخص يسمّى نوين رمضان ، فرأى الحرب فى عمل عظيم ، فعند ذلك تأخرت العجم وقد كثر عليهم الرجال ، ولما رأى ذلك توكل كشف رأسه وزعق : إلى أين ياالشام ؟ تسلمون البلاد إلى هؤلاء الأَوْغاد ؟ أمالكم نخوة الكرام ؟ ، ثم نادى : يالدين محمد صلى الله عليه وسلّم ،

لحمل ، فعند ذلك تراجعت العجم كأنهم أسود قد خرجت من الآجام . فلله درّ توكل فى ذلك اليوم ، لقد قاتل قتالا شديدا ، مارأت الراؤون مثله ، ولا سمعت السامعون نظيره ، ولقد قاتل بستمائة فارس مع عشرين ألف فارس من أول النهار إلى آخره ، ولما أمسى الليل تأخرت المغل وخرجوا من الدَرْبَنْد ، ونزلت العجم مكانهم .

ثم افتقد توكل أصحابه ، فوجد مائة نفس عدموا ، وجُرح أكثر البقية ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، أفغدا لايبقى معى أحد ، فأرسل تلك الليلة فارسا يَعلم جوان شير إن لم تلحقنا لايبقى منا أحد ، فلما علم بذلك جوان شير أسرع فى السَيْر حتى وصل إليهم فى آخر الليل ، ولما رآهم على تلك الحالة ضاق صدره إلا أنه أضمر ذلك فى نفسه ، فشرع يُثَبّت قلوبهم ويشجعهم .

ولما أشرق الصبح ، ركب ورفع على رأسه السناجق ، ودقت الطبول ، ونُفخ فى البُوقات ، وصاحت العجم ، ورأى الترك ذلك فعلموا أن مدداً جاء لهم ، وكان قطلوشاه قد وصل إلى رأس الدربند ، فلما رأى المغل على تلك الحالة استعجزهم فقال : إش هؤلاء العجم حتى طولتم هذا المقدار ، فقالوا : يانُوين والله لقد قاسينا منهم أمس ما قاسينا يوم مرج الصُفَّر . فضحك قطلوشاه من ذلك ثم أمرهم بالحملة ، ولما رأت العجم ذلك أعلنوا بالتكبير والتهليل ، ثم حملوا وتصادموا فى وسط الدربند ، وتقدم جوان شير ، وحمل بالمغل حتى أيقنوا بالهلاك ، وخُيِّل لهم أن قد نزل عليهم من السماء عذاب ، ولكنهم يستطيلون لكثرتهم ، وتخبلت العجم أيضا ، فلما رأى جوان شير ذلك مزّق درعه ، ورمى خوذته عن رأسه ، وصرخ : يا لدين محمد ! إلى أين تفرون يابنى الأندال وتتركون

حريمكم وأولادكم إلى أعداء الله ورسوله ، فلله درّ فارس ما أجرأه ، وسيد بأمور الحرب ما أخبره وأدراه ، فلقد زلزل المغل عن مكانهم ، وأنزل بهـم الويل والثبور،ومن خلفه أولاد أخيه وهم ينادون : يالثارات أخينا الذى قتله قطلوشاه حين راح إليه فى الرسلية لأجل الاصطلاح ، كما ذكرنا .

ولقد أخبر من حضر هـذه الوقعة أن جوان شير غير فى ذلك اليـوم عشرة أروس[1] من الخيل . وكلما رجع لأجل تغيير الفرس يتزاحم أصحابه فى الهروب إلى الخيام ، فإذا رجع هدر كالأسد فيرجع أصحابه إلى الحرب ، ففى أقل من ساعة أخرج المغل من الدربنـد ، فنظر إلى ذلك قطلوشـاه فكفر ونخر وعتى وتجـبر ، ثم حمل بمن معه وكان آخر النهار ، ولمـا رأى جوان شير ذلك ، قال لأصحابه : انقلعوا من بين أيديهم لأن الليل قد أقبل ، وأكون أنا خلفكم ، فتقلعوا وخرجوا من الدربند ، وصاحب المغل [٣٥٧] وراءهم من سائر النواحى ، وتبعوهم ، وقالوا : لو حمل قطلوشاه من أول النهار ما وقفت العجم ساعة واحدة، وانقطع جـوان شير من خلف العجم ومعه جماعته الخواصّ ، ورأى ذلك أمير حاج بن ناجى مقدم اللكزية من رأس الدربند وقال : والله ما بقى تقوم لهم قائمة، وروحوا بنا فى رءوس الجبال . وأما المغل فإنهم لازالوا خلف العجم إلى دخول الليل ، ورجعوا إلى قطلوشاه ، وكان نازلا فى رأس الدربند من داخل ، وقالوا له : إنا لم نزل سَعْيا وراء العجم حتى أظلم علينا الليـل ، ففرح قطلـوشاه فرحا عظيما ، وقال : إلى أين تذهبون ؟ والله لا أبقى منهم أحدا لاصغيرا ولا كبيرا .

ثم إنه بات مكانه فى تلك الليلة إلى الصباح، فلما أصبح ركب وسار يطلب كيلان وبلادها ، فنظر إلى المدينـة وإلى رستاقها وما فيها من الأموال والخيل

(١) أروس : رأس — رؤوس — انظر المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية ص ١٢ ق

والأبقار والأغنام، وكان دوباج نادى فيهم بأن يتركوا أموالهم وأولادهم ويحفلوا بأنفسهم فقط ، فلما عاين قطلوشاه ذلك قال لأصحابه : والله لقد رابنى أمر العجم ، وأخَافُ من ردهم علينا . فقالت له الأمراء: وكيف يكون ذلك ؟ فقال : لأنهم ما حصنوا أموالهم ولا أولادهم ، وأخاف أن تكون ذلك مكيدة كانوا قد دبروها حتى نشتغل وتنصرف عسكرنا ، ثم يرجعون إلينا . فضحك دَمندار وقال : أطال الله عمر النُوين ، ومن أين للأعجام هذا الفهم ؟ وهم مثل البقر السارحة ، غير أنهم أرادوا النجاة لأرواحهم وتركوا أموالهم وأولادهم، فعند ذلك تفرقت المغل فى البلاد والشعاب والأودية والتلال فى طلب الكسب ، فحاشوا أموالا لا تعد ولا تُحد ، ولم يَبق عند قطلوشاه إلّا اليسير من المغل ، والباقى تفرقوا فى طلب الكسب .

وكان جوان شير لما انكسر أرسل إلى أمير حاج بن ناجى أمير اللكزية : لا يهُولنكم ما جرى علينا ، فنحن هربنا من بين أيديهم مكرا منا وحيلة دبرناها لعل الله أن يجعل فيها دَمارهم ، فاحفظوا أنتم الدربند ، وانظروا منا العجب ، ولما سمع أمير حاج هذه الرسالة قال للرسول : والله لولا وصولك إلينا فى هذه الساعة لعولتُ على المسَير إلى بلادى .

وأما جوان شير ودوباج وزكايون فإنهم قد جمعوا العجم ، فكان فرسانهم ألفين وخمسمائة ، ومُشاتهم ثلاثين ألف راجل ، وقد بايعوا الله تعالى وتحالفوا بالله الذى لا إله إلا هو أنهم لا يُولون من بين أيدى المغل ولو يبقى واحد منهم .

ثم أن جوان شير أرسل كشّافة يكشفون الخبر فقال لهم : إذا رأيتم قطلوشاه قد وصل إلى مرج الجاموس تعالوا اعلمونى بذلك . فسارت الكشافة ، و إذا

قطلوشاه مع عسكره قـد أشرفوا على المرج ، فعادوا فى الحـال وأعلمـوا جوان شـير . فقال جوان شـير : الحرب خدعة فما ترون فى أمر الكبسة على هؤلاء بالليل ؟ فقالوا له : افعـل ما بدالك ، فركب وركبت العساكر ، وساروا على طريق ليس فيه ديدُبان قطـلوشاه ، فساروا بين جـبال شامخات ، وأماكن وَعِرات ، وآجام وغابات ، ومع ذلك هم خبيرون بتلك الأراضى لأنها أرضهم ، ثم قال لهم جوان شير : يا قوم قـد قربنا منهم ولم يبـق بيننا و بينهم [٣٥٨] إلا هذا الجبل ، والرأى عندى أن تنزلوا وتستريحوا ، وتُريحوا خيولكم إلى آخر الليل ، وفى وقت السحر فى الغلس نكبسهم فنزلوا .

وقال جوان شير : أنا أروحُ وأكشف هؤلاء ، فمنعوه ولم يسمع منهم ، فأخذ معه جماعة ممن يثق بهم ويتكل عليهم فى الشدائد ، وسارُوا وهم مُشاةٌ ، فصعدوا إلى ذلك الجبل ، ثم نزلوا إلى مرج الجاموس ، فإذا هم نازلون فيه ، وهم آمنون مطمئنون ، وخيولهم سارحة ، فدارَ جوان شير مع أصحابه حولهم . فقال : القوم نحـو ثلاثين ألفـا والبـاقى تفرقوا فى طلب الكسب ، ثم رجعـوا إلى أصحابهم فقال لهم : قوموا ندهمهم قبـل إسفار الصبح . فقاموا وركبـوا ، وساروا غير بعيد ، فإذا بصياح من خلفهم يقول : قد دهمت الخيل من ورائنا فقال دوباج : قد عملت التتار علينا الحيـلة وسبقونا إلى ما قد دبرناه . فقال لهم جـوان شير : سيروا أنتم هُوينا وأنا أرجـع وأكشف لكم هذا . فأطـلق عنان جواده وطلب المكان الذى سمع منه الصياح ، فلما قرب منه سمع صهيل الخيل وزمجرة الفرسان وقعقعة السلاح . فقال : هـذا والله عسكر لامحالة وهلكنا لا محالة . فأنصت إليهم وإذا هم يتحدثون بالعجمى و يقولون : ما نظن أن نلحق بجُوان شير لأنه

رجل مقدام على البلاء وربما يكبس الكفرة من قبل وصولنا إليه ، فناداهم جوان شير بالعجمى : من أنتم رحمكم الله ؟ فأنا جوان شير . فلما سمعوا به تسابقت إليه الفرسان وفى أوائلهم نشاوور الشُشْترى صاحب مازندران ، وهم أربعة آلاف فارس كأنهم الأسود العوابس ، وقد أتوا إلى نُصرة جوان شير ، فلما تلاقوا اعتنقوا على ظهور الخيل وساروا يطلبون دو باج وزكايون ، فتلاقوا واعتنقوا وفرحوا ولم ينزلوا ، بل ساروا من وقتهم فأشرفوا على أعداء الله وهم على الحالة التى خلّاهم جوان شير ، ولهم يزك من ناحية كيفان ففرق جوان شير أصحابه حولهم من الخيالة والرجالة ، وقال لهم : لاتخرجوا حتى تسمعوا النفير وقد ضرب ، فكل منهم يُحركَ كُوسانه ويَخرجُ من مكانه ، ودَوّسُوهم بسنابك الخيول . ففعلوا مثل ما قال ، وصرخوا صَرْخَةً واحدة وقالوا : الله أكبر فتح الله ونصر . قال : فنادتهم الجبال والأشجار ، فخيل للمغل بأن السموات قد انطبقت على الأرض ، ونأر قطلوشاه وقد طار فؤادُه ، ثم قال : حسبت هذا الحساب ، ونطّ على ظهر جواده ، وكان هذا الجواد لايَبْرَحُ واقفا فى النَّوبة ، فلما ركب صرخ فى مماليكه وأتباعه وقال : لاتُفارقونى وإذا هو بدَمَنْدار ورمضان نُوين وسيباوجى ونوينات المغل وأمراؤها وقد أقبلوا إلى قطلوشاه ، فلما رآهم وقد اشتد ظهره ، وقال لهم : ماذا ترون فى هذه الحيلة التى تمت علينا ؟ فقال سيباوجى : اعلم أنهم عملوا شيئا ، وما تم معهم . فقال له : وكيف العملُ ؟ فقالت الأمراء : ها نحُن قد اجتمعنا عليك والآن يلوحُ الضوء فنأخذهم على رءوس الرماح والمرْهفات الصفاح . فقال لهم دبندار : إش هذا الكلام والله ما يصبح الصباح إلا وعسكرنا على الأرض وهم أشباح [٣٥٩] بلا أرواح . وهم فى الكلام فإذا العجم قد

صرخت كالأسود « . . . »[1] فكشف جوان شير رأسه وحمل ، فحملوا معه حملة الأسود على فرائسها .

وبينما قطلوشاه فى جماعتـه وأصحابه ، وهو يحرضهـم على القتال ، إذ هجم عليه جوان شير وضربه ضربة صادقة ، فوقعت الضربة على بيضته[2] فقدتها نصفين وقطعت أذنه ، وحافت رأسه ووجهـه ، فصاح وصرخ ، وقال : أيها الفارس لاتعجل علىَّ فأنا قطلوشـاه ، فانتظر وأعطيك ماشئت ، فلم يلتفت إلى كلامه ، وجذبه ، وأخذه أسيرا ، وقاده حقيرا ، ووصل نشاوور إلى دمندار ، وضربه « . . . . . . » من حديد[3] فأرماه ، وأخذه أسيرا ، ووصل دو باج إلى ابن قطلوشاه ، وهو هارب ، فقال له : إلى أين يالئيم ابن اللئيم ، فأنا الذى أقتلك لآخذ ثأرى ، وأُقِر عَيْنى ، ثم أخذه أسـيرا ، فعند ذلك عملوا السيوف فى المغل ، وقتلت منهم جماعة لاتحصى ، والذين هربوا وأتوا إلى الدربند فوجدوها [٣٦٠] مسدودة ، كما ذكرنا .

وكان قطلوشاه لما عبر بعساكره أخلى الدربنـد ، وكان أمير حاج نزل إليها فى الكرية ، وسدوها بالأحجار والأخشاب « . . . . . »[4] .

وهرب جماعة من المغـل ، ودخلوا الدربند ، والعـجم مشـغولون بالقتال والأسر ، فلحقهم نشاوور وجوان شـير على مسيرة يوم . ثم عادوا والمغـل معهم أسارى فى القيود .

(١) يوجد عشرون سطرا مطموسة بحيث يصعب متابعة النص .

(٢) البيضة : غطاء حديد واق للرأس أشبه بالخوذة ، وتلبس على البيضة العمامة أو القلنسوة ــ صبح الأعشى جـ٢ ص ١٤٢ .

(٣) « . . . » موضع كلمة غير مقروءة .

(٤) « . . . » يوجد بالأصل نحو ستة أسطر مطموسة بحيث تصعب متابعة النص .

ثم احترست العجم ، وجمعوا ما حصّلوا من خيول المغـــل ، وأثاثهم ، وقماشهم ، وساروا إلى أن أتوا مدينة دوباج ، وهى على « . . . . . . »(١) يقال لها ذماهى ، فالتقاهم أهل المدينة مهللين ومكبرين إلى أن دخلوا البلد ، ولما استقروا قام إليهم دوباج وهو يبكى ويصرخ بسبب ولده الذى قتله قطلوشاه ، وأرســل رأسه إليه — كما ذكرنا — فقالت له أمراء العجم : لاتبك ، فهؤلاء المغل بين يديك ، ونحن نمتثل كلامك ، فافعل بهــم ماتريد ، فقال : والله إنى أريد أن أعذبهم عذابا ماعذب به أحد فى العالم ، فقالوا له : إفعل ما تريد ، فعنــد ذلك طلب قطلوشاه والأمراء الذين كانوا معه ، وكانوا سبعين أميرا ، وطلب جماعة من اليهود المزينين ، وأمرهم بأن يقطعوا أيديهم وآذانهم وأنوفهــم ، ويحلقوا ذقونهم ، ففعلوا بهم ذلك ، ثم أركبوهم حميرا وداروا بهم فى بلادهم ، ثم أمر بعد ذلك بأن تنصب لهم خوازيق ، فلمـا نظر قطلوشـاه إلى ذلك عرف مايريد به وبكى وتحسّر ، ونظر إلى دوباج ، وقال له : يا أمير ارحمــنى ، فالله عليـــك لاتهلكنى بهذه الخوازيق ، وأعلم بأنك ميت بعدى ، وبلادك تخرب ، فقدم إلى حبلا ، ومايضيع فىّ ، فقال له : ياكلب بن كلب ماعملت معى من الخير حتى أقدم لك جميلا ، وقــد قتلت ولدى وقطعــة كبدى . فأمر مماليكه بأن يشيلوه فشالوه ، وهو يبكى ويقول : هل من مخبر يخبر خربندا بحالنا ، وما نحن فيه ، وأرموه على الخازوق فدخل فى دبره وخرج من ظهره .

وأقاموا أياما والعجم يأتون برجال من المغــل حيث خمسة وعشر مقشرة ، وأكثر وأقل ، ويضربون رقابهم ، فحسبوا القتلى منهم . فمات أربعون(٢) ألف

(١) « . . . » موضع ثلاث كلمات غير مقروءة .

(٢) « وأربعين » فى الأصل .

نفس ، وسبعون[(١)] أميرا من الأمراء الكبار ، فهذا الذى جرى على هؤلاء المغل .

وأما خربندا فإنه كان نازلا على مدينته الجديدة التى بناها ، وهو ينتظر خبر قطلوشاه ساعة بساعة ، وفى بعض الأيام ركب إلى الصيد إلى ناحية الدروب ، فإذا بغبار قد لاح من بعيد ، فقال : إيتونى بخبر هذا ، وأظنه من عسكرى ، فتسابقت إليه الخيل . ثم رجعوا [٣٦١] ومعهم بعض ناس من المنهزمين ، فلما رأوا خربندا أرموا أنفسهم على الأرض ، وحثوا التراب على رؤوسهم ، وعووا مثل ما تعوى الكلاب ، ونعوا لأهلهم وأصحابهم ، ثم احكوا[(٢)] لخربندا بما جرى عليهم مفصلا . فقال خربندا : ما فعل قطلوشاه ؟ فقالوا : ما نعلم إلا أنهم تبعونا إلى الدربند ، وكانوا قد مسكوا الدربند ، فقاتل قطلوشاه بمن معه وهم مشاة ، والظاهر أنهم أُخذوا أَسْرى .

ولما سمع بذلك خربندا ألوى رأس فرسه ورجع ، وبات تلك الليلة بأشر بيات ، ولما أصبح أرسل كشافة إلى رأس الدروب ليستصحوا الأخبار ، ورحل هو طالبا مدينة تبريز ، ثم بعد مدّة رجعت كشافته وأخبروا بما جرى على عسكره ، وما فعلوا بقطلوشاه وبقية الأمراء ، ولما سمع بذلك خربندا طار فؤاده وخرج من عقله من الغضب والقهر ، وكان فى ذلك الوقت الشيخ براق حاضرا وهو الذى كانت هذه الفتنة من تحت رأسه . وكان بينه وبين قطلوشاه مودة عظيمة . فقال لخربندا : لا تحمل الهم فأنا أسير إلى بلاد كيلان فأحضر بقطلوشاه

(١) « وسبعين » فى الأصل .

(٢) هكذا بالأصل .

ومن معه ، وكان يعتقد أنهم أحياء ، فقال له خربندا : افعل بما تريد ، فركب الشيخ براق وسار طالبا كيلان .

وأما خربندا فإنه انقطع عن الركوب سبعة أيام، فلما رأت المغل ذلك خافوا أن يطمع أعداؤه فى الملك ، فقالو لجوبان نائب أبى سعيد : هذه التى فعلها الملك ما هى عادة الملوك فإنه قوى يورى الناس الضعف، وهذا نقص فى حقه ، فقال لهم جوبان : اليوم أركب إليه وأتحدث معه فى هذا الأمر ، فقام وركب ، وجاء إلى باب خربندا وطلب العبور ، فمنعوه ، ثم قال لبعض الخدام : اعبر وقل للملك إن جوبان على الباب يريد أن يتحدث مع الملك من باب النصيحة، فدخل الخادم واستأذن له ، فأذن ، فدخل جوبان وقبّل الأرض ودعا له ، فقال له خربندا : ما معك من النصيحة ؟ فقال له : أيداك الملك ، الملوكُ يُوَرُّون[(١)] الناسَ القوّة عند الضعف لأجل حرمة المملكة ، وأنت تُورى الضعف عند القوة ، فلا تحمل هذا الهم على قلبك ، فرجالك أجواد ، وليوثك أفراد ، وسيوفك حداد ، ويُخشى أن يسمع الملك الناصر صاحب مصر فيطمع فيك وفى مملكتك . فقال له : يا جوبان كيف لا أحمل الهم وقطلوشاه وسبعون أميرا فى الأسر وأكثر عسكرى قد فنى . فقال يا مولانا : أمّا أمْر الأجناد هين ، فإن المغل لو باتت عند نسائها ليلة واحدة لجابت النساء أكثر من ذلك ، ولم يزل عليه جوبان حتى أمر بشد الخيل للصيد ، فركب وركبت معه الأمراء وسار يطلب الصيد .

وأما الشيخ براق فإنه وصل إلى دربند كيلان، فمسكه اللكزية الذين يحفظون الدربند ، وأتوا به الى دوباج ، فلما مثل بين يديه سلم عليه ، فقال له دوباج :

(١) المقصود : يظهرون .

انت براق . فقال : نعم ، فأمره بالجاوس ، بجاس وكان قد بلغه منه أنه هـو الذى حرض المغل على الدخول إلى بلادهم ، ثم قال دوباج : الحمد لله الذى أتى بك ياشيخ براق من غير تعب ، فوالله لقد كان فى قلبى نار من جهتك ، ثم قال له : لماذا أتيت فى هذا الوقت ؟ فقال له : اعلم أن سلطان البلاد ، [٣٦٢] ومالك رقاب العباد خربندا قد سيرنى إليكم ناصحا ، لما علم أنى صادق ، وكلامى للحق موافق ، وهو يأمركم أن تحلوا قطلوشاه ومن معه من الأمراء وتبعثوا إليه ما عليكم من الأموال ، وأن ترجعوا عما تعتقدون من مذهب المجسمة ، وتعتقدوا بما قاله الأشعرى ، وإلا سار إليكم بعساكر تضيق لها الأرض .

فلما سمع دوباج بذلك قال له : أنت يا براق ما جئت إلا فى هذا الأمر . قال : نعم . فقال له : فكأنك تحب قطلوشاه . فقال : نعم ، لأنه أخى وصاحبى . فقال له يا فقير : وأين الإسلام الذى عندك إذا كان مثل هـذا أخوك ؟ واش هذه الحالة التى أنت عليها ؟ محلوق الذقن والرأس وقد خليت شواربك كأنك شيطان ، اش هذا الذى تعتقده من الأديان ؟ اليومَ أُخلى منك الأوطان ، وافجع فيك أصحابك والخلان ، ثم قال : ردوه إلى أخيه قطلوشاه فإنه يحبه ، فأخذوه وجاءوا به إلى قطلوشاه وهـو قاعد على الخازوق ، وهو ميت قديد ، فلما رآه على هـذه الهيئة بكى وصاح ، ثم نظر فإذا هم قـد نصبوا خازوقا مثله بجنب قطلوشاه . فقال لهم : ما هذا ؟ قالوا له : هذا مجلسك الذى أُمِرْنا بأن نُجلسك عليه . فقال : يا قوم لا تفعلوا فما أظن دوباج يفعل بهذا (١) لأنه صاحب دين ويقين صادق ، وهـو صالح من الصالحين . فقالوا له : لا تطول هـذا

(١) هكذا بالأصل .

الكلام ، فلابد لك من الجلوس على هذه الخشبة، ونصبوا مع خشبته ثلاثين خشبة لأصحابه ، وأقعدوا جميعهم على الخوازيق ، ولم يتركوا منهم إلا واحدا من غلمانهم ليروح بالخبر، ثم قطعوا أنفه وأذنيه، وقالوا له : اذهب واعلم خربندا بالذى رأيت ، فسار وهو ذليل حقير حتى وصل إلى جوبان ، فلما رآه جوبان على هذه الهيئة قام ودخل على خربندا .

وكان خربندا ينتظر قدوم الشيخ براق . فقال له يا مولاى : قد جاء واحد من أصحاب الشيخ براق، وهو مقطوع الأذنين والأنف ومحلوق الذقن والشنبات، فقال : أئتونى به ، فلما دخلوا به عليه أرمى روحه على الأرض ، وبكى وانتحب، ونعى الشيخ براق ، فقال خربندا : ويلك حدثنى ما جرى لكم ، فحدثه بجميع ما جرى ، وأنه رأى قطلوشاه ومن معه من الأمراء قاعدين على الخوازيق وهم أموات صاروا قديدا ، فلما سمع خربندا بذلك أرمى روحه على الأرض من سريره، وبكى حتى غشى عليه لأجل براق وقطلوشاه والأمراء الذين معه ، ثم قال، كيف هان عليهم عملوا هذا بالشيخ الصالح ، ثم قال : والله يا أمراء لقد حملت هما على الشيخ براق أكثر من همى على قطلوشاه وعسكرى ، ثم نادى بالتجهيز إلى كيلان ويكون البيكار ثلاث سنين إما تفنى المغل أو تخرب كيلان ، ثم إنه فتح الخزائن وأنفق الأموال ، وسنذكر ما جرى بعد ذلك .

واعلم أن قضية الشيخ براق مع أهل كيلان إنما كانت بعد سنة ست وسبعمائة[١] ، لأن المؤرخين ذكروا قدوم الشيخ براق إلى الشام فى سنة ست وسبعمائة على ما سنذكره إن شاء الله ، وإنما ذكرناها فى هذه السنة قصدا لسوق ما جرى

(١) قتل براق سنة ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م — انظر مصادر ترجمته فيما يلى ص

لأهل كيلان مع عسكر خربندا على تمامها وكما لها من غير فصل [٣٦٣] بأجنبي .

ذكر ترجمة الشيخ براق[١] :

كان أصله روميا من بعض قرى توقات[٢] ، وكان يمشي وفى صحبته مائة فقير كلهم محلوقة اللحى وقد وفروا شواربهم ، عكس ما وردت به السنة ، وعلى رؤوسهم قرون لبابيد ، ومعهم أجراس وكعاب وجواكين[٣] خشب ، وكانت له منزلة عند قازان ، وذلك أنه سلط عليه نمرا ، فزجره فانهزم منه ، فحظى عنده ، وصارت له مكانة ، وأعطاه فى يوم ثلاثين ألفا ففرقها كلها ، ومن طريقة أصحابه أنهم لايقطعون الصلاة ، ومن ترك صلاة ضربوه أربعين جلدة ، وكان الشيخ براق يزعم أنه إنما سلك هذا الزى ليخرب به على نفسه ، ويرى أنه فى زى المسخرة ، وإنما المقصود الباطن ونحن إنما نحكم بالظاهر ، والله متولى السرائر .

وقال صاحب النزهة : كان الشيخ براق شيئا عجيبا ، قد حلق ذقنه وترك شواربه ، وعمل على رأسه من اللباد على صفة قرون البقر ، وعلق فى رقبته أجراسا

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ٢٤٧ رقم ٦٤٥ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٦٩ ، الوافى جـ ١٠ ص ١٠٦ رقم ٤٥٦٣ ، السلوك جـ ٢ ص ٨ ، ٢٨ — ٢٩ كنز الدرر جـ ٩ ص ١٥٠ .

(٢) توقات — دوقات ، بلدة فى أرض الروم بين قونية وسيواس — معجم البلدان .

(٣) الجوكان : المحجن أو الصولجان الذى تضرب به الكرة — صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٨ .

وكهاب الأبقار والأغنام ، وفى رقبته سلاسل الحديد ، وهو جبّار من الجبابرة ، ومعه مائتا نفس بهذه الصفة .

قال : وهؤلاء الذين يأكلون الحرام، وأكثرهم ما يصومون شهر رمضان ، وقد جعل بُراق له منهم نائبا وقاضيا ووزيرا وحاجبا ومحتسبا وسلحدارية ، وله طبلخاناة ، وكان كلامُه مقبولا عند التتار ، وأمرُه مسموعا نافذا خصوصا عند الملك خربندا ، وكان يقال عند التتار إنه يركب السباع ، ولما قتل فى بلاد كيلان على ما ذكرنا كان عمره ما ينيف على أربعين سنة .

ذكرُ بقيّة الحوادث :

منها ما قال ابن كثير : وفى يوم السبت تاسع جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقراء الأحمدية الرفاعية[1] إلى نائب السلطنة بالقصر بدمشق ، وحضر ابن تيمية ، فسألوا من النائب بحضرة الأمراء أن يكفّ تقى الدين إنكاره عليهم وأن يُسلم لهم حالهم ، فقال [لهم الشيخ][2] : هـذا لا يمكن ولابد لكل أحد أن يدخل تحت الشريعة[3] قولا وفعلا ، ومن خرج عنها وجب الإنكار عليه على كل أحد ، فأرادوا أن يفعلوا أشياء من الأحوال التى يتعاطونها فى سماعهم ، فذكر الشيخ أن هذا كله من باب الحيل والبُهتان ، ومن أراد منكم أن يدخل النار فليدخل الحمام وليغسل جسده غسلا جيدا ويدلكه بالخل، ثم يدخل النار إن كان صادقا ، ولو فرض أن أحدا من أهل البدعة دخل النار ، فإنه لا يدل على

(١) « الرفاعية » ساقط من البداية والنهاية .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح من البداية والنهاية .

(٣) « تحت الكتاب والسنة » — فى البداية والنهاية .

صلاحه، بل هذا من الأحوال الدجالية المخالفة للشريعة المحمدية إذا كان صاحبها على غير الطريقة السُنية (١)، فابتدر شيخ المُنَيبع الشيخ صالح وقال : نحن أحوالنا تنفق عند التتار ما تنفق عند الشرع، فضبط عليه هذه الكلمة الأمراء والحاضرون، وكثر الإنكار عليهم من كل أحد، ثم اتفق الحال على أنهم يخلعون الأطواق الحديد [من رقابهم] (٢)، وأن من خرج منهم عن السنة ضُربت عنقه، وصنف ابن تيمية جزءا لطيفا فى طريقة الأحمدية وأصل مسلكهم، وما فى ذلك من مقبول ومردود بالشرع (٣).

ومنها ما ذكره ابن كثير أيضا : أن فى خامس رمضان يوم الإثنين جاء كتاب من الأبواب السلطانية [٣٦٤] وفيه الكشف عما كان وقع للشيخ ابن تيمية « بسبب فُتيا الطلاق » (٤)، وأن يُحمل إلى مصر، وكذلك نجم الدين بن صَصْرَى، فتوجها على البريد يوم الإثنين ثانى عشر رمضان، وكان دخول تقى الدين إلى غزة يوم السبت، فعمل فيها مجلسا بجامعها، ودخلا معا إلى القاهرة يوم الإثنين الثانى والعشرين من رمضان، وعُقد لابن تيمية مجلس بالقلعة، وأراد أن يتكلم فلم يُمكن على عادته، وحُبس ببرج هناك أياما، ثم نقل إلى الجُبّ ليلة عيد الفطر هو وأخواه زين الدين وشرف الدين (٥).

---

(١) « إذا كان صاحبها على السنة » — فى البداية والنهاية.

(٢) [ ] إضافة للتوضيح من البداية والنهاية.

(٣) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٦.

(٤) « فى أيام جاقان » فى البداية والنهاية.

(٥) هذا الخبر ملخصا عما ورد فى البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٧ — ٣٨.

وأما ابن صَصْرَى فإنه أكرم وجُدّد له توقيع بالقضاء، وخُلع عليه ، وجاء بعده كتاب إلى دمشق فيه الحط على ابن تيمية ومخالفته فى العقيدة، وأن يُنَادى بذلك فى البلاد الشامية، وألزم أهل مذهبه مخالفته ، وكذلك وقع بمصر بجُماه الجاشنكير والشيخ نصر [المنبجى](١) ، وساعدهم طائفة كثيرة من الفقهاء ، وجرت فتن منتشرة ، وحصل للحنابلة بمصر إهانة كثيرة جدا، وكان قاضيهم كثير العقل ، كثير العلم، وهو شرف الدين الحرانى ، ولولاه(٢) نال أصحابه أذى كثير ، فلطف الله بهم إذ كان هو قاضيهم(٣) .

وقال بيبرس فى تاريخه : استدعى الشيخ تقى الدين احمد بن تيمية الحنبلى من دمشق لأمور نقلت عنه ، وعُقد له مجلس بحضور الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير والأمير سيف الدين سلار والقضاة وغيرهم ، واقتضى الحال اعتقاله مدة ، ثم خُلّى سبيله أياما ، ثم ردّ إلى السجن(٤) .

ومنها : أن أبا سعيد ابن عم محمد بن الأحمر — صاحب مالقه — أخذ مدينة سَبتة بالأندلس ، وكانت فى يد شخص من أهل الأندلس يسمى العَسْفى ، كان أولا ينوب فيها عن الموحدين ، فخلع طاعتهم لما وهت مملكتهم واستبدّ بها وانتمى إلى المَرينى إذ كان أشدّ شوكة وأكثر جماعة ، وجعل له جعالة يحملها إليه كل سنة، فاتفق بينه وبين شخص يسمى ابن زيد مستحفظ القلعة [التى بسبتة](٥)

---

(١) [ ] إضافة للتوضيح من البداية والنهاية ؛
(٢) « ولولا هو » — فى الأصل .
(٣) هذا الخبر ملخصا مما ورد فى البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٨ .
(٤) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٧ أ .
(٥) [ ] إضافة من زبدة الفكرة حيث نقل العينى هذا الخبر .

شيئا ، ووقع بينهما واقع ، فكاتب ابن زيد صاحب مالقه وهو ابن عم الأحمر يستدعيه ليسلم له قلعة سبتة ، فعزم على التوجه إليه وخشى من ظهور أمره واتصال خبره بالعسفى فيحتاط لنفسه ، فلا يبلغ منه مراما ، فأعمل الحيلة ، وورى بقصد طنجة ، وكتب إلى العسفى بسببه يقول له : إن أهل طنجة قد كاتبونى وقرروا الأمر معى أن يسلموها إلى على أن أوجه إليهم بأربعين ألف دينار وأسير إليهم(١) وأتسلمها ، وقصدت أن تكون لى مساعدا بأمرين : —

أحدهما : أن تسعفنى ببعض المال .

والثانى : أن أجعل عبورى على سبتة وتسير جفانى — يعنى المراكب — من تحتها ليخفى على من بطنجة أمرنا ، فنأتيهم بغتة فنظفر بالبغية .

فمشت هذه الخدعة على صاحب سبتة ، وظن المكيدة حقا ، وسار أبو سعيد على الأثر بجفانه وأنصاره وأعوانه إلى نحو سبتة ، فلما رأى النواظير والأحراس مراكبه مقبلة أخبروا صاحب سبتة . فقال : لا بأس عليكم منه ، فإن له مقصدا هو قاصده ، [٣٦٥] فلما جن الليل طرق البلد على غفلة ، وتسلم القلعة من مستحفظها من أول وهلة [واحتلها(٢)] ، وانبسط فى البلد ، هو ومن معه ، فأخذها ، وأسر أولاد العسفى ، وساقهم إلى غرناطة فى الأسر ، واستولى على سبتة بكيده ، وبقيت فى يده وأيده(٣) .

---

(١) « نحوهم » فى زبدة الفكرة .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٣) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٧ أ — ٢٤٨ أ .

ومنها : أنه فى رمضان جاء كتاب من مقدم الخدام بالمشهد النبوى يستأذن السلطان فى بيع طائفة من قناديل الحرم النبوى ، نفيها قنديلان من ذهب زنتهما ألف دينار ، وأن يصرف ذلك فى بنـاء مئذنة[(١)] عند باب السلام ، الذى عنده المطهرة ، فرسم بذلك ، وشرع فى بنائها[(٢)] ، وولى خطيبها سراج الدين عمر قضاءها « مع الخطابة بدمشق ، ذلك على الروافض[(٣)] » .

ومنها : أن فى هذه السنة اختلفت السوقة والعامة فى أخذ الفلوس المصكوكة عددا ، وقرروا أمرها وزنا ، وقطع سعرها — بدرهمين ونصف — الرطل ، واستمرت على ذلك .

ومنها : أن فى شهر رجب قرأ الشيـخ جمال الدين المزى فصلا فى الرد على الجهمية من كتاب أفعال البخارى[(٤)] تحت [قبة[(٥)]] النسر[(٦)] ، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين وقالوا : نحن المقصودون بهذا التكفير ، وسعوا به إلى قاضى القضاة ابن صصرى ، فأحضره إلىّ بين يديه ورسم بحبسه ، فبلغ ذلك الشيخ ابن تيمية فقام حافيا وأصحابه خلفه إلى الحبس فأخرجه منه ، وطلع القاضى إلى النائب ، وطلع الشيخ تقى الدين ، فالتقوا[(٧)] عند النائب ، وتخاصما ، فأسقط تقى الدين على القاضى ،

(١) « مأذنة » فى الأصل .
(٢) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٨ .
(٣) « » هكذا بالأصل .
(٤) « أفعال العباد للبخارى » فى البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٧ .
(٥) [ ] إضافة للتوضيح من البداية والنهاية .
(٦) « بعد قراءة ميعاد البخارى بسبب الاستسقاء » — فى البداية والنهاية .
(٧) هكذا بالأصل .

وذكر نائبه جلال الدين ، وأنه آذى أصحابه بسبب غيبة ملك الأمراء ، فأمر ملك الأمراء أن يُنادي فى المدينة : من تكلم فى العقائد حلَّ قتله ، ونهبت داره . وكان قصد الأمراء تسكين الفتنة .

ومنها فى رجب[1] طلبوا القضاة والمفتين والفقهاء والشيخ تقى الدين بن تيمية إلى حضرة نائب دمشق ، بالقصر الأبلق ، فلما اجتمعوا عنده سأل الشيخ تقى الدين عن عقيدته ، فأملى شيئا منها ، ثم أحضر عقيدته : الواسطية ، وقُرئت فى المجلس ، وبُحث فيها ، وبقى مواضع أخر أخرت لمجلس آخر ، ثم اجتمعوا يوم الجمعة الثانى عشر من رجب ، وحضر المجلس أيضا الشيخ صدر الدين الهندى ، وبحثوا معه ، وسألوه عن مواضع ، وجعل الشيخ صدر الدين يتكلم معه ، ثم رجعوا عنه ، واتفقوا على [أن[2]] الشيخ كمال الدين ابن الزملكانى يحاققه ، ورضوا بذلك ، وانفصل الحال أن الشيخ تقى الدين أشهد على نفسه الحاضرين أنه شافعى المذهب ، يعتقد ما يعتقده الإمام الشافعى ، رضى الله عنه ، نرضى منه بهذا القول وانصرفوا ، وبعد ذلك حصل من أصحاب الشيخ تقى الدين كلام ، وقالوا : ظهر الحق مع شيخنا ، فأُحضر واحد منهم إلى القاضى جلال الدين القزوينى ، وأمر بتعزيزه ، فشفع فيه ، وكذلك فعل القاضى الحنفى باثنين من أصحابه .

---

(١) « ثامن شهر رجب الفرد » — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ١٣٣ .

(٢) [ ] إضافة تتفق وسياق الكلام — انظر البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٦ ؟

ومنها : أن الله تعالى أغاث الشام بالأمطار ، ووقع الرخاء ، وكان عاليا .

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ستة عشر ذراعا واثنى عشر أصبعا .

وفيها حج بالناس حسام الدين لاجين الجاشنكير المنصورى ، أميرا على الركب المصرى ، وكان على الركب الشامى (٣٦٦) الأمير شرف الدين حسين ابن حيدر .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الشيخ عيسى[(١)] بن الشيخ القدوة الكبير سيف الدين رجيحى بن سابق بن الشيخ يونس[(٢)].

توفى فى هذه السنة ، ودفن بزاويتهم التى بالشرف الأعلى ، غربى الورافة المطلة على الميدان الأخضر . وكانت وفاته يوم الثلاثاء سابع عشر المحرم منها .

الخطيب شرف الدين أبو العباس أحمد بن[(٣)] إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزارى المقرىء ، النحوى ، المحدث ، شيخ الشافعية .

ولد سنة ثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وانتفع على المشايخ فى ذلك العصر كابن الصلاح ، والسخاوى ، وغيرهما ، وتفقه ، وأفتى ، وناظر ، وبرع وساد أقرانه ، وكان أستاذا فى العربية ، واللغة ، والقراءات ، وإيراد الأحاديث النبوية . مات عشية الأربعاء تاسع شوال عن خمس وسبعين سنة ،

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٨ رقم ١٧٨٩ ، ٧ — ٧ ، الدرر جـ ٢ ص ٣٧٩ رقم ٣١٠٧ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٩ .

(٢) ورد : « عيسى بن أبى رحيجى » فى الدرر ، و « عيسى بن الشيخ سيف الدين الرجيى » فى البداية والنهاية .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ١٧٠ ، البداية والنهاية جـ ١٤ رقم ٣٩ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ٤١ رقم ١٢ ، الدرر جـ ١ ص ٩٥ رقم ٢٤ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٧ ، شذرات الذهب ص ٦ ص ١٢ ، الدارس جـ ١ ص ١١٩ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٧١ .

ودفن عند أبيه وأخيه العلامة الشيخ تاج الدين عبد الرحمن[1] بباب الصغير[2]، وولى الخطابة بعده ابن أخيه العلامة برهان الدين[3] شيخ الشيخ ابن كثير .

ورثاه الشيخ شمس الدين بن الصائغ بقوله :

لا تطمعى ياعين فى الإغفاء ... وثقى بسهد دائم وبكاء
فلقد بُليت بصدمة مامثلها ... صبرى عدمت بها وعزّ عزائى
مالى وما للنائبات فقد رمت ... قلبى بأنواع من البرحاء
يا ليلة حققت فيها ما جرى ... كم بتّ تبكى بليلة ليلاء
قالوا خطيب المسلمين أصيب فى ... عليائه فقضى بسهم قضاء
فوجمت فى السبر الفسيح تألما ... حتى حسبت بضيقة النداء
وترنم الحادى فقلت له : انشد ... فالحزنُ قدّامى وكان ورائى
أفلت نجوم المجد بعد طلوعها ... وخبت بروق العلم بعد ضياء
وتوقدت شمس النهار تأسفا ... وأصيبت السراء بالضراء
« . . . . »[4] ... وبكى الرجاء سائر الأرجاء
وجدوا على الشيخ الإمام أخى العلمـ ... ـاء قطب الأئمة سيد العلماء
من للمنابر عند مجتمع الورى ... لعظيمة يا فارس الخطباء

(١) هو : عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى الشافعى ، تاج الدين أبو محمد ، المتوفى سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م — المنهل الصافى جـ ٧ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٤٣ .

(٢) باب الصغير : بدمشق .

(٣) هو : إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى ، برهان الدين ، المتوفى سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م — المنهل الصافى جـ ١ ص ٩٩ رقم ٤٥ .

(٤) هذه الشطرة والبيت التالى مطموس فى الأصل .

وهى قصيدة طويلة .

الصدر علاء الدين على بن[(١)] معالى الأنصارى الحرانى الحاسب ، يعرف بابن الوزير .

كان فاضلا ، بارعا فى صناعة الحساب[(٢)] ، وانتفع به جماعة . وكانت وفاته فى أواخر صفر[(٣)] منها فجأة ، ودفن بقاسيون .

الشريف الرئيس الصدر عماد الدين يحيى بن[(٤)] أحمد بن يوسف بن السراج الحنفى ، المعروف بالبصراوى ، ناظر ديوان الأشراف .

كان من أعيان الأشراف ، دينا ، صالحا ، ورعا ، من أهل السنة ، وكان على ذهنه طرف جيد من التاريخ والمحاضرات ، كثير المحفوظ ، وكان أمينا [٣٦٧] فى مباشرته ، باشر ديوان الأشراف نحو خمسين سنة ، مات بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية .

الأديب الفاضل بدر الدين محمد[(٥)] بن عبد الله ، المعروف بابن البابا ، المغزى الشاعر .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : الدرر ج ٣ ص ٢٠٧ رقم ٢٩٢ ، البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٩ .

(٢) ويقول ابن كثير ، ولقد أخذت الحساب من الحاضرى عن علاء الدين الطيبورى عنه » — البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٩ .

(٣) « توفى فى آخر هذه السنة » — فى البداية والنهاية .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : الدرر ج ٥ ص ١٨٨ رقم ٤٩٩٩ .

(٥) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ١٧١ ، الدرر ج ٤ ص ٨٦ رقم ٣٧٧٤ ، تذكرة النبيه ج ١ ص ٢٧٠ .

وكان قد توجه من دمشق إلى طرابلس ، إلى نائبها الأمير سيف الدين أسندمر ومدحه بقصيدة فأدركه أجله ، فمات بها ، ومن شعره :

لاح مثل الهلال وهو منيرُ وانثنى كالقضيب وهو نضيرُ
رشا فاتن اللحاظ كحيل الطرف ساجى الجفون أحور غرير
بابلى الألفاظ حلو لما بابلى اللحاظ فيها فتور
يتهادى مثل «....» (١) ولم لا وهو من ريق ثغره مخمورُ
فهو للأحباء روض أنيق وهو لثّم جنة وحرير
شفّنى خدّه وناهيك خدّ وسبانى عذاره المُستدير
وسقانى من ريقه العذب كأسا كالحُمّيا مزاجُها كافور
بشفاه مثل العقيق وثغر لؤلؤى كأنه بلورُ

وهى طويلة .

الشيخ الصالح تقى الدين حسين بن صدقة بن بدران الموصلى (٢) .

كان رجلا صالحا ، خيرا ، على قدم التجريد لا يملك شيئا ، وربما بقى أياما لا يحصل له ما يأكله وهو صابر لا يسأل أحدا ، وعنده فضيلة .

وله شعر ، فمنه قوله فى مجد الدين يوسف بن القهاقبى وكان بديع الحسن ، وقد رآه يشتغل فى النحو على شيخه النور المصرى :

يحق لقلبى لا يقر قرارُه إذا بانَ مَنْ أهوى وشط مزارهُ (٣)

---

(١) «....» كلمة غير مقروءة .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٢ ص ١٤٣ رقم ١٥٩١ .

(٣) وردت هذه الفقرة هكذا « إذا صد من يهوى وعز اصطباره » — فى الدرر جـ ٢ ص ١٤٣ .

فيا عذلى لا تُنكروا فَرْط ذِلَّتى　　　فَـذُلُّ المعــنَّى للحبيب فخارُه
تمرّ ليالى الصبر شــوقا وحسرة　　　وتفنى بمـا قاساه ليـــلا نهـارُه
بليتُ بمن لا يعرف العطف قلبُه　　　كذلك قلبى ليس تخمــد نارُه
فيا مُنيتى رفقا بمن عيــل صبرُه　　　غدا نازحاً عنـه وشـط مزارُه
وصـله فإنّ الهجـر راح بعمره　　　فحتى متى هـــذا الغرام حوارُه
ولم أنس يوماً فيه شاهدتُ يوسفاً　　　كبدر على غصن زهاه اخضراره
فحاولت أخفى الغرام فلم أطِق　　　وقام بعـــذرى فى هواه عذارُه
فكن أيّها المصريّ يا أفصح الورى　　　مجيبا بعــلم النحو فهو اختيارُه
وعلمه باب العطف(١) كيما يرقّ لى　　　ويحنو فقــد أودى بقلبى نفارُه
وعرّفه معنى الوصل فى شرح درسه　　　جعلت جوارا للـــذى عزّ جارُه(٢)

القاضى شمس الدين محمد بن محمـد بن بهرام الشافعى(٣) ، خطيب حلب ، المعروف بالدمشقى .

باشر نيابة الحكم بدمشق عن قاضى القضاة بهـاء الدين بن زكى ، وتولى قضاء القضاة بحلب ، وكان دينا صالحا ورعا ، [٣٦٨] مات بحلب فى مستهل

---

(١) « بأن » ــ فى الدرر .

(٢) ورد فى الدرر :

« وعلمه بأن للعطف كيما يرق لى　　　جعلت جوارا الذى عز جاره » .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ١٥٥ ، ١٧١ ، الدرر ج ٤ ص ٢٨٩ رقم ٤٣٢٣ ، الوافى ج ١ ص ٢٠٩ رقم ١٣٥ ، شذرات الذهب ج ٦ ص ١٣ ، تذكرة النبيه ج ١ ص ٢٧٤ ، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٢٢٠ .

جمادى الأولى منها وقد بلغ الثمانين[(١)] .

القاضى مجد الدين سالم[(٢)] بن أبى الهيجاء بن حميد الأذرعى ، قاضى نابلس .

أقام قاضيا بها مدة أربعين سنة[(٣)] ، وعزل عنها فى آخر عمره ، فحمله أولاده على التوجه إلى الديار المصرية للتسبب فأدركه أجله هناك ، ومات فى ثانى عشر صفر ، ودفن بمقابر باب النصر ، رحمه الله .

الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين أحمد بن العماد إبراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى .

مات بدمشق بالمارستان الصغير ، ودفن بقاسيون ، كان شيخا كبيرا ، كثير الصلاة والذكر ، صحب الفقراء طول عمره ، وروى عن أبى مسلمة ، والمرسى ، وغيرهما .

الملك الأوحد تقى الدين شادى[(٤)] بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شادى ابن مروان .

---

(١) « مولده سنة خمس وعشرين وستمائة » ـــ تذكرة النبيه .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٢ ص ٢١٨ رقم ١٧٧٦ .

(٣) « ناب فى الحكم بدمشق نحوا من أربعين سنة » ـــ فى الدرر .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ١٧٠ ، المنهل الصافى ، نهاية الارب (مخطوط) جـ ٣٠ ورقة ٣٨ ، الدرر جـ ٢ ص ٢٨١ رقم ١٩٢٠ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٧٠ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٩ ـــ ٢٢٠ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٩ .

مات بقرية من عمل الجرد، وحُمل منها إلى الصالحية فدفن بتربة والده بسفح قاسيون ، وكان أحد الأمراء بدمشق ، معظما في الدولة ،وكان لديه فضيلة وخبرة بالأمور ، ومولده سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وكانت وفاته في ثانى صفر منها آخر نهار الأربعاء .

فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السادسة بعد السبعمائة (*)

استهلت هذه السنة : والخليفة : المستكفى بالله العباسى .

وسلطان البلاد المصرية والشامية : الملك الناصر محمد بن قلاون ، ونواب مصر والشام وقضاتها هم المذكورون في التي قبلها .

والشيخ تقى الدين بن تيمية مسجونٌ بالجبِّ في قلعة الجبل .

ذكر من قدم من الرُسل وغيرهم :

وفيها : عادت الرسل السلطانية من عند طقطا[1] ملك التتار وهم : الأمير سيف الدين بلبان الصرخدى ، وسيف الدين بلبان الحكمى[2] ، وفخر الدين [إياز][3] أمير آخور الشمسى ، وصحبتُهم رسول اسمُه نامُون من جهة الملك المذكور ، فَبُولغ في إكرامه ، وأعيد بجواب لرسالته ، وجُهّز معه شمس الدين بكمش الخزندارى رسولا ، وفخر الدين إياز أمير آخور الشمسى .

(*) يوافق أولها يوم الأربعاء ١٣ يولية ١٣٠٦ م .

(١) « طقطاى » ـ في السلوك جـ ٢ ص ٢٧ .

(٢) « الحكيمى » ـ في التحفة الملوكية ص ١٨٥ ، وهو تحريف .

(٣) [ ] إضافة من التحفة الملوكية ص ١٨٠ للتوضيح .

وقال بيبرس فى تاريخه : وكان من مُساهلة سفرهم وتيْسيره لهم على ما أخبر به من لسانه سيف الدين الحكمى المذكور إنهم استهلوا هلال صفر من هذه السنة فى قرم ، وسافروا أول الشهر ، فوصلوا فى العشر الأخير منه إلى اسكندرية ، وتوجهوا فى الحراريق إلى مصر فوصلوها سلخ صفر ، وكانت المسافة شهرا من قرم إلى اسكندرية[1] .

وفيها : وصلت رُسل صاحب سيس بالقطيعة إلى الباب العزيز[2] ، وأطلق من أسرى المسلمين مائتين وسبعين أسيرا ، وأوصلهم إلى حلب .

وفيها : وصل فتح الدين بن صبرْه من بلاد التتار ، وكان قد أُسر فى جملة الأمراء الذين أُسروا ببلاد سيس كما ذكرنا .

وفى يوم الخميس التاسع من جمادى الأولى دخل الشيخُ براق إلى دمشق وصحبته فقراؤه ، أكثر من مائة فقير، وقد ذكرنا صفاتهم وزيهم وهيئاتهم فى ترجمة الشيخ براق فى السنة الماضية ، فنزلوا بالمُنيبَع[3] ، وحضروا صلاة الجمعة برواق الحنابلة ، ثم توجهوا نحو القدس فزاروا ، ثم استأذنوا فى الدخول [٣٦٩] إلى مصر ، فلم يؤذن لهم ، فعادوا إلى دمشق ، فصاموا بها رمضان ، ثم انشمروا راجعين إلى بلاد الشرق إذ لم يجدوا بدمشق قبولا ولا منزلا ومَقيلا .

---

(١) « إلى مصر » فى زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٨ ب .

(٣) انظر ما سبق ص ٤٠٥ .

وفى بعض التواريخ ، ونظم فى الشيخ براق السراج المحار موشحة(١) أولها :

جئنا عجم من جوا الروم … صور تحير فيها الأفكار
لهم قرون مثل الثيران … إبليس يصبح منهم زنهار

وهى طويلة :

ولما قدم دمشق أراد الدخول إلى الأفرم فى الميدان ، فأرسل الأفرم نعامة كان قد تعاظم أمرها وتفاقم شرها فلا يكاد يقاومها أحد ، فلما عرضوه لها قصدته ، فتوجه إليها وركبها ، فطارت به فى الهواء فى الميدان تقدير خمسين ذراعا إلى أن قرب من الأفرم فقال له : أطيّر بها إلى فوق شيئا آخر . فقال : لا ، ثم أحسن إليه ، وكان القان قازان أحضره مرة وأحضر له سبعا ضاريا ، فركب على ظهره ولم ينله سوء ، فأعظم قازان ذلك ، ونثر عليه عشرة آلاف دينار فلم يتعرض لشيء منها .

وقال صاحب النزهة : وكان خربندا أرسله إلى الشام فى الرسلية وذلك لأمر جرى له كما سنذكره إن شاء الله تعالى ، ولما توجه الشيخ براق إلى الشام كان معه يرق خربندا وكتابه إلى سائر البلاد أن يخدموه أوفر خدمة ، ولم يزل سائرا حتى وصل من ناحية الروم إلى بلاد سيس ، فسمع صاحب سيس بقدومه ، فركب إلى ملتقاه وأنزله فى دار المضيف ، وحمل إليه كل ما يحتاج ، وكان معه خط خربندا بأنه يعطيه عشرة آلاف درهم ، فأحضرها له وسير معه جماعة من أصحابه فى خدمته إلى دربساك ، وهى حده إلى بلاد المسلمين ، ولم يزل براق

(١) هكذا بالأصل ، والصواب « مواليا » ، فالموشحة — تلتزم باللفظ العربى الصحيح ، بينما المواليا لا تلتزم بذلك ، وهو ما نلاحظه فيما يلى .

حتى وصل إلى حلب، وعلم قراسنقر بقدومه فطلبه إليه ، فلما حضر قرّبه وأدناه، ولما خلا به حدّثه وسأله لما جاء به، فقال : جئت حتى أصلح بين الملك الناصر وبين خربندا بحيث أن لا يعلم بذلك أحد غيره، وفى الحال أرسل قراسنقر بريديا إلى الملك الناصر يُعلم بذلك ، وبعد قليل جاء البريدى وطلبه إلى دمشق ، فجهز قراسنقر معه جماعةً يخدمونه إلى دمشق ، ودخلها فى يوم مشهود لأنه قد كان وقع صيته بين الناس بأن شيخا جاء من بلاد التتار يركب السبع ، واجتمع خلق كثير عنده إلى أن دخل ميدان دمشق إلى القصر الأبلق، وحوله أصحابُه ،وكان نائب السلطان الأفرم جالسا فى شباك القصر الذى يشرف على الميدان ، وحوله أمراء دمشق مثل : بهادر رأس نوبة، وقطلبك الشيخى ، وبكتمر أمير آخور، والبدرى ، وقطلوبك الوشاقى ، فلما رآهم بَرَاق زمجر وأخذه حال الفقراء ، وحمل عليهم يطلبهم ، وكان فى الميدان طير نعامة لها أربع سنين يربّونها فى الميدان ، فلما رأت الشيخ براق حملت عليه ،وقبضت بفمها على رقبته ،وكادت أن تقصفها، وأرمت براق تحته وبركت فوقه ، ولو لم يدركه الرجال لمات براق تحته ، فتعجبت الناس منه ، وعلم براق أن هذه عبرة ليعتبرها ،فأسرّها فى نفسه ، ثم لما قام [٣٧٠] تقدم إلى الأفرم وسلّم عليه، وكذلك سلّم على الأمراء ، فقال له بهادر آص : آَشْ هذا يا براق ؟ أنت تقول : إنك تركب الأسد فى خراسان ، فهذا طير من طيور الشام عمل بك ما حارت به الأوهام، ولكن أزِلْ ما قَلْبك، واستغفر ربك ، وتأدب مع رجال الشام ، ثم إن بهادر آص حقق النظر فيه ، فإذا هو محلوق الذقن ، وقد عفى عن شواربه ، وفى رقبته خيوط من صوف الأغنام ، وفيها كعاب البقر والغنم والأحراش . فقال له : إش هذا ؟هو دينك . فقال يا أمير : المملوك رجل فقير من جملة فقراء المسلمين . فقال له بهادر

آص : ما أنت مسلم . فقال له : لِمَ ؟ فقال له : بدليل واضح لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو صادق فى المقال : «قُصّوا الشوارب واعفوا عن اللحى»(١) . وأنت خالفت ، قصّيت اللحيةَ وعفوت عن الشارب ، وهذه مخالفة لدين الإسلام ولمحمد عليه السلام ، والله لولا حرمة مولانا السلطان لأضرب رقبتك . فقال براق : استغفر الله من سوء فعلى ، ثم إن بهادر آص طلب مقصّا ، فقص شواربه ، ثم أمر ملك الأمراء أن ينزلوهم فى اللمُنَيِّبع ، وأن ينقلوا إليهم كل ما يحتاجون إليه ، ورتب لهم كل يوم : خمس أروس من الغنم ، وقنطار خبز ، وعشرين رطلا من الحلاوة السكّرية ، وعشرة أطباق فاكهة ، ثم أرسل البريدى إلى مصر بسببه ، فرجع البريدى بطلبه ، فجهزه النائب ورتب له الإقامات فى الطرقات إلى غزّة ، ولما ورد غزة ، فإذا بمرسوم السلطان حضر بالإقامة إلى حين يطلبهم ، وذلك أن السلطان لما جاء إليه خبره شاور الأمراء فيه وما يكون الصواب ، فاتفق رأيهم على أن لا يمكن من الدخول إلى مصر ، فربما يكون من دخوله غائلة ، فأرسل إليه مملوكا من مماليكه يقول له : اكتب ما معك من المشافهة وسيّره ، ثم رجع براق من غزة إلى دمشق ، وصاحب دمشق جهّزه إلى أطراف البلاد وسار يطلب خربندا .

ذكر من أُنعِم عليه بإمرة أو وظيفة ومَنْ قُطِعَ :

وفيها : تولى بكتوت الجوكندار المعروف بالفتاح وظيفة أمير جندار على ما نذكره .

(١) انظر ما جاء فى سنن أبى داود جـ ٤ باب فى أخذ الشارب ص ٨٢ .

وفيها : تولى قضاء الحنفية بدمشق يوم الأحد العشرين من ربيع الأول[1] القاضي شمس الدين الأذرعي[2] الحنفي ، ثم عزل ، وتولى عوضه قاضي القضاة صدر الدين أبو الحسن علي بن الشيخ صفي الدين أبي القاسم بن محمد الحنفي البُصْراوي ، وذلك يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذي القعدة منها .

وفيها : سفّر الأمير علم الدين سنجر الجاولي الأستادار إلى الشام ، وقُطع خُبزه من مصر لتغيّر حصل من ركن الدين بيبرس من جهته ، وبعد وصوله إلى الشام بمدة أنعم عليه بإقطاع وإمرة ، وكان قد تقدم إلى الدواوين بمحاققته على ما يتعلق بمباشرته ، فعملوا عليه أوراقا بجملة ، وطُولب بجملتها ، فشملته الصدقات السلطانية بالإعفاء من كلها ، بعد وصوله إلى الشام بمدة أيام .

وفي الثامن من ذي الحجة : عُزل الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب عن شدّ دمشق ، وولى عوضه الأمير جمال الدين أقوش الرسمي والي الولاة ، وأعيد سيف الدين بكتمر إلى الجوبية بدمشق .

وفيها : صرف القاضي سعد الدين [٣٧١] بن عطايا عن الوزارة ، وصودر على مائة ألف درهم[3] خُرّجت في معاملة البيوت مُذ كان يباشرها ، فقام بثمانين ألف منها ، ثم سُومح وأُطلق ، فلزم بيته ، واستوزر عوضا عنه القاضي ضياء الدين

---

(١) ورد هذا الخبر في أحداث سنة ٧٠٥ هـ / ١٣١٥ م - في تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٦٩ .

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن داود بن حازم الأذرعي الحنفي ، قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله ، المتوفى سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م - المنهل الصافي .

(٣) « ألفا » في الأصل . والتصحيح من زبدة الفكرة .

أبو بكر[١] بن عبد الله المنشائى ، وكان يباشر ذلك[٢] الوقت نظر الدواوين ، وقبله استيفاء المقابلة ، فلما صارت الوزارة إليه كان فيها محكوما عليه إلا أنه اعتمد لين الجانب وخفض الجناح ، ومسالمة الناس . وكان الأمر والنهى والحل والعقد إلى التاج بن سعيد الدولة ، فإنه كان مستبدا بالإشارة والنظر على الوزارة[٣] .

قال ابن كثير[٤] : وفى أول المحرم ظهر الوحشة بين الملك الناصر وبين الأمراء : سلار النائب ، وركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وكان السلطان قد امتنع عن العلامة زمانا حتى ظنه الناس مريضا ، ثم عبرا له فى ثالث الشهر ، فتنكر لهما ومنعهما ، فاستعطفاه وألانا له الكلام حتى رضى وخلع عليهما . ولما خرجا قويت نفوسهما ، وأظهرا ما بنفوسهما ، ورسما بأن يركب جماعة من العسكر وتقف تحت القلعة ، فركب شمس الدين الأعسر بعد العشاء ، فظهر السلاح ، وشق القاهرة ، ووقف تحت القلعة ، وكذلك ركبت إخوة سلار ، وهم : داود ، وسمول ، وحبا ، فخرج إليهم بعض الوشاقية ، فراسلوهم بالنبل ، ووصل سهم سَمُول أخى سلار إلى الشباك الذى يجلس فيه السلطان .

وبات الأمراء تلك الليلة على مساطب الدركاه بباب القلة ، ولما أصبحوا ترددت المراسلة بينهم وبين السلطان على لسان أقوش الموصلى ، وسيف الدين إكراى ، وبهاء الدين يعقوبا الشهرزورى ، وسألوا رضى السلطان ، والتمسوا منه

---

(١) هو : أبو بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور المنشائى ، ضياء الدين ، المتوفى سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م ــ الدرر جـ١ ص ٤٧٤ رقم ١١٨٣ ، درة الأسلاك ص ٢٠٦ .

(٢) « إذ ذلك » فى زبدة الفكرة .

(٣) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ٩ ورقة ٢٤٨ أ ، ب .

(٤) لم ترد الأحداث التالية فى المطبوع الذى بين أيدينا من كتاب البداية والنهاية .

بعض الخاصكية الذين هم سبب إثارة هذه الفتنة ، فسيرهم إليه[(١)] بعد أن استحلفهم أنهم لا يتعرضون إليهم بمكروه ، وهم : سيف الدين بيبغا ، الذى كان من خواص السلطان ، وسيف الدين خاص ترك ، وسيف الدين بقتمر ، فأرسلوهم من وقتهم إلى القدس ، وانتظم الصلح .

ولما بلغ ذلك الأمير أقوش الأفرم — نائب دمشق — أرسل يلوم الأمراء ، ويعنفهم على ما وقع منهم فى حق الأمراء ، ويسأل إعادتهم ، وإلّا حضر هو بنفسه ، فأعادوهم ، فلم يسكن الأمير بيبغا القلعة بل بسويقة العزى ، ثم لم يلبث أن مرض ومات ، فى السنة المذكورة .

وفى خامس عشر المحرم منها — بعد إخراج المماليك السلطانية — رُسم بإخراج سيف الدين بكتمر الجوكندار وقطع خبزه ، فأُخرج من ساعته إلى الشام ، فلما وصل إلى غزة عُيِّنت له الصبيبة فتوجه إليها فاستوحشها ، فسأل غيرها ، فعينت له صرخد ، واتفقت وفاة الأمير سنقر جاه المنصورى — نائب صفد — فرسم له بها ، فتوجه إليها ، ولما خرج من مصر تولى بعده وظيفة أمير جاندار بمصر بكتوت الجوكندار المعروف بالفتاح .

ذكر بقية الحوادث :

منها : ابتداء الأمير بيبرس فى عمارة الخانقاة والتربة داخل بابى النصر ، موضع دار الوزارة ، فعمرت ، وأوقف عليها أوقافا جليلة[(٢)] ، ومات قبل فتحها ،

(١) هكذا بالأصل .

(٢) انظر وثائق وقف بيبرس بن عبد الله الجاشنكير المحفوظة بدار الوثائق القومية (مجموعة المحكمة الشرعية) رقم ٢٢ / ٤ ، ٢٣ / ٤ ، والمؤرخة ٢٦ شوال ٧٠٧ هـ — فهرست وثائق القاهرة ص ٨ ، ٩ مسلسل ٢٥ — ٢٦ .

فأغلقها الملك الناصر مدة ثم فتحها ، ورتب فيها جماعة من الصوفية [٣٧٢] وأبقى بعض الأوقاف التى كانت لها ، وارتجع البقية ، وأما التربة فاستمرت مغلقة إلى آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، كما نذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها : كملت عمارة الجامع الجديد الذى بسفح قاسيون ، والذى أنشأه جمال الدين أقوش الأفرم ، وخطب فيه شمس الدين أبو العز الحنفى يوم الجمعة الرابع والعشرين من شوال .

وفيها : وردت كتب من حماة تتضمن حدوث أمر غريب ، متضمنة فيها محضر مثبوت بأنه كان فى حصن الأكراد جبلان بالقرب من بارين(١) — من بلد حماة — بينهما واد تجرى الماء فيه ، فانتقل نصف الجبل الواحد من موضعه ، وتعدى الوادى ، والتصق بالجبل الآخر ، ولم يسقط فى الوادى الذى بينهما شىء من الحجارة ، وبقى ما انسلخ منه منقطعا من الجبل كهيئة محراب ، والماء جار على العادة ، وكشف ذلك القاضى والحاكم ببارين ، وعمل به محضرا(٢) ، وكان طول النصف الذى انفصل من الجبل مائة ذراع وعشرة أذرع ، وعرضه خمسة وخمسون ذراعا ، ومسافة الوادى الذى بين الجبلين مائة ذراع ، واسم الجبل : بنبابة ، واسم القرية القريبة منه : دانة(٣) .

وفيها : إهتم الأمراء المصريون بتعزير الخيول السوابق ورياضتها حتى إذا بلغت الحد من التعزير وأخذت مأخذها من التسيير خرجوا جميعا إلى بركة الحجاج ،

(١) بارين (بعرين) : مدينة بين حلب وحماة ، من جهة الغرب — معجم البلدان .

(٢) انظر نص المحضر فى : نهاية الأرب جـ ٣٠ ورقة ٤٠ .

(٣) وردت هذه الحادثة فى كل من : درة الأسلاك ص ١٧٢ ، نهاية الأرب جـ ٣٠ ورقة ٤٠ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٢ ، السلوك جـ ٢ ص ٢٣ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٧٤ .

وتتباهى وتتهادى حتى إذا كان انتهاء المطلق تقدم فرس الأمير سيف الدين سلار وانطلق ففاز بالسبق ، وكان الرهن لمن سبق ، وجملته سبعة آلاف درهم لمن سبق — عن كل فرس مائة درهم ، وعدة الخيول الأخرى سبعين فرسا .

وفيها : فى آخر يوم من رمضان أحضر نائب السلطنة الأمير سلار القضاة وجماعة من الفقهاء كالباجى والجزرى وغيرهما ، وتكلموا فى إخراج ابن تيمية من السجن ، فاشترط بعض الحاضرين شروط عليه فى ذلك ، وأرسلوا إليه المحضر فامتنع ، وصمم ، وتكررت الرسالة ست مرات فلم يجب ، وطال عليهم المجلس ، فتفرقوا عن غير شئ ، فطلب النائب أخاه الشيخ شرف الدين عبد الله ، وأخاه الآخر زين الدين عبد الرحمن ، وجرى بينهما وبين المالكى كلام كثير ، ولما كان يوم الجمعة أحضروا شرف الدين وحده ، وحضر شمس الدين بن عدلان فى مجلس النائب ، ووقع بينهما بحث كثير .

وفيها : فى يوم عرفة عقد مجلس بالقصر الأبلق بدمشق ، وحضر القضاة والعلماء ، وحضر موسى أحد فقهاء الباذرائية من المارستان فاعترف إنه مصر على القول بخلق القرآن ، وأصر على ذلك ، فاختلفوا فى تكفيره ، ورُسم بتعزيره ، فضرب ، وأخذ ونودى عليه ، وحُبس ، ثم أُحضر إلى مجلس قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى ، وأظهر التوبة ، والتبرؤ من ذلك ، فأطلق سبيله .

وفيها اختلاف أهل جزيرة جربة فيما بينهم ، فسعى محمد بن السمو من — شيخ الوهّبية — فى ابن أمغر شيخ النكاره ، ونقل إلى الفرنج عنه أمورا منكرة ، فأمسكوه ، وسيّروه إلى بلاد صقلية ، فاعتقل هناك [٣٧٣] ثم إنه فدى نفسه

بمال ، فأطلقوه [١] ، فعاد إلى جربة ، وحشد حشودا كثيرة [٢] ، وقصد ابن السمومن ومن معه من الفرنج ، فخرجوا لقتاله [والتقوا معه] [٣] ، فكانت الكسرة على ابن السمومن والفرنج ، وظهر ابن أمغر عليهم ، وأرسل يعلم صاحب تونس باستظهاره وسأله نجدة ، وأرسل الفرنج الذين بجربة يعلمون أصحابهم بصقلية بحالهم ويسألونهم إنجادهم ، فكان منهم ما نذكره ، إن شاء الله تعالى .

ذكر قضيّة أبى يَعْقُوب المرِينى صاحب المَغْرب ومَقْتَله :

وكان أبو يعقوب [٤] هذا بمدينة تلمسان ، وهو نازل فيها ، محاصرا إياها ، وكان قد ضايقها سنين كثيرة ، ونفد ما كان لأهلها ولصاحبها من الأزواد والأقوات ، وخلت من سُكانها ، فمنهم من تسلّل من الضُّر والضيق ، ومنهم من مات ، ولم يكن بقى عندهم إلى هذه الغاية إلا شىء يميرهم مقدار شهر لا غير ، واتفق موته مقتولا .

---

(١) « فأطلقه الفرنج من صقلية » — فى زبدة الفكرة التى ينقل النويرى عنها هذا الخبر .

(٢) « حشدا كبيرا » — فى زبدة الفكرة .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٤) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥١ أ ، ب ، هو يوسف بن يعقوب المرينى ، أبو يعقوب ، المتوفى سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ١٧٢ أ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٥ ، السلوك جـ ٢ ص ٢٣ ، التحفة الملوكية ص ١٨٥ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٧٦ ، الدرر جـ ٥ ص ٢٥٦ رقم ٥١٨٣ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٢ ، ومرآة الجنان جـ ٤ ص ٢٤١ ، الأنيس المطرب ص ٣٧٤ ، ص ٣٨٨ ، روضة النسرين ص ٢١ وما بعدها وورد فى الدرر وشذرات الذهب أنه توفى سنة ٧٠٥ هـ .

وكان سبب قتله : أنه كان قد تعلق بخدمته شخص من بنى عبد الواد يُسمّى الزُعيم ، من أصحاب صاحب تلمسان ، لحظى عنده ، وبقى فى خدمته سنين ثم غضب عليه ، فسجنه مدة طويلة ، وكان له وزير يقال له العزّ ، فلما سجن الزُعيم العبد الوادى تعرّض العز الوزير إلى حُرَمه ، ثم إن المرينى رضى عن الزُعيم ، وأطلقه ونفاه إلى بلد الأندلس ، واتفق بعد مدة أن ولدت جارية من جوارى المرينى اسمها إزرزاره بنتا ، ومعنى هذا الاسم الغزالة ، فبُشّر بها المرينى فأنكرها ، وقال : ما أعلم أننى باشرت أمها ، فقالت له إحدى النساء الحاضرات : إن مولاى باشرها وهو على حالة سُكر [فسلم][1] وأمْسك ، وبلغ الزعيم الخبر وهو يومئذ بالأندلس ، وكان قد اطلع على ما فعله العز الوزير بحريمه ، فأرسل يقول للمرينى : إننى لم يشق علىّ تعرض الوزير العزّ إلى حُرَمى كما شق علىّ تعرضه لحُرمك ، وما فعله بإزرزاره[2] حتى إنه أولدها الطفلة التى أنكرتَ كونها منك ، وهى فى الحقيقة منه ، فاستشاط المرينى غضبا ، وأمر من ساعته بإحضار العزّ وجَبّه ، وقلع عينيه ، وصلبه ، واستدعى الخادم الذى هو زمام داره واسمه عنبر ، واتهمه بمواطأة العزّ على فساد حريمه ، وأمر بإخراجه ليقتل ، وفيما هم مارون به رآه جماعة أصحابه الأزمّة والخُدام ، فسألوه عما جرى ، فقال لهم : يجَر لنا خير وها هم ذاهبون بى إلى القتل وكلكم يقتل بعدى ، فانظروا لنفوسكم ماذا تصنعون ؟

وكان أبو يعقوب قد خَضَّب لحيته بالحناء ذلك النهار ، واستلقى مضطجعا فى خضابه داخل داره ، وليس عنده إلا بَوابة البـاب ، فهجم عليه خادم من

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة حيث ينقل العينى هذا الخبر .

(٢) « بإذداره » فى الأصل ، والتصحيح مما سبق ، من زبدة الفكرة .

الخدم وفي يده سكين فضربه في جوفه وابتدر الخروج عنه ، وأغلق الباب عليه ، فصاحت البوابة فدخل أصحابه عليه فأدركوه وبه بعض الرمق .

وكان ابنه أبو سالم عنده فقال له : إني ميت فانظر في أمرك[1] .

وقضى أبو يعقوب من يومه ، فأمر ابنه أبو سالم [٣٧٤] أن تضرب الطبول ، فضربت واستدعى أعيان القوم لمبايعته ، فبلغ ذلك ابن أخيه أبا ثابت عامر[2] بن عبد الله ، وعمه يحيي ، وكانا على مباشرة الحصار ، فاشتورا واتفقا على أن يقصدا أبا سالم ويمنعاه من السلطنة ، وأن تكون لأبي ثابت[3] دونه ، ويكون عمه يحيي مدبرا لأمره ، وأبرما هذا الرأي بينهما[4] .

ولما اتفق المذكوران على هذا الرأي أرسلا إلى محمد بن عثمان صاحب تلمسان العتيقة ، وهو على شفا جرف هار لما توالى عليه من تضييق وحصار ، وصالحاه ، ورفعا عنه المحاصرة ، والتمسا منه المناصرة ، فأمدهما بمن كان قد بقي عنده من الجند ، وتوجها نحو أبي سالم ، فهرب منهما وخرج على وجهه ، فحصل في يد بعض أهل البلاد ، فأمسكوه وأرسلوا يخبرون ابن أخيه بأنهم قد قبضوا عليه ، فأرسل جماعة من فوارس الفرنج والمسلمين فقتلوه هناك ، وجاءوا إليه برأسه[5] .

(١) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٤٩ أ — ٢٥٠ أ .

(٢) « أبا عامر ثابت » — في الأصل ، والتصحيح من المصادر المذكورة في ترجمة أبو يعقوب المريني ، ومما أورده العيني فيما يلي في أحداث نفس السنة .

(٣) « لأبي عامر » في الأصل .

(٤) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٠ أ .

(٥) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٠ ب .

واستقر أبو ثابت المذكور فى هـذه السنة ، وأمر بقتل الخادم الذى أقدم على قتل أبى يعقوب ، فقتل من وقته ، وأخذ الخدم كافةً فقتلوا ، وأضرمت لهم النيران ، وزجّوهم فيها بالرماح ، ولم يترك أبـو ثابت بمملكته خادما خِصيّا حتى أباده ، ثم وثب على عمّه بسعاية قومه فقتله ثانى يوم ، فكان بين يحيى وبين أخيـه أبى يعقوب يوم واحد أو يومان ، ورحل أبو ثابت من تلمسان وأطلق لمحمد بن عثمان العبـد الوادى كل ما كان عنـده بتسلمان الجديدة من الحواصل والذخائر والغـلال والأزواد ، وكان شيئا كثيرا ، وأخذ المـال صحبته ، وكان من الذهب ثلاثمـائة حمـل ، كل حمـل إثنان وعشرون ألف دينـار كبارا ، ومن الفضة مائتين وسبعين حمـلا ، ومن حفائظ الذهب التى تكتب فى آخر جمعة من رمضان للتعوذ والتبرك على عادة المغاربة وِقْر إثنى عشر بغـلا ، وسار إلى فاس ، وجهّز مستحفظا من بنى عمه إلى مراكش اسمه يوسف بن أبى عياد ، وجهز معه جماعة ليقيم بهـا ، وأرسل إليه شخصا من الحاضرة يسمى الحاج محمد ، ولقبه المحْنة ، ليكون على جباية الأموال ، فوقع بينهما ، فقتـله ابن أبى عياد ، فكانت الأُحنة قاتلة لِلمحْنة ، وخلع يوسف المذكور طاعة أبى ثابت وعصى عليه ، وقعد بمـا فى يديه من العمـل ، فسار أبو ثابت لقتاله على ما نذكره إن شاء الله تعـالى[1] .

وفيها : انتهت زيادة النيل إلى ستة عشر ذراعا وخمسة عشر أصبعا .

وفيها حج بالناس الأمير سيف الدين نُغيه ققجاق السلحدار أميرا على الركب المصرى ، ومن الشام ركن الدين بيبرس المجنون .

---

(١) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة : ٢٥ب ، ٢٥أ ، وانظر ما يلى ص ٤٦٨ وما بعدها .

ولما حضر المبشرون من الحج أخبروا أن أمير الحاج حصل بينه وبين أمير مكة حُمَيضة وعبيده كلام أوجب سفك الدماء، وذلك أنه يوم النزول من عرفة شرعت عبيد الشريف تخطف التجار وتتعرض للحاج ، فأخذوا من بعض التجار قماشا ، فمنعهم ، فضربوه ، فصاح صياحا منكرا إلى أن أقلت(١) الركب ، فسمع أمير الحاج نُغَيه ، فأرسل بعض مماليكه ليكتشفوا [٣٧٥] الخبر ، فحضر من عرّفه الأمر ، فأشار لمماليكه بمَسكهم ، فساقوا إليهم ، فانهزموا ، فلحقوا البعض بعد أن خرج منهم جماعة ، ووقع الصوت في مكة بوصول العبيد، فركب حُميضة لابسا سلاحه ، وركب معه بنوحسن ، وكان عند حميضة جهل كبير ، فجاء الخبر إلى الأمير نُغَيه، فركب هو ومماليكه وركب من كان في الركب من الأمراء والجند ووقع الصوت ، ثم إن نغيه نادى للحجاج أن لا يخرج أحد من خيمته ، وتوجه هو ومن معه فأشاروا عليه بأن يقف إلى أن يحضروا إليه ، فلم يقبل وساق ، فلقى جماعة من السَّرْو ، فظن أنهم عبيد للشرفاء ، فوضع السيف فيهم ، فترجل إليه بعض الأمراء وعرّفه أن هؤلاء أناس صالحون ، ووصل الخبر إلى حميضة أن أمير الركب قتل السرو وهو واصل إليك ، وهو رجل تترى لايعرف الإسلام ، فحكموا على حميضة بالرجوع ، فرجع إلى مكة ، وبلغ ذلك نغيه فلم يرجع ، ووصل إلى مكة، ونظر الأشراف إلى جيش لايهابون شريفا ولا غيره ، فهربوا ، وخرج إليه شيوخ مكة والمجاورون وسألوه ، فرجع وقتل في هذه النوبة من السَّرْو خلق كثير .

---

(١) هكذا بالأصل ، ولعلها « أقبل » .

ذكر من تُوفى فيها من الأعيان

القاضى تاج الدين صالح[1] بن ثامر بن حامد بن على الجعبرى الشافعى[2]، نائب الحكم بدمشق، ومعيد الناصرية.

وله فضائل، وعلوم، وديانة، وأمانة، مات فى ربيع الأول عن ست وسبعين سنة[3]، ودفن بقاسيون.

الشيخ ضياء الدين أبو محمد عبد العزيز[4] بن محمد بن على الشافعى الطُوسى، مدرس النجيبية[5]، شارح الحاوى[6]، ومختصر ابن الحاجب[7].

(١) وله أيضا ترجمة فى: درة الأسلاك ص ١٧٣، الدرر جـ ٢ ص ٢٩٨ رقم ١٩٦١، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٣، الدارس جـ ١ ص ٤٦٦.

(٢) ورد اسمه «صالح بن أحمد بن حامد بن على الجعدى» فى البداية والنهاية، كما ورد «صالح بن ثامر» فى الدارس.

(٣) «مولده سنة ثلاثين وستمائة» — تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٧٥.

(٤) وله أيضا ترجمة فى: درة الأسلاك ص ١٧٣، المنهل الصافى، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٥، السلوك جـ ٢ ص ٣٢، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٣، مرآة الجنان جـ ٤ ص ٢٤١، الدارس جـ ١ ص ٤٧٧، شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٤، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٧٧.

(٥) المدرسة النجيبية بدمشق: لصق المدرسة النورية، وضريح نور الدين جهة الشمال، أنشأها النجيبى جمال الدين أقوش الصالحى النجمى، أستادار الملك الصالح أيوب — الدارس جـ ١ ص ٤٦٧.

(٦) هو كتاب: «الحاوى الصغير فى الفروع»، لمؤلفه عبد الغفار بن عبد الكريم، القزوينى، المتوفى سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، وقد شرحه الطوسى وسماه: «المصباح» — كشف الظنون جـ ٦ ص ٦٢٥.

(٧) هو مختصر كتاب «منتهى السؤل والأمل فى علمى الأصول والجدل»، لمؤلفه عثمان بن عمر ابن أبى بكر الكردى الإسنائى، المعروف بابن الحاجب، والمتوفى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م — كشف الظنون جـ ٢ ص ١٦٢٥، ١٨٥٣.

كان شيخا فاضلا ، دخل الحمام وخرج ، فغشى عليه ومات ، وشُكَّ في موته ، وأخّروا دفنه إلى ثاني يوم ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكانت جنازته حفلة .

وقال ابن كثير : وكان موته في التاسع والعشرين من جمادى الأولى منها[1] .

الشيخ الجليل سيف الدين الرُجيحي[2] بن سابق الدين[3] هلال بن يونس ، شيخ اليونسية بمقامهم .

مات فيها ودفن في داره التي كان يسكنها داخل باب توما ، وتعرف بدار أمين الدولة ، وكان ضخم الهامة جدا ، محلوك[4] الشعر ، وخلف أولادا ، وجلس مكانه ولده الشيخ حسام الدين فضل ، وكانت له حرمة وافرة ، ومنزلة عالية في الدولة من حين قدم من الشرق في زمان المنصور قلاوون ، وكان عنده أتباع كثير .

الشيخ جمال الدين إبراهيم[5] بن محمد بن سعد الطيبي ، المعروف بابن السواملي[6] ، والسواملي الكاسات[7] .

---

(١) هكذا بالأصل ، وفي النجوم الزاهرة ، ولكن ورد « تاسع عشر من جمادى الأولى » في المطبوع الذي بين أيدينا من البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٣ .

(٢) وله أيضا ترجمة في : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٤ ، السلوك جـ ٢ ص ٢١ .

(٣) « ابن سابق » في البداية والنهاية ، والسلوك .

(٤) هكذا في الأصل ، و « محلوق » في البداية والنهاية .

(٥) وله أيضا ترجمة في : الدرر جـ ١ ص ٦١ رقم ١٥٩ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٣ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٣ .

(٦) هكذا بالأصل ، وفي شذرات الذهب ، ووردت « السوابلي ، والسوابل » في البداية والنهاية .

(٧) « والسواملي أوعية من حرث (خزف) » — في الدرر .

كان معظما ببلاد الشرق جدا ، وكان تاجرا كبيرا ، مات في جمادى الأولى منها ، وكان قد سافر في أول عمره إلى الصين ومعه مال يسير ، ففتح عليه ، وتمول إلى الغاية ، وكان ينطوى على دين وكرم وبر وصدقة ، واعتقاد في أهل الخير ، وكان يحمل إلى الشيخ عز الدين الفاروثي في كل عام ألف مثقال ، ثم مالت عليه التتار بالأخذ حتى تضعضع حاله وقلت أمواله ، وانتقل إلى واسط .

قال ابن مُنتاب ، قال لي جمال الدين السواملي : ما بقى لي شيء سوى هذا الحُبّ ، وأراني حُبّا فيه ثمانون ألف دينار ، [٣٧٦] أبعثه إلى الصين ، فكسب الدرهم تسعةً ، وولى ابنه سراج الدين عمر نيابة الملك بالمَعبر ، وصار ابنه محمد ملك شيراز ، وابنه عز الدين كامل جميع الممالك التى لفارس ، ورزق جمال الدين من السعادة ما لا حد لها .

قيل : إنه اشترى صدفة مجوفة بدرهم ، وذلك في أول سعادته ، وكسرها ، فخرج منها درة بيضاء مدورة زنتها خمسة عشر حبة ، فقيل : إنها قُومت على الملك أبغا بستين ألف دينار ، وهى التى كانت أول سعادته ، وكان من حسنات الزمان ، رحمه الله .

الشيخ العابد الصالح خطيب دمشق شمس الدين محمد[(١)] ابن الشيخ أحمد ابن عثمان الخلاطي ، إمام الكلاسة .

---

(١) وله أيضا ترجمة في : درة الأسلاك ص ١٧٣ ، المنهل الصافي ، الوافي جـ ٢ ص ١١٩ رقم ٤٦١ ، ص ١٦٩ رقم ٥٢٧ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ١٥٥ رقم ٢٥٣ ، الدرر جـ ٣ ص ٤٢٤ رقم ١١٤١ ، السلوك جـ ٢ ص ٣٢ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٤ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٤ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٧٦ .

كان شيخا حسنا بهى المنظر، باشر إمامة الكلاسة قريبا من أربعين سنة، وخُطب لخطابة جامع دمشق من غير سؤال منه ولا طلب ، فباشرها ستة أشهر ونصفا ، وكان حسن الصوت ، طيب النغمة ، عارفا بصناعة المُوسيقى ، مع ديانة وعفة، وكانت وفاته فجأة بدار الخطابة يوم الأربعاء ثامن شوال عن ثنتين وستين سنة ، ودفن بقاسيون فوق مغارة الجوع ، وكان أولا أمّ (١) بالمسجد الذى بالقرب من المارستان النورى مدة وهو صبى ، ثم انتقل إلى إمامة مشهد ابن عروة ، ثم لما مات والده انتقل إلى إمامة الكلاسة ، رحمه الله .

الشيخ القدوة العابد أبو عبد الله بن مطرف .

توفى بمكة فى رمضان ، وكان مجاورا بمكة ستين سنة ، وكان يطوف فى كل ليلة خمسين أسبوعا (٢) ، توفى عن تسعين سنة ، رحمه الله .

الشيخ الصالح عمر (٣) السعودى (٤) .

توفى بزاويته بالقرافة فى ثانى جمادى الآخرة (٥) ، ودفن بها .

القاضى شرف الدين محمد بن القاضى فتح الدين بن عبد الله بن القيرانى الحلبى، أحد كتاب الدرج بمصر .

---

(١) « مولده سنة أربع وأربعين وستمائة » — تذكرة النبيه .

(٢) هكذا بالأصل ، ومن المعروف أن الطواف سبعة أشواط ، ولعل المقصود ، خمسين طوافا كاملا .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : الدرر ج ٣ ص ٢٧٥ رقم ٣٠٩٥ ؛ كنز الدرر ج ٩ ص ١٥٣ — ١٥٤ .

(٤) ورد اسم صاحب الترجمة « عمر بن يعقوب بن أحمد السعودى » — فى الدرر .

(٥) « سنة سبع وسبعمائة » — فى كنز الدرر ، والدرر .

توفى فيها ، ودفن بالقرافة ، وكان دينا فاضلا ، سمع الحديث النبوى .

القاضى جمال الدين أبو بكر محمد[(١)] بن عبد العظيم بن على بن سالم الشافعى ، المعروف بابن السفطى ، خليفة الحكم العزيز .

توفى فيها ليلة الإثنين حادى عشر شعبان بالقاهرة[(٢)]، ودفن بالقرافة ، ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وولى نيابة الحكم بالقاهرة نحوا من أربعين سنة وتركها فى آخر عمره .

الصاحب الكبير شهاب الدين أحمد[(٣)] بن أحمد بن عطا الحنفى الأذرعى .

مات فى هذه السنة ، ودفن قبالة داره بسفح قاسيون ، وكان رجلا حسنا متواضعا ، مليح الملتقى ، حصّل أملاكا كثيرة ، وعَمَّرَ عمائر كثيرة . وخالط الدولة من الأيام الظاهرية ، وولى الوزارة فى دولة الملك العادل زين الدين كتبغا أياما يسيرة ، وولى حسبة دمشق مدة مضافاً إلى الديوان العادلى ، وغير ذلك .

الصدر الرئيس بدر الدين محمد[(٤)] بن فضل الله بن مجلى العدوى .

مات بدمشق ، ودفن بقاسيون ، وكان من أعيان الكتاب المتصرفين ، جاوز السبعين من العمر ، وهو أخو القاضى شرف الدين[(٥)]، والقاضى محى الدين[(٦)]،

(١) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٤ ص ١٣٦ رقم ٣٩١٠ .

(٢) « مات فى شعبان سنة ٧٠٧ هـ » ـ فى الدرر .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ١ ص ١٠٦ رقم ٢٧٣ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٤ ، الوافى جـ ٤ ص ٣٢٨ رقم ١٨٨٧ ، الدرر جـ ٤ ص ٢٥٤ رقم ٤٢٢٤ ، السلوك جـ ٢ ص ٣٢ .

(٥) هو : عبد الوهاب بن فضل الله بن مجلى ، القاضى شرف الدين ، كاتب السر بمصر ، توفى سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م ـ المنهل الصافى .

(٦) هو يحيى بن فضل الله بن مجلى ، القاضى الرئيس محيى الدين كاتب السر بالشام ومصر ، توفى سنة ٧٣٨ هـ/١٣٣٧ م ـ المنهل الصافى .

وهو الأوسط، وكان التتار قد أخذوه معهم من دمشق فى سنة تسع وتسعين وستمائة، ولطف الله به وخلّصه حتى مات بين أهله وولده، رحمه الله.

الصدر علاء الدين على بن الحسن بن النحاس المعروف بابن عمرون.

مات [٣٧٧] بدمشق ودفن بقاسيون، وكان ناظر ديوان الحشرية (١) بدمشق، وخدم فى عدة جهات، وأقطار كبار، وكان مشكور السيرة (٢).

الشيخ أبو بكر (٣) بن مسعود بن عمرون القدسى، المعروف بالزرعى.

مات فى دمشق، ودفن بمقابر الصوفية، وكان فقيرا، وعمّر، وأضر فى آخر عمره، ومولده فى سنة اثنتى عشرة وستمائة (٤).

وله شعر، فمنه فى زهرة السفرجل:

زهر السفرجل قد أتاك مبشّرا ... بالورد وهـــو لذلك غير مخلّد

فكأنه عيسى بن مريم قد أتى ... للعالمين مبشـــرا بمحمـــد

---

(١) ديوان المواريث الحشرية: وهـو الديوان المسئول عن تحصيل مال المـواريث الحشرية وهى التى يستحقها بيت المـال، وهى مال من يموت وليس له وارث، أو المـال الباقى بعـد الفرض أى من له وارث لا يستحق كل الميراث ـ انظر صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٠، المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ١١١.

(٢) باقى هذه الترجمة يقع فى نحو عشر ين سطرا، معظمها مطموس، و يصعب معه متابعة النص.

(٣) وله أيضا ترجمة فى: الدرر جـ ١ ص ٤٩٩ رقم ١٢٥١؛ وورد فيه اسم صاحب الترجمة «أبو بكر بن مسعود بن هارون القدسى، يعرف بالزرعى».

(٤) «بالقدس» ـ فى الدرر.

ولــه :

لا سحر إلا الذى تبديه عيناك   ولا ملاحة إلا « ... ... » لمحياك(1)

قال زجل(2) :

[٢٧٩]

مالى وللنـاموس   أش بى عبــوس

الشربُ بالقادوس يُحيى النفوس

الشرب فى المـاجور قلبى يحنّ   ومجلسى معمور ، من كل فن

ودع نصير طنبور   أنقــر اطن

أرنّ بالنـاقوس   بين القُــوس

الشربُ بالقادوس يحيى النفوس

يوم أرى عنــدى   نكرش خليــع

فذاك يكون سعدى   وأنـا جميــع

وكلمـا عنــدى   أرهن وبيــع

وأجور فى السـاوس   وأهجــم وبوس

الشربُ بالقادوس يحيى النفوس

ما العيش ياحضار   عيش خطيب

---

(١) « ...... » كلمة مطموسة ، كما توجد أبيات أخرى من الشعر ٢٥ بيتا تشغل باقى هذه الورقة والورقة التالية (٢٧٨) ، ومعظمها مطموس مما يصعب معه متابعة النص .

(٢) توجد بعد ذلك أربعة أسطر مطموسة .

فـير الزهر والطار وأغيـد حبيب
مالى ويلتقيان كانى خطيب
قاعدكذا كيموس أسمـع دروس
الشرب بالقادوس يحيى النفوس

يا عاذلى اقصر عن المـلام
فى الراح واستبصر ياذا الغـلام
وكلما نقتـدر نوش المـدام
واخلع الملبـوس على الجـلوس
الشرب بالقادوس يحيى النفوس

ما أحسن الحضرة مـا بيننـا
وساقى الخمـرة هـو زيننـا
ما عنـدنا فكرة ولا عنَـا
ووقتنا محـروس من كل بوس
الشرب بالقادوس يحيى النفوس

وله موالیا :

لمـا رقم طرز أطلس وجنتـو بسـندس
قال العـذول صباحو قد رجع حنـدس
دمـو فورد خـد وذ قـد ملى كندس
فقلت ما أظـرف الأطلس مع القندس

وقال :

جاء البشير يبشرنا بمــزل البرد ... فقدّم الباطيـــه يا صاحبي والنَّردْ

واشرَب على وجه أغيدْ فى الملاحة فرد ... يجلو عليك البنفسج فى رياض الورد.

وقال دُو بيت :

عرج بربوع جيرة قــد خانوا ... عهدى وناءوا كأنّهم ما كانوا

ساروا سحرا وأضرموا حين باتوا ... من قلبي من مرامهم نيران

الأمير سيف الدين بلبان (١) الجوكندار المنصورى ، نائب حمص .

توفى فيها ، وتولاها سيف الدين بكتمر الساقى ، وكان بلبان المذكور من خيار الترك ، ولى نيابة قلعة صفد ، وشدّ دمشق ، ونيابة القلعة بها ، ونيابة حمص فى آخر عمره .

الأمير علم الدين سنجر (٢) الصوابى الجاشنكير ، أحد الأمراء المقدمين بمصر (٣) ، توفى فيها .

الأمير بدر الدين بكتاش (٤) الفخرى أمير سلاح .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ٤٢٥ رقم ٦٩٧ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٤ ، الوافى جـ ١٠ ص ٢٨٣ رقم ٤٧٨٩ ، الدرر جـ ٢ ص ٢٦ رقم ١٣٢٣ ، السلوك جـ ٢ ص ٣١ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٢ ص ٢٦٨ رقم ١٨٧٨ .

(٣) « ولى ولاية القاهرة فى سنة ٦٩٣ هـ » ـ الدرر.

(٤) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ١٧٢ ، المنهل الصافى جـ ٣ ص ٣٨٥ رقم ٦٧٥ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ٥٦ رقم ٨٦ ، الدرر جـ ٢ ص ١٤ رقم ١٣٠١ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٤ ، الوافى جـ ١٠ ص ١٨٨ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ١٤٦ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٧٧ ، السلوك جـ ٢ ص ٣٠ .

كان أصله من مماليك الأمير فخر الدين بن الشيخ ، وارتجع إلى مملكة السلطان الملك الصالح ، وكان من أكابر الأمراء الصالحية المترددين فى الغزوات ، المشهورين بالخير والصدقات ، ولما قتل الملك المنصور لاجين أجمعوا على تمليكه فلم يوافق ، وأشار بالملك الناصر محمد بن قلاون ، وفى آخر عمره طلب النزول عن الإمرة لكبر سنه ، فأجيب إلى ذلك ، فأقام فى منزله حتى مات [٣٨٠] ، وكان منزله داخل القاهرة . ووفاته فى ربيع الأول من هذه السنة وكان بين موته وقطع خبزه ثلاثة أشهر كوامل ، وكان ذا همة ونهضة ، ورأى ومعرفة ، وهو آخر من مات من الأمراء الصالحية النجمية من الركب الأول رفيق الملوك . وقيل : آخر من مات ركن الدين بيبرس الجالق[١] .

الأمير علاء الدين على[٢] بن الملك القاهر عبد الملك بن المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب .

توفى فيها بدمشق ، ودفن بقاسيون .

الأمير فارس الدين أصلم[٣] الردادى ، توفى فيها .

الأمير سيف الدين كاوركا[٤] المنصورى ، توفى فيها .

---

(١) انظر ما يلى ص ٤٨٠ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٣ ص ١٥٠ رقم ٢٧٩١ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٢ ص ٤٥٥ رقم ٤٧٢ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٥ ، السلوك جـ ٢ ص ٣٢ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٤ ، الدرر جـ ٣ ص ٣٤٧ رقم ٣٢٩٨ ويرد فيه « كارزكا » ، السلوك جـ ٢ ص ٣٢ .

الأمير بهاء الدين أصلم[١] بن مرداش ، توفى فيها بدمشق .

الأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزورى[٢] ، مات فى سابع عشر ذى الحجة[٣] منها بمصر .

الأمير عز الدين أيبك الطويل[٤] الخازندار المنصورى .

مات فيها ، ودفن بقاسيون ، وكان أميرا دينا ، كبير القدر ، له بر وصدقة .

الطواشى الكبير الصالح شمس الدين صواب[٥] السهيلى الخزندار .

مات فيها بالكرك ، وقد قارب المائة سنة ، وكان الملك الظاهر قد سلم إليه قلعة الكرك ، فاستمر بها إلى سنة إحدى وثمانين وستمائة فى أيام الملك المسعود نجم الدين خضر بن الظاهر ، فتوجه إلى الحجاز الشريف فى جملة الركب الشامى ، فلما وصل إلى تبوك لحقه الأمير عينه أمير بفى عقبه وقبض عليه وحمله إلى الملك المنصور قلاون ، فلما ملك المنصور قلعة الكرك أعاده إليها وثوقا بأمانته

(١) وله أيضا ترجمة فى « الدرر جـ ١ ص ٤١٦ رقم ٩٩٢ » وفيه « أصلم بن تمركاش أحد الأمراء بدمشق ، مات فى ذى القعدة سنة ٧٠٧ هـ » .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٥ ص ٢١٢ رقم ٥٠٧٧ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ١٥٤ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٥ ، السلوك جـ ٢ ص ٣٢ .

(٣) « توفى فى السابع والعشرين من ذى الحجة » سنة ٧٠٧ هـ ، فى كنز الدرر جـ ٩ ص ١٥٤ ، الدرر .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ١ ص ٤٥٢ رقم ١١١٠ ، السلوك جـ ٢ ص ٣٠ .

(٥) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٥ ، الدرر جـ ٢ ص ٣٠٢ رقم ١٩٨٤ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ١٥٤ ، السلوك جـ ٢ ص ٣١ — ٣٢ .

وديانته ، فلم يزل بها إلى أن مات فيها ، وكان له برّ ومعروف ، ورباط وتربة ، وكان كثير المال كبير السن .

الطواشي شهاب الدين فاخر[1] المنصوري ، مقدم المماليك السلطانية .

توفى فى سابع ذى الحجة منها ، وكان ذا مهابة وسطوة ، وأخلاق حسنة .

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٥ وفيه « توفى سنة ٧٠٧ هـ » الدرر جـ ٣ ص ٢٩٩ رقم ٣١٥٠ وفيه « توفى سنة ٧٠٤ هـ » .

فصل فيما وقع من الحوادث

فى السنة السابعة بعد السبعمائة(*)

استهلت هذه السنة : والخليفة المستكفى بالله العباسى .

والسلطان : الملك الناصر محمد بن قلاون ، ونائب دمشق الأفرم ، ونائب حلب قراسنقر ، وصاحب البلاد الشمالية طُقطا ، وصاحب العراقين وما والاها الملك خربندا ، وصاحب اليمن الملك المؤيد هِزَبر الدين داود .

وذكر بيبرس فى تاريخه فى هذه السنة : وقوع الوحشة بين السلطان الملك الناصر محمد وبين الأمراء سلار وبيبرس وغيرهما(١) ، وقد ذكرناه فى السنة الماضية كما ذكره ابن كثير(٢) .

ذكر إغارة خربندا على بلاد كيلان :

قال بيبرس فى تاريخه : وفيها وصل الأمير فتح الدين صبره(٣) المهمندار من بلاد التتار ، وأخبر من لسانه أن خربندا سار إلى بلاد كيلان وأغار عليها ، ونهب من بها من العجم والأكراد ، وقتل منهم خلقا يتجاوز الأعداد ، وسبى النسوان والأولاد ، وباعوهم بتبريز وتلك البلاد ، مجازيا لهم مما فعلوه من كسر

(*) يوافق أولها يوم الإثنين ٣ يولية ١٣٠٧ م .

(١) انظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥١ ب ، كنز الدرر جـ ٩ ص ١٤٧ .

(٢) انظر ماسبق ص ٤٢٧ .

(٣) « بن ضبرة » — فى كنز الدرر جـ ٩ ص ١٤٩ .

عسكره وقتل قطلوشاه نائبه[١] .

قلت : قد ذكرنا فيما مضى قضية قطلوشاه وكيف قتل[٢] ، ولما جاء الخبر بذلك إلى خربندا اغتم غما شديدا وأمر بأن ينادى فى عسكره بأن البيكار ثلاث سنين إلى كيلان ، إما تفنى المغل أو [٣٨١] تموت كيلان ، ثم إنه فتح الخزائن ، ونفق الأموال ، وأمر أن من قتل له أخ أو قريب فليتزوج بامرأته ، وإن كان ما له أخ ولا قريب فليتزوجها أكبر غلمانه ، وأخذت العساكر الأموال ، وأخذوا فى إصلاح أحوالهم .

وقد كانت جماعة من ملوك كيلان قد هربوا وجاءوا إلى قطلوشاه ، لما سار قطلوشاه إلى بلادهم ، وكان قطلوشاه قد أرسلهم إلى خربندا ، فلما جرى للمغل ما جرى من الإنكسار والهزيمة ، وقتل قطلوشاه ، ندم هؤلاء على مجيئهم ، واجتمعوا عند كبيرهم نو برشاه ، وقالوا له : أخطأنا فى مجيئنا إلى ههنا ، وتركنا أموالنا وأولادنا ، وجرى علينا ماجرى ، وما بقينا نقدر على الرواح إلى كيلان ، ولا نأمن على أنفسنا من المغل ، [فقال لهم :][٣] والله ياقوم ما ظننت أصلا أن أهل كيلان تكبس التتار ، ولكن النصر بيد الله تعالى ينزله على من يشاء من عباده ، فما بقى الا أننا نستغفل خربندا ونهرب طالبين بلادنا . فقالوا : ما يكون عذرنا عن جوان شير — وكان أكبر ملوكهم — وعند أصحابه إذا لامونا على خطئنا . فقال : نقول لهم : كان رواحنا

---

(١) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٣ ب .

(٢) انظر ما سبق ص ٣٨٥ وما بعدها .

(٣) [ ] إضافة تتفق مع السياق .

لمصلحة لكم لأنا خشينا عواقب الأمور، فقلنا إن جرى أمر والعياذ بالله كنا لكم عليه عند الشدة ، ونكون عينا لكم عندهم ، فاتفقوا على مثل ذلك ، ولم يعلموا ما قدره الله فى الأزل .

ثم إنهم خرجوا فى بعض الليالى ، وباتوا خارج تبريز فى وليمة صُنعت لهم ، فقاموا فى نصف الليل وركبوا ، وطلبوا بلادهم . فسمع خربندا بذلك ، وأركب جوبان خلفهم ومعه ألفا فارس ، فساقوا خلفهم ولاحقوهم فى أرض سوداء ليس فيها أنيس ، ولا حس حسيس .

ولما رأى هؤلاء غبار التتار ، قال بعضهم لبعض : جاءنا الفناء ، خذوا فى رواحكم ، وقالوا : وماذا نصنع فى هذه البرية ، فقال نوبر شاه : نقاتل عن أنفسنا ، و إلا أىّ من سلّم نفسه يقعدونه على الخازوق ، كما فُعل بقطلوشاه ، وكانت عدتهم خمسة عشر أميرا ومائتى جندى ، فتحالفوا أنهم لايسلمون أنفسهم حتى تسقط رؤوسهم عن أبدانهم . فعند ذلك نزلوا عن خيولهم ، واعتدوا للحرب ووهبوا أنفسهم لله عز وجل ، وأيقنوا الموت ، وهم فى ذلك ، فإذا الغبار قد انكشف ، وأظهرت التتار الإهتمام ، فتسابقوا إليهم ، وكان أسبق الناس إليهم قجمرن ، وكان من فرسان التتر المشهورين ، ولما رأته المغل ، وهو قاصد إليهم حملوا عليه ، وضجوا بكلمة التوحيد ، ووثبت عليهم التتار « ... ... »[1] فلم يفكروا فيه ، وواجهوهم بالرماح ، فكم من رأس قد طارت ، وكم من دماء قد « سالت »[2] ، وفى ذلك الوقت « ... ... »[3] فحمل كل منهما على صاحبه ،

(١) «   » موضع كلمة غير مقروءة .

(٢) « طارت » فى الأصل ، ولعله تحريف ، والتصحيح يتفق مع السياق .

(٣) « ... ... » موضع ست كلمات غير مقروءة .

فرمى كالنمر على نوبرشاه — زعيمهم — فأصاب نحره ، وخرج من ظهره ، ثم ولى نصوب نوبرشاه رمحه إليه — وهو فى ألم شـــديد مشرف على الموت — وطعنه بين كتفيه ، نخرج الرمح من صـدره ، فوقع كلاهما ، فولى هـذا إلى الجنة ، وذاك إلى النار .

فلما نظر جـوبان إلى ذلك أظلمت الدنيا فى عينيه ، وصرخ فيمن معه من التتار [٣٨٢] ، وضربوا عليهم حلقـة ، وشرعوا فى الحرب ، فلله در العجم ، لقد قاتلوا قتال الموت ، وجعلوا الآخرة نصب أعينهم ، وما أمسى الليل إلاّ والقوم صرعى على وجه الأرض ، ولم يسلم منهم أحد . فأمر جوبان بأن تحُز رؤوسهم ، وبات تلك الليلة فى مكان الوقعة .

ولـما أصبحوا رحلوا طالبين خربندا ، فلمّا وصلوا ، ومعهم رؤوس هؤلاء ، فرح خربندا فرحا عظيما بذلك الثأر ، وخلع على جوبان ، وولاّه موضع قطلوشاه ، وجعله صاحب المشورة والتدبير .

وكان ذلك الوقت مستهل الشتاء ، فأعطى خربندا الأمراء دستورا ليروح كل أمير إلى مشتاه ، ويتجهز ، فإذا خرج الشتاء يجتمعون ليسير بهم خربندا إلى كيلان ، وسار خربندا أيضا إلى مشتاه ، وهو موضع يسمى موقاى .

وفى أول الربيع رجع إلى تبريز ، وأمر بحضور العساكر ، وكتب إلى جبال الأكراد يأمرهم بالحضور ، فحضرت أمراء الأكراد ، ومعهم خلق عظيم ، ولم يخلّ طائفة فى بلاده حتى سير خلفهم ، فجمع خلقا لا يحصون .

وكان لأهل كيلان جواسيس أتوا إليهم ، وأعلموهم بأن خربندا قد جمع العساكر ، وهو قاصد إليكم ، فتحصنوا فى الجبال ، وسدّوا الدربندات ، وتجهزوا لالتقى معه ، وكتبوا الى أمير حاج ، وتشاوروا بأن يجهزا أحوالهما حتى اذا سيروا خلفهما يكونان متجهزين ، فأخذا فى التجهيز ، ثم إن جوان شير قال : إنى أريد أن آخذ معى مائة فارس ، وأكشف الأخبار ، فسار غير بعيد ، ثم رجع ، وقال : الذى طلبت من الله قد أعطانى ، فقالوا له : وما ذاك ؟ فقال : كنت أريد من الله أن يسوق إلينا من نأخذ الخبر ، وقد ساق الله إلينا جماعة منهم ، فحين رأيتهم رديت ، فقالوا : وكم يكون هؤلاء ؟ ، قال : مقدار أربعين فارسا أو أقل ، ثم إنه فرّق أصحابه ما بين تلك الرجوم ، وقال لهم : إذا سمعتم حسّ الطبل بازا اخرجوا وأمسكوا عليهم الطرق من بين أيديهم وأنا آخذ عليهم الدرب من خلفهم .

وكان خربندا لما نزل على قنغر أولان طلب علجا من علوج المغل — يقال له : زنبور ، كان معروفا عندهم فى المهمات ، وقال له : اذهب واكشف لى جبال كيلان ودربنداتها ، وكان أخبر الناس ببلاد كيلان ، فأخذ معه خمسين فارسا ، وسار بهم ، فلما أشرف على هذه الرجوم ، وكانت تعرف عندهم برجوم الغيلان ، قال لأصحابه : يا قوم هذا مكان نحس ، وعر مضيق ، ونخاف من هذا المكان ، فقال له بعض المغل : يازنبور تخاف فى قنغر أولان من جوان شير ؟ ، فقال : نعم ، فتضاحكت المغل عليه ، فاستحى زنبور ، وسار قدامهم ، وقلبه خائف ، فلما توسط الرجوم نظر إلى الأرض فاذا عليها أثر خيل جديد ، فصرخ فى المغل ، فتشوشوا وهموا بالرجوع ، وإذا قد خرج من خلفهم جوان شير وضرب عليهم طبل بازه ، فخرج أصحابه من كل ناحية وأخذتهم الصيحات من جميع الجهات ،

وتنادوا جوان شير ، قال لهـم زنبور : ما قلت لكم ، ما سمعتم منى ، وضحكتم على ورديتم نصيحتى ، ولا بقى لكم غير الصبر على البلاء ، ثم صرخ زنبور فى أصحابه ، وحمل على العجم ، وهو على مقدمتهم [٣٨٣] فرمى واحد من العجم بسهم فأرماه ، فتهاربت العجم من بين يديه ، وفتحوا له طريقا ، خرج هو وأصحابه وطلبوا صوب كيلان ، لأن جوان شير كان قد ملك الطريق الذى جاءوا منه .

ولما رأى جوان شير أن طرائق المغل قد أخذت خرج على أصحابه وقال لهـم : دونكم وإياهم ، ثم أطلق عنان فرسه ، وكان حصانا كرجيا أبرش ، إن حمحم أدهش ، وإن صهل أرعش ، وساق وراءهم فأيقنت المغـل بالدمار ، ثم لحق جـوان شير الهاربين فطعن فارسا منهـم فأرماه ، ثم الثـانى ، ثم الثالث ، ثم وصل أصحابه إليـه وأحاطوه بهـم ، ومسكوا منهـم ثلاثين فارسا ، وهرب زنبور ومعه عشرة من أصحابه ، والتجأوا إلى تل عال ، وأسندوا ظهورهم إليه ، وأخذوا قسيهـم بأيديهم ، وأيقنوا بالحمام ، وجاء جوان شير بمن معه ، فضربوا عليهم حلقة ، ونادى جوان شير ويلكم يا كلاب ، سلموا أرواحكم وإلا نزل بكم الدمار ، ولما رأى زنبور أن الذى ينادى جوان شير طلب منه الأمان عليه وعلى من معـه ، فأمنهم جوان شير ، وسلموا أنفسهم ، وفـرح بذلك جوان شير ، ثم سأل عن خربندا ، فأخبروه بأنه نازل على قنغر أولان ومعه خلق لا تحصى ، وهو قاصد إليكم وقد سيرنا لنكشف له الأخبار .

ثم قال جوان شير لتوكل : خذ معك عشر فرسان وخذ هـؤلاء الأسرى وسر بهم إلى البلاد ، فقال له : وأنت ؟ . فقال : أنا قـد عولت أن أغار على دشارات خربندا وعسكره ما داموا آمنين من جهتنا . فقال توكل : لا تفعل .

فقال : لا غنى عن ذلك ، ثم قال توكل : فإن كان لا بد من ذلك فأنا ما أروح مع هؤلاء ، ولا أنقطع عنك ، وسألتك بالله العظيم أن لا تحرمنى الغزوة فى هذه النوبة فقال جوان شير : أين الفارس منكلى ؟ فأجابه بالتلبية . فقال له : سِرْ بهؤلاء ، فسار منكلى بهم .

ورجع جـوان شير وأصحابه طالبين دشارات المغل ، فسار فى ذلك اليوم والثانى وعند آخر النهار أشرف على ثغر أولان وإذا عليها عساكر قد سدت تلك الأراضى ، ونُصبت خيامٌ وقبابٌ لا تُحصى ، ودشارات الخيل والجمال سارحات فى البرية ، فلما عاين جوان شير ذلك أكمن بأصحابه فى جانب من العسكر بين كثبان رمل إلى أن ولّى النهار وأقبل الليل ، ولما أظلم الليل قام ومعه أصحابه وقصدوا موضع الدشارات فأتوها وهى سارحة ، والرعاة نيام لكونهم آمنين فى هـذا الموضع ، فضربوا عليهـا الحلقة ، ومن الغرائب أنهم وقعوا بدشار خربندا من خيوله الخاص التى يعتمد عليها ، وخيل الأمراء أيضا ، وهى سبعة آلاف حصان ، ثم ساقوها من بعـد ما تمكنوا من قِتم الرعيان ، وقال للدليـل : افتح عينك واسلك طـريق السلامة ولا تخف ، فها نحن خمسـون فارسا خلفك ، ثم ساروا والخيل أمامهم وجوان شير وراء الكل ، ولم يزالوا سائرين إلى الصبح ، فما أصبحوا إلا فى أراضى بعيدة .

ثم علم بذلك المغل وبلغوا الخبر لخربندا بأن جوان شير ساق الدشارات ، فماجت عساكره ، وركب خربندا وقد خفق فؤاده ، وطار رقاده ، وكان إلى جانبه رشيد الدولة الوزير ، [٣٨٤] وسـعد الدين ، وقدامه جُوبان ، وأتته أمراء الألوف من كل جانب ، ولم يزالوا واقفين إلى طلوع الفجر ، وكان

جوبان سير جماعة من أصحابه يكشفون له الدشارات فينظرون ما نقص منها ، فحضروا عند الصباح وقالوا : إنما ساقوا خيل خربندا الخاص ودشار الأمراء ، فأعلم جوبان بذلك لخربندا ، فصَعُب عليه وكبر لديه وقال : ما دلّهم على هذا إلا أحد من جندنا ، وإلاّ كيف يكون هذا ؟ فقال جوبان : طيب قلبك ياخوند ، فأنا آتيك بها ، فإلى أين يسيرون بها ونحنُ فى طلبهم ، ثم إنه انتخب خمسة آلاف فارس وسار خلفهم ، وخربندا يقول له : أجعل بالك من حيلة تُعمل عليك ، فلا تهمل لهم أمرا ، وقلبى خائف من جهة الكشافة الذين سيّرناهم ، فلا يكون التقاهم فى الطريق شيطان العجم — يعنى جوان شير — فقال جوبان : إن زنبورا خبير بهذه الأراضى ، وما أظن أنه يسلك على الطريق الجادّة ثم سارَ جوبان على عجل ، ويقطع الأراضى فى اليوم والثانى والثالث .

وأما جوان شير فإنه جدّ فى السير، وكلّما يقف فرس من الدشارات يُعرقبه، ولم يزل كذلك حتى أشرف بمن معه على دربند كيلان ، ثم جازوا الدربند ، فإذا دُوباج التقاهم ومعه ألف فارس وخمسمائة راجل، وذلك لأنه لما وصل إليه منكلى ومعه زنبور وأصحابه، وأخبره منكلى بأن جوان شير قد عوّل على أن يذهب ويسوق دشارات خربندا وأمرائه ، ففزع من ذلك وخاف على جوان شير ، وركب من وقته وساق بمن معه إلى أن التقى جوان شير ، وكان آخر النهار، ولما رأى دوباج تلك الخيل تعجب منها ، وكان لها أيام وهى فى السوق والطرد ، وفى الدربند عُشب ومرعى ومياه تجرى من تلك الجبال ، فوقفت تلك الخيل فى تلك المراعى واشتغلت بها . فقال لهم دوباج ؛ انزلوا بنا نبيت فى هذه الليلة ههنا ونستريح ونريح الخيل ونقوم وقت الصباح ، فأجابوه إلى ذلك ونزلوا .

ولما دخل الليل أخرج دوباج من أصحابه يزكا إلى باب الدربند فباتوا ليلتهم إلى الصباح ، ثم عولوا على الرحيل ، وإذا باليزك قد جاءوا من باب الدربند وأخبروا بأنهم رأوا غبارا قد ظهر من الدرب الذى جاءوا منه . فقال جوان شير : هذا والله خيل خربندا وقد جاءوا وراءه . فقال دوباج : تخلّى الدشارات، وتأخذ معك مائة فارس وتُدبّر لنا عليهم مكيدة ، ثم إن جوان شير ودوباج وأصحابهما جميعهم ساروا إلى رأس الدربند ، وإذا بالغبار قد نما ولحق بعنان السماء ، فقال دوباج عندى رأى . فقالوا : وما هو؟ فقال : أنا أكمن خارج الدربند فى لحف هذا الجبل بين الصخور والأحجار ، ويقف جوان شير بجماعة مقدار سبعين أو ثمانين فارسا ، فإذا رأوك يحملون عليك لأنهم لا يعتقدون أن معك أكثر من هؤلاء ، فصابروا ساعة ، ثم اهربوا واطلبوا الدربند ، فإذا [٣٨٥] ساروا وراءك وعبروا إلى الدربند أخرج أنا من خلفهم ، وأملك عليهم الدرب ، وترد أنت أيضا بمن معك « ... ... »(1) .

وسار الوزير يطلب خربندا ومعه جماعة من أهل كيلان من أكابرها [٣٨٧] وأعيانها حتى وصلوا إلى خربندا ، وحدثه الوزير بما جرى ، فرضى خربندا بما وقع عليه الإتفاق ، ثم خلع على هؤلاء وردوهم إلى بلادهم فى إكرام ، ثم رحل خربندا ، وسار حتى وصل إلى قنغر أولان ، وإذا بها خراب ، وقد وقع من قلعتها ثلاثة أبراج وبدنتان من الزلزلة ، وخرب أكثر بيوتها ، وأقام عليها ثلاثة أيام ، ثم رحل حتى أتى تبريز ، ونزل من قلعتها ، ثم سيّر خلف أمرائه وملوك بلاده ، فأتى جميعهم وجمعهم للشورة ، وتحدث معهم فى الركوب إلى الشام ،

---

(1) « ... ... » ورقتان مطموستان مما يصعب معه متابعة النص .

وذلك لأنه أمن من جهة كيلان ومن جهة خراسان . فقال رشيد الدولة : الرأى عندى أن تتركوا حديث الشام ، وذلك لأن العسكر ضعيف ، ولهم ثلاث سنين فى البيكار ، ووافقه الأمراء على كلامه ، فسكتوا عن ذلك واشتغلوا بغيره . وسنذكر ما جرى بعده فى السنة الآتية والتى بعدها إن شاء الله .

ذكر مقتل هيثوم صاحب سيس :

قال بيبرس فى تاريخه : وفيها : وثب مقدم من مقدمى التتار، كان مجردا ببلاد[1] سيس ، مقدما على التومان المقيم بها ، اسمه برلغو[2] على هيثوم[3] صاحب سيس فقتله .

قيل . كان السبب فى ذلك أن برلغو قصد أن ينشىء مدرسة ببلد أذنه ، ويجعل فيها مئذنة ، فلم يوافق هذا رأى صاحب سيس ، وأرسل إلى خربندا يشكوه ويقول له : إنه اتفق مع أهل الشام وواطأ بلاد الإسلام ، فاطلع بعض أصحاب برلغو المقيمين بالأردو على ذلك ، فأرسلوا يعرفونه بشكوى المذكور منه ، فخاف على نفسه ، وخطر له أن يحيل بالذنب على صاحب سيس ويحتال عليه ، فعزم على أن يعمل له طوى وهى الوليمة[4] ويدعوه ، ورتب مع أصحابه إذا حضر واستقر به القرار يقتلونه ، فلما هيأ له الضيافة حضر إليه هو وإخوته وهم : الناق ، وليون ، وأوشين ، فما استقر بهم القرار إلا وقد وثب أصحاب برلغو عليهم وبذلوا السيوف فيهم ، فقتل هيثوم والناق ، وجرح برلغو ، جرحه بعض الأرمن ،

(١) « ببلد » فى زبدة الفكرة .

(٢) « برلغى » فى التحفة الملوكية .

(٣) « هشوم » فى التحفة الملوكية ، وهو تحريف .

(٤) « طى وهو الوليمة » فى زبدة الفكرة .

فسار متوجها نحو الأردو، وأمسك شخصا يسمى أيدغدى الشهرزورى من مماليك الأمير شمس الدين قرا سنقر نائب حلب، كان عند صاحب سيس من جهة المشار إليه، وجهه له فى طلب القطيعة، وعلم برلغو به، فأمسكه وأخذه معه [على](١) أنه إذا قدمه إلى خربندا يثبت فعله(٢) عن صاحب سيس فى مواطأته للسلمين ومراسلته لهم، ثم إن أخا صاحب سيس المسمى ليون توجه إلى الأردو واستصحب معه نساء أخويه الذين قتلا، لابسات الحداد، متذرعات بالسواد، شاكيات من قتل أصحابهن، فلما وقف خربندا على الخبر أمر بقتل برلغو بالسيف، فقتل على مكانته، وأقر صاحب سيس على مملكته وأعاده إلى بلاده(٣).

ذكر ما اتفق لابن تيمية فى هذه السنة :

وفى يوم الجمعة رابع عشر صفر : اجتمع قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة بابن تيمية فى دار الأوحد(٤) من قلعة الجبل، وطال بينهما الكلام، ثم تفرقا قبل الصلاة، وابن تيمية مصمم على عدم الخروج من السجن، [٣٨٨] فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول : جاء الأمير حسام الدين مهنى ابن عيسى ملك العرب إلى السجن بنفسه، وأقسم على الشيخ ليخرجن إليه، فلما خرج أقسم لا يعود حتى يأتى معه إلى دار سلار : فاجتمع به بعض الفقهاء فى دار سلار وجرى بينهم بحوث كثيرة، ثم فرقت بينهم الصلاة، ثم اجتمعوا إلى المغرب، وبات تقى الدين عند سلار، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة.

(٢) هكذا بالأصل، والمقصود « قوله ».

(٣) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٣ ب — ٢٥٤ ب، وانظر أيضا التحفة المملوكية ص ١٨٢.

(٤) « دار الأوحدى » — فى البداية والنهاية.

السلطان أول النهار ، ولم يحضر أحد من القضاة ، بل اجتمع هناك الفقيه نجم الدين ابن رفعة[1] ، وعلاء الدين بن الباجي[2] ، وتقي الدين ابن بنت سعد[3] ، وعز الدين النمراوي ، وشمس الدين بن عدلان[4] ، وانفصل المجلس على خير ، فبات الشيخ عند نائب السلطنة .

وكان حسام الدين مهنى يريد أن يستصحبه معه إلى الشام ، فأشار سلار بإقامة الشيخ مدة بمصر ليرى الناس فضله ، ويجتمعوا به ، وكتب الشيخ كتابا إلى الشام بمضمون ماوقع من الأمور .

ثم عقد له مجلس بالصالحية بعد ذلك كله ، ونزل الشيخ بالقاهرة بدار ابن شقير ، وأكب الناس على الإجتماع به ليلا ونهارا .

وفي بعض التواريخ : وفيها حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير حسام الدين مهنى بن عيسى ، فأكرمه السلطان وخلع عليه ، فخاطب السلطان في أمر الشيخ ابن تيمية ، فأجاب سؤاله فيه ، وأحضر مهني بنفسه إلى الجب وأخرجه منه ، ثم جرى ما ذكرناه .

وفي شوال اجتمع نحو خمسمائة من الصوفية ، وفيهم شيخ الشيوخ كريم الدين الآملي إلى الحاكم الشافعي ، فاشتكوا الشيخ ابن تيمية من كثرة ماينال من ابن عربي ، فلم يثبت من ذلك شيء ، وجرى كلام فيما يتعلق بالإستغاثة ، فعنفه

(١) « ابن رفع » في البداية والنهاية .

(٢) « التاجي » في البداية والنهاية .

(٣) « وفخر الدين بن بنت أبي سعد » — في البداية والنهاية .

(٤) « عدنان » في البداية والنهاية .

الحاكم وقال : هـذا يعزر ، ثم خيرته الدولة بين المسير(١) إلى الإسكندرية أو إلى الشام بشروط ، وبين الحبس ، فاختار الحبس على ذلك .

فأشار عليه بعض أصحابه بالشام ، فاختارها ، فأركب على البريد ، فلما انفصل لحقه بريدى آخر فرده ، ثم أحضره إلى الحاكم الشافعي فقال له : الدولة لا ترضى إلا بالحبس ، فأناب القاضي شمس الدين التونسي المالكي . فقال : ماثبت عليه شيء وامتنع أن يحكم ، فأناب نور الدين الزواوى المالكي ، فامتنع أيضا . فقال الشيخ : أنا أمضي بنفسي إلى السجن من غير حكم لاصلاحة ، فحبس في حبس القاضي — في المكان الذي كان فيه تقي الدين بن بنت الأعز حين سجن — وجعل عنده من يخدمه ، وكل ذلك بإشارة الشيخ نصر المنبجي ، فأقام الشيخ في السجن مدة يستفتيه الناس ويزورونه ويتوالونه ويحبونه(٢) .

وقال بعضهم : في شوال اجتمع الشيخ ابن عطا السكوني وشيخ الخانقاة وجميع الصوفية ، فكانوا أكثر من خمسمائة نفس وطلعوا إلى القلعة ، فلما وصلوها كان هناك جماعة من أرباب الصنائع ، فاختلطوا معهم ، فصاروا جمعا كثيرا ، فلما رآهم أهل الدولة قالوا لهم : اش مرادكم ؟ قالوا : إن تقي الدين بن تيمية تكلم في مشايخ الطريقة وأنه قال : لا ينبغي أن يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وسألوا أن يعقد لهم وله مجلس ، [٣٨٩] فردّوا الأمر في ذلك إلى قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي ، ففوض ابن جماعة إلى القاضي تقي الدين الزواوى المالكي ، فاقتضى الحال تسفيره إلى الشام ، فسافر مع البريدى ، ثم ردّوه ، وحبس بحبس الحاكم .

(١) « المصير » في الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية .

(٢) انظر البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٤ — ٤٦ .

وفيها : عقد مجلس بالقصر الأبلق لنجم الدين بن خلكان بحضور نائب السلطنة ، وأحضروا مسطورا كتب عليه بالتوبة فى سنة أربع وسبعمائة ، وذكروا أنه تجدد منه أمور بعد ذلك واختلفوا فى أمره ، فبعضهم أشار بقتله وبعضهم رأى ضربه وتعزيره ، ومنهم من جنح إلى استتابته وحبسه عن الناس ، والرفق به ، وهو الشيخ برهان الدين بن الشيخ تاج الدين ، فرسم نائب السلطنة أن يعمل بقوله ، وانفصل الحال على ذلك ، وكتب عليه مكتوب آخر بالتوبة والإقلاع عما صدر منه من الكلام فى المغيبات ، ووضع بالمارستان مدة ، وأخرج منه وأقام بالنيرب .

ذكر من انعم عليه بإمرة أو وظيفة أو قطع :

وفيها : تولى نيابة غزة الأمير ركن الدين بيبرس العلائى الحاجب ، عوضا عن الأمير سيف الدين أقجبا .

وفيها : نزل سيف الدين كراى المنصورى عن إقطاعه وعدته ، واستقال من إمرته ، واختار الإنقطاع والتخلى عن الإقطاع ، وارتجع خبزه ، وأعطى للأمير بتخاص ومضى إلى القدس ، وأقام ببلاد غزة .

ذكر ما فعل الملك طقطا صاحب البلاد الشمالية ملك التتار :

وفيها : نقم طقطا على الفرنج الجنوية الذين بقرم وكفا والبلاد الشمالية ، لأمور قيلت عنهم منها : استيلاؤهم على أولاد التتار واستجلابهم إلى هذه الأقطار وغير ذلك ، فأرسل جيشا إلى مدينة كفا وهى مسقط رءوسهم ، فأحسوا

بوصولهم فتهيأوا في مراكب في البحر وركبوا[١] وساروا إلى بلادهم ، فلم يظفر التتار منهم بأحد ، فنهب طقطا أموال من كان منهم بمدينة صراى وما يليها[٢] .

ذكر العزم على تجهيز العساكر الى اليمن :

وفيها : وقع عزم ولاة الأمور بمصر على تجهيز عسكر إلى اليمن ،لأن صاحبها الملك المؤيد هزبر الدين داود [ابن الملك المظفر صلاح الدين يوسف بن رسول][٣] منع الهدية التي كانت العوائد جارية بإرسالها إلى الأبواب السلطانية ، فبرز المرسوم على أن كل مقدم ألف منهم يعمّر مركبا كبيرا يسمى جَابية ، وقياسة لطيفة تسمى فلوة ، برسم حمل الأزواد والآلات ، وتسفيرها إلى جهة الطور والسُوَيس على الظهر لتركّب هناك وتُرْمَى البحر وتُسفَّر ،فاشترك كل مقدم ألف ومضافيه في مركب وقارب ، وندب عز الدين أيبك الشجاعي المشد إلى قوص لعمارة هذه المراكب ، وانقضت هذه السنة والإجتهاد مستمر في ذلك ، على أنه إذا تنجزت الأشغال توجه العسكر المجرد صحبة سيف الدين سلاّر .

فسأل أعيان الكارم الإمهال إلى أن يتوجه الرُسل إلى صاحب اليمن ويعود الجواب ،فأمهلوا ، وأرسل القاضي شمس الدين بن عدلان والأمير سنقر السعيدى رسلا إلى اليمن ، وكُتب إلى صاحب اليمن كتاب من الخليفة ليتقدم بين يدى

(١) « وركبوها » — في زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٨ أ .

(٣) إضافة للتوضيح من زبدة الفكرة .

البعوث المجهزة بألفاظ مرجزة، وهذه نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم [٣٩٠] : ــ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و [أطيعوا] الرسول وأولى الأمر منكم﴾(١). ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾(٢) . أما بعد حمد الله مانح القلوب السليمة هُداها، ومُرْشد العُقول إلى أمر معادها ومبْداها ، ومُوفق مَن اختاره إلى محجة صواب لايضل سالكها ، ولا تُظلم عند اختلاف الأمور مسالكها ، ومُلهم مَن اصطفاه لإقتفاء آثار السنن النبوية ، والعمل بموجبات القواعد الشرعية ، والإنتظام فى سلك من طوقته الخلافة عقودها ، وأفاضت على سُدّته الجليلة برودَها ، وملّكته أقاصى البلاد وأناطت بأحكامه السديدة أمور العباد ، وصارت تحت خوافق أعلامه أعلام الملوك الأكاسرة، وشيّدت بأحكامه مناهج الدنيا ومصَالح الآخرة، وتبختر كل منبر بذكره فى ثوب من السيادة مُعْلَم ، وتهلّلت من ألقابه الشريفة أسارير كل دينار ودرهم ، الذى يحمده أمير المؤمنين على أن جعل أمور الخلافة ببنى العباس منوطة ، وجعلها كلمة باقية فى عقبه إلى يوم القيامة مُحوطة ، ويُصلى على ابن عمه محمد الذى أخمد الله ببعثه ما ثار من الفتن، وأطفأ برسالته ما اضطرم من نار الإحَن ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حموا حمىَ الخلافة وذادوا عن مواردها ، وعمدوا الى تشييد المعالم الدينية فأقاموها على قواعدها ، صلاة دائمة الغدو والرواح ، متصلا أولها بطرّة الليل وآخرها بجبين الصباح ، هذا وأن الدين الذى فرض الله على الكافّة الإنضمام إلى شُعبه، وأطلع فيه شموس هداية تشرق من مشرقه ولاتغرب فى غَرْبه ، جعل الله حكمه بأمرنا منوطا، وفى

(١) جزء من الآية رقم ٥٩ من سورة النساء رقم ٤ .

(٢) الآية رقم ٣٠ من سورة النمل رقم ٢٧ . وورد « من عبد الله ووليه أبى الربيع سليمان » ــ فى زبدة الفكرة .

سلك أحكامنا مخروطا ، وقلدنا من أمر الخلافة المعظمة سيفا طال نجاده ، وكثر أعوانه وأنجاده ، وفوض إلينا أمر الممالك الإسلامية ، فإلى حرمنا تجبى ثمراتها ، ويرفع إلى ديواننا العزيز نفيها وإثباتها ، يخاف الأسد اذا مضى فى غابه شبله ، ويلتى فى الخبر والخبر مثله .

ولما أفاض الله علينا حلة الخلافة ، وجعل محلنا الشريف محل الرحمة والرأفة ، وأقعدنا على سدة خلافة طالما تشرفت (١) بالخلائف من آبائها ، وابتهجت بالسادة الغطاريف من أسلافنا ، وألبسنا خلعة من ملابس السؤدد مصبوغة ، ومن سواد العيون وسويداوات القلوب مصوغة ، أمضينا على سدتنا الشريفة أمر الخاص والعام ، وقلدنا كل إقليم من عمالنا من يصلح سياستها على الدوام ، واستكفينا بالكفاة من عمالنا على أعمالنا ، واتخذنا مصر دار مقامنا وبها سدة مقامنا لما كانت فى هذا العصر قبة الإسلام ، وقبة الإمام ، وثانية دار السلام ، تعين علينا أن نتصفح جرائد أعمالنا ، ونتأمل نظام عمالنا ، مكانا فمكانا ، وزمانا فزمانا ، فتصفحناها فوجدنا قطر اليمن خاليا من ولايتنا فى هذا الزمن ، عرفنا هذا الأمر من اتخذناه والممالك الإسلامية عينا وقلبا ، وصدرا ولبا [٣٩١] وفوضنا إليه من الممالك الإسلامية فقام فيها قياما ما أقعد الأضداد ، وأحسن فى ترتيب ممالكها ، فهابه الإصدار ، وغاته الإيراد ، وهو السلطان الأجل السيد الملك الناصر ، لا زالت أسباب المصالح على يديه جارية ، وسحابة الإحسان من أفق راحته سارية ، فلم يعد جوابا لما ذكرناه ، ولا عذرا عما أبديناه إلا بتجهيز شرذمة من جحافله المشهورة ، وتعيين أناس من فوارسه المذكورة ، يقتحمون الأهوال ،

(١) « أشرفت » فى زبدة الفكرة .

ولا يعبأون بتغييرات الأحوال ، يرون الموت مغنما إن صادفوه ، وسَبيا المرهف مكسبا إن صالحوه ، لا يشربون ســوى الدماء مدامة ، ولا يلبسون غير الترايك غمامة ، ولا يعرفون طربا إلا ما أصدره صايل الحسام من غنى ، ولا يتزاون قفرا إلاّ ونبت ساعة نزولهم قنا .

ولما وثقنا منه بإيفادهم راجعنا رأينا الشريف فاقتضى أنّ يكاتب من بسط يده فى مهالكها ، واحتاط على جميع مسالكها ،واتخذ أهلها خولا ، وأبدى فى خلال ديارها من عدم سياسته خالا ، برز مرسومنا الشريف النبوى أن يكاتب من قعد على تخت ملكها، وتصرف فى جميع أمور دوانها ، فطولع بأنه ولد السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر الذى له شبهة تمسك بأذيال المواقف المستعصمية ، وهو مستصحب الحال على زعمـه ، أو ما علم الفـرق بين الأحياء والأموات ، أو ما تحقق الحـال التى بين النفى والإثبات ، أصـدرناها إلى الرحاب الثغرية ، والمعالم اليمنية ، نُشعر من تولى فيها فاستبد،وتولّى كبره ، فلم يعرج على أحد أن أمراء اليمن ما برحت نوابنا ، تحكم فيه بالولاية الصحيحة ، والتفويضات التى هى غير جَريحة ، وما زالت تحمل إلى بيت المـال المعمور ما عشى به الجمال وئيدا ، وتقذفه بطون الجـوارى إلى ظهور اليعملات وليـدا ، ويطالعنا بأمر مصالحه ومفاسده ، ومجان مَعَاهده ومُعاهده ، ولك أسوة بوالدك فلان ، هلاّ اقتفيت ما سنّه من آثاره ، ونقلت ما دونته أيدى الزمن من أخباره .

واتصل بمواقفنا الشريفة أمور صدرت منك :

منها : وهى العُظمى التى ترتب عليها ما ترتب : قطع الميرة عن البيت الحرام، وقد علمت أنه وادٍ غير ذى زرع ، ولا يحلّ لأحد أن يتطرق إليه بمنع .

ومنها : انصبابك إلى تفريغ مال بيت المال فى شراء لهو الحديث ، ونقض العهود القديمة بما تبديه من حديث .

ومنها : تعطيل أجياد المنابر من عقود اسمنا ، وخلو تلك الأماكن من أمر عقدنا وحلنا .

ولو أوضحنا لك ما اتصل بنا من أمرك لطال ولاتسعت فيه دائرة المقال ، رسمنا بها ، والسيف يود لو سبق القلم حدّه ، والعَلَم المنصور يود لو فات العلم ، واهتز بتلك الروابى قدّه ، والكتائب المنصورة تختار لو بدرت عنوان الكتاب ، وأهل العزم والحزم يودّون إليك إعمال الركائب ، والجوارِ المنشآت قد تكونت من ليل ونهار ، وبرزت كصور الأفيلة لكنها على وجه الماء كالأطيار . وما عمدنا إلى مكاتبتك إلا الإنذار ، ولا جنحنا إلى مخاطبتك إلا للأعذار ، فاقلع عمّا أنت بصدده من الخيلاء والإعجاب ، وانتظم [٣٩٢] فى سلك من استخلفناه ، فأخذ بيمينه ما أعطى من كتاب ، وصُن بالطاعة من زعمت أنهم مقيمون تحت لواء علمك ، ومنتظمون فى سلك أوامر كلمك ، وداخلون تحت طاعة قلمك ، فلسنا نشن الغارات على من نطق بالشهادتين لسانُه وقلبُه ، وامتثل أوامر الله المطاعة عقله ولبــه ، ودان الله بما يجب من الديانة ، وتقلد عقود الصلاح ، والتحف مطارف الأمانة ، ولسْنَا ممن يأمر بتجريد سيف إلّا على من علمنا أنه خرج عن طاعتنا ، ورفض كتاب الله ، ونزع عن مبايعتنا .

فأصدرنا مرسومنا هذا إليهَ نقُص عليه من أنباء حلمنا ما أطال مدة دولته ، وسيد قواعد صولته ، ونستدعى منه رسولا إلى مواقفنا الشريفة ، ورحاب ممالكنا المنيفة ، لينوب عنه فى قبول الولاية مناب نفسه ، وليجن بعد ذلك ثمار

شفقاتنا إن غرس شجر طاعتها ، ومن سعادة المرء أن يجنى ثمار غرسه ، بعد أن يُصحبه من ذخائر الأموال ما كثر قيمته وخفّ حملا ، وتعالى رتبةً وحَسُن مثلاً ، واشرط على نفسك فى كل سنة قطيعة ترفعها إلى بيت المال ، وإياك ثم إياك أن تكون عن هذا الأمر ممن مال ، ورتّب جيشا مقيما تحت علم السلطان الأجل الملك الناصر للقاء العدو المخذول التتار، ألحق الله أولهم بالهلاك وآخرهم بالبوار ، وقد علمت تفاصيل أحوالهم المشهورة ، وتواريخ سيرهم المنكورة ، فاحرص على أن يخصك فى هذا المشرب السائغ أوفر نصيب ، وأن تكون ممن جهز جيشا فى سبيل الله ، فرمى بسهم فله أجر ، كان مصيبا أو غير مُصيب، ليعود رسولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها ، حاملا أهلة أعلامنا المنصورة ، شاكرا بر مواقفنا المبرورة ، وإن أبى حالك إلا أن استمريت على غَيّك ، واستمريت مرعى بغيك ، فقد ، فقد منعناك التصرف فى البلاد ، والنظر فى أحكام العباد حتى تطأ خيلنا العتاق مشمخرات حصونك ، وتعجل حينئذ ساعة منونك ، وما علمناك غير ما علمه قلبك ، ولا فهّمناك غير ما حدّسه لبك ، ولا تكن كالصفير تزيده كثرة التحريك نوما ، ولا ممن غره الإمهال يوما فيوما ، أعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه ، موفقا إن شاء الله (١) .

ذكر قضية أبى ثابت المرينى :

قال بيبرس فى تاريخه : وفى هذه السنة سار « أبو ثابت عامر بن عبد الله ابن أبى يعقوب » (٢) المرينى لمحاربة يوسف بن أبى عياد مُتحفظ قلعة مراكش

(١) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٥ أ — ٢٥٧ ب .

(٢) « أبو عامر ثابت بن عبد الله » — فى الأصل : والتصحيح من زبدة الفكرة، وروض القرطاس ص ٣٨٩ ، روضة النسرين فى دولة بنى مرين ص ٢٢ ، وانظر ما سبق ص ٤٣٢ .

لخروجه عن الطاعة ، فخرج يوسف [لمحاربته](1) والتقيا على مراكش ، فكانت الهزيمة على ابن أبي عياد، فأخذ أسيرا ، وقتل من جماعته تقدير ألف نفر ، وعاد أبو ثابت(2) إلى طنجة ظافرا ، وكان بها أقدام من عرب رباح وغيرهم قد نافقوا عليه فقاتلهم ، وقتل منهم خلقا ، ثم أقام بطنجة فمرض ومات(3) ، وكانت مدته سنة وثلاثة أشهر وأياما(4) .

وجلس بعده على بن يوسف بن يعقوب ، عمه ، وذلك أنه كان مع العسكر لما مات ابن أخيه ، فاستقر في الأمر وظن أنه يتم له فوثب عليه شخص اسمه عبد الله بن أبي مدين ، كان وزير الدولة فخلعه لليوم [٣٩٣] الثاني من جلوسه ، ووافقه العسكر على ذلك .

ولما خلع على المذكور اتفق عبد الله الوزير مع الأشياخ ونصبوا سليمان ابن عبد الله وبايعوه(5) ، فاستمال الناس إليه ، وأخرج الأموال المدخورة وفضها فيهم ، وفرقها عليهم ، وزاد في أعطيات بنى مرين ، وأحسن إليهم ، وأبطل المكوس ، ووضع المظالم ، وأحسن إلى الرعية ، فمالت إليه النفوس ، وقبض على [على](6) المخلوع ، واعتقله بطنجة ، واستوزر عبد الله المذكور وأقام اثنين من

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) « أبو عامر » — في الأصل ، انظر ما سبق عن تصحيح الاسم .

(٣) انظر ما يلى في وفيات السنة ، وورد أن أبو ثابت عامر توفى ٨ صفر سنة ٧٠٨هـ — روض القرطاس ص ٣٨٩ .

(٤) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٨ أ ، ب . « فأيامه سنة واحدة وثلاثة أشهر ويوم واحد » — روض القرطاس ٣٨٩ .

(٥) بويع في ٩ صفر سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م ، وتوفى في سنة ٧١٠هـ / ١٣١١م — الأنيس المطرب ص ٣٩٣ ، ص ٣٩٤ ، روضة النسرين ص ٢٣ .

(٦) [ ] إضافة للتوضيح من زبدة الفكرة .

بنى مرين لجباية الأموال ، أحدهما يسمى رجّو بن يعقوب ، والآخر إبراهيم ابن عيسى [(١)] .

وقال بيبرس أيضا وفيها : خرج الشيخ أبو إدريس بن إبراهيم بن عيسى المرينى ابن عم أبى يعقوب من المغرب قاصدا الحج ، فاتفق وصوله إلى تونس فى أواخر هذه السنة ، فسأله صاحب تونس أن يتوجه إلى جزيرة جربة مقدما على جيش جهزه إليها ، فأجابه وأخرجه وتوجه [(٢)] .

ذكر بقية الحوادث :

منها : أنه جُرِّد الأمير شرف الدين أمير أحمد بن قُصرا التركانى ، والأمير بدر الدين بيليك المحسنى إلى برقة لتمهيد العربان الثائرين بذلك الوجه ، فساروا فى شعبان وأوقعوا بأهل العصيان ، واستاقوا إبلهم وعادوا [(٣)] .

ومنها ما قاله بيبرس فى تاريخه وفيها : مدّا النيل مدّا أروى البلاد وشمل الربى والوهاد ، وكان قد قصّر منذ سنوات عن المعتاد ، وتضرر بتقصيره أهل السواد ، فلطف الله تعالى فى عامه وأجراه بإنعامه ، فانتهت زيادته إلى تسعة عشر ذراعا إلّا ثلاثة أصابع ، وكانت بركته كثيرة ، وبلغ غاية ما بلغته الآمال العزيزة ، وزُرعت البلاد زرعا شاملا ، وخُضِّرت تخضيرا كاملا ، وأقبل الزرع إقبالا

---

(١) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٨ أ — ٢٥٩ أ وانظر تفصيل هذه الأحداث فى روض القرطاس ص ٣٨٩ — ٣٩٥ ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى جـ ٣ ص ٩١ — ١٠٣ ، روضة النسرين ص ٢٢ — ٢٣ .

(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٩ أ .

(٣) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٤ ب .

أعجب الزراع ، فاهتزوا طربا ، وتاهوا به عجبًا وعَجبا ، فلما كان فى أواسط نيسان الموافق لشهر شوال من السنة العربية وبرمهات من السنة القبطية ، وهو وقت كمال الغلة وختامها ، وحين نهايتها وتمامها ، أرسل الله تعالى عليها ريحا زعزعا ، نخفقت من الحب ما كان مُمرعا ، فهاف أكثر الزروع وجف معظم الضروع ، حتى ترك أكثرها فى الأرض بغير حصاد ، وغالب الناس لم يسترد ما بذر ، وأكثرهم من خسر وانكسر ، ولم يتحصل للأمراء وأصحاب الإقطاعات إلا النذر اليسير من الغلات ، واحتسبوا بأكثرها بالمسامحات تخفيفا عن الفلاحين ورغبة فى العمارة والتوطين ، فكان ذلك كما قال عز من قائل فى محكم تنزيله : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ﴾ . إلى قوله ﴿ لقوم يتفكرون ﴾(١) . وتميزت أسعار الغلال حتى انتهى القمح إلى خمسين درهما الأردب(٢) ، ثم انحط يسيرا بعد يسير بلطف المسهل كل عسير .

وفيها : حج بالناس الأمير طغريل السلحدار الإيغانى ، أميرا على الركب المصرى ، وبالركب الشامى الأمير سيف الدين بلبان البدرى .

---

(١) آية رقم ٢٤ من سورة يونس رقم ١٠ .

(٢) زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٣ أ ، ب .

ذكر مَن تُوفى فيها منَ الأعيان

الشيخ صالح[1] الأحمدى الرفاعى ، شيخ المنيبع .

وكان التتار يكرمونه [لما قدموا دمشق[2]] ولما جاء قطلوشاه نائب ملك التتار [٣٩٤] نزل عنده ، وهو الذى قال لابن تيمية حين تناظروا بالقصر : نحن ما ينفق حالنا إلا عند التتار وأما قدام الشرع فلا .

الشيخ الصالح أبو حفص عمر[3] بن يعقوب بن أحمد السُعودى ، توفى يوم الأربعاء ثانى جمادى الآخر منها .

الشيخ فخر الدين عثمان بن جوشن السُعودى ، توفى فيها ، وجلس أحد أولاده مكانه .

الصدر الرئيس أمين الدين يوسف[4] بن محمد بن رجب الرومى المحتسب بدمشق .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٧ ، وورد فى الدرر « صالح بن عبد الله البطائحى ، شيخ المنيبع بالشام » جـ ٢ ص ٢٠٠ رقم ١٩٦٥ .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح من البداية والنهاية .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٩ أ ، السلوك جـ ٢ ص ٤١ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٨ ، الدرر جـ ٣ ص ٢٧٥ رقم ٣٠٩٥ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٩ أ ، السلوك جـ ٢ ص ٤٢ ، الدرر جـ ٥ ص ٢٤٤ رقم ٥١٤٨ .

مات فيها[1] ، ودفن بتربته جوار الصوفية ، وكان مشكورا فى حسبته . أقام متوليها سنين ، وعزل قبل موته بنصف سنة ، ومات وهو ناظر المارستان النورى ، وكان موصوفا بالأمانة والكفاية فى جميع أموره .

الصدر الكبير شرف الدين محمد[2] بن فتح الدين عبد الله بن محمد بن أحمد ابن خالد القيسرانى الحلبى[3] ، أحد أعيان الموقعين بالديار المصرية .

مات فى مستهل شعبان بالقاهرة ، ودفن بالقرافة الصغرى ، وكان مشكور السيرة ، حسن الطريقة ، كثير التلاوة ولديه فضيلة مشهورة ، وبيته مشهور ، رحمه الله .

أقضى القضاة جمال الدين أبو بكر محمد[4] بن عبد العظيم بن على بن سالم الشافعى المعروف بابن السقطى .

مات بالقاهرة ، ودفن بالقرافة الصغرى ، كان مشكور السيرة فى قضاياه ، ناب فى القاهرة مدة أربعين سنة ، وترك القضاء فى آخر عمره ، ومولده سنة اثنين وعشرين وستمائة[5] ، ووفاته فى حادى عشر شعبان منها .

---

(١) ورد أن صاحب الترجمة « مات فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٤ هـ » فى الدرر .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ١٧٥ ا ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٣٠ ورقة ٤٦ ، الوافى جـ ٣ ص ٣٧٠ رقم ١٤٤٨ ، السلوك جـ ٢ ص ٤٢ ، الدرر جـ ٤ ص ١٠٠ رقم ٣٨٠٦ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٨٠ .

(٣) « ومولده بحلب سنة ثمان وأربعين وستمائة » ــ تذكرة النبيه ، الدرر .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٤ ص ١٣٦ رقم ٣٩١٠ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٦ ، السلوك جـ ٢ ص ٤٢ .

(٥) « ولد سنة ٦٣٢ هـ » ــ فى الدرر .

الشيخ الصالح أبو القاسم عمر اليونيني السَّلاوي (١) .

مات بزاويته خارج باب النصر بدمشق ، كان رجلا صالحا خيرا ، وهو ابن أخت الشيخ ناصر الدين السلاوي ، ومولده في سنة خمس وعشرين وستمائة .

الشيخ المسند شهاب الدين (٢) محمد بن أبي العز بن مشرف البزاز الأنصاري الدمشقي .

مات بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان قد تفرد بالرواية عن ابن صباح (٣) ، واشتهر بالرواية ، وصار متسمعا بدار الحديث الأشرفية ، رحمه الله .

الصاحب الكبير الفاضل تاج الدين محمد (٤) بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب الكبير الوزير بهاء الدين علي بن محمد بن سليم المصري الدار والوفاة ، المعروف بابن حنا .

سمع من سبط السلفي جزء الذهلي ، ومن الشرف المزيني بدمشق ، مات بمنزله ببركة الحبش ، وحمل إلى تربته بالقرافة بالقرب من مشهد الإمام الشافعي

(١) هو : عمر بن أبي الفتح بن أبي القاسم بن عمر اليونيني ، وله أيضا ترجمة في : الدرر جـ ٣ ص ٢٦٠ رقم ٣٠٥٤ .

(٢) وله أيضا ترجمة في ، درة الأسلاك ص ١٧٧ ، الدرر جـ ٤ ص ٦٧ ، رقم ٤٠٠٦ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٦ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٨٣ .

(٣) هو الحسن بن صباح المخزومي المصري، الكاتب، أبو صادق ، المتوفى سنة ٦٣٢ هـ/١٢٣٤م ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٤٨ .

(٤) وله أيضا ترجمة في ، زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٩ أ ، درة الأسلاك ص ١٧٦ ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٣٠ ورقة ٤٥ ، المنهل الصافي ، الدرر جـ ٤ ص ٣٢٢ رقم ٤٤١٢ ، الوافي جـ ١ ص ٢١٧ رقم ١٤٦ ، شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٤ ـ ١٥ ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٣١٥ رقم ٣٧١ ، مرآة الجنان جـ ٤ ص ٢٤٢ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ١٥٢ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٨٤ ، السلوك جـ ٢ ص ٤١ .

رضى الله عنه ، وكانت عنده رئاسة وحشمة وكرم نفس ، وحسن عقيدة فى فى الفقراء والصالحين ، وجده لأمه الوزير شرف الدين الفائزى ، وهو من بيت رئاسة ووزارة كابرا عن كابر ، وهو الذى اشترى الآثار النبوية على ما يقال بأربعمائة ألف درهم (١) ، وهى قطعة من العنزة ، وبرود ، ومخصف ، وملقط ، وقطعة من قصعة ، وجعلها فى المكان المعروف بالمعشوق ، انتهت إليه رئاسة عصره بمصر ، وكان يتباهى فى المطاعم والملابس والمساكن ، وكان كثير الصدقات والتواضع .

قال القاضى شرف الدين بن فضل الله : اجتزت على تربته بالقرافة فرأيت إلى جانبها مكتبا للأيتام وهم يكتبون القرآن فى الألواح ، فإذا أرادوا مسحها غسلوا ألواحهم [٣٩٥] وسكبوا ذلك الماء على قبره ، فسألت عن ذلك ، فقيل لى : هذا شرط الواقف (٢) ، وهذا قصد جيد ، وعقيدة صحيحة .

وله شعر حسن ، فمنه قوله :

لله فى الأحوال لطف جميل	فاغن به عن ذكر قال وقيل
ولا تفارق أبدا بابه	فمنه قد جاء العطاء الجزيل
واشكر على الإنعام فيما مضى	كم أسبل الستر زمانا طويل
وأخيبه المعرض عن بابه	خلى كريما ، أم البخيل
فقل لمن عدد أنعامه	كل لسان عند هذا كليل

(١) « شراهم بستين ألف درهم » ــ فى كنز الدرر جـ ٩ ص ١٥٢ .

(٢) « وأوقفهم فى رباط الذى بجسر الأفرم ظاهر مصر على النيل المبارك » ــ كنز الدرر جـ ٩ ص ١٥٢ .

وله موشح (١) :

قد انحل الجسم أسمر أكحل		وأرحل القلب فيه مذحل

يميل		وعنه لا أميل

يحول		وعنه لا أحول

أقول		إذ زاد بى التحول

أما حل عقد الصدود ينحل		ويرحل عن نجمى المزحل

برغمى		كم يستبيح ظلمى

ويرمى		بجور به اسلمى

وجسمى		مع الزام سقمى

منحل وقد غدا مزحل		فلم حل سفك دمى وما حل

متوج		بالحسن هذا الأبهج

مدبج		عذاره البنفسج

مفلج		يرنو بطرف ادعج

مكحل وريقه المنحل		مفحل بالعنبر المحلل

كم ابعد		وكم أبيت مكمد

ويعمد		بهجره لا يفقد

ويجهد		فى ارتضاء من قد

تمحل والحاسدون دحل		ومحل والوعد منه أمحل

(١) « وله موشح مشهور بين أهل مصر التزم فيه الحاء قبل اللام فى أقفاله » ــ الوافى جـ١ ص ٢٢١ .

فلانى واشترط هـذا الجافى
رمانى فى عشقه زمانى
خلانى أشكو لمن يرانى
قد انحل الجسم أسمر أكحل وأوحل القلب فيه مذ حلَّ(١)

وله أيضا :

بالله انشـــدوا لى فؤادى قد ضاع وقت الرحيل
واستجيروا كل حادى واستوقفوهم قليـــل

* * *

لا أوحش الله منكم يا أهــل وادى العقيق
والله مذ غبت عنكم انسان عيـنى غريق
والقلب قد سار عنكم مرفقـا بذلك الرفيق

* * *

غربتموه عن بلادى والظن فيكم جميل
يهـــيم فى كل وادى ما ترحمـوا ابن السبيل

* * *

قد ذاب قلبى وطرفى وشرح حـالى يطـول
ما تنظرون لضعفى أو تسمعوا ما أقول
يا جفنُ ما صرت تخفى ما اشتكى عن عـذول

* * *

(١) انظر الوافى جـ ١ ص ٢٣١ — ٢٣٢ .

أشمتّ بى الأعادى　　كم ذا عليهم تميل
قد سار عنى رقادى　　وصار ليلى طويل

* * *

فتشهد إن جزت نجدا　　فاقرئ عليها السلام
وجز ديار ... ...　　وانزل بتلك الخيام
وقل لهم مات وجدا　　قتل ذاك الغرام

* * *

وان صحبت فادى　　... ... ...
فى حبكم بالبعاد　　وليس عنكم بديل

* * *

يا لائم الصب جهلا　　دع عنك ما لا يفيد
أكثرت فى الحب عذلا　　والصبر عنك بعيد
وأنت يا شوق مهلا　　كم ذا عليهم يزيد

* * *

هذى العرب فى البوادى　　ترعى ذمام النزيل
من فضلهم والأيادى　　تلقاك ظل ظليل

* * *

البرق يخفق وهنا　　يحكى فؤادى الحزين
والدمع تبكى حزنا　　فى دارهم بالأنين

[٣٩٦]

والجسم أصبح مضنى　　والقلب معهم رهين

* * *

يا ساكنا بفؤادى ارحم خضوع الذليل
فأنت مالك قيادى بكل فضل جزيل

الأمير الكبير ركن الدين العجمي بيبرس(١) الصالحى النجمى ، المعروف بالجالق(٢).

أحد الأمراء البحرية ، كان رأس الجمدارية فى أيام الصالح نجم الدين أيوب ، وأمّره الملك الظاهر ، رحمه الله ، وكان من أكابر الدولة ، كثير المال . وكان له مدة بالشام . مات بالرملة فى منتصف جمادى الأولى ، ونقل إلى القدس ، وكان قد أسَنّ فكان آخر البحرية ، وخاتمة الأمراء النجمية(٣) ، رحمه الله .

الأمير علاء الدين مغلطاى(٤) البيسرى ، توفى فيها بدمشق .

الأمير بهاء الدين يعقوبا بن نور الدين بدَل(٥) الشهرزورى .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ١٧٥ آ ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٣٦ ورقة ٤٦ ، المنهل الصافى جـ ٣ ص ٤٧٤ رقم ٧١٩ ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٧ ، السلوك جـ ٢ ص ٤٠ ، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٧ ، الدرر جـ ٢ ص ٤٤ رقم ١٣٧٦ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٨٠ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ١٥١ أ — ١٥٢ ، الوافى جـ ١٠ ص ٣٤٨ رقم ٤٨٤٢ .

(٢) جالق : بفتح الجيم وبعد الألف لام مكسورة وقاف ساكنة ، باللغة التركية ، اسم للفرس الحاد المزاج الكثير اللعب — المنهل الصافى ترجمة بيبرس الجالق ، النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٣) انظر ما سبق ص ٤٤٦ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ورقة ٢٥٩ أ ، الدرر جـ ٥ ص ١٢٤ رقم ٤٨٢٦ ، السلوك جـ ٢ ص ٤١ .

(٥) انظر ما سبق ص ٤٤٦ حيث ذكره المؤلف فى وفيات سنة ٧٠٦ هـ .

مات بالقاهرة ، وكان من أكابر الأمراء مقدمى الألوف بالديار المصرية ، وله مكانة عالية فى الأيام الظاهرية ، والمنصورية . وكان من فرسان المسلمين المشهورين ، رحمه الله .

الأمير شمس الدين الخضر[1] الحلبى ، المعروف بشلحونه[2] .

كان فى أيام الظاهر والى القاهرة ، واستمر فى الولاية أيام الظاهر والمنصور ، ولما تولى الأشرف عزله وجعله شاد الدواوين لأنه كان ناهضاً أمينا فى جميع ما تولاه ، وعنده معرفة ومروءة وديانة ، ولقب شلحونة زمن الولاية ، لأنه كان إذا أراد أن يضرب أحدا يقول : شلحونه[3] ، فبقيت عليه لقبا . وكان والده أمير جاندار الملك الظاهر[4] صاحب حلب .

علاء الدين أيدمر[5] السنانى .

مات فيها ، ودفن بمقابر الحموريين بدمشق . كان معروفا بتعبير المنامات ، وينظم الشعر الجيد ، وخدم بقلعة دمشق ، وبقى فى مغارة بها .

---

(١) هو : خضر بن إبراهيم ، الأمير شمس الدين الحلبي وله ، أيضا ترجمة فى : الدرر جـ ٢ ص ١٧٢ رقم ١٦٤٣ ، كنز الدرر جـ ٩ ص ١٥٤ ، السلوك جـ ٢ ص ٤١ .

(٢) « بشلحونة » — فى كنز الدرر .

(٣) « كان يستعمل هذه اللفظة مكان عروة » — الدرر .

(٤) هكذا بالأصل وورد « وكان أبوه خازندار السلطان صلاح الدين يوسف صاحب حلب ودمشق » — فى السلوك جـ ٢ ص ٤١ .

(٥) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ١٧٩ رقم ٦٠٦ ، درة الأسلاك ص ١٥٣ . النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٣٧ ؛ الدرر جـ ١ ص ٤٥٧ رقم ١١٢٣ والوافى جـ ١٠ ص ١٥ رقم ٤٤٦٦ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٣٥ ، فوات الوفيات جـ ١ ص ٢١٤ رقم ٧٩ . وأورد ابن حبيب وفاة صاحب الترجمة فى سنة ٧٠٦ هـ — انظر درة الأسلاك ، وتذكرة النبيه .

ومن شعره :

سفرت نفحات الصبح حين تبلجا ... فى جنح فود كالظلام إذا سجا
فتانة فتاكة من طرفها ... كم حاول القلب النجاة فما نجا
نحلت نضير الغصن قامة قدها ... وحبت مهاة الجزع طرفا أدعجا
تفتر عن برد نقى برده ... بالرشف حر حشاشتى قد أثلجا
ما إن دخلت رياض جنة وجهها (١) ... فرأيت عنها الدهر يوما مخرجا
لما رشفت رحيق فيها ظاميا ... فازددت إلا حرقة وتوهجا
تعطو برخص طرفته بعندم ... وتريك ثغرا كالأقاح مفلجا
أنى نظرت إلى رياض جمالها ... عاينت ثم مفوقا ومدبجا
زارت وعمر الليل فى غلوائه ... فغدا من الشمس البهية أبهجا
وسرى نسيم الروض ينكر إثرها ... فتعرفت آثاره (٢) وتأرجا

وله :

ورد الورد فأوردنا المداما ... وأرح بالراح أرواحا هياما
وأجلها بكرا على خطابها ... بنت كرم قد أبت إلا الكراما

[٣٩٧]

ذات ثغر جوهرى وصفه ... فى رحيق رشفه يشفى الأواما
رقمت باللؤلؤ الرطب على ... وجنتها (٣) كالنار لاتألو ضراما

(١) « خدها » فى فوات الوفيات .

(٢) الوافى جـ ٥ ق ١ ص ١٦ ، فوات الوفيات جـ ١ ص ٢١٤ .

(٣) « وجنة » فى الوافى ، وفوات الوفيات .

أقبلت تسمى بها شمسُ ضحى[1]　　تُخْجِل البدر إذا يَبْدُو تماما

بجفون بابلىّ سحرُها　　سُقْمُها أهدى[2] إلى جسمى السَّقَاما

ونضير الورد فى وجنتها　　نبتُه أنبت فى قلبى الغَراما

ودّت الأغصانُ لما خطرت　　لو حكت منها التثنى والقَوَاما

قال لى خَالٌ على وَجنتها　　حين ناديت أمَا تخشى الضِّراما

منذ ألقيتُ بنفسى فى لظى　　خدّها ألفيتُ برداً وسلاما[3]

السُلطان أبو ثابت عامر[4] بن عبد الله بن يعقوب المَرينى .

توفى فيها بطنجة ، وكانت مدة سلطنته سنةً وثلاثة أشهر وأياما ؛ وجلس بعده على بن يوسف بن يعقوب المَرينى ، وقد مرّ خبر قضيته .

* * *

والحمد لله وحده .

يتلوه فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة : الثامنة بعد السبعمائة ، إن شاء الله تعالى[5] .

---

(١) « الضحى » فى الوافى ، فوات الوفيات .

(٢) « أبدى » فى الوافى .

(٣) « قلت شعر متوسط » — الوافى جـ ١٠ ص ١٦ — ١٧ .

(٤) انظر ما سبق ص ٤٦٨ وما بعدها ، وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، الدرر جـ ٢ ص ٢٣٨ رقم ٢٠٧٧ ؛ الأنيس المطرب ص ٣٨٩ ، روضة النسرين ص٢٢ ، الدرر جـ ٢ ص ٢٣٨ رقم ٢٠٧٧ ، وورد فى مصادر الترجمة أن صاحب الترجمة توفى سنة ٧٠٨ هـ وانظر تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٨٣ .

(٥) آخر ما وجد بهذا الجزء بخط المؤلف .

فهارس الكتاب

فهــرس الأعــلام (*)

(*) يود المحقق أن يتوجه بالشكر إلى السيدة / نجوى مصطفى كامل الباحث أول بمركز تحقيق التراث على ما بذلته من جهد فى إعداد هذا الفهرس .

(ت)

(ح)

(ش)

(ص)

(ظ)

... ...

(ع)

(ل)

كشاف الأمم والشعوب والقبائل (*) والفرق والجماعات

(*) يود المحقق أن يوجه الشكر إلى السيدة/ ليلة إبراهيم مصطفى محمد الباحثة بمركز تحقيق التراث على ما بذلته من جهد في إعداد هذا الكشاف .

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

فهرس الأماكن والبلدان (*)

(أ)

(*) يود المحقق أن يتوجه بالشكر إلى السيدة / نجوى مصطفى كامل الباحث أول بمركز تحقيق التراث على ما بذلته من جهد فى إعداد هذا الكشاف .

(ب)

(ت)

(خ)

(د)

(ش)

(ك)

(ن)

كشاف الألفاظ الاصطلاحية (*)

(الوظائف ــ الألقاب ــ الالات ــ العلوم . . .)

(*) يود المحقق أن يوجه الشكر إلى السيدة/ لبيبة إبراهيم مصطفى محمد الباحثة بمركز تحقيق التراث على مابذلته من جهد فى إعداد هذا الكشاف .

(ت)

(ث)

(ج)

(خ)

(ذ)

(ر)

(س)

(ص)

(غ)

(ف)

(ق)

(ل)

(ن)

كشاف بأسماء الكتب الواردة فى النص (*)

صفحة

(*) قامت بعمل هذا الكشاف السيدة / اميمه إبراهيم مصطفى الباحثة بمركز تحقيق التراث .

• • •

مختصرات مصادر ومراجع التحقيق

تحتوى القائمة التالية على أسماء المصادر والمراجع الإضافية ومختصراتها التى استلزمها تحقيق هذا القسم من كتاب « عقد الجمان لبدر الدين العينى »(1) .

(١) القرآن الكريم ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

(٢) الاستقصا = السلاوى (أحمد بن خالد الناصرى ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م) :

— الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى — ٩ أجزاء — الدار البيضاء ١٩٥٤ م .

(٣) أعلام النبلاء = ابن هاشم الطباخ الحلبى (محمد راغب بن محمود) :

— أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ٧ أجزاء — حلب ١٩٢٣ م .

(٤) إعلام الورى = ابن طولون (محمد بن على الصالحى الدمشقى ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦ م) .

— إعلام الورى بمن ولى نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى .

تحقيق د. عبد العظيم حامد خطاب، القاهرة ١٩٧٣م.

---

(١) تخفيفا لهوامش التحقيق استخدمنا مختصرات فى الإشارة إلى غالبية المصادر والمراجع ، وفى هذه القائمة أثبتنا المختصرات — كما وردت فى الهوامش — مرتبة ترتيبا أبجديا ، وأمام كل مختصر اسم المصدر أو المرجع بالكامل .

(٥) أعيان العصر = ابن أيبك الصفدى (صلاح الدين ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) :

— أعيان العصر وأعوان النصر — مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

(٦) الألقاب الإسلامية = د . حسن الباشا :

— الألقاب الإسلامية — القاهرة ١٩٥٧ م .

(٧) الإنتصار = ابن دقماق (إبراهيم بن محمد ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :

— الإنتصار لواسطة عقد الأمصار ، نشر فولرز ، بولاق ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٣ م .

(٨) الأوقاف والحياة الاجتماعية = د . محمد محمد أمين :

— الأوقاف والحياة الإجتماعية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك . دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٠ م .

(٩) الإيضاح والتبيان = ابن الرفعة الأنصارى (أبو العباس نجم الدين ت ٩١٠ هـ / ١٣١٠ م) :

— الإيضاح والتبيان فى معرفة الكيل والميزان .
تحقيق د . محمد أحمد إسماعيل الخاروف
من منشورات مركز البحث العلمى ، جامعة أم القرى — دمشق ١٩٨٠ م .

(١٠) بدائع الزهور = ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م.

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور.
نشر وتحقيق محمد مصطفى — ٥ أجزاء — القاهرة ١٩٦١ م — ١٩٦٥ م.

(١١) البداية والنهاية = ابن كثير (إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣ م):
- البداية والنهاية، ١٤ جزء — بيروت ١٩٦٦ م.

(١٢) البدر الطالع = الشوكانى (محمد بن على بن محمد ت ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٤ م).

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع
جزءان، القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م.

(١٣) بغية الوعاة = السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م):
- بغية الوعاة فى طبقات النحاة — جزءان القاهرة ١٩٦٤ م.

(١٤) تاج التراجم = قاسم بن قطلوبغا (الشيخ أبو العدل زين الدين ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م):
تاج التراجم فى طبقات الحنفية، بغداد ١٩٦٢ م.

(١٥) تاريخ الخلفاء = السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م):
- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الله — القاهرة ١٣٥١ هـ.

(١٦) تاريخ الدول الإسلامية ـــ د . أحمد السعيد سليمان :

ـــ تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، جزءان ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩ م .

(١٧) تالى كتاب وفيات الأعيان ـــ الصقاعى (فضل الله بن أبى الفخر ت القرن ٨ هـ / ١٤ م) .

ـــ تالى كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق جاكلين سويلة ، المعهد الفرنسى ـــ دمشق ١٩٧٤ م .

(١٨) التحفة السنية ـــ ابن الجيعان (شرف الدين يحيى بن شاكر ت ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠ م) :

ـــ التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية .

نشره مريتز ، بولاق ١٢٩٦ هـ / ١٨٩٨ م .

(١٩) التحفة اللطيفة ـــ السخاوى (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ/١٤٩٧م) :

ـــ التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة .

٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٧٩ م ـــ ١٩٨٠ م .

(٢٠) التحفة الملوكية ـــ بيبرس المنصورى (ت ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥ م) :

ـــ التحفة الملوكية فى الدولة التركية .

تحقيق د . عبد الحميد صالح حمدان ،

القاهرة ١٩٨٧ م

(٢١) تثقيف التعريف ـــ عبد الرحمن محمد التميمي الحلبي ، الشهير بابن
ناظر الجيش (ت ٧٨٦ هـ/ ١٣٨٤ م) .
ـــ كتاب تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف .
تحقيق رودلف فسلي ـــ المعهد العلمي الفرنسي للآثار
الشرقية بالقاهرة ـــ ١٩٨٧ م .

(٢٢) تذكرة الحفاظ ـــ الذهبي (محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) :
ـــ تذكرة الحفاظ ، ٤ أجزاء ، بيروت
١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .

(٢٣) تذكرة النبيه ـــ ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م):
ـــ تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه .
٣ أجزاء ـــ تحقيق د . محمد محمد أمين ـــ القاهرة
١٩٧٦ م ـــ ١٩٨٢م ـــ ١٩٨٦م .

(٢٤) تقويم البلدان ـــ أبو الفدا (إسماعيل بن على، الملك المؤيد ت ٧٣٢ هـ/
١٣٣١ م) :
ـــ تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ م .

(٢٥) التكملة ـــ المنذرى (زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى
ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) :
ـــ التكملة لوفيات النقلة
مجلد ٥ ـــ ٦ تحقيق بشار عواد معروف ،
القاهرة ١٩٧٥ م ـــ ١٩٧٦م .

(٢٦) التوفيقات الإلهامية = محمد مختار

– التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية – مصر ١٣١١ هـ .

(٢٧) الجوهر الثمين = ابن دقماق (إبراهيم بن محمد ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) :

– الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، ومراجعة د . السيد أحمد دراج – مركز البحث العلمى – جامعة أم القرى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م .

(٢٨) حسن المحاضرة السيوطى (عبدالرحمن بن أبى بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

– حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة جزءان ، القاهرة ١٩٦٧ م .

(٢٩) حوادث الدهور = ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :

– منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور، كاليفورنيا ١٩٣٠م – ١٩٤٣م

(٣٠) الخطط التوفيقية = على مبارك

– الخطط التوفيقية ، ٢٠ جزء ، بولاق ١٣٠٦ هـ .

(٣١) خطط الشام = محمد كرد على

– خطط الشام – ٦ أجزاء – دمشق ١٩٢٥ م .

(٣٢) الخيل ورياضتها — د. نبيل محمد عبد العزيز
— الخيل ورياضتها فى مصر سلاطين المماليـــك —
المماليك — القاهرة ١٩٧٥ .

(٣٣) الدارس = النعيمى (عبـد القادر بن محمد ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م) :
— الدارس فى تاريخ المدارس ، جزءان ، دمشق ١٩٤٨ م .

(٣٤) الدرر = ابن حجر (أحمد بن على العسقلانى ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)
— الدرر الكامنة فى أعيان المـائة الثامنة، ٥ أجزاء .
القاهرة ١٩٦٦ م .

(٣٥) درة الأسلاك = ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ/١٣٧٧ م):
— درة الأسلاك فى دولة الأتراك ، مخطوط مصور بدار
الكتب المصرية رقم ٦١٧٠ ح .

(٣٦) درة الحجـال = ابن القاضى (أبو العبـاس أحمـد بن محمـد المكناسى
ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٥ م) :
— درة الحجال فى أسماء الرجال — تحقيق د. محمد الأحمدى
أبو النور، ٤ أجزاء، القاهرة ١٩٧٠ م .

(٣٧) الدليل الشافى = ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف
ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :
— الدليل الشافى على المنهل الصافى .
تحقيق فهيم شلتوت ، جزءان ، من منشورات

مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، القاهرة

١٩٨٤ م .

(٣٨) الديباج المذهب = ابن فرحون (إبراهيم بن علي ، برهان الدين

ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م) :

— الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب —

تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور — القاهرة .

(٣٩) الذيل على رفع الإصر = السخاوي (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ /

١٤٩٧ م) :

— الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواد

تحقيق د . جودة هلال ، ومحمد محمود صبح .

(٤٠) ذيل مرآة الزمان = اليونيني (قطب الدين موسى بن محمد ت ٧٢٦ هـ /

١٣٢٥ م) :

— ذيل مرآة الزمان — ٤ أجزاء — الهند ١٣٨٠ هـ —

١٩٦١ م .

(٤١) رحلة ابن بطوطة = ابن بطوطة (محمد بن عبد الله ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) .

— تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،

القاهرة ١٩٦٦ م .

(٤٢) رشيد الدين — (فضل الله الهمدانى) :
— تاريخ المغول
المجلد الثانى فى جزأين ترجمة عن الفارسية محمد صادق
نشأت ، محمد موسى هنداوى ، فؤاد عبد المعطى
الصياد — القاهرة ١٩٧٠ م .

(٤٣) رفع الإصر — ابن حجر (أحمد بن على العسقلانى ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) :
— رفع الإصر عن قضاة مصر
جزءان ، تحقيق د . حامد عبد المجيد ، محمد
أبو سنة — القاهرة ١٩٥٧م — ١٩٦١م .

(٤٤) الروض الزاهر — ابن عبد الظاهر (محيي الدين ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م) :
— الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر .
تحقيق د . عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦ م .

(٤٥) روض القرطاس — ابن أبي زرع (على بن محمد بن أحمد ت ٧٢٦ هـ /
١٣٢٥ م) :
— الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك
المغرب وتاريخ مدينة فاس — الرباط ١٩٧٣ م .

(٤٦) روضة النسرين — إسماعيل بن الأحمر (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) :
— روضة النسرين فى دولة بنى مرين — الرباط
١٩٦٢ م .

(٤٧) زبدة الفكرة — بيبرس الدوادار (الأمير ركن الدين بن عبد الله المنصوري ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) :

— زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، الجزء التاسع — مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٨ .

(٤٨) زبدة كشف الممالك — ابن شاهين (خليل بن شاهين الظاهري ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م) :

— زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك نشر بولس راويس ، باريس ١٨٩٤ م .

(٤٩) السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب — د . محمد محمد أمين .

— السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٠م — ١٢٤٩ م) رسالة ماجستير — غير منشورة — بجامعة القاهرة ١٩٦٨ م .

(٥٠) السلوك — المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) :

— كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

جـ ١ — ٢ (٦ أقسام) تحقيق د . محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٤م — ١٩٥٨ م .

جـ ٣ — ٤ (٦ أقسام) ، تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور — القاهرة ١٩٧٠م — ١٩٧٢م .

(٥١) السفن الإسلامية = د. درويش النخيلى :
- السفن الإسلامية على حروف المعجم .
الإسكندرية ١٩٧٤ م .

(٥٢) شذرات الذهب = ابن العماد الحنبلى (عبد الحى بن أحمد بن محمد
ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨ م) :
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء،
القاهرة ١٣٥٠ هـ .

(٥٣) شفاء الغرام الفاسى (محمد بن أحمد الحسنى المكى ت ٨٣٢ هـ /
١٤٢٨ م) :
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، القاهرة ١٩٥٦م .

(٥٤) صبح الأعشى القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على بن أحمد
ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، ١٤ جزء، القاهرة
١٩١٩ م - ١٩٢٢ م .

(٥٥) الطالع السعيد = الإدفوى (أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب
ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :
- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، تحقيق
سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ م .

(٥٦) الطبقات السنية — الدارى (تقى الدين بن عبد القـادر التميمى الدارى ت ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م) :

— الطبقات السنية فى تراجم الحنفية . ج ١ تحقيـق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ١٩٧٠ م .

(٥٧) طبقات الشافعية = السبكى (عبدالوهاب بن على ت ٧٧١ هـ/١٣٧٠م) .

— طبقات الشافعية الكبرى ، ١٠ أجزاء، القاهرة .

(٥٨) طبقات القراء — ابن الجزرى (محمد بن محمد ت ٨٢٣ هـ/ ١٤٢٩م) :

— غاية النهاية فى طبقات القراء، نشره ج . برجستراسر، ٣ أجزاء القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

(٥٩) طبقات المفسرين — الداودى (محمـد بن على بن أحمـد ت ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م) :

— طبقات المفسرين، جزءان تحقيق د. على محمد عمر القاهرة ١٩٧٢ م .

(٦٠) العبر — الذهبى (محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) :

— العبر فى خبر من غبر، نشر صـلاح الدين المنجد، وفؤاد السيد — ٥ أجزاء ، الكويت ١٩٦٠م — ١٩٦٦ .

(٦١) العقد الثمـين — الفـاسى (محمد بن أحمد الحسنى المكى ت ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٨ م) :

— العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد السيد، ٨ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٩م — ١٩٦٩ م .

(٦٢) عقد الجمان = العيني (محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين ت ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١ م):

— عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان.

القسم الخاص بعصر سلاطين المماليك، تحقيق د. محمد محمد أمين، وصدر منه:

ج ١	٦٤٨ — ٦٦٤ هـ
ج ٢	٦٦٥ — ٦٨٨ هـ
ج ٣	٦٨٩ — ٦٩٨ هـ

وباقي الكتاب مخطوط مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ.

(٦٣) العقود اللؤلؤية = الخزرجي (علي بن الحسن الخزرجي ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م):

— العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية — جزءان — القاهرة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م.

(٦٤) غاية المرام — ابن فهد (عبد العزيز بن عمر بن محمد الهاشمي القرشي ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م):

— غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام — جزءان — تحقيق فهيم شلتوت — مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي — جامعة أم القرى، جزءان — مكة المكرمة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م.

(٦٥) الفنون الإسلامية والوظائف = د. حسن الباشا :

– الفنون الإسلامية والوظائف

٣ أجزاء – القاهرة ١٩٦٢م .

(٦٦) فوات الوفيات = ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) :

– فوات الوفيات ، ٥ أجزاء .

تحقيق د. إحسان عباس – بيروت ١٩٧٣م .

(٦٧) فهرست وثائق القاهرة = د. محمد محمد أمين :

– فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك . مع نشر وتحقيق تسعة نماذج .

المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة – ١٩٨١م .

(٦٨) القاموس الجغرافي = محمد رمزي :

– القاموس الجغرافي للبلاد المصرية .

قسمان في ٥ أجزاء، القاهرة ١٩٥٣م–١٩٦٣م.

(٦٩) القاموس المحيط = الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب الشيرازي ت ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) :

(٧٠) كشف الظنون = حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله كاتب
جلبي ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م) :
– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون –
طهران ١٣٨٧ هـ / ١٩٤٧ م .

(٧١) كنز الدرر = ابن أيبك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله
ت بعد ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م) :
– كنز الدرر وجامع الغرر .
الجزء التاسع : الدر الفاخر في سيرة
الملك الناصر ، حققه : هانس روبرت
رويمر – القاهرة ١٩٦٠ م .

(٧٢) لسان العرب = ابن منظور (جمال الدين محمد مكرم الأنصاري
ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) :
– لسان العرب ، ٢٠ جزء ، بولاق ١٣٠٠ هـ .

(٧٣) المختصر = أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل ، الملك المؤيد ت ٧٣٢ هـ /
١٣٣١ م) :
– المختصر في أخبار البشر – ٤ أجزاء – إستانبول ١٢٨٩ هـ .

(٧٤) مدن مصر وقراها = د . عبد العال عبد المنعم الشامي :
– مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي .
الكويت ١٩٨١ م .

(٧٥) مرآة الجنان = اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) :

– مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ٤ أجزاء ، حيدر آباد ١٣٧٧ هـ .

(٧٦) المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية – د . محمد محمد أمين ، ليلى على إبراهيم :

– المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية .

دار نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٩٠ .

(٧٧) معجم البلدان = ياقوت الرومي (ابن عبد الله الحموي ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) :

– معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، بيروت .

(٧٨) المقفى – المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م):

– المقفى

مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة

(٧٩) الملل والنحل = الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) :

– الملل والنحل ، القاهرة ١٩٥١ م .

(٨٠) المنهل الصافي = ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :

ـ المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى
جـ ١، ٢ تحقيق د . محمد محمد أمين ـ القاهرة ١٩٨٤م .
جـ ٣ تحقيق د . نبيل محمد عبد العزيز ـ القاهرة ١٩٨٥م .
جـ ٤ تحقيق د . محمد محمد أمين ـ القاهرة ١٩٨٦ م .
جـ ٥ تحقيق د . نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة ١٩٨٩م .
جـ ٦ تحقيق د . محمد محمد أمين ـ القاهرة ١٩٨٩ م .
جـ ٧ ، جـ ٨ تحقيق د . محمد محمد أمين (تحت الطبع)
وباقى الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٨١) المواعظ والاعتبار ـ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :
ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ، بولاق ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م .

(٨٢) النجوم الزاهرة ـ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :
ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١٦ جزء ، القاهرة ١٩٢٩ م ـ ١٩٧٢ م .

(٨٣) نزهة الناظر ـ موسى بن محمد بن يحيى اليوسفى (ت ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) :
ـ نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر .
تحقيق د . أحمد حطيط ـ عالم الكتب ـ بيروت ١٩٨٤ م .

(٨٤) نزهة النفوس = الصيرفى (على بن داود الصيرفى ت ٩٠٠ هـ/١٤٩٤ م) :

– نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان

٣ أجزاء تحقيق د . حسن حبشى ،

القاهرة ١٩٧٠م – ١٩٧٣ م .

(٨٥) نظم العقيان = السيوطى (عبدالرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م):

– نظم العقيان فى أعيان الأعيان

تحقيق فيليب حتى ، نيويورك ١٩٢٧ م .

(٨٦) نكت الهميان = ابن أيبك الصفدى (صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢ م) :

– نكت الهميان فى نكت العميان ، القاهرة ١٩١١م .

(٨٧) نهاية الأرب = النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٣ م) :

– نهاية الأرب فى فنون الأدب

٢٩ جزء مطبوع بالقاهرة ١٩٢٣م–١٩٨٩ م .

وباقى الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية

رقم ٥٤٩ معارف عامة .

(٨٨) هدية العارفين = البغدادى (إسماعيل باشا) :

– هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، جزءان ،

(٨٩) الوافى بالوفيات = ابن أيبك الصفدى (صلاح الدين أبوالصفا خليل
ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) :

- الوافى بالوفيات

١٧ جزء نشر جمعية المستشرقين الألمانية ، وباقى
الكتاب مخطوط بدارالكتب رقم ٧٧١ تاريخ تيمور .

(٩٠) وفيات الأعيان = ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد
ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٨ أجزاء ،
تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٧ .

* * *

من أعمال المحقق التى أفاد منها فى تحقيق هذا المجلد :

١ — الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ٦٤٨ — ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ — ١٥١٧ م — دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٨٠ م .

٢ — الأوقاف والحياة الثقافية فى العصور الوسطى — بحث مقدم للندوة الدولية عن الأوقاف فى الوطن العربى — الرباط ١٩٨٥م .

— نشر ضمن أبحاث الندوة التى صدرت عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٣ — الأوقاف ونظام التعليم فى مصر فى العصور الوسطى — بحث مقدم لمؤسسة آل البيت لبحوث الحضارة الإسلامية — الأردن ١٩٨٦ م .

٤ — تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه — للحسن بن عمر بن الحسن ابن عمر بن حبيب المتوفى سنة ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م — دراسة ونشر وتحقيق — صدر فى ثلاث مجلدات :

المجلد الأول : حوادث وتراجم ٦٧٨ — ٧٠٩ هـ / ١٢٧٩ — ١٣٠٩م — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م .

المجلد الثانى : حوادث وتراجم ٧٠٩ — ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ — ١٣٤٠ م — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م .

المجلد الثالث : حوادث وتراجم ٧٤١ — ٧٧٠هـ / ١٣٤٠ — ١٣٦٨ م — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م .

٥ — تطور العلاقات العربية الإفريقية فى العصور الوسطى — فصل من كتاب « العلاقات العربية الإفريقية » — معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ١٩٧٧ م .

٦ — تفويض من عصر السلطان العادل طومان باى «صانع السلاطين» (وهو الوثيقة ٧٣٩ جديد بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ، والمؤرخة ١٢ رجب ٩٠٦ هـ وهو تفويض صادر من السلطان جان بلاط) — المجلة التاريخية المصرية — مجلد ٢٧ سنة ١٩٨١م .

٧ — السخاوى ومؤرخو عصره ، مع نشر وتحقيق مقامة الكاوى على تاريخ السخاوى للسيوطى — بحث مقدم للندوة الدولية عن المؤرخ السخاوى — الجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ١٩٨٢ م — بحث منشور ضمن أبحاث الندوة التى صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر .

٨ — الشاهد العدل فى القضاء الإسلامى — دراسة تاريخية مع نشر وتحقيق إسجال عدالة من عصر سلاطين المماليك (وهو الوثيقة ٧٩١ جديد بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة والمؤرخة سنة ٨٦٠ هـ) حوليات إسلامية Annales Islamologiques المجلد ١٨ سنة ١٩٨٢ م المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة .

— شمال إفريقيا والحركة الصليبية — مجلة الدراسات الإفريقية — العدد الثالث ١٩٧٥ .

١٠ — الصومال في العصور الوسطى — فصل من كتاب عن جمهورية الصومال أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٦م .

١١ — العبدلاب وسقوط مملكة علوة — بحث في انتشار الإسلام والعروبة في وسط سودان وادى النيل — مجلة الدراسات الإفريقية — العدد الثاني ١٩٧٤ م .

١٢ — العرب والدعوة الإسلامية في شرق إفريقيا — مجلة الدارة — الرياض ١٩٨٥ م .

١٣ — عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان — لبدر الدين محمود العيني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م — دراسة ونشر وتحقيق ، صدر من القسم الخاص بعصر سلاطين المماليك :

المجلد الأول : حوادث وتراجم ٦٤٨ — ٦٦٤ هـ / ١٢٥٠ — ١٢٦٥ م — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ .

المجلد الثاني : حوادث وتراجم ٦٦٥ — ٦٨٨ هـ / ١٢٦٦ — ١٢٨٩ م — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ م .

المجلد الثالث : حوادث وتراجم ٦٨٩ — ٦٩٨ هـ / ١٢٩٠ — ١٢٩٨ م — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ م .

١٤ — العلاقات بين دولتي مالي وسنغاي وبين مصر في عصر سلاطين المماليك ١٢٥٠م — ١٥١٧ م — مجلة الدراسات الإفريقية — العدد الرابع ١٩٧٦ م .

١٥ — علماء زيلع فى مصر ودورهم فى الحضارة الإسلامية فى القرن ٩ هـ / ١٥ م — بحث مقدم للندوة الدولية عن القرن الإفريقى — نشر ضمن أبحاث الندوة — صدر بالقاهرة ١٩٨٧ م .

١٦ — فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك (٢٣٩ — ٩٢٣ هـ / ٨٥٣ — ١٥١٦ م) مع نشر وتحقيق تسعة نماذج — المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٠ .

١٧ — مرسوم السلطان برقوق إلى رهبان دير سانت كاترين بسيناء (وهو المرسوم المحفوظ بمكتبة الدير رقم ٤٥ والمؤرخ ١٧ شعبان سنة ٨٠٠ هـ) — مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم — العدد الخامس ١٩٧٤ .

١٨ — مصارف أوقاف السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون على مصالح القبة والمسجد والجامع والمدارس ومكتب السبيل بالقاهرة (وهى الوثيقة ٤٠ / ٦ المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة ، وصورتها رقم ٨٨١ق المحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة) — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ .

١٩ — المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية . بالإشتراك مع ليلى على ابراهيم — دار نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٩٠ .

٢٠ — معاهدة تجارية بين مصر والبندقية من عصر السلطان المؤيد شيخ — دراسة فى العلاقات الإقتصادية بين مصر والبندقية فى أوائل القرن ٩ هـ / ١٥ م — بحث مقدم للندوة الدولية عن مصر وعالم

البحر المتوسط — القاهرة ١٩٨٥ — نشر ضمن أبحاث الندوة التى صدرت بالقاهرة عن دار الفكر بالقاهرة ١٩٨٦ .

٢١ — منشور بمنح إقطاع من عصر السلطان الغورى (وهو الوثيقة ٧٨٩ جديد بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ، والمؤرخة ٧ ذو الحجة ٩١٦ هـ) — حوليات إسلامية . Annales Islamologiques المجلد ١٩ سنة ١٩٨٣م — المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية بالقاهرة .

٢٢ — المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى — ليوسف بن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م — دراسة ونشر وتحقيق — صدر منه ٦ مجلدات عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ م — ١٩٨٩ (حقق الجزءان الثالث والخامس د . نبيل محمد عبد العزيز) .

٢٣ — نهاية الأرب فى فنون الأدب — لشهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى المتوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م — دراسة ونشر وتحقيق للجلد رقم ٢٨ — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١ .

٢٤ — وثائق من عصر سلاطين المماليك — دراسة ونشر وتحقيق تسعة نماذج متنوعة — المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨١ .

٢٥ — وثائق وقف السلطان قلاون على البيمارستان المنصورى (الوثيقة رقم ١٥ / ٢ بدار الوثائق القومية بالقاهرة ، وصورتها رقم

١٠١٠ ق بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة) — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م .

٢٦ — وثائق وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون (وهى الوثائق رقم ٤/٢٥ وصورتها ٣١ / ٥ ، ٢٧ / ٥ ، ٣٠ / ٥) المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة — والمتضمنة وقف خانقاة سرياقوس والوقف على مصالحها — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م .

٢٧ — وثيقة وقف ذمية (وثيقة وقف ماريا ابنة أبى الفرج بركات — من وثائق بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة رقم ١٩/٤١ — الدرب الأحمر) — انظر :

Un Acte de Fondation du Waqf Par une Chretienne – Journal of Economic and Social History of Orient (G. E. S. H. O.) Vol. XVIII, p.1, 1975

٢٨ — وثيقة وقف السلطان قايتباى على المدرسة الأشرفية وقاعة السلاح بدمياط (الوثيقة ٨٨٩ ق أوقاف وصورتها رقم ٧٠٣ جديد بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة) — المجلة التاريخية المصرية مجلد ٢٢ سنة ١٩٧٥م .

* * *

فهرست موضوعات عقد الجمان (*)

٦٩٩ – ٧٠٧ هـ

صفحة

(*) هذا الفهرست طبقا للعناوين الرئيسية والفرعية التى وضعها المؤلف ع

صفحة

* * *

انتهى الجزء الرابع من القسم الخاص

بعصر سلاطين المماليك

من كتاب عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان

لبدر الدين العينى

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس

ويبدأ بحوادث السنة الثامنة بعد السبعمائة